

وقت للبيع

رواية





د. محمد لبيب سالم

إهداء

أهـدي هـذه الروايـة إلى أهـلي في بلـدتي دهتـورة (زفتـى)، وزوجتـي، وأبنـائي: يـارا، وزيـاد، وكريـم، مصـدر إشـعاع كلـماتي، ونـور حيـاتي ...

كـما أهـدي هـذه الروايـة إلى أسـاتذتي في مـصر الذيـن أثـروا حـب الأدب في نفـسي، ورووا منبـت العلـم في قلبـي وعقـلي...، وإلى أصدقـائي الذيـن كانـوا دائمًـا بجانـب كلـماتي ...وإلى كل طـلابي الباحثـين عـن العلـم الحقيقـي ...

تقديم

الأشـعة هـي نبـض الحيـاة, تهدينـا إياهـا الشـمس في إشراقهـا كل صبـاح حتى غروبهـا كل مسـاء فتتنفـس النباتـات وتحيـا الأنسـجة الخـضراء لتجمـل الوجـود وتهـب أسـباب الحيـاة لتـدق بصدورنـا نبضـات القلـوب لنشـعر بالحـب.

وبالأشـعة انسـابت هـذه الروايـة مـن بـين أناملـي كحبـات المطـر تتسـاقط مـن سـماء عقـلي عـلى جـدران قلبـي لأسـطرها في لهفـة المشـتاق إلى أسـباب الحيـاة. حاولـت فيهـا أن أفجـر طاقـات العقـل الكامنـة وراء الطبيعـة لعلهـا تكشـف عـن كينونـة الأشـياء مثـل الأشـعة الكونيـة التـي قـد يكمـن فيهـا أسـباب نسـتطيع بهـا التحكـم في الوقـت لنبقـى في حـاضره أو نبحـر إيابًـا في المـاضي أو ذهابًـا في المسـتقبل ليصبـح الوقـت نسـيجًا يبـاع كـماضٍ أو حـاضر أو آت. ومـن هنـا جـاء عنـوان الروايـة «وقـت للبيـع» لتعـبر عـن هـذه المعـاني الرمزيـة قبـل أن تكـون علميـة.

وقـد نسـجت هـذه الروايـة بخيـوط علميـة واجتماعيـة ورومانسـية. وفي بعـض.. وحاولـت أن ألـون بعـض الخيـوط بقليـل مـن حبـات الشـعر أو رمزيـة الكلـمات لتعـبر عـن بعـض الأحاسـيس التـي تركـت فحـوى معانيهـا لعقـل وقلـب القـارئ كـما يـتراءى لـه.

ولعمـري لقلمـي يرتجـف قلقًـا وقلبـي يـدق عاليًـا وعقـلي يهتـز، يهتـز خوفًـا وأنـا أقـدم روايتـي الأولى هـذه لقـراء لا يعرفـوني بعـد، وإن كان هنـاك البعـض الذيـن قـرءوا لي قطعًـا متناثـرة هنـا وهنـاك.

وأنـه لشـعور تملـؤه الرهبـة عندمـا أقـدم -ولأول مـرة- عمـلًا روائيًّـا كامـلا أصنـع فيـه الأحـداث، وأشـكل فيـه شـخصية ودوافـع الأبطـال لآخذهـم إلى نهايـة قـد تـروق القـارئ أو لا تروقـه.

إنها لمسئولية جسام، ولكنها تجربة إنسانية رائعة ...

د. محمد لبيب سالم

همس الحب على أعتاب السوبر ماركت

«أتعجب كيف يموت العشاق من الحب ... وأنا العشق يحيني ... فالعشق بساط ميادينـي ...»

همسة فتاة رائعة الجمال تحسدها الأرض على حسنها، والشمس على ضيائها، والهواء على خفتها. إنها الجمال كله عندما قرر أن يتجسد للناس في صورة فتاة، تسكن همسة هناك في هذا البيت المتواضع في نفس الحارة الضيقة التي يعيش فيها خالد، هي أصغر منه بثلاثة أعوام، تعرف على ملامحها وهو في الثانوية العامة عندما أصبح شابًّا، وهي صبية يعلوها البهاء أينما حلت، وكيفما تكلمت بعد أن كانت تبدو طفلة حتى الأمس القريب، يستحي خالد من أن تقابل عينه عينيها عندما تمر من أمام بيته، وهي في الطريق إلى المدرسة، وهو يقف متعمدًا أمام البيت ليراها وهي قادمة كشعاع نور أضاء الحارة من بعيد.

خالد مفرط الحس، وقلبه مفتوح لهواء الحب، ولكنه لا يستنشق إلا ذرات الهواء التي تحملها خلايا رئتيه فيكفيه حبه لأمه، وأبيه، وأقاربه، والجيران فالجميع يحبه لأدبه، والتزامه، وحسن كلامه، ولكن قلبه بدأ يعرف إحساسًا آخر لم يعرفه من قبل، يختلف عن حبه لكل الناس، إحساس له مذاق خاص يتوهج، ويلتهب كقطع من النيران بقلبه أو وكأنه قطع من الحلوى تصنع في قلبه ليأكلها عقله؛ فينتشي بكلمات الهوى.. لم تخطر على باله من قبل، كل تلك الأحاسيس تتملكه عندما يرى همسة ماشية أو واقفة أو وهي هناك بعيدًا، ولا يرى منها إلا خيال طرف ثوبها.

استمتع خالد بهذا الإحساس فكان يعيده ليلًا على خياله قبل خلوده للنوم، وكان يهوّن به على نفسه عندما كان يجول في شوارع المدينة يبيع الجرائد والمجلات، أو وهو يمسح زجاج السيارات. كانت هذه الأحاسيس تجاه همسة مظلة له من وهج الشمس وسيول للأمطار. كانت له واقيًا

يحميـه مـن الحكـم السـخيف مـن بعـض النـاس الذيـن لا يعرفونـه، كلام يتفوهـون بـه بشـفاه بلهـاء، وكأنهـم يلقونـه عـلى تمثـال مـن الخشـب لا يعـون مـا يقولـون متناسـيين أن هـذا الشـاب في حالـة حـب كبـيرة لا يعلـم بهـا.. حالـة لـو عرفـوا بجمالهـا وحـلاوة طعمهـا لطلبـوا منـه الصفـح، وأن يبـارك جفـاف قلوبهـم ليصبحـوا مثلـه عشـاقًا لحـب يتنفـس، ويتكلـم كـما هـو بعيـون خالـد المبتسـمة دائمًـا حتـى وهـي تدمـع حبـات العـرق المالحـة، وهـي تسـيل عـلى جبينـه مـن حـر النهـار.

أذاع خالـد سر أحاسيسـه تجـاه همسـة لصديـق العمـر أحمـد، وسـأله كيـف تفـسر هـذه الأحاسـيس يـا صديـق الصبـا فأنـا لم أعـرف بذلـك النـوع مـن الأحاسـيس مـن قبـل، ولمـاذا همسـة؟ ولمـاذا الآن؟ وليـس قبـل الآن بعـد أن أصبحـت فجـأة صبيـة في جسـد الصبايـا، وبعـد أن هجرهـا لهـو الطفولـة. ضحـك أحمـد ضحكـة عاليـة، ورتـب عـلى كتـف خالـد بهـدوء، وكأنـه المعلـم الخبـير بمعاني الأحاسـيس: أنـت في حالـة حـب كبـير يـا خالـد، أنـت وقعـت في شـباك الحـب التـي ترمـي كل دقيقـة عـلى قلـوب النـاس في الأزقـة، والحـارات، والشـوارع، وفي القـرى، والمـدن، وفي كل زمـان، ومـكان فتقـع فيهـا القلـوب المحبـة طواعيـة، وهـا أنـت قـد وقعـت في الشـبكة التـي رماهـا الحـب في حارتنـا الصغـيرة فاصطـاد قلبـك المشـتاق لحـب الصبـا، واصطـاد لـك همسـة فـكان الحـب بينكـما همسًـا حتـى ينكشـف، وتفضحـه عيونكـما كـما فضحتـك مشـاعرك الآن أمامـي يـا صديقـي.

ترعـرع هـذا الحـب العـذري في قلـب خالـد، وسـعد بـه، ولم يـرد أن يخـبر والـده، ولا والدتـه مـع أنـه لم يـدارِ عنهـما شـيئًا مـن قبـل، ومنعـه الحيـاء هـذه المـرة، واحتفـظ بمشـاعره لنفسـه، ولأحمـد صديقـه فهـو مـلاذه، وعشـقه في لملمـة مشـاعره كل يـوم قبـل أن يعـود إلى البيـت حتـى يظهـر بكامـل عافيتـه أمـام أمـه وأبيـه. تـردد خالـد أن يبـوح أو حتـى يعـبر عـن مشـاعره لهمسـة.. كيـف يعـبر لهـا، وهـو لا يجـرؤ أن ينظـر إلى عينيهـا، وهـو يتعمـد أن يذهـب ليشـتري احتياجـات البيـت بـدلًا عـن والدتـه مـن نفـس المحـل الـذي تشـتري منـه همسـة بعـد أن تعقـب خطاهـا سرًا، وعلـم بالتوقيـت الـذي تنـزل فيـه للـشراء، ولكنـه لم يعـرف أن العيـون تفضـح القلـوب، حتـى ولـو أخفـت العقـول فالقلـوب تخفـق، وتتعمـد أن تزهـو بحبهـا فتأخـذ العيـون لهـا صديـق تنقـل مـن خلالهـا خطابـات الحـب بلغـة العيـون.

لم يعلـم ذلـك إلا عندمـا تسـمرت عينـاه ذات مسـاء مـشرق بـكل شـموس الحيـاة في المـشرق والمغـرب عندمـا همسـت في عيونـه همسـة، وهـو ينظـر إليهـا بطـرف عـين قائلـة لـه بهمـس العصافـير: إزيـك يـا خالـد. لم يصـدق نفسـه، ولم يسـتطع الـرد، وتلعثـم، ونظـر إلى الأرض، وكأنـه همسـة، وهـي خالـد!

أدرك خالـد نفسـه، ولملـم حالـه، وأحاسيسـه التـي تبعـثرت منـه عـلى أرصفـة المحـل عندمـا سـمع تلـك الأغنيـة التـي لم يكتبهـا شـاعر مـن قبـل، ولم ولـن تغنيهـا أحـلى شـفاه مـن قبـل ومـن بعـد، ولـن تتذوقهـا إلا أذنـاه فهـي لـه وحـده. أغنيـة مـن كلمتـين، ونـداء - إزيـك يـا خالـد- أغنيـة جعلـت منـه فارسًـا يزهـو بحبـه، وكأنـه السـلطان.

تركتـه همسـة واقفًـا شـاردًا، ومضـت إلى بيتهـا، وهـي تبتسـم ابتسـامة مليئـة بالخجـل، ويعلوهـا إعجـاب لا يخفـى بخالـد. انتهـي خالـد سريعًـا مـن شراء احتياجاتـه، والتـي يؤخرهـا دائمًـا إلى أن تنهـي همسـة شراء احتياجاتهـا، وعـاد مسرعًـا، وقلبـه يسـبقه إلى البيـت ليضـع المشـتريات، ثـم منـه عـلى بيـت أحمـد مهـرولًا، وكأنـه فقـد فـاز بجوائـز اليانصيـب في كل العـالم؛ ويريـد أن يتلقـى كلمـة مـبروك مـن كل النـاس، وهكـذا أحـس كلـما مـر بـه أحـد يعرفـه، وألقـى عليـه السـلام. أخـبر أحمـد بمـا حـدث، وكأن همسـة قالـت لـه أحاديـث المسـاء كلهـا، وليسـت مجـرد كلمتـين، وأداة نـداء. ابتسـم أحمـد، وهـز رأسـه، وكأنـه والـد خالـد، وعـالم بـأسرار القلـوب قائـلًا: هكـذا كنـت أتوقـع منهـا، ولكنهـا سـبقتك يـا عزيـزي فاهنـأ بحبهـا لـك، وأحبهـا كـما لا يحـب أحـد قبلـك. يجـب أن تعـبر لهـا عـن حبـك يـا خالـد هـذه هـي الرجولـة العاطفيـة، وإلا سـوف تعيـش العمـر حالمـا. فعـلًا يـا أحمـد عنـدك حـق تمامًـا سـوف أوه لهـا بحبـي وعشـقي فأحاسـيس الإنسـان وانفعالاتـه رهيفـة هينـة كنتـف ريـش طائـر غـض تراقصـه نسـمات الحيـاة، فـتراه منتشـيًا منبسـطًا.. ومـا أشـعر بـه الآن هـو إحسـاس لحظـة أتمنـى أن تطـول العمـر كلـه، وكأن همسـة تمثلـت أمـام عينيـه يحدثهـا قلـة خالـد بصـوت مسـموع:

عندما تخاطبني زهرات الربيع أغازل نجوم السماء أطير شوقا

عندما تدق قلبي طبول الحياة يغني الكون لحنه راضيًا مبتسمًا

عندما أفتح أبواب قلبي للمنى أسير بطريق الغفران منبسطًا

أرى أيام الصبى ترقص حولي تعانق حاضري فيصير منتشيًا

آت الأيام يعزف عذب الألحان فيميل قلبي يغازل الغد مرتقبًا

ويغزل أوتارا تهفو إلى شدو فأنام على أحلام الحياة معتمرا

أحلق طائرا تغازلني النسمات فألامس أقمار النجوم منتصرا

تردد خالد كثيرًا، وهو يفكر في إعلان حبه لهمسة فكأنه قادم على إعلان حالة حرب أو عصيان مدني. حقًّا إنه تلذذ أيما تلذذ بما قالته له بطريقة تحكي الإعجاب منها، ولكن قد لا يكون الحب منها بل هو الاحترام أو التقدير لإحساسها، إنه يهتم بها. نتيجة الإعدادية سوف تظهر بعد غد، وسوف تكون الفرصة سانحة لكي أقول لها ألف مبروك بطريقة تعكس حبي لها. كانا أطول يومين على خالد، وفكر كثيرًا ماذا يقول، وماذا يفعل عندما يراها.

قضى خالد اليومين في عمله في بيع الجرائد، والمجلات، وهو في حالة هيام حالمة دون أن يدري به أحد، ولكنه هيام داخلي حتى وكأنه ينادي على الجرائد، والمجلات ليس بأسمائها، ولكن باسم همسة، وما فيه من حنان لخص حنان نساء العالم، وبه حنين كل القلوب الحانية. إنه الإحساس الذي يعلو بصاحبه فوق الآلام. أتعجب لماذا لا يوصف الحب من الأطباء للمرضى بديلًا عن أدوية الآلام. وفي المساء كتب خالد سطورًا عن العشق لهمسة، سطورًا غير مرتبة تعكس حالة الارتباك العاطفي التي يعيشها منذ أن غنت له أغنية إزيك يا خالد. ذهب خالد إلى المحل في الوقت المتوقع أن يسعد بلقاء همسة.

ذهب وقلبه يرتجف، وعقله يهتز، وأطرافه تكاد تتفلت منه، ولسانه يتلعثم، إنها حالة حب صبياني تجعل كل خلية في الجسد قلبًا نابضًا يدق باسم الحبيب. وقف بعيدًا هناك حتى أقبلت أميرة قلبه، وأميرة الأميرات

اللائي لم يعرفهن بعد. وأتت همسة بكل عنفوان جمالها الذي تتعلق به قلوب كل شباب الحارة، والحارات المجاورة، وكل من رأى همسة. إنها الجمال الذي لا يتحدث عن مظاهر جماله، بل يتركها كورق الشجر في ربيع بهي ليعلم الناس منه قدوم فصل الربيع في أحلى أيامه، فهمسة هي الربيع، ونسماته التي عندما يشم نسيمها القلوب تتعلق بها، وتتمنى رضاها، ولو بنظرة طرف عين عفوية. هل تحبني فعلًا؟ وهل تعني ما غنت لي؟ ولماذا أنا؟ همس لخالد في نفسه بهذه الأفكار، وكأنه يستكثر أن تحمل له همسة حبًّا دون شباب الحارة، وهو الأقل منهم في كثير من الأشياء.

ولكنه سرعان ما همس في نفسه مرة أخرى، وكأنه يتلذذ من الهمس حتى تمنى أن يكون اسمه همس ليليق بهمسة - قائلا: الحب لا يعرف إلا القلوب، ولعل قلبها وقلبي وقعا في شباك الحب كما قال صديقي أحمد. ذابت عيناه خجلًا عندما واجهت عيناه همسة، ولم يقوَ على قول ألف مبروك كما تتدرب عليها، وهو ينظر في المرآة طوال الليل، وفوجئ بهمسة، وعيونها تهمس في عيونه، وبكل دلال: إزيك يا خالد، نطق لسانه دون أن يدري:

الحمد لله أنا في غاية السعادة بك، وألف مبروك على النجاح. فابتسمت، وهي تغني له أغنية أخرى بعنوان: «عقبالك يا خالد». انتشى خالد، وكأنه الرجل الأوحد على هذه الأرض، وباقي الناس ما هم إلا أطفال يحبون على أرض الحب. انتظر خالد حتى قاربت على إنهاء الشراء، ثم دلف في يدها دون أن يدري قصيدته التي كتبها أمس، والتي أوصى كل حرف بها أن يقول لها أحبك يا همسة الوصل.. ترك الرسالة هامسًا لهمسة قائلا: هي مني لقلبك. فنظرت إليه همسة نظرة أذابت قلبه، فهرب من تلك النظرات الحالمة إلى عرائس الأطفال المرصوصة على الرفوف حتى لا تفضحه عيونه أمام عم السيد صاحب المحل.

خرج في لحظة خروجها لكي يقول لها، وعيناه بعيدًا عنها: مبروك يا همسة، وعقبال الثانوية.. فردت وهي تنظر إليه: عقبالك يا خالد في الثانوية، إنها بعد أسبوع، ويا رب تجيب مجموع.. نظر إليها خالد مبتسمًا وقلبه فرح، وقصد البيت مسرعًا ليرتمي على سرير أحلامه، وأمنياته التي جعل ارتباطه من همسة فوق كل الأمنيات، وأخرج السطور التي أعطاها

لها ليقرأها الآن، وكأنه يلقي قصيدة غزل لكل النساء لعلها تكون تقرؤها الآن في نفس الوقت، فتتهامس القلوب بأحلى، وأصدق المشاعر. وكانت اللحظة هي أحلى اللحظات، لحظة تمنى فيها أن يكون همس فيطير هناك، ويسكن في قلب همسة إلى الأبد.

التحكم في الوقت وعقارب الساعات

«عقارب الساعة تدور بإيقاعات رصينة وتدق كأنها القلب بلا توقف ولكنها عكس القلب إذا توقفت الدقات لا يقف الوقت أم إذا توقفت دقات القلب فالموت حق».

استيقظ خالد من النوم بعد أن خلد للراحة لساعتين من يوم طويل من العمل في المختبر، ونظر على ساعة الحائط المعلقة على كل جدار من جدران الغرفة الصغيرة التي يقطنها في شقة في الدور العشرين في وسط مدينة طوكيو، فوجد أنه استيقظ في الوقت الذي حدده ... فأكل ما وقعت يده عليه في الثلاجة، ثم نزل مسرعًا إلى المعمل ليكمل أبحاثه التي جاء يجريها في معهد البحوث المتقدمة باليابان عن طريق منحة مقدمة من أستاذه الياباني الذي يعمل في مشروع كبير عن إيجاد طريقة جديدة وبسيطة، وغير مكلفة للتحكم في الوقت.. بعد رحلة دامت ساعة بالمترو الذي استقله في الطابق السابع تحت الأرض، وصل خالد إلى محطة المعهد فوق الأرض المحاطة بفناء واسع مليء بكل أنواع الساعات التي تم اختراعها على مر العصور، وكأنها متحف مفتوح كبير يجذب عقل كل من يراه إلى عالم الساعات، والدقائق، والثواني...

أخذ خالد طريقه بين صفوف الساعات، والتي تم وضعها بطريقة لولبية تجعل المار بينها يقضي نصف ساعة للوصول إلى باب المعهد، وكأنها رسالة لكل باحث أو عامل أو زائر للمعهد أن يشعر بفكرة المشروع، ويفكر في إيجاد طريقة جديدة للتحكم في اختصار هذا الوقت الطويل، وفي الوصول إلى باب المعهد، والذي لا يبعد عن البوابة الرئيسية سوى أمتار قليلة. وصل إلى الباب وانحنى قليلًا على الطريقة اليابانية ليحيي الحارس، والذي يضع وراءه يافطة عليها شعار كتب بكل لغات العالم: «اوجد طريقًا لاختصار الوقت تجد جائزتنا الكبيرة في يديك».

كل يوم يذهب خالد إلى المعهد يمني نفسه بالحصول على هذه الجائزة

المالية الكبيرة التي سوف تقلب حياته في مصر رأسًا على عقب، ويصبح من مصاف الأغنياء بالإضافة إلى المجد العلمي الذي يحلم به ليكون من مصاف علماء العالم المميزين، ويصبح مثلًا أعلى للشباب في وطنه. زلق خالد بطاقة الدخول في باب المعمل المخصص له، والذي يجري أبحاثه فيه مع بعض الباحثين من اليابان، وبعض الدول الآسيوية، والغربية..، وأخذ يدقق في مهام اليوم، ويتأكد أن كل الأدوات المطلوبة للبحث متوفرة حسب ما قد طلبه صباح أمس، وبدأ يجري تجاربه في تركيز شديد، وكأنه يجري عملية جراحية لطفل عمره شهر، وتحت المعطف الأبيض يبدو خالد ك»الروبوت» يروح ويجيء في المعمل، وهو يسجل ملاحظاته ونتائجه في كتابه المخصص لذلك ...

عندما وقعت عيناه على عقارب الساعات المعلقة على كل جدران المعمل، وجدها تشير إلى الرقم ١٢، والذي يتوقف عنده العمل والبحث فهو وقت الغذاء، وكأن الكل ضبط إيقاعها على دقات نصف اليوم، وفجأة وجد جميع من بالمعمل يتوقفون مثله عن العمل، ويتهيئون للذهاب إلى المطعم الذي سوف يضج بعد قليل بجميع من بالمعهد، وهم يأكلون بالعصي اليابانية الصغيرة، ويحركونها وهم يتحدثون سويًّا، وكأنهم يعزفون موسيقى تصويرية لبهاء المكان، واحتفالًا بقيمة الوقت المخصص للغذاء، وكأنه هدية لا تعوض من السماء. وفور انتهاء الغذاء بعد تمام الساعة الواحدة ذهبت المجموعة التي بها خالد إلى الاجتماع الأسبوعي للمعمل، والذي يرأسه دكتور تاناكا الباحث الرئيسي للمشروع، وأستاذ خالد.

كان الجميع عند تمام الوقت في غرفة الاجتماعات، والتي صممت، وكأنها ساعة كبيرة يتوسط كل حائط رقم من أرقام الساعة بحيث يظهر الرقم ١٢ على الحائط المقابل للدكتور تاناكا. وبدأ الاجتماع، والذي حضره مساعدي دكتور تاناكا. بدأ كل طالب وباحث يعرض إنتاجه العلمي من حصاد الأسبوع الماضي، فمنهم من يقف متفاخرًا بما وصل إليه لعله يكون بداية خيط للاكتشاف الكبير في التحكم في الوقت علاوة على المجد العلمي، والجائزة الكبرى، ومنهم من يقف متخاذلًا؛ لأنه لم يصل إلى شيء جديد. وتزداد المناقشة بعد كل عرض، وتحتد، ودكتور تاناكا يعلق بحكمته الممزوجة بخبرة بحث

السـنين محدقًـا إلى كل مـا قـد يـراه خيـط إلى ثقـب الإبـرة التـي يسـتطيع بهـا غـزل اكتشـاف الحلـم الكبـير. جـاء دور خالـد، وقـدم عرضـه، والـذي لم يكـن فيـه الجديـد، ولكنـه أشـار إلى أنـه عاكـف عـلى أبحـاث تعتمـد عـلى قراءاتـه الحديثـة، والتـي يتوقـع الانتهـاء منهـا في القريـب. انتهـى الاجتـماع بتوصيـات دكتـور تانـاكا بمـا يجـب التركيـز عليـه في الفـترة القادمـة مـع إعطـاء مسـاحة لـكل باحـث أن يصمـم مـا يـراه مناسـبًا، ومهـما حسـب إبداعاتـه الشـخصية.

عـاد خالـد إلى المعمـل قبـل أن يتركـه إلى سـكنه، ونظـر إلى السـاعات المعلقـة عـلى جميـع جـدران المعمـل لـكي تلهـب خيالـه العلمـي لطريقـة للتحكـم في الوقـت، ثـم نظـر إلى سـاعة يـده مسـتمعًا بإنصـات إلى دقاتهـا، وكأن كل دقـة تهمـس في معصمـه، وتذكـره بجريـان الوقـت، وانحسـاره. فقـرر أن يخلـع السـاعة عـن معصمـه ليتخلـص مـن هـذا العـبء النفـسي الـذي يذكـره بفشـله حتـى الآن في الوصـول إلى فكـرة جديـدة للتحكـم في الوقـت، عندمـا خلـع السـاعة عـن معصمـه فوجـئ بوجـود دقـات أخـرى في معصمـه، وهـي نبضـات عروقـه، والتـي تعلوهـا دقـات أخـرى ترجـف بقلبـه، والتـي تؤكـد لـه أنـه محـاصر بالدقـات، ولا مفـر مـن جريـان الوقـت، وتحـول دقـات الحـاضر إلى مـاضي. حينئـذٍ زاد تصميـم خالـد عـلى إيجـاد طريقـة للتحكـم في الوقـت بحيـث يمكـن زيـادة أو إبطـاء سرعتـه. كـما يتمنـى أسـتاذه دكتـور تانـاكا، وكـما يحلـم خالـد، والفـرق كبـير بـين التمنـي والحلـم .انتهـى اليـوم سريعًـا عنـد السـاعة الخامسـة، الوقـت الـذي يعـود معظـم الباحثـين لبيوتهـم إلا مـن يريـد البقـاء لمزيـد مـن العمـل، والبحـث، ولكـن بتصريـح مـن دكتـور تانـاكا شـخصيًا.

الحاضر... زمن ليس له وجود

«وكأن الوقت أصبح معبئًا في كبسولات نبتلعها أثناء الليل لنصحوا والنهار يتفلت من بين أيدينا فلا نملك إلا أن نهرول وراء خيالاتنا حتى تبتلعنا ساعات النهار، وهكذا تمر سنوات العمر في لمح البصر»

قرر خالد أن يعود لمسكنه ليأخذ قسطًا من الراحة، وينتهي من الطهي ليكفيه ثلاثة أيام، ثم يعود مرة أخرى للعمل على أبحاثه. وأخذ خالد طريقه العكسي إلى سكنه مارًّا بنفس الساعات التي بالفناء أمام المعهد، وخرج من البوابة الرئيسية إلى المترو حتى وصل البيت منهكًا بعد رحله قاربت على الساعة والنصف، والتي تعتبر معقولة وعاديه في مدينة الزحام المنظم طوكيو.

ألقى على البوتاجاز إناء به مياه، وبه بعض البيض ليغليه، وإناء آخر به أرز ثم ألقى جسده على السرير ليأخذ قسطًا من الراحة على نغمات دقات المنبه الذي تم ضبطه ليرن في أذنيه في تمام الساعة التاسعة. وكما ألقى خالد البيض والأرز على النار، وجسده على السرير فقد ألقى عقله على الوسادة، وتركه يسرح، ويهيم في تعريف الوقت، وكيف تمت ترجمته، وقياسه بالساعات، والدقائق والثواني.

خالد يحب قراءة الشعر، ونظمه خاصة، وهو يتهيأ للنوم . فقد اعتاد أن يكتب أيام المدرسة الثانوية، والجامعة، ولكن دراسة الدكتوراه أخذته من هذه الهواية إلا ما قد يدغدغ قلبه أحيانًا فيكتب بعض الأبيات، ليثبت لنفسه أنه ما زال قادرًا على كتابة الشعر ومخافة أن ينساه .ومع أن خالدًا يعشق الليل لسكونه لينظم فيه خواطره لإحساسه أنه ملك له وحده، لكنه بدأ يشعر بغربة شديدة أثناء الليل منذ أن جاء إلى اليابان، خاصة أن اليابان هي أول سفر له خارج مصر واللغة حاجز كبير في تعاملاته مع اليابانيين. ولم يشفع له تعلم اللغة اليابانية لمدة ستة أشهر متوالية،

فلـم يتعلـم منهـا سـوى الأساسـيات التـي تمكنـه مـن إلقـاء التحيـة، وشراء بعـض الأشـياء، والحديـث للتعبـير عـن نفسـه.

تـرك خالـد العنـان لعقلـه، وهـو نائـم لعلـه يجـد إجابـة عـن هـذا السـؤال الكبـير: مـا هـو الوقـت؟ ومـا هـي مكوناتـه؟ هـل مثلـه مثـل المـاء أو الهـواء؟ هل يتكـون مـن ذرات أم أنـه مجـرد معنـى متعـارف عليـه دون أن يكـون لـه وجـود مـادي؟ ولأن خالـدًا تعـود أن يكـون كل شيء يقـاس لا بـد أن يكـون لـه أصل مادي فقـد ظـل يفكـر ويفكـر عـن الطبيعـة الفيزيائيـة للوقـت وفي نظريـة أسـتاذه في التحكـم في الوقـت. تذكـر خالـد الكلـمات التـي قالهـا أسـتاذه في أول لقـاء بينهـما منـذ عـام تقريبًـا عندمـا سـأله خالـد عـن نظريـة المـشروع، والأسـاس العلمـي مـن ورائهـا فـرد دكتـور تانـاكا: إن الوقـت مثلـه مثـل الهـواء، والأشـعة، ندركهـم، ولا نراهـم، وتقـاس مكوناتهـم بأجهـزة خاصـة، وممكـن تعديـل المكونـات مـن صـورة إلى أخـرى. فهكـذا الوقـت ندركـه فهـو الزمـن الـذي نعيشـه، وتخيلنـا أننـا نقيسـه بجهـاز أطلقنـا عليـه السـاعة، ولكننـا لا نقيـس مكوناتـه فنحـن نقيـس إدراكنـا بـه، وذلـك لأننـا لم نعلـم مكوناتـه بعـد . فالسـاعات، والدقائـق، والثـواني ليسـت بمكوناتـه إنمـا هـي مكونـات اخترعناهـا نحـن لـكي نـدرك الوقـت ليـس إلا ولذلـك فالتحـدي الكبـير هـو الكشـف عـن مكونـات الوقـت الجزيئيـة، والـذي إن تـم سـوف يجعلنـا قادريـن عـلى تعديلهـا مـن صـوره الأخـرى، وبالتـالي نتحكـم في الوقـت إمـا بالزيـادة أو النقصـان.

عندمـا تذكـر خالـد كلـمات أسـتاذه هـذه لاحـت لـه أول تجربـة لإلقـاء محـاضرة مفتوحـة عـن الوقـت في الاجتـماع الـذي فاجـأ فيـه دكتـور تانـاكا طلابـه أن يقـوم كل طالـب بإلقـاء محـاضرة عـن الوقـت مـن غـير سـابق إنـذار، ولا تحضـير. وقـد كانـت مفاجـأة للجميـع لأنهـم لم يتعـودوا عـلى مثـل ذلـك، ولم يتوقعـوه. وقـام كل طالـب حسـب دوره عـلى طاولـة الاجتماعـات بالوقـوف لمـدة خمـس دقائـق فقـط ليلخـص رؤيتـه عـن الوقـت كيفـما يشـاء، فمنهـم مـن تحـدث عـن تعريـف الوقـت ومكوناتـه مـن سـنوات وشـهور، وأسـابيع، وأيـام، وسـاعات، ودقائـق، وثـوانٍ. ومنهـم مـن تحـدث عـن الأوقـات الجميلـة عكـس الأوقـات الحزينـة، وكيـف أن الوقـت يمثـل عنـصرًا مهـمًّا في مشـاعر النـاس .

ومنهـم مـن تكلـم عـن أوقـات اليـوم مـن فجـر إلى صبـح إلى ظهـر إلى مسـاء، وكيـف يؤثـر ذلـك في أنشـطة الحيـاة، ومنهـم مـن تحـدث عـن مواقيـت الليـل، والنهـار، وتعاقبهـما، وكيـف يؤثـر ذلـك في دوران الوقـت. ثـم تحـدث زميلـه المـصري «السـيد» - والـذي سبـقه بـالعمل في المعهـد بسـنتين- عـن الصـلاة في أوقـات مختلفـة في اليـوم الواحـد، وكذلـك كل جمعـة، ولمـاذا حـدد الإسـلام عـدد الركعـات بنـاء عـلى الوقـت؟ وكيـف يصـوم المسـلمون، ويحجـون، ويحتفلـون بالأعيـاد في أوقـات معينـة في العـام؟ وكيـف يؤثـر ذلـك في العبـادات، وعلاقـات النـاس بعضهـم بـبعض، وباللـه، وعـلى وحدتهـم؟

انـشرح قلـب وعقـل خالـد جـدًّا إلى هـذا العـرض مـن زميلـه السـيد، وأثنـى عليـه في نفسـه. ثـم جـاء دور صديقـه المقـرب محمـود الـذي أتى مـن لبنـان قبلـه بعـام، والـذي تحـدث عـن الأوقـات المختلفـة في حيـاة الإنسـان منـذ مولـده إلى طفولتـه، ثـم صبـاه، ثـم كهولتـه، فالشـيخوخة ثـم المـمات .وكيـف يؤثـر ذلـك في نفسـية الإنسـان، وسـلوكه تجـاه نفسـه، وتجـاه النـاس واللـه؟ وكـم كان هـذا العـرض مـن محمـود جميـلًا فقـد ذكـره بنفسـه، ومراحـل طفولتـه، وصبـاه التـي عاشـها في مـصر، وكذلـك بعـض مـن شـبابه، والـذي مـا يـزال يعيـش جـزءًا منـه الآن في اليابـان، فقـد كانـت حياتـه مثـل الممـر الضيـق الـذي لا بـد أن يدخلـه، وهـو منحـنٍ، ولكـن بقـوة حتـى يـأتي الوقـت الـذي يخـرج منـه وهـو أقـوى. وقـد خـرج بالفعـل مـن هـذا الممـر إلى اليابـان لـكي يكـون أقـوى، ولكـن لا يـدري إذا كان الممـر الضيـق بمـصر أم الفنـاء الواسـع باليابـان هـو الأفضـل فسـوف يـرى، ويحكـم في السـنوات القادمـة، ولكـن عـلى الأقـل فهـا هـو الآن لا يعـاني قلـة الحيلـة في الأمـور الماديـة كـما كان يعـاني أثنـاء مـروره داخـل الممـر بمـصر. وقـد ذكـره عـرض محمـود أيضًـا بوالـده، وكيـف كانـت مراحـل حياتـه، والمعانـاة التـي قابلهـا في كل مراحـل مـن أوقـات حياتـه، وهـو صابـر، ومبتسـم ابتسـامة تجمـل الصـبر . آه يـا محمـود لقـد زلزلـت كيـاني بعرضـك هـذا الـذي لم يسـتغرق خمسـة دقائـق، ولكنـه رسـم حيـاتي، وحيـاة والـدي بريشـة فنـان لبنـاني ذي حـس رفيـع مـن دون قصـد .

ثـم جـاء دور خالـد، والـذي لم يفكـر كثـيرًا في الموضـوع الـذي أعطـاه عنـوان «الحـاضر... زمـن ليـس لـه وجـود»، وقـد شـد هـذا العنـوان فضـول الجميـع، قـد كان العنـوان غريبًـا، ولكـن مشـوقًا خاصـة، وأنـه متعلـق بموضـوع مـشروع د. تانـاكا، والـذي أبـدى اهتمامًـا كبـيرًا جعلـه يضـع يـده اليمنـي عـلى خـده، وهـي اللازمـة المشـهور بهـا عندمـا يبـدأ في التركيـز في شيء مـا .

سـعد خالـد باهتـمام أسـتاذه، ولكنـه أربكـه بعـض الـشيء، ولكنـه اسـتعاد سريعًـا جلـده النابـع مـن ثقتـه بنفسـه، وبمعلوماتـه حتـى ولـو كانـت بسـيطة، وهنـا رجـع د. تانـاكا بمقعـده إلى الـوراء معجبـة بعـرض خالـد، فعلـق: أحسـنت يـا خالـد، ثـم بـدأ يعلـق قليـلًا عـلى عـرض كل طالـب، واستحسـان محـولات الجميـع، ثـم أنهـى الاجتـماع.

لم يقتنـع خالـد في بـادئ الأمـر بنظريـة التحكـم في الوقـت، وخاصـة تطبيقهـا عـلى أرض الواقـع، وكأنـه بـدأ يؤمـن بهـا مـع الوقـت مـن خـلال التفكـير، والقياس بالاكتشـافات الأخـرى التـي كان مـن المسـتحيل التفكـير فيهـا غـير وقتهـا مثـل الطائـرة، والتلفـاز، والتليفـون، والكمبيوتـر، والكامـيرا، والأقـمار الصناعيـة، وغيرها. وكانـت أكـثر الأمثلـة التـي يأخذهـا خالـد بالقيـاس المقنـع لفكـرة التحكـم في الوقـت هـو مثـالي التلفـاز، والتليفـون، وخاصـة الموبايـل.

ففـي التلفـاز تشـاهد النـاس إمـا مبـاشرة أو بصـورة مسـجلة بمـا فيهـا القـدرة عـلى تسريـع أو إبطـاء وقـت المشـاهدة دون أن يـضر بتتابـع الأحـداث. الأحـداث في التلفـاز أو التليفـون تأتيـك صوتًـا وصـورة عـبر آلاف الأميـال مـع وجـود فـارق توقيـت، وفـارق مـكان. وكذلـك اختـلاف سرعـة الصـوت، بـل حركـة الإنسـان في الأرض عـن الفضـاء مـما فتـح البـاب عـلى مصراعيـه لأفـلام الخيـال العلمـي أن تسـبح بالنـاس عـبر الزمـان، والمـكان، وزد عـلى ذلـك تحـول العديـد مـن الخيـال العلمـي إلى حقائـق علميـة بعـد مـرور الزمـان.

ومـما زاد إيمانـه بالفكـرة القويـة الأحـلام، والـرؤى، والتـي تأخـذ الإنسـان مـن عـصر إلى عـصر، ومـن مـكان إلى مـكان في وقـت قصـير قـد لا يتعـدى الثانيـة، ولكـن زمـن أحداثـه يحتـاج إلى سـاعات، وأحيانًـا أيامًـا، وأحيانًـا سـنين. وفـوق كل ذلـك إيمـان خالـد بـأن القصـص القـرآني هـو للإيمـان بقـدرة اللـه المطلقـة التـي

تتعدى الأسباب، وفي إعطاء النموذج الواقعي للتفكير في الأسباب لعل العقل البشري يستطيع فك بعض رموز الأسباب لخدمة البشرية.

جال بخاطره العديد من الأمثلة التي تدل على إمكانية إعطاء البشر الفرصة باستخدام قدرات تفوق قدرتنا، والتي تظهر في صورة معجزات عندما تتحقق في زمن لم يكن العلم قادرًا بعد على فهم أسبابها، أو على هيئة اكتشافات علمية يعطي الله أسبابها لأهل العلم تباعًا جزءًا بجزء حتى يستوعبها العلماء، ويحققوها لخدمة الناس، ولو بعد حين .

تذكر خالد قصة الإسراء والمعراج، وهي المعجزة التي وهبها الله لسيدنا محمد لزيارة المسجد الأقصى، ثم السماء السابعة في لمح البصر، وما تمثله هذه الواقعة من قدرة الله على تطويع الوقت، والإسراع به إلى أقصى درجاته مع بقاء كل أسباب الحياة، ومظاهرها كما هي . وتذكر قصة أهل الكهف، ونوم الشباب في ثبات عميق في الكهف لأكثر من ١٠٠ عام دون أن يتغير فيهم شيء كبير، وكيف أن هذا الحدث يبين قدرة الله على بقاء الوقت ساكنًا إذا شاء . وجال بخاطره أمثلة أخرى من القرآن مثل قصة سيدنا يونس، وبقائه في بطن الحوت دون أي أدوات للغوص أو التنفس التي كشف عنها العلم الحديث حتى لفظه الحوت على الشاطئ، وهو معافى؛ مما يدل على قدرة ما وراء الطبيعة التي يعطيها الله لبعض عباده المخلصين. وتذكر أيضا القدرة التي أعطاها الله لأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم في البقاء في النار دون أن يصاب بأي حروق، ودون أن يرتدي أي ملابس واقيه للنار التي تم كشف العلم عنها حديثًا، ويستخدمها رجال الإطفاء.

لاح هذا القصص القرآني إلى عقل خالد، وكأنه يفكر فيها لأول مرة مع أنه اعتاد قراءة القرآن وتفسيراته إلا أنه تذوق معنى هذه الآيات تذوقًا ليس فقط دينيًا بل أيضًا علميًا فالله يعطي المثل والقصص القرآنية للناس عامة أيًا كانوا مصريين أو يابانيين أو مسلمين خاصة ليؤمنوا بقدرة الله على أمور هي فوق طبيعة العباد، وبالفعل فقد زاد هذا القصص القرآني باعتقاد خالد في نظرية التحكم في الوقت، وإمكانية تحقيقها إذا كشف الله عن سر الأسباب وراء قدراته.

كانـت هـذه القصـص القرآنيـة فرصـة غـير عاديـة، وغـير مسـبوقة لخالـد في التفكـير العلمـي عامـة، والتفكـير العقـلي، وليـس النقـلي فقـط في آيـات اللـه، فكانـت هـذه المـرة الأولى التـي يتنـاول فيهـا عقلـه الثوابـت الدينيـة بهـذه الطريقـة العلميـة، والتـي كانـت وراء الابتسـامة الصافيـة الكبـيرة عـلى شـفتيه حتـى وكأن كل وجـه أصبـح شـفاهًا يعلوهـا الابتسـام والرضـا.

تعلـم خالـد أيضًـا كيـف تتحقـق المعجـزات الإلهيـة في لمـح البـصر لمـن اختارهـم اللـه، وكيـف تتحقـق، ولكـن ببـطء، عندمـا يعطـي اللـه القـدرة للعلماء عـلى كشـف بعـض الأسـباب للمعجـزة الإلهيـة، وليـس كلهـا تمامًـا كـما حـدث في قصـة الإسراء والمعـراج للرسـول محمـد، والتـي رأى الرسـول فيهـا الأمـور خـارج نطـاق الوقـت والزمـن، ومـا تـم الكشـف عنـه حديثًـا مـن مركبـات الفضـاء، والأقـمار الصناعيـة، والتـي ظهـرت بعـد أن أعطـى اللـه القـدرة للعلـماء للكشـف عـن بعـض الأسـباب التـي مـن الممكـن بهـا التحكـم في الوقـت، ولكـن بطريقـة ما تـزال محـدودة إذا قورنـت بالمعجـزات، وكأن اللـه يعطينـا دليـلًا آخـر للمعجـزات وإن لم نكـن في زمـن المعجـزات.

تسـاءل خالـد: في نفسـه هـل مـن الممكـن أن يعطـي اللـه القـدرة لبعـض العلـماء الآن في الكشـف عـن أسـباب التحكـم في الوقـت بزيـادة أو تقليـل سرعتـه لـكل شـخص إذا أراد، وبمعـزل عـن الآخريـن. هـل مـن الممكـن أن يكـون خالـد هـو هـذا العـالم أو عـلى الأقـل ضمـن العلـماء؟ ابتسـم خالـد ابتسـامة كبـيرة علت وجهـه، وكأنـه يقـول: لم لا؟ فهـو يعمـل بجديـة وبشـغف أثـارت اهتـمام دكتـور تانـاكا، فقـد أعطـى اللـه أسـباب العلـم للعلـماء دون تفرقـة سـن أو جنـس أو ديـن أو لـون، فقـد أعطـى اللـه العلـم للعلـماء في كل زمـان، ومـكان ... ولكنـه خـص المؤمنـين بمفاتيـح العلـم في القصـص، والأمثلـة القرآنيـة لمـن يتدبـر، ويعتـبر، وهـا أنـذا أتدبـر وأعتـبر فلعـلي أكـون أنـا العـالم الـذي قـد تكشـف عـلى يديـه بعـض الأسـباب فأنـال شرف السـبق، وأنـال الجائـزة الكبـيرة، وأنـال حـب اللـه والنـاس. جـال بذهـن خالـد كل هـذه الخواطـر، وعينـاه مغمضتـان مستسـلمتان لسـلطان النـوم الـذي يريـد أن ينتقـم مـن عنـاء اليـوم في نعـاس هـادئ جميـل، واستسـلم خالـد لسـلطان النـوم، وخلـد إليـه، ومـا زالـت الابتسـامة تمـلأ وجهـه الـبريء الـذي بـدا وكأنـه وجـه عـالم جديـد.

وجدتها، وجدتها ...الرعد والبرق وسلطان الأشعة

«تارة يضيق الوقت بالأعمال فيتلاشى الفراغ وأتمنى أن أَبْتَاع الوقت ولو بكل المال، وتارة يتسع الوقت بلا أعمال فيتمدد الفراغ وأتمنى أن أبيع الوقت بلا مال ... فليت الوقت للبيع كما تباع كل الأشياء ... ولكنه لا يباع ولا يشترى».

فزع خالد فجأة من نومه على أصوات الرعد، والبرق في سماء طوكيو، والذي كاد أن يصم أذنيه، ويعمي بصره فخطف أقرب شيء قريب له ليحمي عينيه وأذنيه من ذاك الوميض الشديد للبرق الذي يراه أول مرة من نافذة حجرته في الطابق العشرين. فوقعت يداه على أغطية آنية الطهي الزجاجية، والتي اشتراها حديثًا، والتي كان من المقرر أن يعيدها غدًا إلى المتجر الذي اشتراه منها نظرًا لعدم اقتناعه أو فلنقل عدم تعوده على استعمال هذا النوع من أواني الطهي المصنوعة من الزجاج الذي يبدو – لا - وكأنه زجاج مصنوع في الفضاء...، ونسي خالد كل ذلك، وأمسك بأغطية الأواني الزجاجية يزود بها عن عينيه من قسوة هذا البرق الشديد.. وفجأة أحس خالد وهو يلوح بهذه الأغطية أمام عينيه من شباك شرفته بلحظة مهيبة لم يدركها أو يسمع عنها من قبل، وتزامنت هذه اللحظات مع دوي انعكاسات لأشعة بألوان فسفورية ظهرت، وكأنها دوائر بلورية حول الأغطية الزجاجية.

ومع أن الساعة قاربت على العاشرة سارع خالد بلملمة نفسه للعودة إلى معمله، وهناك حاول الاتصال بدكتور تاناكا إلا أنه لم يرد في التو، فقرر ألا يعاود الاتصال حتى لا يزعجه، وانهمك في تدوين ملاحظات الرعد الليلية في أجندة المعمل التي يدون فيها نتائج أبحاثه تحت عنوان الرعد، والزجاج، والأشعة الفسفورية البلورية غير العادية، وتعامل مع هذه الملاحظات، وكأنها نتائج أبحاث أجريت في معمله. بدأ يفكر كيف له أن يثبت ملاحظاته الحياتية إلى نتائج معملية لعله يخرج بنفس النتيجة، وبالتالي يستطيع عرضها لأستاذه في الاجتماع القادم، ولكن كيف له ذلك والبرق

والرعـد قـد انتهـى؟ فكيـف لـه إيجـاد نفـس الظـروف مـن شـدة الرعـد، ومنـاخ الهـواء في الطابـق العشريـن، ونـوع زجـاج الأغطيـة الزجاجيـة، ونـوع زجـاج الشبـاك، وكيـف لـه أن يكـون نفـس تتابـع واتجاهـات الأغطيـة الزجاجيـة مـع بعضهـا البعـض، ومـع زجـاج الشـباك؟

وحتـى لـو اسـتطاع فكيـف لـه أن يقـوم بتجربـة ذلـك في المعمـل؟ وكيـف لـه أن يسـتدعي الرعـد والـبرق مـن السـماء إلى معملـه؟ وحتـى لـو أحـضر نفـس الأدوات مـن حجرتـه إلى المعمـل، وانتظـر حتـى يـأتي الـبرق والرعـد فكيـف لـه أن يجـرب ذلـك؟ فهـذا ليـس ببحـث علمـي، بـل إنـه شـعوذة علميـة قـد تلقـي بـه خـارج المعهـد بتهمـة الجنـون ... وخاصـة أن هنـاك العديـد الذيـن يتمنـون ذلـك، وقـد يحثـون عليـه ليرتاحـوا مـن هـذا الخالـد لينقـص المعمـل مـن أحـد المنافسـين.

دارت كل هــذه الأفـكار في ذهــن خالــد، ورأســه بــين يديــه، وهــو جالــس عــلى مكتبــه في المعمــل... فبـدا كل شيء لـه سرابًـا علميًّـا لـن يسـتطيع الإتيـان ببرهـان يؤكـد ملاحظاتـه الشـخصية .. فبـدا الحـزن عليـه، وقـرر ألا يقـص ذلـك عـلى أحـد، ويحتفـظ بـه لنفسـه إلى أن يشـاء اللـه، ويقـدر أمـرًا كان مفعـولًا. وفي محاولـة للهـروب مـن أفـكاره السـلبية هـذه قـرر خالـد أن يغـير خطـة العمـل بـأن يذهـب إلى المعمـل المجـاور، والـذي تجـري فيـه أبحـاث الأشـعة. أخـذ خالـد كراسـة مدوناتـه المعمليـة قاصـدًا المعمـل، ولعلـه يجـد أحـدًا هنـاك يشـاركه الحديـث، وهـو يعمـل كي لا تقتلـه أحـزان وهمـوم الأحـلام العلميـة، وأمـام المعمـل هـم بإخـراج «الـكارد» مـن جيبـه ليزلقـه في بـاب المعمـل ليفتـح.

فوجـئ خالـد بوجـود عـداد الأشـعة الصغـير في جيبـه، والـذي نسـيه في جيبـه منـذ مسـاء الأمـس، وهـو لا يـدري. هـم خالـد بإخـراج العـداد بخفـة فوجـده مفتوحًـا، وكانـت المفاجـأة أنـه وجـد عليـه كل قـراءات الأشـعة التـي لاحظهـا اليـوم مسـجلة لديـه عـلى هيئـة سلسـلة مـن الأرقـام التـي تعلـم مـن أسـتاذه كيـف يحللهـا. فكانـت مفاجـأة مذهلـة ومدويـة لم يسـتطع تصديقهـا إلا بعـد أن أوصـل العـداد بجهـاز الكمبيوتـر الخـاص بـه، ووجـد القـراءات تتـوالى تباعًـا في البرنامـج المعـد لذلـك، وكاد أن يغمـى عليـه، وهـو يـرى الأرقـام تتغـير كل فـترة مـما يـدل عـلى أن القـراءات المسـجلة تتوافـق مـع التغـيرات في قـوة الأشـعة التـي لاحظهـا الليلـة في غرفتـه كلـما حـرك الأغطيـة الزجاجيـة أو كلـما اقـترب أو بعـد

مـن الشـباك الزجاجـي، وهنـا شـهق خالـد شـهقة كادت تشـهق روحـه، وهـو يقفـز في الهـواء راقصًـا رقصـة السـامبا منتشـيًا صارخًـا: وجدتهـا، وجدتهـا.

طـارت هـذه الصيحـة: وجدتهـا، وجدتهـا مدويـة في أركان المعمـل باللغـة المصريـة مـما أدى إلى التفـاف ثلاثـة مـن الباحثـين الشـبان حـول خالـد لمعرفـة مـا الخطـب. فهدأهـما خالـد، وأخبرهـما أن هـذه طريقـة تعبيريـة لسـعادته عندمـا يصـل إلى شيء مهـم بطريقـة غـير متوقعـة. فسـألاه بشـغف: ومـا هـذا الـذي حصلـت عليـه في هـذا الوقـت المتأخـر مـن الليـل، وأنـت لم تـرَ نتائـج تجربتـك التـي أجريتهـا، ولأول مـرة منـذ أيـام. مـاذا حـدث يـا خالـد. سـألاه وهـم في حالـة اندهـاش شـديد، فأخبرهـم خالـد أنـه لاحـظ شـيئًا غريبًـا، ولكنـه لـن يخـبر أحـدًا عنـه حتـى يتحقـق منـه بطريقـه علميـة، وحينئـذٍ سـوف يعرضـه في الاجتـماع القـادم للمجموعـة البحثيـة للدكتـور تانـاكا.

وكعـادة اليابانيـين لم يعلـق اثنـان مـن هـؤلاء. أمـا السـيد فاسـتمر في الإلحـاح عـلى خالـد ليعـرف مـا هـو الاكتشـاف المهـم هـذا، والـذي جعلـه يقفـز في الهـواء، وملوحًـا بالعربيـة: وجدتهـا، وجدتهـا. فلـم يشـأ خالـد أن يخـبره بـشيء مـرددًا: إنهـا مجـرد لحظـة جنـون علمـي أفـاق منهـا، وإن كان لهـا أي أسـاس علمـي فسـوف يعرضـه في الاجتـماع الأسـبوعي. فمـضى السـيد بعيـدًا تـاركًا خالـدًا غـير راضٍ، وكلـه شـغف أن يعـرف الحقيقـة.

عندمـا تتـلألأ النجـوم في السـماء في يـوم تألـق فيـه القمـر، وكأنـه هـو واهـب الضيـاء لـلأرض والسـماء، فهـذا شيء عـادي في عيـون خالـد لأن القمـر أخـذ عـلى عاتقـه هـذه المهمـة البديعـة، والتـي يتفنـن فيهـا، ويتلاعـب بقلـوب البـشر بهـا، فمـرة يعكـس القمـر كل الأشـعة الواقعـة عـلى كتفيـه فيعطـي كل ضيائـه، ومـرة نصفـه، ومـرة جـزءًا منـه، وكـما يحلـو لـه، وكأنـه عـلى اتفـاق مـع أرضنـا، وشمسـنا. ومـرة أخـرى يحجـم عـن عكـس أي ضـوء، وكأنـه إعـلان التظاهـر عـلى البـشر أو كأنـه في خـلاف مـع أقرانـه: الشـمس، والقمـر، أو لأنـه نالـه الاكتئـاب، والضجـر. ولكـن الغريـب أن يفكـر خالـد نفسـه ليسـلك مسـلك القمـر، فهـو يريـد أن يتحكـم في الأشـعة وانعكاسـاتها عـلى عقـول البـشر حتـى يكـون قـادرًا عـلى التحكـم في الوقـت جزئيًّـا أو كليًّـا كـما تـراءى لـه بعـد أن رأى المعركـة الكـبرى هـذه بـين ضـوء الرعـد، والـبرق، والأواني الزجاجيـة.

ولِمَ لا؟ قالها خالد وهو يتحدث إلى نفسه، إذا ما كان ذلك ممكنًا، ولمصلحة العلم والبشر، ولكن هل يا ترى أخلاق البحث العلمي تسمح للعلماء أن يغيروا ما تعارف عليه البشر في الطبيعة؟ نعم، ممكن كما حدث مع كل الاختراعات التي لو رآها أحد في وقت غير وقتها لذهل، وأصيب بالجنون، وأحدثها التليفون المحمول مقابل الحمام الزاجل، والطائرة مكان البعير، وهكذا. والعكس تمامًا إذا أتيحت الفرصة لأحد منا أن يزور الماضي البعيد فلن يستطيع الصمود بالعيش بإمكانات الماضي، وسوف يقرر أن يعود.

وفتحت هذه المناقشات الشهية في عقل خالد أن يغوص بعمق في بحور أحلامه العلمية في المشروع الذي يصحو وينام يحلم به. فإذا حدث واستطاع خالد أو أي أحد آخر من الفريق البحثي لدكتور تاناكا من تحقيق الحلم، واختراع طريقة للتحكم في الوقت أيًّا كانت هذه الطريقة فهل تنتقل الإمكانات المتاحة في الحاضر إلى الماضي أو المستقبل مع الشخص أم فقط الشخص ذاته من دون الإمكانات بكل أنواع الأجهزة الحديثة. فهناك من يتمنى أن يعيش الماضي دون هذه الإمكانات المتاحة، ومنهم من يريد التمتع بالماضي في ظل إمكانات الحاضر. وكذلك الحال في المستقبل من الناس من يتمنى العيش في المستقبل بإمكانات المستقبل لعله يستمتع بتطورها قبل أقرانه الذين يعيشون في الحاضر، أو لعله يتطلع إلى الأفكار العلمية فيعمل على نقل التكنولوجيا الموجودة بالمستقبل إلى الحاضر فور عودته إلى أحضانه. حضر إلى ذهن خالد سؤال آخر أهم، وهو: هل التحكم في الوقت يعني ممارسة كل أحداث الحياة التي تحيط بالشخص أم تشمل فقط الحدث الذي تزامن أثناء اللحظة التي تم فيها تطبيق تكنولوجيا التحكم في الوقت هذه؟ عندما تبادرت كل هذه الأسئلة والتعليقات في ذهن خالد ابتسم في نفسه محدثًا نفسه الوضع سوف يكون معقدًا، ولكن لو تم يجب أن يكون اختياريًّا.

ذهب خالد إلى المعمل الآخر، والذي لا يوجد فيه سواه حتى يستطيع التركيز في هذه المعضلة، وإيجاد طريقة علمية يستطيع بها الربط بين الملاحظات التي رآها الليلة، والتي دوّنها كلمة بكلمة، وحركة بحركة، وبين

القـراءات التـي وجدهـا مسـجلة عـلى عـداد الأشـعة الـذي نسـيه في جيـب بنطلونـه دون أن يـدري، وكان الحـظ أعطـاه الفرصـة لـكي يفكـر.. الآن تذكـر خالـد العـداد، وكيـف نسـيه، وهـو الـذي لم يأخـذه أبـدًا معـه خـارج المعمـل مـن قبـل، فكيـف أخـذه، وكيـف تـم تسـجيل كل بيانـات الأشـعة عليـه دون أن يقـوم خالـد بالضغـط عـلى زر التشـغيل؟ بـدا أمـر العـداد لخالـد مبهـم، وكأنـه مـن تدبـيرات القـدر حتـى يكتمـل مسلسـل المصادفـات الـذي رآه هـذه الليلـة غـير العاديـة بـكل المقاييـس، ودفـع الترتيـب غـير المسـبق لهـذه المصادفـات، ونتائجهـا العلميـة إلى دفـع خالـد أن يجـد طريقـة علميـة للربـط بـين ملاحظاتـه في غرفتـه، وتسـجيلات عـداد الأشـعة، ولكـن مـا هـي هـذه الطريقـة؟ فلـو اكتشـفها لأصبـح قـادرًا عـلى إجـراء التجربـة في المعمـل، والتـي قـد تـؤدي إلى اكتشـاف الـسر وراء الحالـة التـي انتابتـه الليلـة في غرفتـه عندمـا انعكسـت الأشـعة عـلى أغطيـة الأواني الزجاجيـة عندمـا أحـس أن الزمـن أخـذه بعيـدًا، وبسرعـة فائقـة كشريـط قطـار يجـري بالأحـداث، وخالـد هـذا القطـار.

عشق الأشعة

«تبهرنا الأضواء ولا يبهرنا مصدر الضياء، ويبهرنا الجمال ولا يبهرنا أين يسكن الجمال ولا ماهية الجمال ولا من خلق وأبدع الجمال».

يا لها من صدفة لها مغزى كبير أن يكون مصدر التحكم في الوقت الذي قد يتوصل إليه خالد هو الأشعة، فإذا صحت نظريته فسوف يسعد كثيرًا لذلك دكتور تاناكا لأنه يعشق الأشعة، وخير دليل على ذلك لوحته المفضلة لديه، والتي ينظر إليها دائمًا فهي من النوع السريالي؛ عبارة عن مستطيل أبيض، وفي قلبه دائرة كبيرة حمراء، وحولها تتناثر دوائر أخرى صغيرة، ولكن بأحجام متفاوتة، وموزعة توزيعًا عشوائيًّا، وكأنها تحرس الدائرة الكبيرة من كل النواحي، وكأن دكتور تاناكا اختار هذه اللوحة ليخلد علم اليابان الذي يعتز به كثيرًا. والدائرة الحمراء ترمز للشمس، وتعني باليابانية «نيشوسكي» التي تشرق من الشرق، وهو هنا اليابان كما يعتقد اليابانيون، والعالم أجمع. ولذلك سوف يسعد د. تاناكا جدًّا بما توصل إليه خالد، وذلك لأن ما سجله من مشاهدات الرعد، والبرق، والأشعة التي تكونت ما هي إلا شمس بلاده التي لا تغيب. فكل شيء عند د. تاناكا متعلق بالشمس أو الأشعة يسعد به، وينظر إليه نظرة الحكماء. هنيئًا لك يا خالد بما أسعدتك الصدفة فيه من لقاء إشعاعي مع أستاذك ... قالها خالد، وهو يبتسم ابتسامة النصر، والزهو بما توصل إليه دون أقرانه، وإن كان ما زال بعيدًا عن الواقع، ولكن العلم الحقيقي ما هو إلا كان في المهد فكرة.

د. تاناكا من الأساتذة المعروفين في مجاله باليابان، والعالم فله مدرسة علمية مشهورة بالقيمة العالية لأبحاثه التي عادة ما يتم نشرها في الدوريات العالمية الكبرى مثل مجلة العلوم، والطبيعة، والتي تمثل أعلى درجات النشر العلمي، ومن ينشر فيها بعض الأبحاث التي تقدم نظرية جديدة عادة ما يرشح لجائزة نوبل للسلام، والتي تمثل إنجازًا كبيرًا للشخص نفسه، ولمعهده بغض

النظر إن فاز المرشح أم لا. ومع أن دكتور تاناكا ليس هدفه الرئيسي الجوائز إلا أنه نال العديد منها من اليابان، والعالم، والتي يضعها في غرفة القهوة، وليس بمكتبه إيمانًا منه أنها ليست تخصه وحده بل كل من عمل أو يعمل معه. ومع أن د. تاناكا تنعكس الحكمة في ملامح عمره السابعة والستين إلا أنه يمتلك روح دعابة عالية خاصة مع طلابه الأجانب مستخدمًا اليابانية البسيطة أو الإنجليزية المزركشة ببعض اليابانية. وعاده ما يلقي بدعاباته فجأة، وكأنها نظرية علمية جديدة مليئة بالفكاهة عندما يتحدث عن نوادر البلدان التي زارها في الغرب والشرق، والشرق الأوسط. ولحبه الشديد للشمس، وأشعتها الذهبية التي تملأ سماء بلاده فعادة ما يمزج دعاباته الذكية عن الفرق في الثقافات، والحضارات البشرية بمدى توافر أشعة الشمس في كل بلد زاره مما يفتح مجالًا للنقاش المفتوح الجميل الذي يسعد به الجميع، وكل يعضد جمال شمس وطنه، ومزاياها، وانعكاسها على السلوك البشري.

وطالما داعب د. تاناكا خالد والسيد ومحمود بتشابه مصر، والتي زارها كثيرًا، واليابان في إشراق الشمس إلا أنه دائمًا ما يمزح قائلًا اليابان أكثر تقدمًا من مصر لأن الشمس تشرق من اليابان أولا فلا بد أن يكون هناك فارق توقيت في الحضارة لصالح اليابان. وكان خالد يعلق ضاحكًا: نعم، ولذلك فإنه من المحتمل أن الشمس كانت تشرق في مصر أولا أيام الفراعنة مما يفسر فارق التوقيت الحضاري بين مصر واليابان وقتها، ويضحك الجميع، وينعكس عليهم الحاضر بما فيه من إبداعات. ومع أن د. تاناكا زار مصر كثيرًا إلا أن السيد ثم خالد هم أول المصريين الذين انضموا إلى معمله، وإن كان خالد هو الوحيد الذي قبل مباشرة من د. تاناكا بعد العديد من الاتصالات الشخصية؛ لأن منحة خالد من اليابان، أما السيد فمنحته من البعثات المصرية، والتي اتصلت به لقبوله من خلال اتصالات مع السفارة المصرية بطوكيو. ولذلك فإن دكتور تاناكا يحمل تقديرًا خاصًا لخالد لأنه جاهد وكافح من أجل الحصول على هذه المنحة من الحكومة اليابانية خاصة أن المنافسة فيها على مستوى العالم.

ومن خلال زياراته لمصر على فترات مختلفة، ومشاهداته لمظاهر الفقر المدقع، والغلاء الفاحش، والفروق المتباينة في التعليم، وأكوام القمامة

بالشـوارع بمـا فيهـا الشـوارع التاريخيـة، والرئيسـية، وسـوء الخدمـات السـياحية المتدنيـة، والفـوضى المروريـة المضحكـة، والعديـد مـن المظاهـر الأخـرى المتناقضـة مـع تاريـخ مـصر، ومـع بعـض مظاهـر الحـاضر ذاتـه فقـد كان د. تانـاكا فاقـد الأمـل أن يقبـل طـلاب مـن مـصر للانضـمام إلى معملـه أو عـلى الأقـل لاقتناعـه أن كل هـذه المظاهـر المتناقضـة بمـصر لـن تفـرز عـن عقليـات إبداعيـة أو في أسـوأ الحـالات أن تتكيـف علميًّـا، وبسرعـة مـع إمكانـات معملـه المتميـزة، إلا أنـه فوجـئ بمـدى الإصرار عـلى التعلـم السريـع للسـيد وخالـد الذيـن - مـن وجهـة نظـره - تخطـوا الوقـت الـذي كان مقـررًا لهـم لاسـتيعابهم المعلومـات، والتكنيـكات المنـوط بهـم تعلمهـا، وخاصـة خالـد الـذي كان الأفضـل، والأسرع في كل شيء، حتـى في تعلمـه اللغـة اليابانيـة، وتعاملاتـه الراقيـة.

وعـادة مـا يمـزح د. تانـاكا مـع خالـد وهـو يراجـع لـه تقريـرًا أو يوضـح لـه أمـرًا علميًّـا غـاب عليـه، قائـلًا: أنـت يـا خالـد تفوقـت ليـس فقـط عـلى السـيد، ولكـن أيضًـا عـلى نفسـك، والـذي أعـزوه إلى الكـم الهائـل مـن الأشـعة الكونيـة، والعائليـة، والدينيـة التـي تمـلأ روحـك فتمنحـك اتزانًـا بيولوجيًّـا لا يتمتـع بـه أقرانـك. لكـم وددت يـا خالـد أن أهنـئ والـدك عليـك، ولعلـه يقبـل هـو الآخـر أن يتعـاون معـي علميًّـا أو حتـى ثقافيًّـا.

كان خالـد يبتسـم ابتسـامته العريضـة المميـز بهـا، مـرددًا: إنها ليسـت الأشـعة فقـط يـا أسـتاذي بـل هـي انعكاسـاتها الجميلـة، وكـم كان يسـعد خالـد كثـيرًا بهـذه اللقطـات السريعـة مـع د. تانـاكا لمـا لهـا مـن أثـر نفـسي كبـير عليـه يعوضـه عـن والـده وصديقـه محمـود وأسـتاذه د. توفيـق.

عصيان الأشعة

«لا تقبل أبدًا بأن تكون لا شيء، واسعَ جاهدًا لتكون شيئًا، ولا تسعَ لتكون كل شيء... ثم اسعَ أن تحافظ على هذا الشيء داخلك.. وهو الطموح».

تذكر خالد وكما تعلم من مجموعة المحاضرات التمهيدية في السنة الأولى من دراسته للدكتوراه أن تحقيق النظريات العلمية يتم بطرقتين أساسيتين؛ الأولى تعتمد على إجراء الأبحاث بناءً على المعلومات الأولية المتوافرة للباحث سواء كانت هذه المعلومات تمثل نتائج أبحاث تم إجراؤها في المختبر نفسه أو من نتاج معامل أخرى بعد نشرها؛ ولأن تصميم النتائج يجب ألا يعتمد على الحظ فعادة ما يتم تطبيق الطريقة الأولى، وذلك كشرط أساسي لقبول أي مشروع بحثي من جهات التمويل، وذلك لأن جهات التمويل هذه تنظر إلى المشروع العلمي على أنه مشروع تجاري حتى ولو أثمر عن نتائج مفيدة ولو بعد حين، أما الطريقة الثانية فتعتمد على الاقتناع بحداثة الفكرة بغض النظر عن توافر نتائج أولية. فأي طريقة يطبقها خالد لكي يثبت ملاحظاته التي سجلها الليلة ببيته إلى نتائج معملية ممكن إعادتها لتأكيدها وتطبيقها، وكان خالد محظوظًا لأن أستاذه دكتور تاناكا أعطى لكل باحث في معمله الفرصة لإجراء بعض التجارب المعتمدة على الحس الشخصي الأمر الذي يتعارض مع النظرية الأولى والذي قلما أن يحدث في الكثير من معاهد العالم التي تعتمد بحوثه على التمويل المؤسسي.

ولأن المشروع الذي يعمل عليه دكتور تاناكا غير عادي من حيث التفكير والإبداع الذي قد يتعدى الطرق المتعارف عليها بل قد يدخل فيه الفروق الفردية كعامل إبداعي مؤثر فقد أعطى الفرصة من الحرية لكل طالب ولكن بحدود.

الآن تهيأ في الذهن العلمي لخالد أنه في مأمن من إجراء البحوث المطلوبة لإثبات ملاحظاته فهو لديه بعض الحرية في البحث العلمي وبعض

النتائـج والشـواهد التـي مـن الممكـن أن يبنـي عليهـا تصميـم بحوثـه العلميـة.. سـأل خالـد نفسـه: هـل مـن الأفضـل اسـتخدام قسـط الحريـة المخـول إليّ لإجـراء مـا أراه مناسـبًا لعـلي أصـل إلى بعـض النتائـج ليعرضهـا عـلى المجموعـة البحثيـة في الاجتـماع الأسـبوعي لعـل الحـظ يحالفـه ويفجـر قنبلـة بحثيـه مـن العيـار الثقيـل أم مـن الأفضـل أن ينتظـر لصبـاح الغـد ويعـرض الأمـر برمتـه عـلى أسـتاذه ويـترك لـه قـرار إجـراء البحـوث وطريقـة تصميمهـا؟

كان سـؤالًا صعبًـا للغايـة جعـل خالـدًا يقـوم مـن مجلسـه ويذهـب يمينًا وشـمالًا ببـطء ويـداه في وسـطه وعينـاه عـلى سـاعات الحائـط المعلقـة عـلى الجـدران الأربعة وكأنـه يخاطبهـا ويسـألها المسـاعدة، فهـي جـزء مـن المعادلـة، ولكـن السـاعات لا تتحـدث إلا لغتهـا حروفهـا الدقائـق والثـواني التـي تمـر عليـه الآن سريعًـا.

تعـود خالـد أن يأخـذ رأي والـده وكذلـك صديقـه أحمـد في القـرارات المصيرية وكـم تمنـى خالـد أن يكونـا بجانبـه الآن أو عـلى الأقـل عـلى التليفـون ليشركهـما في الإجابـة عـن هـذا السـؤال المصـيري. وفكـر خالـد أن يتصـل بوالـده أو صديقـه أحمـد الـذي أوصلـه للمطـار بالقاهـرة وأهـداه المصحـف الشريـف ودعـا لـه بـأن يصبـح عالمـا كبـيرًا في بلـد العلـم اليابـان. وبالفعـل اتصـل بوالـده ولكـن لم يشـأ أن يخـبره وقـرر أن تكـون المكالمـة للاطمئنـان وأخـذ بعـض الـبركات والدعـاء والـذي لا يبخـل عليـه بـه والـده وكأنـه يدعـى للعـالم أجمـع وليـس فقـط لابنـه خالـد. يبتسـم خالـد وهـو يداعـب والـده قائـلًا: لـو اسـتجاب اللـه لـكل هـذا الدعـاء منـك يـا والـدي لحصلـت عـلى جائـزة نوبـل وليـس فقـط الدكتـوراه. ضحـك الوالـد وانتـشى، ثـم تنتهـي المكالمـة كالعـادة بسـيل مـن الدعـوات الحانيـة والتـي دائمًـا يختمهـا والـده بدعـاء: «اللهـم اجعـل أوقاتـك كلهـا سـعادة ويقـرب لـك البعيـد». وكأن الوالـد الأمـي يعلـم بدوافـع ونظريـة ابنـه العلميـة عـن التحكـم في الوقـت فيريـد لهـا أن تتحقـق.

انتهـت المكالمـة دون أن يخـبر أبـاه عـما يجـول بخاطـره. انتهـت المكالمـة بعـد خمـس دقائـق بتكلفـة عاليـة كان خالـد في أمـس الحاجـة أن يوفـر ثمنهـا حتـى لا يتأثـر المبلـغ الشـهري الـذي يرسـله شـهريًّا إلى والـده والـذي لم يعـد قـادرًا عـلى العمـل، فـكان خالـد لـه السـاعد والعضـد، ولكـن خالـد كان أيضًـا في أمـس

الحاجـة لهـذه المكالمـة التـي بهـا انتعشـت روحـه وكأنـه ارتفـع إلى عنـان السـماء ليأخـذ حمامًـا مـن الأشـعة الكونيـة المنعكسـة مـن قلـب والـده الحنـون فيصـير خالـدًا اسـمًا عـلى مسـمى وكأنـه طفـل ولـد مـن جديـد. وبالفعـل كان تأثـير المكالمـة عجيبًـا، فقـد انتـشى خالـد ودنـدن وكأنـه عـلى موعـد غرامـي مـع أفـكاره وأبحاثـه, موعـد غرامـي قـد ينتهـي إلى زواج علميًّـا وللأبـد.

ارتـوى خالـد الحنـين الأبـوي مـن والـده في خمـس دقائـق لا تزيـد عـبر الأثـير وبينهـما آلاف الأميـال فتسـاءل: كيـف تنتقـل المشـاعر عـبر أسـلاك الأثـير؟ وكيـف تختـصر أحـلى المشـاعر وأصدقهـا عـلى الإطـلاق في خمـس دقائـق مـن عمـر الوقـت مـع أنهـا تحتـاج إلى أيـام وسـنين؟ ابتسـم خالـد ابتسـامة مضيئـة وكأنهـا أشـعة الشـمس انعكسـت في عقلـه لتنـيره إلى الأبـد متفائـلًا لعلـه يسـتطيع هـو الآخـر أن يعبـئ الوقـت ويختـصره كـما يحـدث في أسـلاك التليفونـات. وبعـد هـذا الارتـواء أحـس خالـد أنـه مـا زال يحتـاج إلى ارتـواء الصداقـة عنـد أحمـد صديـق العمـر.

تـردد أن يطلبـه لتوفـير ثمـن المكالمـة، ولكـن شـعوره الجـارف للحديـث مـع أحمـد طغـى عليـه فاتصـل بـه عـلى الفـور فـما زال الوقـت هنـاك صباحًـا، نظـرا لوجـود حـوالي اثنتـي عـشر سـاعة فـرق توقيـت. رد عليـه أحمـد بسـعادة بالغـة نظـرًا لأنهـا مكالمـة غـير متوقعـة حيـث إن خالـدًا يخصـص نهايـة كل أسـبوع للاتصـالات بعـد أن كانـت مرتـين في الأسـبوع قبـل وفـاة والدتـه رحمهـا اللـه منـذ شـهور؛ ولأن نـبرة أحمـد عكسـت قلقًـا شـديدًا منـه عـلى صديقـه إلا أن خالـدًا طمأنـه عـلى كل شيء، ثـم استرسـل معـه في الحديـث محـاولًا مشـاركة الـرأي في قـراره بـأن يخـبر أسـتاذه عـن ملاحظتـه أم لا ولكنـه وجـد شـيئًا مـا يمنعـه، فقـرر أن تكـون المكالمـة بعيـدة عـن العمـل وأعبائـه، فقـد رأى خالـد أن يكـون قـراره مـن نفسـه حتـى يتحمـل عواقبـه ليكـون لـه أو عليـه.

تنفـس خالـد الصعـداء وهـو يسـند ظهـره إلى المقعـد وكأنـه يحتفـل بقدرتـه ولأول مـرة عـلى التحكـم في مشـاعره العلميـة والتـي تعامـل معهـا وكأنهـا أسرار حربيـة لا يجـب البـوح بهـا حتـى لأقـرب النـاس إليـه وكأنـه يحتفـل أيضًـا بهـذه النشـوة الروحانيـة التـي انتابتـه بعـد أن اتصـل بوالـده وصديـق عمـره في غـير الموعـد المقـرر مـن كل أسـبوع لدرجـة أن هـذه النشـوة طغـت عـلى حرصـه عـلى

توفير ثمن المكالمات، فأحيانًا يكون ثمن قليل من الروحانيات الخالدة أغلى بكثير من عدة أوراق مالية أو معدنية مصيرها الفناء. ولم يكن خالد أبدًا بخيلًا بل شديد الحرص لدرجه تجعل من يتعامل معه أنه البخل، ولكنه ليس ببخل بل هو حرص من تعود أن يراود ويحارب ويتذوق مرارة العناء والحرص على المسئولية تجاه الآباء.

كبرياء مشاعر البحث العلمي

;لست أدري ما هي ساعة الصفر , فهذا الرقم لا يوجد في تدريج الساعات, إنها ساعة افتراضية, لماذا دائمًا يتم إخفاء اللحظات الحاسمة عنا حتى ولو تم الإعلان عن ميقاتها الافتراضي؟».

وقف خالد يدور في المعمل ويتفقده كأنه محارب يتفقد جنوده ويتفقد أرض المعركة ليطمئن على الأجهزة والأدوات والأسلاك والعدادات وكل ما هو مطلوب لإجراء التجارب التقليدية والمتقدمة، وسرى في جسد خالد قشعريرة غريبة كأنها كهرباء تولدت في نخاع عظمة وانتشرت كالهشيم في كل أركان جسده، وسرعان ما تحولت هذه الكهرباء إلى إحساس بالمسئولية بأن هذا المعمل هو معمله هو، والمشروع مشروعه هو، وأن دكتور تاناكا نفسه يعمل عند خالد مساعدًا. فجأة تراجع خالد للخلف رويدًا رويدًا دون أن ينظر خلفه وكأنه محارب ينسحب من أرض المعركة حتى تحسس المقعد وجلس عليه متراجعًا عن هذا الإحساس المفاجئ الذي تملكه للحظات وهو يتفقد تجهيزات المعمل لتجارب غد، وبقدر ما سعد خالد بإحساس المسئولية الذي انتابه إلا أنه لم يرضَ عن نظرته لأستاذه، والذي يحمل كل التقدير والامتنان له. فما أحس به ما هو إلى نشوة واعتزاز تتملك النفس حين تحقيق الانتصار حتى ولو كان نفسيًا .

الآن وقد قرر خالد أن يخوض التجربة، ويصمم البحث بنفسه فعليه أن يفكر ويبدع كيف يفسر المشاهدات التي سجلها في حجرته عندما التقى البرق والرعد بأغطية الأواني الزجاجية وزجاج الشباك وتزامن تكوين الأشعة الفوسفورية البلورية بالتغيرات النفسوقتية التي حدثت له، وضع خالد رأسه بين كفيه ناظرًا للأمام وهو جالس على مكتبه ناظرًا إلى الآية القرآنية المعلقة أعلى مكتبه {إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء} والتي أعطاها له والده عند سفره تيمنًا بالآية الكريمة وتفاؤلًا بها كدعوة مستديمة منه لابنه

بـأن يكـون يومًـا مـا عالمـا كبـيرًا في خدمـة العلـم وأهلـه.

ظـل خالـد ناظـرًا إلى اللوحـة وكأنـه يسـتجمع عضـلات عقلـه للوصـول إلى طريقـه للربـط بـين هـذه التغـيرات في المعمـل تحـت ظـروف معمليـة محكمـة تمكنـه مـن الحصـول عـلى نفـس الشـواهد حتـى لـو تكـررت التجربـة عـشرات المـرات. فالعلـم الحقيقـي هـو مـا يتكـرر مـن نتائـج عنـد إجرائهـا في فـترات مختلفـة وبأيـدي مختلفـة، وبعـد برهـة مـن الزمـن أطلـق خالـد رأسـه مـن بـين كفيـه ومسـك بقلـم ليكتـب في أجنـدة المعمـل مـا يجـب عملـه كـما تعلـم مـن طـرق التفكـير العلمـي في المحـاضرات خـلال العـام الأول أهـم عنـصر في البحـث هـو تحديـد المعطيـات وهـي المعلومـات والإمكانـات المتوفـرة وهـي مـا تسـمى مجتمعـة بـالمدخلات، ثـم مـا هـو المتوقـع الوصـول إليـه وهـو ما يسـمى بـالمخرجات، ومـا بـين المدخـلات والمخرجـات توجـد الأهـداف المطلـوب الوصـول إليهـا مـن خـلال طـرق معمليـة معروفـة، ثـم آليـة قيـاس النتائـج.

وبالفعـل قـام خالـد بكتابـة قائمـة المدخـلات، وتشـمل هنـا الرعـد والـبرق - أغطيـة الأواني الزجاجيـة - زجـاج الشـباك، ثـم حـدد المخرجـات وهـي زيـادة أو تقليـل سرعـة الوقـت بطريقـة أوتوماتيكيـة حسـب الطلـب، ثـم حـدد الطريقـة وهـي تعـرض الرعـد والـبرق إلى الزجـاج لأوقـات ودرجـات مختلفـة، ثـم كتـب عـداد الأشـعة كأداة قيـاس للأشـعة المتكونـة ثـم الأداة التـي سـوف يقـاس بهـا التغيـير في سرعـة الوقـت.

ولتسـهيل الأمـر وتوضيحـه كـما يفعـل دائمًـا رسـم خالـد مثلـث ليسـاعده في ربـط المتطلبـات الثـلاث لتصميـم التجـارب لإثبـات مشـاهداته، خصـص رأس المثلـث للمخرجـات وإحـدى قاعدتيـه للمدخـلات والأخـرى للطـرق المسـتخدمة، ومـا بداخـل المثلـث هـي الظـروف المعمليـة التـي يتـم فيهـا إجـراء التجربـة وأمـا خـارج المثلـث فهـي للظـروف الخارجيـة والتـي أيضًـا قـد تؤثـر في مجريـات البحـث سـواء قبـل أو أثنـاء أو بعـد إجرائـه. ومثلـه مثـل أي مـشروع اقتصـادي، فـإن نجـاح أي تجربـة بحثيـة يتوقـف عـلى تحديـد المخرجـات المتوقعـة وتوافـر المدخـلات والطـرق المطلوبـة للتنفيـذ. بـدأ خالـد يـدرس كل جـزء مـن المثلـث حسـب مـا يـتراءى لـه مـن فهمـه لمـشروع دكتـور تانـاكا والـذي عكـف عـلى قراءتـه مـرات ومـرات لـكي يسـتوعب النظريـة العلميـة القائمـة عليهـا المـشروع،

ثـم الأهـداف، ثـم طريقـة البحـث، ثـم الطـرق نفسـها شـاملة أنـواع المعـدات والأجهـزة إلى المشـاركين في البحـث ودور كل واحـد.

دور خالـد في المـشروع هـو تسـجيل القـراءات الناتجـة مـن اسـتخدام النظائـر المشـعة بعـدادات صغـيرة ولكنهـا فائقـة الحساسـية، ثـم تحليـل هـذه القـراءات ببرامـج حسـابية متقدمـة يسـتطيع منهـا إيجـاد علاقـة أو علاقـات بـين قـوة الإشـعاع الناتـج مـن كل عنـصر مـع الوقـت الـذي يحتاجـه هـذا الإشـعاع للوصـول لنقطـه محـددة ثابتـة لـكل الإشـعاعات. أسـند د. تانـاكا هـذا الـدور لخالـد لأنـه يتناسـب مـع دراسـته الأكاديميـة في البكالوريـوس والماجسـتير بمـصر، فخالـد خريـج بكالوريـوس علـوم قسـم فيزيـاء حيويـة والماجسـتير في دراسـة الإشـعاعات البيئيـة بالغـذاء والمـاء والتربـة وغـير المحسوسـة وتطويـر أجهـزة القيـاس لتكـون اعـلي حساسـية وتقنيـة.

بـدأ خالـد بدراسـة كل مكـون مـن مكونـات المثلـث بالتفصيـل، وبـدأ بـرأس المثلـث وهـو المخرجـات فوجـد أن المطلـوب هـو صنـع جهـاز صغـير يوضـع في اليـد مثلـه مثـل السـاعة، سـهل الاسـتعمال للتحكـم في الوقـت إمـا بـالإسراع أو بـالإبطاء، ولكـن تدريجيًّـا بحيـث لا يؤثـر في طبيعـة وكينونـة الأحـداث. ثـم انتقـل إلى بنـد المدخـلات فوجـد أنـه ليـس لديـه أي معلومـات سـوى تلـك التـي دونهـا الليلـة بغرفتـه والتـي يمكـن تلخيصهـا في المكونـات التاليـة:

١) الرعد والبرق وهو ما لا يملكه.

٢) أغطيـة الأواني الزجاجيـة، وزجـاج الشـباك وهـو مـا يملكـه، ولكـن لا يمكـن اسـتخدامه في المعمـل.

٣) الأشـعة البلوريـة الفوسـفورية التـي نتجـت عندمـا تعـرض الزجـاج للـبرق والرعـد.

٤) التغـيرات النفـس وقتيـة التـي أحـس بهـا أثنـاء تكويـن الأشـعة والتـي تزامنـت شـدتها مـع شـدة الأشـعة وشـكلها.

٥) القراءة المسجلة بالعداد عن مستويات الأشعة أنواعها.

ثـم انتقـل خالـد لـشرح الطـرق والأدوات التـي سـوف يسـتخدمها في البحـث فوجـد أنـه يحتـاج إلى مصـدر ضـوء شـديد ومتقطـع يشـبه الرعـد والـبرق، ثـم إلى منشـورات زجاجيـة بأشـكال وأحجـام وزوايـا مختلفـة ومتصلـة بكمبيوتـر وشاشـة عـرض لتكويـن أشـعة بموجـات ضوئيـة مختلفـة، ثـم عـداد لقيـاس أطـوال وقـوة هـذه الأشـعة.

وفي النهايـة سـوف يحتـاج الآلـة التـي تسـتطيع تسـجيل التغـيرات النفـس وقتية بدرجـة عاليـة مـن الدقـة. وفـوق كل ذلـك ولكـن في مرحلـة لاحقـة الشـخص الـذي سـوف تتـم عليـه اختبـار التعـرض للأشـعة لقيـاس التغـيرات النفـس وقتيـة، وفي حالـة نجـاح التجربـة بإحـداث تغـيرات وقتيـة محـددة ومحكمـة، سـوف يتطلـب المـشروع تصنيـع جهـاز عـالي التقنيـة بـه مصـدر الضـوء والمنشـورات والأشـعة بعـد أن شرح خالـد هـذه المكونـات بالتفصيـل أحـس بزهـو علمـي يقـترب مـن الغـرور حيـث إنـه ولأول مـرة يحـدد ملامـح مـشروع متكامـل بنـي عـلى تصـوره الشـخصي البحـث، وعـلى مشـاهداته أيضًـا الشـخصية. فيـا لـه مـن انتصـار كبـير لمجـرد أن يسـتطيع أن يخـط في أجنـدة المعمـل بقلمـه وبهـدوء وثقـة متطلبـات البحـث فهـو لديـه الآن رؤيـة واضحـة للبحـث بنـاءً عـلى مشـاهدات وليـس افتراضـات.

قـدرة خالـد عـلى رسـم ملامـح المـشروع بهـذه الصـورة كانـت كافيـة بـأن يعـود إلى البيـت سـعيدًا هنيئًـا لمـا توصـل إليـه وفخـورًا بإنتاجـه الـذي يمكنـه عرضـه في الاجتـماع القـادم للفريـق البحثـي خاصـة وأن ملامـح هـذا المـشروع بثوبـه الحـالي هـو أكـثر وضوحًـا عـن مـشروع أسـتاذه د. تانـاكا وإن كانـت أسـاس فرضيتـه مسـتقاة مـن مـشروع تانـاكا الأصـلي.

التحكم في الوقت وصراع خالد بين الخيال والواقع

«لم يعد يتربع على عرش الحياة سوى الأمل الذي يعزف ألحانه العاملين على بيانو أصابعه عقول المبدعين وأنغامه أيادي المحترفين «

لأن خالد درس محاضرات وورش عمل عن حقوق الملكية الفكرية وكيفية تسجيلها والحفاظ عليها فقد لاحت إليه فكرة أن يقوم بتسجيل مشاهداته التي دونها الليلة كملكية فكرية مع أستاذه دكتور تاناكا خاصة، وأن معه بعض النتائج الرقمية على العداد إلا أنه سرعان ما تذكر أن النتائج الرقمية التي يمتلكها لا تعني شيئًا بدون معرفة الظروف المعملية الحقيقة والحاكمة التي بناءً عليها تم تسجيل هذه البيانات. وتذكر أيضًا أن الشواهد الليلية لا يمكن الاعتداد بها فلا يوجد لديه أي دليل لا على الشواهد نفسها ولا على الربط بينها وبين ما سجل في العداد الصغير خاصة أنه غير مسموح بالخروج به خارج المعهد على الإطلاق حسب قوانين المعهد والتي وقع عليها خالد قبل أن يبدأ دراسته.

ما وصل خالد إلى هذه النتيجة إلا وقد انقلب حاله رأسًا على عقب فقرر ألا يعود إلى سكنه اليوم وأن يبقى ساهرًا في المعمل حتى الصباح يفكر كيف له أن يثبت العلاقة بين الرعد والبرق (المصدر الضوئي) والأشعة والأرقام التي وجدها بالعداد وبالتغيرات النفس وقتية التي أحسها بقوة أثناء تعرضه للأشعة الكونية هذه. فكيف له أن يثبت العلاقة بين هذا الرباعي؟ قد بدا له الأمر وكأنه شرطي رأى جريمة رأي العين وهو في غير عمله لكنه يريد إثبات أركان الجريمة للقاضي أو كأنه رأى الجمال كله على وجه فتاة أحلامه بقطار مقابل مسرع، والمطلوب منه أن يثبت ذلك لوالده لكي يخطبها له أو كأنه عثر على مال مسروق صدفة والمطلوب منه إثبات أنه ليس السارق. أو كأنه رأى العلم يمشي بين يديه والمطلوب منه أن يثبت أنه علم وليس خيالًا. كل ذلك لاح في عقل خالد فشعر أنه أمام معضلة

ليس لها حل، وأنه قد يقابل بسخرية من زملائه لو عرض ما وصل إليه اليوم فقد يفسروه أنه أضغاث أحلام وسفه علمي بسبب الشوق إلى الشهرة. وقد لا يصدق شواهده د. تاناكا أو يصدقه ويفكر معه في كيفية وجود طريقة علمية تثبت مشاهداته التي سجلها الليلة، فكر خالد وفكر وكان على وشك أن يذهب للمعمل الآخر ليأخذ رأي زملائه من الباحثين اليابانيين، ولكنه أعرض عن رأيه في آخر لحظة، وقرر أن يخوض تجربة التفكير واتخاذ القرار بمفرده.

وكما فعل مع والده وصديق عمره أحمد وذلك حتى النهاية مهما كلفه ذلك من عناء وضغوط نفسية. وذلك قرر أن يبعد عن التفكير في هذا الأمر ويعطي عقله فسحة لعله يلهو فيها بعيدًا عن العلم كما كان يفعل تمامًا في فسحة المدرسة التي كان يعشقها وهو طفل في المدرسة الابتدائية عندما كان يحلو له اللعب مع أقرانه وهم يأكلون الحلوى ويضحكون بقلوبهم، ثم تنقلب قلوبهم سخطًا عندما يدق جرس الفسحة معلنًا عن انتهاء الوقت المحدد لها ولزوم العودة إلى الفصول. عندما تذكر خالد ذلك ابتسم ووضع يديه في جيوب بنطلونه ومشى الهوينا وهو مطرق عينيه إلى الأرض وكأنه يداعبها تحت قديه متحدثًا إليها وكأنها تستمع إليه بإنصات .

مشى خالد قاصدًا غرفة القهوة وقد سعد وانتشى عندما رأى بعض الزملاء من الباحثين يشاهدون التلفاز ويتسامرون وهم يشربون المشروبات الدافئة وكأنهم يحتمون بها من برد الوحدة بطوكيو العملاقة. ارتمى على الأريكة الوحيدة الموجودة بجانب الغرفة ليستريح قليلًا من عناء اليوم الطويل، وكأنه كان يبيع الجرائد في شمس شوارع طوكيو طوال اليوم من تحت الطاقية المتهالكة والوحيدة التي كان قد اشتراها له والده جديدة وهو صغير لتحمي رأسه من حر الشمس من العمل بالشارع طوال النهار سائلًا الناس أن يشتروا منه الجرائد حيث كان يستجيب له ليس لاحتياجهما لقراءة الأخبار، ولكن لقراءة الفرحة في عيني خالد عندما كان يبيع الجورنال، فكانوا يعرفونه ويعرفون والده الطيب والذي أعطى لخالد الطيبة وحلو المنظر والابتسامة الهادئة التي تعلو شفتيه برضا الحال.

ارتمى خالد على الأريكة وكأنه في حالة نصف نوم، وفوجئ وهو بهذا الحال من يدين صغيرتين وعينين ضيقتين وشفاه صغيرة مبتسمة تقدم له كوبًا ساخنًا من النسكافيه الذي عشقه منذ عمله بالمعمل وكأنه اكتشف مشروبًا جديدًا لم يكن يعرفه قبل اليوم. اعتدل خالد وأخذ الكوب ممتنًّا ومبتسمًا ابتسامته الهادئة المعروفة بين أقرانه حتى جعل أحدهم ممن لديه هواية الرسم أن يرسم وجه خالد بشفاه باسمة ووضعها في غرفة القهوة.

وما أن بدأ خالد يرتشف النسكافيه مشاركًا زملاءه الحديث وأخبار السياسة والولاد والبنات بلغته اليابانية الركيكة مستعينًا ببعض كلمات اللغة الإنجليزية باللكنة المصرية بعيدًا عن أخبار العلم حتى انتشى وهدأ وابتسم وارتاح عقله، ونسي تمامًا ما كان يؤرقه منذ قليل. بقي خالد مع زملائه حتى قاربت الساعة على الواحدة صباحًا فبدأ معظمهم للاستعداد للعودة لسكنهم، وسأله أحدهم إن كان سوف يصطحبهم للعودة ولكنه أجاب أنه مقيم بالمعهد اليوم فلم يسألوه عن السبب فقد تعودا منه على ذلك وتمنوا له ليله علمية ساخنة وهم يضحكون قاصدين بوابة المعهد.

لم يشعر خالد أنه وحيد بعد أن تركه زملاؤه، بل بالعكس أحس أنه في أحسن حالاته الذهنية، وأن الوقت قد حان ليتوضأ ويصلي العشاء التي سها عنها وأخذته الأشعة منها، واكتملت راحته عندما وقف بين يدي الله يناجيه في الصلاة وكأنه يصلي في الحرم المكي أو بالمسجد الأقصى أو المسجد النبوي كما كان يوصيه والده دائمًا عند كل صلاة. وعندما أنهى الصلاة أخذ كوبًا آخر من النسكافيه ليحتسيه بهدوء وهو بمفرده فبدأ يرتشفه وكأنه مخدر قبل إجراء عملية جراحية كبيرة تنتظر عقله بعد قليل.

عاد خالد إلى مكتبه الصغير بالمعمل وهو في حالة ارتياح غير مسبوقة فها هو قد خطط الأسس العلمية لمشروع ناضج بكل مكوناته بغض النظر هي قابلة للاختبار والتطبيق أم لا، فالوصول لهذه النتيجة من التفكير العلمي المنظم في حد ذاته وكما تعلم أثناء المحاضرات التمهيدية هو الغرض الأساسي من البحث العلمي وبعده تأتي الإبداعات .وها هو قد أخذ قسطًا من الراحة وتحدث مع زملائه الذين أظهروا له الود ولم يعلقوا بالكثير على ما

هـو قـادم عليـه، وهـذا مـا أسـعده كثـيرًا، ويحترمـه في اليابانيـين فهـم لا يتدخلـون في شـئون الآخـر عكـس زملائـه المصريـين عـلى طـول الخـط.. مـا أعظـم هـذا الشـعب القصير القامـة والنحيـف الجسـد ولكنـه ناضـج العقـل والنفـس والـذي اسـتطاع أن يصـل إلى مـا وصـل إليـه مـن إبداعـات علميـة تظهـر في كل منتجاتـه إلى أن وصـل إلى تقديـم منـح دراسـية للأجانـب مثـل خالـد ليتعلمـوا مـن علمـه وفي معاملـه وبدعمـه وبخـبرات أسـاتذته دون تعـالٍ ولا تقطـير ولا تفريـط .حقًّـا إن الحضـارة هــي سـلوك بـشري قالهـا خالـد وهـو يفتـح أجنـدة المعمـل مـرة عـلى مكتبـه وهـو يسـتمع إلى موسـيقى (دارت الأيـام) لأم كلثـوم وكأنـه يريـد أن يجعـل منهـا الموسـيقى التصويريـة لأفـكاره عـن الوقـت، فهكـذا تقـول الأغنيـة عــن دوران الوقــت. الــذي لا يعــود ومــع أن كلــمات الأغنيــة رومانســية عــن خصـام الأحبـاء وتصالحهـم إلا أن خالـد أحـب جـدًّا المطلـع الـذي يقـول «قـول للزمـان ارجـع يـا زمـان» والزمـان لخالـد هنـا هـو الوقـت الـذي يريـد التحكـم فيـه ليجعـل النـاس تعيـش في المـاضي أو الحـاضر أو المسـتقبل كيفـما تشـاء .

مـا هـذا الجـبروت العلمـي الـذي يريـد أن يوفـر للنـاس أحلامهـم ويجعلهـا تجـري بـين أيديهـم؟ كيـف يفكـر اليابانيـون بهـذا العلـو العلمـي؟ كيـف لا يفكـرون في تحقيـق أحـلام الفقـراء البسـيطة؟ فالفقـراء لا يهمهـم إلا الحـاضر ومـا يتوفـر فيـه مـن غـذاء ومـاء وسـكن وعمـل آدمـي . كيـف انزلـق خالـد إلى هـذا الطريـق العلمـي وراء طموحـات أحـلام أسـتاذه في التحكـم في الوقـت؟ لمـاذا لم يختـر مشروعًـا تعـود نتائجـه عـلى الفقـراء والبسـطاء ومـا أكثرهـم في العـالم عامـة وفي مـصر خاصـة؟ أنسـيت يـا خالـد أنـك منهـم قبـل أن تـأتي هنـا وبعـد أن تعـود . أنسـيت أنـك كنـت تبيـع الجرائـد وتمسـح زجـاج السـيارات للباشـوات وهـم ينظـرون عليـك بحنـان وعطـف وكأن مـا تفعلـه ليـس بعمـل محـترم ومطلـوب؟!

لقـد مسـح خالـد زجـاج آلاف العربـات في الشـمس الحارقـة، ولكنـه لم يلاحظ أبـدًا أي أشـعة غـير عاديـة تظهـر بعـد انعـكاس ضـوء الشـمس عـلى الزجـاج كـما رآه الليلـة . هـل الزجـاج في مـصر مختلـف عـن الزجـاج باليابـان أم أن أشـعة الشـمس غـير أشـعة الـبرق والرعـد، أم أن العيـون في مـصر لا تـرى الأشـياء كـما تراهـا العيـون في اليابـان؟ إنـه هـو خالـد بشـحمه ولحمـه كـما يقولـون في مـصر لم يتغـير كثـيرًا بعـد عـام مـن الدراسـة باليابـان . فـما الـذي جعلـه مختلفًـا؟

أحقًّا أنا مختلف الآن؟ قالها خالد بانزعاج شديد، أعام واحد في اليابان وبعض المحاضرات وورش العمل كافية لجعل خالد ينظر للأشياء بطريقة مختلفة؟ ينظر إليها مدققًا وليس عابرًا . ينظر ويحلل ويستنبط، ثم يخطط كما فعل اليوم؟ نعم، عام واحد كافٍ إذا كانت هناك خطة وهناك أناس يتعاونون ويسعدون ولا يحطمون العقول مع القلوب.

ابتسم خالد وقال في نفسه: وما الضرر في أن أتغير طالما أن هذا التغيير للأفضل ولا ينقص من قيمة المبادئ التي تحيا داخلي من قيم وأصول شرقية جميلة نشأت عليها وإلا فما جدوى وجودي في اليابان الآن؟ فما التقدم العلمي إلا سلوك حضاري للبشر في القدرة على تقبّل التغيير .اقتنع خالد بكل الردود النفسية التي جالت بفكره، ولكنه توقف عند نقطة لم يفكر فيها من قبل، وهي لماذا انساق إلى رأي أستاذه للعمل في هذا المشروع دون المشاريع الأخرى؟ فهذا المشروع يعتبر فانتازيا علمية بالفعل إن لم يكن خيالا علميًّا، قد يصل أن يكون سفهًا علميًّا. وتذكر والده وكذلك صديقه أحمد عندما يسألوه أول مرة عن طبيعة الأبحاث التي يعمل فيها في بعثته باليابان وكيف ضحكوا عندما قال: أنا أعمل في أبحاث الغرض منها التحكم في الوقت.

قال له والده: وماذا نستفيد يا خالد من التحكم في الوقت إذا كان الوقت يتحكم فينا ونحن نلهث وراءه ولا يلقي بنا بالًا؟ الوقت عندنا يا خالد هو الصلوات الخمس التي نتقابل فيها مع الله نشكره على المكتوب. والوقت يا خالد لدينا هو المواسم والأعياد عندما نتذكر ونحن نختبر قدرتنا على الفرح. الوقت يا خالد هو الذي يقربنا إلى الله وإلى الناس وعندما يحين موعد اللقاء مع الله وتصعد الروح إلى باريها وهي معفاة من عمل الكبائر. الوقت يا خالد هو عندي كل صباح أترك فيه البيت لأتوكل على الله طالبًا الرزق الذي لا يعلمه إلا الله كما كنا نذهب سويًّا للعمل في بيع الجرائد ومسح زجاج العربات.

وأحلى الأوقات يا خالد هي عندما كنا نعود إلى البيت ببعض الجنيهات والغذاء لنتقاسمه مع والدتك رحمة الله عليها، ونتسامر ونضحك على كل

المواقـف والطرائـف التـي كانـت تحـدث لـكل منـا ونحـن نتنقـل بـين مواقـف السـيارات، وأجمـل الأوقـات يـا خالـد عندمـا رزقنـا بـك أنـا وأمـك بعـد سـبعة أعـوام وجئـت إلينـا مبتسـمًا يـوم ولادتـك عكـس كل الأطفـال الذيـن يبكـون يـوم ولادتهـم، وقـد كان يـوم جمعـة يـا خالـد أجمـل أيـام اللـه وأنصعهـا بياضًـا. الوقـت يـا خالـد هـو مـا يخلـد مـن ذكريـات في قلوبنـا وعقولنـا ولذلـك سـميناك خالـد فأنـت الابـن الوحيـد وقـرة العـين لي أنـا وأمـك قبـل وفاتهـا، ومـا زلـت يـا خالـد. سـميناك خالـد لتخلـد في سـعادتك كـما تخلـد في قلوبنـا وقلـوب كل مـن يحبـوك وليخلـد اسـمك بـين النـاس بالطيـب والنقـاء.

افعـل مـا شـئت يـا خالـد أيًّـا كانـت الأبحـاث فأنـت سـوف تكـون بطـلًا في سـباق العلـم أيًّـا كان طبيعتـه، فـإذا اخترعـت الجهـاز يـا خالـد وأنـا مـا زلـت عـلى قيـد الحيـاة اجعلـه يقـرب المسـافات لـكي أراك كل يـوم، واجعلـه يـا خالـد يـسرع المنـى لأراك تمـشي في أحـداث مسـتقبلك زهـوًا عالمـا كبـيرًا يشـار إليـه بالبنـان، فـكلي شـوق يـا خالـد أن أراك وأسـعد بتفوقـك وبابتسـامتك الطيبـة التـي لا تعـرف الحقـد ولا الكراهيـة . ابحـث يـا خالـد في اليابـان عـن مـا لا تسـتطيع أن تبحـث عنـه في مـصر حتـى لـو كنـت تبحـث عـن التحكـم في الوقـت، فهـذا شيء لا يسـتطيع أن يفعلـه إلا الأذكيـاء وأنـت منهـم، وسـوف تكـون الأول عـلى زملائـك في اليابـان كـما كنـت الأول دائمًـا عـلى زملائـك في مـصر. ومـن يـدري يـا خالـد لعلـك تنجـح في التحكـم في الوقـت وتجعـل الفقـراء يضغطـون عـلى زر يأخذهـم بعيـدًا عـن أحـزان الوقـت كلـما داهمتهـم الشـدائد. سـوف يكـون اختراعـك يـا خالـد أفضـل الاختراعـات؛ لأنـه سـوف يسـاعد الفقـراء نفسـيًّا بديـلًا عـن حقـن النسـيان والمخـدرات. آه يـا خالـد لـو اخترعـت جهـازًا للتحكـم في الوقـت لسـوف يكـون معروفًـا وجميـلًا لـكل الفقـراء والبسـطاء. أدعـو لـك يـا خالـد أن يوفقـك اللـه في أبحاثـك مـع أني لا أعلـم عنهـا شـيئًا، ولكـن عقلـك هـو عقـلي وقلبـي في قلبـك فأنـا أبحـث معـك فثـق في اللـه وأنـا دعـواتي لـك في كل مـكان وفي كل زمـان.

عـاش خالـد مـع همـس كلـمات والـده التـي حفـرت لحروفهـا مسـكنًا في قلبـه، وكأن والـده يحدثـه بتلـك الكلـمات والمعـاني الجميلـة الآن وكأنهـا تصريـح لخالـد لدخـول معـترك مـشروع د. تانـاكا، ولم يختلـف تعليـق صديقـه أحمـد

كثـيرًا عــن رأي والــده، فدائمًــا مــا كان أحمــد يســتعجب، ولا يســتنكر طبيعــة أبحــاث خالــد وإن كان فخــورًا بهــا الآن؛ لأنهــا تشــبه أبحــاث القنبلــة الذريــة كنــوع مــن الافتخــار بــصاحبه أو مــن بــاب رفــع الــروح المعنويــة لــدى خالــد حتى يجعلــه يحــرص عــلى البعثــة التــي تعــب خالــد كثــيرًا حتــى حصــل عليهــا.

خالــد مــن المتفوقــين دراســيًّا ومعــروف لــدى أســاتذته، ولكنــه للأســف لم يعــين معيــدًا بالكليــة بعــد تخرجــه مــع أنــه كان يتوقــع ذلــك، وعندمــا اســتفسر عــن الســبب أدرك أن التعيــين كل عامــين وإن جــاء ترتيبــه العــام القــادم أعــلى مــن تقديــر الطالــب الــأول، فربمــا يعــين حينئــذٍ وإن لم يكــن فســوف يتــم تعيــين الطالــب الآخــر أو الطالبــة الأخــرى . ولأن خالــدًا كان يعلــم بــأن الأول في العــام الــذي يليــه هــي طالبــة ابنــة أحــد الأســاتذة في الكليــة، فقــد تأكــد لخالــد أن الموضــوع تــم تدبــيره حتــى يتســنى للطالبــة أن تتعــين وتحــت أي ظــروف، ومهــما كانــت عبقريتــه وتفوقــه فســوف تكــون درجاتهــا أعــلى مــن درجاتــه حيــث إن ذلــك شيء متعــارف عليــه ولا يتذمــر منــه أحــد . وليــس هــذا معنــاه أن ابنــة الدكتــور ليســت متفوقــة بــل هــي بالفعــل متفوقــة ولكنهــا لا تزيــد عــن تفوقــه شــيئًا ولكنهــا المجامــلات وأســلوب الحيــاة .

أحمــد يعلــم كل ذلــك ويعلــم كــم كان خالــد يتــوق إلى التعيــين معيــدًا في الكليــة ليــس فقــط لأنــه يســتحق التعيــين بتفوقــه وليــس لأنــه يريــد أن يكمــل دراســته العليــا مجانًــا مــن خــلال الكليــة بعيــدًا عــن بيــع الجرائــد، ولكــن أيضًــا لأنــه في حاجــة إلى أن يغــير مجــرى حياتــه مــن مزاولــة مهنــة بائــع الجرائــد إلى مهنــة أخــرى تناســب طموحاتــه مهنــة يحبهــا وتجعلــه قــادرًا عــلى تحمــل مسـئوليات نفقــات والــده دون العمــل في الشــوارع .وكذلــك لــكي يدخــل الســعادة عــلى قلــب والــده فقــد كانــت أجمــل أمنياتــه وأكبرهــا أن يــرى خالــد دكتــورًا كبــيرًا في الجامعــة وعميــدًا لهــذه الكليــة. ومــع عــدم اقتناعــه بفكــرة الموضــوع إلا أن أحمــد دايمًــا مــا يشــجع خالــد ولكنــه ليحصــل عــلى شــهادة الماجســتير في موضــوع لا يســتطيع أحــد في مــصر أن يطرقــه وبذلــك يكــون خالــد مرغوبًــا بــه في مــصر عنــد عودتــه، ويســتطيع أن يحقــق حلــم حياتــه بالعمــل في الجامعــة كــما كان يتمنــى أحمــد نفســه ووالــد خالــد.

وكثـيرًا مـا كان أحمـد يضحـك مـع خالـد معلقًـا لـو اسـتطعت يـا خالـد أن تخـترع جهـاز للتحكـم في الوقـت فليتـك تتحكـم في وقتـي حتـى يقـصر الوقـت الـذي سـأظل فيـه بـدون جـواز فقـد مللـت الحيـاة بـدون أنثـى، فأنـا لسـت مثلـك يـا خالـد تحيـا وكأن ليـس هنـاك جنـس آخـر عـلى كوكـب الأرض مـن النسـاء غـير الأمهـات والأخـوات والخـالات والعـمات مـن بعـد همسـة، فهنـاك يـا خالـد البنـات الجميـلات مـن يخطفـن القلـوب والعقـول والأنفـاس والبسـمات .هـن رياحـين الحيـاة... هـن البسـمات والضحـكات... هـن الغـذاء والماء والهـواء، هـن الوقـت ودقـات السـاعة مـن قلوبهـن يـا خالـد فاظفـر بواحـدة منهـن لتتحكـم في كل الأوقـات. البنـات يـا خالـد فيهـن أكـثر مـن همسـة. هـذا هـو أهـم تعريـف للوقـت عنـد أحمـد وكل مـا يتمنـاه عندمـا يخـترع خالـد الجهـاز . وكان خالـد وأحمـد يضحـكان كثـيرًا عـلى هـذه التعليقـات الظريفـة التـي يلقيهـا أحمـد بطريقتـه الجميلـة التـي تعكـس الحـب والصداقـة والإخـلاص، ولكـن كانـت عينـاه تلمـع ببريـق ذكريـات الحـب الصامـت عندمـا يذكـر أحمـد همسـة .

دارت هـذه الأفـكار والذكريـات في عقـل خالـد وعـن مـشروع بحثـه وهـو يسـتعد لحـل معضلتـه الأساسـية في إيجـاد طريقـة لإثبـات المشـاهدات التـي سـجلها في غرفتـه الليلـة. فبعـد أن كاد يفتـح في جـدران عقلـه هـوة التفكـير عـن سـبب اختيـاره لهـذا المـشروع بالـذات، فقـد أراحتـه تعليقـات وتشـجيعات والـده وأحمـد صديقـه عـلاوة عـلى أنـه كان قـد اقتنـع منـذ فـترة بفكـرة المـشروع نظـرًا لأنهـا سـوف يكـون لهـا تطبيقـات مهولـة ليسـت فقـط نفسـية، ولكـن اقتصاديـة وطبيـة ورياضيـة، وقـد تصـل تطبيقاتهـا إلى جميـع المجـالات حتـى في الـدول الناميـة عـلى الأقـل كـما يتمنـى والـده في اختـزال أحـزان الفقـراء ولأحمـد في اختـزال سـاعات العزوبيـة، وقـد تصـل تطبيقاتهـا إلى خالـد نفسـه لاختـزال سـاعات الوحـدة وسـاعات الكفـاح وسـاعات أمانيـه باليابـان، وتحقيـق إنجازاتـه لـيرى نفسـه بـين أسـوار الجامعـة في مـصر وأمـام الطـلاب في المعامـل باحثًـا وفي المدرجـات محـاضرًا.

ارتـضى خالـد بفلسـفة والـده وأحمـد عـن المـشروع وكذلـك فلسـفته هـو شـخصيًّا، وارتـضى بمـا توصـل إليـه مـن مدخـلات ومخرجـات، وتصميـم البحـث

والأدوات المطلوبة للمشروع، فقد بدا كل شيء علميًّا وما يحتاجه فقط هو نقطة الصفر التي عندها يستطيع بدأ البحث حتى دون أن يخبر أستاذه لعلها تكون قنبلة الأسبوع لو تم تحقيق ما يتمناه.

لماذا لا تدور عقارب الساعات من اليمين إلى الشمال؟

«الناس كألوان الطيف، العقل مصدر الإشعاع، والقلب المنشور الذي يعكسه، والعين هي المرآة التي تبعث ألوان الطيف من أعماق الروح».

اقتربت الساعة من الثانية ليلًا، وبدأ خالد يشعر بإجهاد شديد، ولكنه صمم أن يستمر في التفكير لساعة أخرى يحاول فيها أن يجد الطريقة التي بها يستطيع أن يصل إلى نقطة الصفر. وبعد نظرات متأنية إلى المثلث الذي رسمه قرر أن يبدأ من هناك، من إحدى قاعدتي المثلث . أشار خالد بقلمه إلى المدخلات ليعرف كيف نشأت الأشعة الفسفورية البلورية والتي رآها الليلة بدرجات وأشكال مختلفة والتي تزامنت مع التغيير المزاجي أثناء تكوين الأشعة والذي كان يتغير تمامًا كلما تغيرت شدة الأشعة بالزيادة أو النقصان. وكذلك عندما تغيرت من شكل إلى آخر لدرجة أنه كان يشعر بنفسه داخليًّا وكأنه في حالة سكر فكري، فكلما دخَل في حالة مزاجية معينة تغيرت بسرعة إلى حالة أخرى وهكذا وهو مسلوب الإرادة، فالتغيرات التي تنقله من زمن إلى زمن وبسرعة متفاوتة كانت متزامنة مع كل تغير يحدث في الأشعة سواء كان في الشدة أو الشكل أو الاتجاه .

وبعد تأمل وتركيز شديد في كل تغير حدث له لاحظ شيئًا مهمًّا للغاية وهو أحادية التغيير بمعنى أن التغير النفس وقتي الذي تزامن مع كل تغير في الأشعة سواء في شدتها أو شكلها جعل خالدًا يركز على حدث معين وليس مجموعة أحداث فيأخذه إما إلى الماضي أو الحاضر. ولاحظ خالد أمرًا آخر بالغ الأهمية وهو إحساسه أحيانًا بحدوث تشابك في الإحساس بالزمن عندما تتداخل الأشعة بعضها ببعض كما أنها تحدث فقط أثناء التعرض للأشعة، ولا تدوم بعدها أي أنها تغيرات وقتية، وبالتالي ممكن إيقافها أو الاستمرار فيها بسهولة وهذا هو الهدف الرئيسي لمشروع د. تاناكا؛ لأن المطلوب هو إيجاد تكنولوجيا قادرة على إحداث تغير زمني شريطة أن يكون وقتيًّا.

وهنا تـدارك خالـد المعنـى الحقيقـي لكلمـة الوقـت، وهـي أي حـدث يحدث بوجـود المؤثـر ويـزول بـزوال المؤثـر . وبنـاءً عـلى هـذه التحليـلات الرائعـة والواضحـة والتـي كتبهـا عـلى هيئـة نقـاط أخـذ خالـد في كتابـة ملخـص لهـذه الملاحظـات وكان الملخـص هـو: «يـؤدي التعـرض لنـوع محـدد مـن الأشـعة الكونيـة الصـادرة مـن طبقـة أو عـدة طبقـات مـن نـوع معـيَّن مـن الزجـاج إلى إحـداث تغيـير أحـادي ووقتـي في الشـعور بالوقـت وإحداثـه إمـا في اتجـاه المـاضي أو اتجـاه المسـتقبل مـع إمكانيـة أن تحـدث تداخـلات في الشـعور إذا تداخلـت الأشـعة بعضهـا ببعـض». رائـع رائـع..

رائـع قالهـا خالـد ثلاثًـا بعـد أن قـرأ هـذا الملخـص وكأنـه عـالم كبـير يراجـع بحثًـا مهـمًّا لعـالم آخـر . قالهـا دون أن يـدري لإعجابـه بمـا كَتـب ليـس لأنـه الكاتـب ولكـن لأن مـا كتبـه هـو الصيغـة المثـلى لكتابـه الفرضيـة العلميـة في أجمـل صورهـا .لم يكـن خالـد يقصـد كتابـة فرضيـة بحثيـة لملاحظاتـه، ولكنـه وصـل عليهـا بسـهولة بالغـة بعـد أن فكـر وتدبـر وكتـب ولخـص تمامًـا كـما تعلـم في محـاضرات طـرق التفكـير العلمـي وكيفيـة الوصـول إلى صيغـة كتابيـة للفرضيـات والنظريـات العلميـة. ابتسـم خالـد ابتسـامته المعروفـة والتـي تعكـس الرضـا النفـسي والهـدوء العقـلي عندمـا قـرأ الملخـص مـرة أخـرى والـذي تولـد ولادة طبيعيـة وليسـت قيصريـة .

هـل هـو الوحـي العلمـي الـذي يـأتي للباحـث عـلى غفلـة كـما تـأتي أبيـات الشـعر للشـاعر عـلى غـرة . ابتسـم خالـد ابتسـامة أخـرى وهـو يحمـد اللـه أنـه ولـد ولادة طبيعيـة لأنـه واضـح أن كل شيء يـأتي للدنيـا عـلى طبيعتـه يكـون أجمـل وأوضـح، وبعـد طـول فكـر وتأمـل في هـذه الخلاصـة التـي أعجبتـه كثـيرًا، وأعـاد قراءتهـا مـرات ومـرات وكأنـه يقـرأ أبيـات حـب لنـزار أو أحمـد رامـي أو عنـترة بـن شـداد بـدأ خالـد يصـل إلى خلاصـة الخلاصـات، وهـي كيـف يتـم التحقـق مـن كل جـزء مـن هـذه الفرضيـة التـي كتبهـا لتـوه وخاصـة الجـزء الأول الخـاص بتكويـن الأشـعة بعـد سـقوطها عـلى الزجـاج .

بـدأ يتضـح لخالـد أن تكويـن الأشـعة ليـس بمشـكلة، فـما أسـهل عـلى أي باحـث مبتـدئ أن يولـد أشـعة مـن أي مصـدر ضـوئي، وأنـه مـن الممكـن تغيـير

نـوع وشـدة الأشـعة بتسـليطها عـلى منشـورات زجاجيـة، ولكـن المشـكلة هـي نـوع الأشـعة المتولـدة فليـس كل شـعاع قـادر عـلى إحـداث تغيـيرات فيزيائيـة محـددة، وليـس كل تغـيرات قـادرة عـلى إحـداث تأثـيرات بيولوجيـة محـددة .هكـذا تعلـم مـن دراسـة علـم الفيزيـاء الحيويـة الـذي درسـه لمـدة أربـع سـنوات بكليـة العلـوم، ثـم في المحـاضرات التـي درسـها باليابـان العـام المـاضي .

نظـر خالـد إلى المكـون الثـاني عـلى الـرأس الأخـرى للمثلـث المتسـاوي الأضـلاع وهـي التـي كَتـب بجوارهـا النتائـج الأوليـة وهـي مـا سـجله العـداد مـن بيانـات الأشـعة دون أن يقصـد. وجـد خالـد بيانـات كالرمـوز التـي بالنوتـة الموسـيقية، فهـي تتغـير كل ثـلاث إلى أربـع أسـطر.. اسـتنتج خالـد مـن ذلـك أن كل تغـير في البيانـات لا بـدّ أنـه يصاحـب كل تغـير في شـدة ونـوع الأشـعة، ومـا أكـد عـلى ذلـك هـو وجـود بعـد الأرقـام التـي تختلـف تمامًـا عـن الأرقـام الأخـرى، والتـي تظهـر مـن حـين لآخـر.

فـسر خالـد ذلـك بأنهـا الأرقـام التـي تعكـس التدخـلات في الأشـعة بعضهـا ببعــض .ومعنــى ذلــك أن عليــه أن يجــد الظــروف التــي أدت إلى تكويــن كل شـعاع بكـوده المميـز، ثـم كـود الأشـعة التـي لمـا تداخلـت أعطـت رقـمًا جديـدًا مختلفًـا عـن رقـم كل شـعاع عـلى حـدة. وبحسـاب بسـيط لعـدد التغـيرات في الأرقـام التـي سـجلها العـداد اسـتنتج خالـد أنـه يحتـاج إلى توليـد حـوالي ١٠٠٠ شـعاع أحـادي٢٠٠٠ نـوع مـن الأشـعة المزدوجـة والتـي هـي نفسـها معضلـة؛ لأن طبيعـة الشـعاع تختلـف عندمـا يمتـزج بشـعاع آخـر . حينئـذٍ صـدم خالـد صدمـة هائلـة بعـد أن وصـل إلى خلاصـة الخلاصـة هـذه .

فبعـد أن كان مـن دقائـق قـاب قوسـين أو أدنى مـن تحقيـق حلمـه العلمـي وتحقيـق المفاجـأة المدويـة في الاجتـماع القـادم وجـد نفسـه أمـام طريـق شـبه مسـدود، وذلـك لأن الحصـول عـلى كل مجموعـة مـن الأرقـام هـذه يتطلـب الآلاف مـن التباديـل والتوافيـق مـن تعـرض منشـورات زجاجيـة للأشـعة الكونيـة حتـى يصـل إلى طبيعـة كل شـعاع ولـد هـذه الأرقـام. ومـا يزيـد الأمـر تعقيـدًا هـو ظهـور أرقـام جديـدة عـلى خالـد لا يعـرف عنهـا شـيئًا فهـي ليسـت مدونـة بجـدول الأشـعة المعـروف والمعلـق عـلى جـدار كل معمـل، هنـا قـرر خالـد أن

يتوقف عن التفكير حتى لا يصاب باكتئاب علمي يمنعه من مواصله العمل، فقرر أن يأخذ قسطًا من الراحة لكي يستطيع العمل صباحًا بعد أربع ساعات من التفكير المتواصل فقد قاربت الساعة على الثالثة صباحًا .

استمع خالد إلى نصائح عقله ولم يكابر حتى يبقى عنده بصيص من أمل في الخروج من هذه المعضلة العلمية الكبيرة . فعليه أن يقضي اليوم من الصباح الباكر في الذهاب إلى المكتبة وقراءة معلومات أكثر عن طبيعة الأشعة الكونية سواء بذاتها أو بعد انعكاسها أو انكسارها من الأسطح الزجاجية . ومن يدري لعلها تفتح له آفاقًا جديدة للتعامل مع هذه المعضلة وإن لم يكن فيكفيه سعادة أن استطاع أن يوظف ملاحظته توظيفًا علميًّا ناضجًا أدى في النهاية إلى كتابة نظرية لم يفكر يومًا أن يكتبها بهذا الجمال . ويكفيه سعادة أنه استطاع أن يفكر ويتدبر ويحلل الملاحظات والمشاهدات تحليلًا علميًّا له دلالة، وكذلك استطاعته في إيجاد العلاقة بين المتغيرات المختلفة وكيف تؤثر وتتأثر بعضها البعض كيفًا ونوعًا. ومن يدري لعل أستاذه د. تاناكا بخبرته وعلمه وحنكته لديه إجابة وحل لهذه المعضلة المركبة إن لم يستطع هو أن يحلها .

وبالرغم من حالة الضيق هذه التي انتابت خالد إلا أنه ابتسم ابتسامة ساخرة وهو يربط بين هذه المتغيرات المطلوبة لتكوين الأشعة بالعلاقات الإنسانية وما فيها من متغيرات تجعلها هي الأخرى أكثر تعقيدًا وتركيبًا مما رآه اليوم بين الأشعة وبعضها البعض. توقف خالد عندما بدأ الحديث مع نفسه حتى لا يدخل في سجل العلاقات الإنسانية وما فيها من مآسٍ مرت عليه وهو في مصر فقرر أن يذهب للوضوء لصلاة الفجر. قصد غرفة القهوة والتي يصلي فيها أحيانًا أو في مكتبه المعهد كما يحلو له دائمًا، ولكنه اليوم متعب ولسوف يصلي هنا وينام على الفور. وصلى خالد في خشوع تام وكأنه يصلي صلاة الجمعة في الحسين ودعا ربه ونام على الأريكة الموجودة بالغرفة .

استيقظ خالد على صوت عالٍ يهز أذنه وأيدي كبيرة تهز جسده وهي تدعوه للصحيان مكررة اصحَ يا خالد اصحَ الساعة التاسعة اصحَ ما الذي جعلك تنام هنا؟ صوت بالعربية يرن في أذنه وكأنه الحلم وكأن الصوت يأتي من أعماق البحر وكأنه نائم في محيط. كان هذا صوت محمود الشاب

اللبنـاني الجميـل في الخلـق والمنظـر والـذي يحبـه خالـد كثـيرًا وخاصـة لكنتـه اللبنانيـة التـي تجعـل مـن الحـروف نوتـة موسـيقية تغنـي للسـامعين بمـا فيهـا مـن ميوعـة غـير مقصـودة تخلـو منهـا لغـة المصريـين.

بعـد عـدة محـاولات تخللهـا بعـض القفشـات وإيمـاءات مـن محمـود وكأنـه يداعـب زوجتـه أن تصحـو وتفيـق نجـح أن يوقـظ خالـد مـن سُـبات عميـق وحلـم رائـع جميـل. صحـا خالـد مخاطبًـا محمـود: شـو محمـود مـا بـك اتركنـي خيـي فأنـا متعـب ولم أنـم طـوال الليـل. فـزاد محمـود مـن جرعـة كلماتـه اللبنانيـة التـي تعجـب خالـد حتـى أفـاق خالـد تمامًـا والـذي صعـق عندمـا وجـد السـاعة تشـير إلى التاسـعة فقـد تأخـر سـاعة كاملـة عـن ميعـاد اسـتيقاظه الـذي ضبـط المنبـه عليـه بعـد صـلاة الفجـر.

ابتسـم خالـد ابتسـامة الصبـاح لمحمـود وحيّـاه: صبـاح الخـير يـا أبـو حميـد.. صبـاح الفـل وحمـد اللـه عـلى سـلامتك مـن المؤتمـر، وأتمنـى أن تكـون وفقـت فيـه فقـد افتقدتـك يـا محمـود كثـيرًا طيلـة الأسـبوع المـاضي وأنـت في المؤتمـر. صبـاح البنفسـج عـلى عويناتـك يـا خـلي، وأنـا كـمان افتقدتـك كثـيرًا يازلمـة، ولكـن مـا جعلـك تنـام كالهـارب هيـك مـا في لـك بيـت خيـي . آه يـا محمـود كانـت ليلـة كأنهـا مـن ليـالي ألـف ليلـة وليلـة، كانـت مجهـدة ذهنيًّـا وجسـديًّا، ولكنهـا كانـت جميلـة وممتعـة بـكل المقاييـس. قـال خالـد هـذه الكلـمات وهـو يرتـب نفسـه والأريكـة.

هـا هـا هـا أتمنـى ألا تكـون عملتهـا وصاحبـت شـحرورة يابانيـة في غيـابي ومـن ورائي خيـي ... أخـبرني شـو اسـمها وشـكلها وجسـمها وطولهـا، كلي شـوق أن أعـرف هـا السـنيورة الـلي اسـتطاعت أن تقلـب مبـادئ خالـد رأسـاً عـلى عقـب بهـذه السرعـة ... أنـا بـدي أراهـا هـا اليـوم يـا خيـي. ضحـك خالـد ضحكـة عاليـة ردًّا عـلى مداعبـات محمـود وقـال: إنهـا فعـلًا جميلـة يـا محمـود وقصـيرة وطويلـة وقويـة وضعيفـة. فتشـوق محمـود سـائلًا وشـو البنـت هـي خالـد الـلي جننتـك وهيـك فيهـا المقاييـس المتناقضـة أتصـوم تصـوم وتفطـر عـلى بصلـة خيـي؟! ضحـك خالـد وهـو يجهـز كـوب النسـكافيه لـه ولمحمـود قائـلا: هـي فعـلًا خصائصهـا متناقضـة يـا أبـو حميـد، وسـوف أحـكي لـك عنهـا، وكيـف قابلتها الليلـة في غرفتـي وكيـف كتبـت فيهـا قصيـدة شـعر رائعـة.

بـدأ الباحثـون مـن زمـلاء خالـد ومحمـود يتوافـدون محيـين بالتحيـة اليابانيـة وجـاء السـيد الزميـل المـصري مصبحًـا بصوتـه العـالي كعادتـه كل يـوم. لمـا رأى محمـود السـيد قادمًـا واجهـه بابتسـامة: كيفـك يـا زلمـة، أتـترك خييـك خالـد ينـام هنـا في الحجـرة هـي أهـي رجولـة المصريـين يـا خيـي؟

وقبـل أن يلتقـط السـيد الخيـط مـن محمـود لـكي يعلـق وينتقـد كـما يشـاء سـارع خالـد، ونـادى عـلى محمـود طالبًـا منـه شـيئًا هامًّـا عـن المؤتمـر الـذي حـضره في أمريـكا فذهبـا سـويًّا إلى الخـارج وهـما يضحـكان ومحمـود يسـتحلفه بالغـالي أن يخـبره باسـم البنوتـة التـي خطفـت عقلـه وقلبـه الليلـة. ابتسـم خالـد وأخـبره أن اسـمها قصـير ولكنـه يبـدو وكأنـه مـن ١٠٠٠ حـرف واسـمها شـعاع. آه مـا أحـلى هـذا الاسـم الرومانـسي، حظـك جميـل يـا خالـد. ضحـكا ومشـيا إلى المعمـل لبـدء اليـوم الجديـد. اتفـق خالـد ومحمـود أن يتقابـلا عـلى الغـذاء في كافيتيريـا المعهـد؛ لأن كلاهـما لم يـأتِ بالغـذاء معـه مـن البيـت كـما تعـودا فخالـد نـام في المعهـد ومحمـود رجـع مـن المؤتمـر عـلى التـو.
جلـس خالـد عـلى مكتبـه ينظـم الأوراق التـي تركهـا هنـا منـذ سـاعات قليلـة، وبـدأ يقرؤهـا عـلى عجالـة مـرة أخـرى ليسـترجع أفـكار عقلـه رويـدًا رويـدًا حتـى يرجـع لنفـس المـزاج النفـسي الـذي كان عليـه مـن قبـل سـويعات قليلـة. وبالفعـل كان سـهلًا عليـه أن يتذكـر كل شيء بسـهولة، وكأنـه فـرغ مـن التـو مـن قـراءة المشـاهدات والملاحظـات نقطـة نقطـة وكأنـه قـد خلـص مـن التـو مـن كتابـة الملخـص (النظريـة) والتـي رفعتـه عاليًـا فـوق السـحاب وملخـص الملخـص الـذي ألقـاه مـن السـحاب عـلى الأرض مـرة واحـدة وبـلا رحمـة.

قـرر خالـد أن يذهـب إلى المكتبـة، وذلـك تنفيـذًا لقصاصـة الـورق المعلقـة عـلى مكتبـه والتـي كتبهـا قبـل صـلاة الفجـر حتـى لا ينـسى، فـكل خطـوة وكل عمـل يقـوم بـه مـن خـلال أجنـدة عمـل التنظيـم والتحكـم في وقتـه، وإلا مـا المعنـى أن يبحـث عـن تكنولوجيـا للتحكـم في الوقـت وهـو نفسـه لا يتحكـم في وقتـه؟ وقـد تعلـم ذلـك مـن أسـتاذه وزاد عليـه إتقانًـا. وكان صبـاح اليـوم هـو أول اخـتراق لهـذه القاعـدة عندمـا صحـا متأخـرًا سـاعة عـن الموعـد الـذي حدده، وضبـط عليـه المنبـه الـذي بسـاعته. فقـد راح في النـوم ولم يسـمع المنبـه وكأنـه

كان ينـام في مـكان آخـر أو كأنـه كان ينـام في المحيـط في حلـم مـلأ عليـه نومـه.

وبالفعـل فقـد كان خالـد في حلـم جميـل أخـذه إلى وقـت آخـر ومـكان آخـر في الحيـاة بعيـدًا عـن المعهـد، بـل بعيـدًا عـن اليابـان ومـصر. وكان الحلـم أراد أن يعطيـه درسًـا عمليًّـا في نظريـة التحكـم في الوقـت.

حلـم خالـد أن أيـدي كثـيرة تمتـد منهـا حـزم مـن الأشـعة الملونـة تمتـد كأنهـا أحبـال بألـوان الطيـف وألـوان أخـرى لم يرهـا مـن قبـل تمتـد كخطـوط مسـتقيمة تصـل إليـه وتداعبـه بحنـان وتلمـس جسـده برقـة كأنهـا تداعبـه وتلاطفـه، ثـم تصنـع دائـرة كبـيرة وكأنهـا البسـاط السـحري، وتهبـط تحـت قدميـه لتحملـه بلطـف إلى أعـلى وكأنـه ملـك متـوج فـوق الأعنـاق لتأخـذه مكانًـا بعيـدًا فـوق السـحاب في زمـان غـير الزمـان وأشـكال غـير الأشـكال التـي يعرفهـا وألفهـا. أشـكال ذات بعـد رابـع لم يـره مـن قبـل، وأشـكال لينـة تحتويـه فيدخـل فيهـا ويخـرج منهـا مـن دون أي اصطـدام. إنـه عـالم آخـر كلـه إشـعاع في إشـعاع. طـار خالـد بين هـذه الأشـعة الكونيـة ويحـط عليهـا أينـما وكيفـما يشـاء، أشـعة تتحـدث إليـه، وفهـم حديثهـا ولكـن بكلـمات غـير الكلـمات، إنـه عـالم عجيـب يسـتطيع خالـد أن يوظفـه كيفـما يشـاء ومـا عليـه إلا أن يتمنـى ليجـد مـا يتمنـاه أمـام عينيـه، فـإذا أراد أن يعيـش في المـاضي أو المسـتقبل كان لـه مـا يتمنـاه.

قـرر خالـد أن يغير خطـة اليـوم حيـث قـرر أن يبقـى في المعمـل لعمـل مزيـد مـن التحليـلات للقـراءات التـي سـجلها العـداد وربطهـا بالمعطيـات الأخـرى، وذلـك حتـى يتسـنى لـه الحصـول عـلى إدراك أفضـل للموضـوع، وبالتـالي تكـون قراءتـه أكـثر تحديـدًا وتركيـزًا في الموضوعـات التـي لهـا علاقـة مبـاشرة بالموضـوع. أعـاد خالـد تدويـن خطتـه في أجنـدة المعمـل وعـلى نتيجـة الحائط وعـلى قصاصة الـورق المعلقـة فـوق مكتبـه، وأخـذ في الاسـتعداد النفـسي لمهمـة التحليـل والـذي هـو مختلـف تمامًـا عـن الاسـتعداد للقـراءة، فـكل يحتـاج إلى طقـوس خاصـة، ومـن طقـوس التحليـل العلمـي للنتائـج ومناقشـتها، ثـم تلخيصهـا عنـد خالـد هـو تنـاول كـوب مـن النسـكافيه في غرفـة القهـوة أثنـاء التحـدث لزملائـه.

وبالفعـل ذهـب خالـد وتنـاول النسـكافيه بمـزاج عـالٍ خاصـة أنـه وجـد بعض الزمـلاء اليابانيـين الـذي يسـتمتع بالحديـث معهـم عـن تاريـخ مـصر القديـم، وكذلـك تاريـخ اليابـان وخاصـة عـصر السـاموراي. وكان الحديـث دائمًـا ينتهـي

بإعجاب شديد عن الحضارة المصرية القديمة وأمنية زملائه بحاضر أفضل في المستقبل القريب لا يقل عن إبداع الماضي أيام الفراعنة على أيدي من في مثل خالد. وعلى الجانب الآخر يبدي خالد إعجابه بحاضر اليابان والتقدم العلمي الهائل الذي وصل إليه اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية، ومبديًا احترامه الشديد لعصر الساموراي والذي يشبه إلى حد كبير عصر الفتوات بمصر مع بعض الفارق.

أنهى خالد الحديث مع زملائه اليابانيين وما حضر أثناء الحديث من الزملاء الصينيين، ولم يستغرق الحديث أكثر من النصف ساعة التي جعلت خالد جاهزًا الآن للعودة إلى مكتبه لينكب على ما عنده من معلومات ليخرج بفكرة قد تساعده في توظيف اكتشافه وإثباته علميًّا، وكما تعلم أن ينظر للأمور من جميع الزوايا حتى يتسنى له الوصول إلى رؤية كاملة لحل المشاكل.

أخذ خالد يحلل البيانات التي بالعداد فلعله يستطيع أن يرى منها حلًّا لم يره في تحليل الأشعة الصادرة نفسها. عندئذٍ أخذ خالد موضع التفكير على مقعده حيث اتكأ بظهره إلى الوراء ليتطلع إلى أعلى تجاه الجدار أمامه والمعلق عليه الآية القرآنية التي أهداه والده إياها وتحتها الساعة الكبيرة التي تشير الآن إلى الثالثة وهو الوقت المفضل لخالد للقراءة والتفكير بعد أن يكون قد أنهى معظم أعماله من أبحاث وتسجيل بيانات.

نظر خالد على الآية القرآنية وقرأها كما يقرؤها كل يوم كلما نظر إلى أعلى الجدار وكأنه ينفذ وصية والده بألا يرى الآية إلا وأن يقرأها في نفسه حتى لا يكون تعليق الآية مجرد ديكور، وهذا ما لا يرضاه الله. ولذلك كان خالد يقرأ هذه الآية كثيرًا لاعتباره أن هذا الجدار هو قبلة أفكاره.

وبعد أن قرأ خالد الآية وجد نظره معلقًا بساعة الحائط؛ لأنها مثل أي ساعة يراها تذكره بالمشروع والتحكم في الوقت، العقارب كالعادة تدور بإيقاعات رصينة، وتدق كأنها القلب بلا توقف، ولكنها عكس القلب إذا توقفت الدقات لا يقف الوقت. وتدور العقارب من الشمال إلى اليمين وهو ما نسميه في اتجاه عقارب الساعة والعكس صحيح.

تساءل خالد وهو ينظر إلى الساعة عاليًا: لماذا لا تدور العقارب من اليمين إلى الشمال خاصة، وأن عادة الناس هي البدء باليمين والأكل والشرب باليمين والسلام باليمين وحتى القسم والطلاق يسمى باليمين. فلماذا تدور عقارب الساعة من الشمال إلى اليمين؟ أليس هذا غريبًا؟ ابتسم خالد في نفسه معلقًا أنه ليس بغريب لأن اتجاه دوران العقارب من الشمال إلى اليمين هو الطبيعي لأن اتجاه ظل الأشياء هو من اليمين إلى الشمال والذي يتمشى مع اتجاه الشروق إلى الغروب، وكذلك اتجاه دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس هو من الشمال (الشرق) لليمين (الغرب)، وكأن الله سبحانه وتعالى حدد هذا الاتجاه للأشياء حتى يترك التميز للإنسان في استخدام يمينه في كل شيء.

إذن ماذا يحدث إذا جعلنا الأشياء تقلد الإنسان لتدور من اليمين إلى الشمال عكس اتجاه عقارب الساعة؟ مع أن خالدًا قال هذه العبارة ببساطة كنوع من أنواع الاعتراض على فكر صانع الساعة بهذا الشكل أو ليثبت لنفسه القدرة على التفكير المضاد أو لإحساسه بفلس فكري وعدم مقدرة على حل المعضلة التي يواجهها من إيجاد طريقة علمية لإثبات مشاهدات ليلة أمس؛ إلا أنه وقف منتفضًا فجأة وكأنه أرشميدس للمرة الثانية وهو يصيح وجدتها وجدتها.

بدا خالد وكأنه شاعر وهذه هي عادته عندما يمتلك مزاجًا عاليًا تغازله السعادة، وها هو يمتلك هذا الإحساس الآن فجأة بعد أن لاحت له هذه الفكرة العبقرية التي قد تحل له معضلته وبطريقة عملية كما كان يتمنى منذ أمس بعد أن أعياه التفكير. أعاد خالد الجملة على نفسه ليسمعه عقله على هيئة سؤال إجباري لا بد من الإجابة عنه في التو دون لف أو دوران كما يقولون عندما يتصنع الناس الأحاديث المباشرة.

سأل خالد إذا كان دوران عقارب الساعة والظل والأرض من الشمال إلى اليمين والإنسان ميز باستخدام اليمين، وكلا الفعلين من الله؛ إذن التميز يكمن في الدوران من اليمين فلماذا لا يتميز في تفكيره العلمي وينظر إلى المعلومات التي لديه بعكس ما تعود الجميع؟ لماذا لا أبدأ من النهاية إلى

البداية من المعلومات النهائية على العداد إلى المعلومات الأولية حول الأشعة المتكونة من البرق والرعد. قفزت هذه الفكرة في رأس خالد واستقرت هناك وكأنها مغلفة بصمغ استوائي، فما كان على علي عقله إلا أن يجيب عن هذا السؤال الإجباري، فقرر أن يجيب عن السؤال على التو مهما كلفه ذلك من عناء فكري فليس لديه عذر الآن، فقد تولدت له فرصه أخرى والتي قد تكون الأخيرة.

أمسك خالد الورقة التي طبعت عليها كل الأرقام التي سجلت على العداد بعد نقلها إلى الكمبيوتر والتي تظهر على هيئه شريط طويل من الخطوط لا يعلم معناها إلا متخصص. كيف يا خالد تطبق نظرية اليمين إلى الشمال؟ أو بمعنى آخر: من النهايات إلى البدايات؟ وبمعنى آخر: من أرقام العداد إلى الأشعة؟

حبيبة القلب اسمها شعاع

«هـي حبـي الأول والأخـير، إنهـا التـي رافقتنـي الليـل الطويـل، إنهـا التـي أنـارت لي الطريـق، إنهـا التـي حركـت عقـلي ونقلـت إليـه قلبـي فتوحـدا حتـى أصبـح عقـلي عقلـين وقلبـي قلبـين، وحتـى أصبحـت مخلـدًا، وفي الحـب أسـير».

تعلـم خالـد نظريًّـا في مـصر ترجمـة الأرقـام الدالـة عـلى طـول مـوج الأشـعة إلى نـوع الشـعاع وتطبيقاتـه. وقـد تـدرب في اليابـان عمليًّـا عـلى هـذا، وذلـك بتخليـق أشـعة بطريقـة عشـوائية، ثـم قراءتهـا عـلى العـداد، ثـم يتمـرن عـلى العكـس وهـو قـراءة الأرقـام أيًّـا كانـت بكـود يعـرف منـه اسـم الأشـعة ذاتهـا دون أن يـدري مـن قبـل مـا هـي الأشـعة، وتـدرب عـلى ذلـك تدريبًـا كثـيرًا حتـى أصبـح متمكنًـا إلى أعـلى درجـه في ترجمـة أي رقـم إلى شـعاع محـدد، ولأن خالـدًا كان يسـتخدم مصـادر ضوئيـة عاديـة فقـد كانـت الأشـعة الصـادرة مـن تجاربـه كلهـا ضمـن مـا هـو متعـارف عليـه مـن أشـعة.

لمـاذا لا يفعـل خالـد ذلـك؟ لمـاذا لم يفكـر مـن قبـل في اسـتخدام قدراتـه التـي اكتسـبها في الترجمـة الرقميـة هـذه؟ فـما عليـه إلا أن يقـوم بترجمـة الأرقـام التـي سـجلها عـداد الأشـعة كخطـوة أولى، ثـم إيجـاد الطريقـة المتعـارف عليهـا لإنتـاج هـذه الأشـعة في خطـوة ثانيـة، ثـم إيجـاد طريقـة للتحكـم في نـوع الأشـعة بحيث ينتـج شـعاعًا بمفـرده أو مـع شـعاع آخـر أو أكـثر في نفـس الوقـت عـن طريـق وسـيلة تزيـد أو تنقـص مـن شـدة الشـعاع.

إذا اسـتطاع خالـد الوصـول إلى هـذه التكنولوجيـة، فمـن الممكـن حينئـذٍ دراسـة تأثـير هـذه الأشـعة منفـردة أو ثنائيـة أو رباعيـة أو أكـثر عـلى الحالـة النفسـية للإنسـان، وليكـن هـو هـذا الإنسـان. اقتنـع خالـد بالفكـرة تمامًـا، ولم يبـقَ إلا تنفيذهـا. تفحـص خالـد الورقـة المسـجل عليهـا الأرقـام ونقلـه إلى برنامـج آخـر يسـتطيع مـن خلالـه أن يتعامـل معهـا بسـهولة، بـدأ يجمـع الأرقـام المتشـابهة سـويًّا، والمعـروف في جـداول أرقـام الأشـعة أن كل شـعاع يقابلـه رقـم

خـاص بـه، والرقـم هنـا هـو عبـارة عـن سـطر مكـون مـن عـدد أو عدديـن أو أعـداد، ولذلـك فـإن كل رقـم يتميـز عـن الأرقـام الأخـرى في كـم عـدد يتكـون منـه هـذا الرقـم، فقـد يتكـون مـن ثلاثـة أو أربعـة أعـداد متجـاورة أو أكـثر، وكذلـك نـوع الأعـداد المكونـة لـه مـن أرقـام صغـيرة مثـل ١، ٢، ٣ أم أرقـام كبـيرة.

والأرقـام بالنسـبة للأشـعة هنـا ممكـن تشـبيهها بالرقـم القومـي أو رقـم التليفـون الخـاص، فالتباديـل والتوافيـق في الأعـداد مـن واحـد إلى عـشرة تتيـح الفرصـة لتكويـن أرقـام مختلفـة تمامًـا بحيـث لا يتشـابه اثنـان في الأرقـام وإن احتـوت عـلى بعـض مـن الأعـداد المتشـابهة. فـكل سـطر سـجل في عـداد الأشـعة عنـد خالـد هـو رقـم قومـي لـكل شـعاع.

بعـد أن انتهـي مـن إحصـاء الأرقـام المتعـارف عليهـا بجـداول الأشـعة بـدأ خالـد يحـصي الأرقـام الباقيـة فوجدهـا كثـيرة جـدًّا، والواقـع أنهـا تبلـغ ثـلاث مـرات أكـثر مـن الأرقـام الأخـرى المتعـارف عليهـا. أصبـح الأمـر مربـكًا لـه، فكلـما أحـس أنـه اقـترب مـن الوصـول إلى الحـل النهـائي وجـد نفسـه مواجهًـا بحـل معضـلات أكـثر تعقيـدًا. فكيـف لـه أن يحـدد نوعيـة الأشـعة المقابلـة للأرقـام الجديـدة، هـذه والتـي يختلـف كودهـا كثـيرًا عـن الأرقـام الأخـرى.

ضغـط خالـد عـلى نواجـذه امتعاضًـا مـن الموقـف هـذا، ولكنـه سرعـان مـا اسـتعاد نظرتـه المتفائلـة والتـي يسـتخدمها دائمًـا عندمـا تواجهـه تحديـات. قال في نفسـه إنـه كطالـب دكتـوراه لـه حـدوده العلميـة، ومـن الممكـن لـو عـرض الأمـر برمتـه منـذ بدايتـه وإلى مـا توصـل إليـه الآن فقـد يسـاعده د. تانـاكا عـلى إيجـاد الحـل؛ فهـو لديـه مـن الخـبرة مـا قـد يمكنـه مـن ذلـك. ولكـن خالـد تراجـع عـن هـذه الفكـرة فقـال في نفسـه: مـا زال لـدي ثلاثـة أيـام قبـل الاجتـماع الأسـبوعي للمجموعـة البحثيـة. فمـن يـدري لعـلي قـد أصـل إلى حـل لمـا تبقـى مـن المعضلـة خاصـة أن كل سـاعة تظهـر لي نافـذة تقربنـي مـن الحـل النهـائي. اسـتطرد خالـد محدثًـا نفسـه أن مجـرد الوصـول إلى أرقـام جديـدة لم يسـجلها أحـد مـن قبـل هـي في حـد ذاتـه يمثـل إنجـازًا علميًّـا غـير مسـبوق مـن الممكـن تسـجيله باسـمه واسـم أسـتاذه. ابتسـم خالـد ابتسـامة كبـيرة عندمـا لاحـت هـذه الفكـرة في نفسـه؛ لأنـه طالمـا مـا تمنـى أن يسـجل اختراعًـا أو اكتشـافًا علميًّـا ليعلـو باسـمه مثـل أسـتاذه د. توفيـق في مـصر، والـذي كان يـدرس لـه مـادة الهندسـة الوراثيـة.

كـم يحـب خالـد ويبجـل د. توفيـق ويعتـبره المثـل الأعـلى لـه فهـو مـن الأسـاتذة الكبـار الـذي لا تمتلـك إلا أن تحترمـه وتقـدره ليـس فقـط في علمـه، ولكـن لشـخصه الـذي يضفـي عـلى قاعـة المحـاضرات هالـة مـن الجـلال والبهـاء تزيـد مـن أهميـة ورونـق المـادة العلميـة. درس د. توفيـق الدكتـوراه ومـا بعـد الدكتـوراه في أمريـكا في بعثـة عـلى نفقـة الدولـة، وقـد كان الطـلاب يعتقـدون في بـادئ الأمـر أن د. توفيـق هـو العميـد أو عـلى الأقـل وكيـل العميـد إلا أنهـم اكتشـفوا أخـيرًا وبالصدفـة البحتـة أنـه ليـس عميـدًا ولا وكيـل الكليـة، وذلـك عندمـا طلبـوا منـه أن يحـل لهـم مشـكلة خاصـة بمواعيـد المحـاضرات والـدروس العمليـة. سـأله الطـلاب: كنـا نظنـك تتمتـع بمنصـب إداري يـا أسـتاذنا. ولكنـه رد مبتسـمًا: أنـا لا تسـتهويني المناصـب الإداريـة، ولكنـي أمـارس الإدارة في محـاضراتي وأبحـاثي، فمـن يتـزوج المنصـب الإداري يطلقـه البحـث العلمـي وأنـا أود أن أكـون زوجًـا وفيًّـا لأبحـاثي وطـلابي إلا إذا أردتـم انتـم أن تخلعـوني وحينئـذٍ سـوف يكـون المؤخـر غاليًـا. ويضحـك الطـلاب مـع أنهـم لم يفهمـوه وقتهـا لإدراكهـم أن المنصـب قـد يقـوي العـالم ولا يضعفـه، فمـن الممكـن أن يتـزوج الباحـث اثنـين المنصـب والعلـم.

ابتسـم خالـد ابتسـامة كبـيرة في نفسـه كلهـا رضـا واطمئنـان أنـه عـلى الطريـق الصحيـح، وأنـه يسـير عـلى درب أسـتاذه د. توفيـق والـذي اكتشـف جينًـا جديـدًا لـه أهميـة كبـيرة في التشـكيل والتحكـم في التفكـير عندمـا كان في أمريـكا. وهـا أنـذا أيضًـا توصلـت لاكتشـاف جديـد لأرقـام مـن الممكـن أن يكـون لهـا أثـر كبـير في الإنسـانية إذا عرفـت خصائصهـا الفيزيائيـة والبيولوجيـة. وزادت ابتسـامة خالـد أكـثر حتـى مـلأت وجهـه عندمـا تذكـر أن أي جـين مـا هـو إلا مجموعـة رمـوز تـتراص جنبًـا إلى جنـب لتمثـل كـودًا محـددًا لبروتـين معـين مثلهـا مثـل أرقـام الأشـعة التـي تمثـل هـي أيضًـا كـودًا لشـعاع معـين.

يـا لهـا مـن صدفـة كبـيرة وسـعيدة أن يشـبه اكتشـافي اكتشـاف د. توفيـق فكلاهـما يمثـل كـودًا، إمـا بروتينًـا يصنـع الحيـاة أو شـعاعًا ينـير الحيـاة. فكأنـه وأسـتاذه يبرهنـان علميًّـا كيـف أحبـا ويحبـا الحيـاة. آه لـو علـم د. توفيـق فسـوف يسـعد كثـيرًا. وهـم خالـد في غمـرة نشـوته أن يرسـل إيميـل لدكتـور توفيـق، ولكنـه تذكـر قـراره السـابق بـألا يخـبر أي أحـد باكتشـافه قبـل يـوم

الاجتماع. وعلى أية حال د. توفيق سوف يعرف الأخبار عندما يأتي لزيارة د. تاناكا بعد شهر من الآن لإلقاء محاضرة وبحث التعاون العلمي بينهما في مجال الهندسة الوراثية والأشعة الكونية على هامش فعاليات المؤتمر الدولي السنوي للهندسة الوراثية بطوكيو.

فجأة سمع خالد صوت محمود قادمًا بعذوبته اللبنانية، ثم بيديه وهو يربت على كتفه صائحًا هيا يا أستاذ لقد حان موعد الغذاء حسب التوقيت المحلي لمعمل تاناكا بطوكيو. ضحك خالد ومحمود وذهبا إلى الكافتيريا.

الغذاء في الكافتيريا بكارت خاص مثل كارت الفيزا يوضع فيه الطالب ما يستطيع من المال ويستخدمه لشراء ما يريد إلى أن ينتهي الرصيد فيملؤه مرة أخرى وهكذا. وهذا الأسلوب لا يعطي الفرصة لأسلوب العزومات المتبع في مصر والذي يسبب الكثير من الإحراج. وهو نظام متعارف ومعمول به في جميع الخدمات مثل المترو والأتوبيس وحتى المكتبة ومولات الشراء. ولذلك كان خالد يتعجب عندما يذهب ليتسوق ويجد اليابانيين يحملون حقيبة صغيرة ملآنة بالعديد من الكروت دون أن يحملوا معهم أي نقود إلى أن عرف السبب واتبع النظام. طلب خالد غذاء بمكونات تشبه الأكل المصري، وطلب محمود غذاء يابانيًا من السوشي الذي يحبه كثيرًا، ولم يطلب خالد أكلًا يابانيًا لأنه لا يحبه كثيرًا حيث لا يأكله إلا إذا اضطر لذلك في المناسبات ولغلوه وهو يريد أن يوفر بعض المال لوالده في مصر.

سأل محمود عن أخبار المعمل وبعض الزملاء، ثم ألح أن يعرف سر نوم خالد أمس في غرفة القهوة بالمعمل، وعن البنت شعاع التي أحبها قلبه، ونالت منه فتغير كل هذا التغيير. لم يستطع محمود أن يصل لأي شيء من خالد، فظن أن خالدًا يخبئ عنه شيئًا خطيرًا من أمر شعاع. حول خالد الحديث إلى رحلة محمود إلى المؤتمر بأمريكا وما إذا كان هناك أي أبحاث جديدة عن الأشعة وخاصة الكونية، وطرق قياسها أو تحليلها.

ابتسم محمود, كما فعلت معي في أمر شعاع فأنا كذلك لن أخبرك بشيء يا عزيزي، وسوف تعرف أخبار المؤتمر أيضًا يوم الاجتماع الأسبوعي. ضحك خالد وأومأ برأسه بالموافقة، ثم استرسل بخبث علمي، على فكرة يا محمود ما رأيك في جدول الأشعة الذي درسناه أيام الجامعة ونستخدمه

الآن في البحث العلمي على أنه المصدر الوحيد الذي نعتمد عليه في تفسير نتائجنا عن الأشعة؟

إنه جدول متعارف عليه علميًّا يا خالد، ولكن يتم تحديثه كل ثلاثة أعوام إذا لزم الأمر وتم اكتشاف موجات جديدة لأشعة جديدة توافق عليها الباحثون. وابتسم محمود ابتسامة بها استنكار: لماذا تسأل يا خالد وأنت تعلم ذلك؟ بالطبع كان خالد يعلم ما قاله محمود ولكنه يريد أن يستدرجه إلى بعض المعلومات الجديدة من المؤتمر قد تساعده في تفسير أنواع الأشعة الجديدة التي توصل إليها قبل الاجتماع الأسبوعي. أيه يا خالد نحن لم نرَ بعض منذ أسبوع وأنت تريد أن تحول الجلسة من بداية ما تقابلنا للغذاء إلى جلسة علمية، ألا يكفيك العلم طوال اليوم حتى نأكل على الموسيقى التصويرية للأشعة؟ أنا كنت متخيل أن تسألني عن مدن أمريكا وبنات أمريكا وجمال أمريكا، وماذا أحضرت لك من أمريكا والآن تسألني عن طبيعة الأشعة في الجدول!

ضحك خالد بصوت عالٍ: خلاص خلاص يا زملة، لا أريد منك أي معلومات، أنا كنت أسال عن شيء محدد وهو آخر أخبار تحديث هذا الجدول حتى أكون على علم، ومن المحتمل أن هذا الأمر المهم تم مناقشته على هامش المؤتمر. طبعًا يا فندم كانت هناك جلسة هامة خاصة لهذا الموضوع، وقد حاضر فيها العلماء الأفذاذ في هذا التخصص، ولكني لم تتحْ لي الفرصة لحضورها نظرًا لانشغالي بجلسات أخرى هي الأهم لي، وعمومًا د. تاناكا يعلم بذلك، وكان من المنتظر أن يكون حاضرًا للمؤتمر ليحاضر في هذه الجلسة، ولكنه لم يستطع كما تعلم نظرًا لانشغاله الكبير بتحضير المؤتمر السنوي للجمعية اليابانية لعلوم المواد والأشعة الشهر القادم. ظننتك تعلم كل ذلك يا باشا فكيف لا تعلمه إلا مني وأنت قريب من د. تاناكا وأنت دائم السؤال على هذه المعلومات ونحن نستقي الأخبار منك.

رد خالد بتصنع وكأنه تزمر من هذا الرد المطول لمحمود ناهرًا إياه وملوّحًا بالعصي التي يأكل بها: خلاص خلاص يا فندم ده كان سؤالًا عاديًّا جدًّا ومركزًا مثل هذه الشربة التي تأخذ رأسي إلى النوم مجرد أن أنهي

احتساءها. أنا كنت أود فقط أن أعرف هل تمت الجلسة هذه وخرج الأساتذة بتوصيات أم لا، وإذا كانت هذه التوصيات قد تم نشرها في كتيب المؤتمر. أيوه يا سيدي تم غسيلها وتجفيفها ونشرها في كتيب المؤتمر والذي لن أعطيه لك عقابًا على تحويل الجلسة من غذاء إلى ورشة عمل.

خلاص يا زلمة احكي لي الآن عن بنات أمريكا كما يحلو لك، فقد انتهيت من احتساء الحساء المركز الذي أشك أن شيف المطعم يعرضه للأشعة الكونية اليابانية قبل أن نشتريه. لن أحكي لك عن أي شيء قبل أن تحكي لي أنت عن حبيبة القلب شعاع التي خطفت عقلك قبل قلبك. احكي لي يا عاشق الوجد، احكي لي يا صغير القلب عن آهات قلبك وعن لقطات عشقك وعن أمسيات لياليك مع شعاع.

ضحك خالد ضحكة عالية، سمعها كل من حوله قائلًا: إنها حبي الأول والأخير، إنها التي رافقتني الليل الطويل، إنها التي أنارت لي الطريق، إنها التي جعلتني أنا الشاب السعيد، إنها التي حركت عقلي ونقلت إليه قلبي فتوحدا حتى أصبحت أنا لست أنا، وأصبح عقلي عقلين، وقلبي قلبين وحتى أصبحت مخلدًا في الحب أسيرًا. أوه يا خالد ما أحلى وصفك! ما أحلى كلامك! إنك بالفعل لعاشق جديد، أنا أدرى بلغة العشاق وأنت تتحدث بها. وقعت يا خالد وقعت ولن أحميك من جمال العشق فعلًا محمود وقعت في شباك شعاع وقعت بدونها، ولكني لدي أمل أنا أنهض ويدها بيدي نخطو طريق الحياة سويًّا ...وفاضت شفاه خالد بتلك الكلمات:

أتأمل خصلات أشعة القمر الحالمة	وكأنهن إحدى ضفائرك الطائرة
فتسلقتها لعلها تأخذني إلى فمك	فأحدثه بأشواق أنفاسي الحائرة
ولعلي أتحسس الضياء بوجناتك	التي تركت فيها ذكرياتي الغائرة
فحملتني تلك الضفائر عاليًا إليك	حتى دنوت من فم أنفاسك الثائرة
ومددت يداي وبها الآمال معلقة	فاحترقت بشهاب أشعتك القاهرة

فهويت الململ من قصاقيص جسدي قبل أن تنتعلني الأقدام السائرة

وارتميت على الثرى أقبل حباته وتعلمت ألا أهوى الطير المسافرة

زد يا خالد في عشقك وأحب شعاع أكثر وأكثر لتكون هي قنديل دربك، وتكون أنت لها الطريق والممر. لكم أحوجك يا صاحبي لهذا الحب وهذه المشاعر وهذا الوجد، إنك حب كبير، إنك الحب يا خالد، تبدع فيه كما تبدع بأشعتك الكونية التي تسهر عليها فأعطاك الله شعاعًا لتكون بديلًا عن كل الأشعة. أود أن أراها يا خالد، أريد أن أرى محبوبة صديقي الذي لم يعرف للحب العذري طريقًا قبل اليوم. ابتسم خالد ابتسامة كلها دلال وكأنه صدق محمودًا، وعاش الإحساس معه دون أن يدري، ثم أفاق مازحًا لمحمود لا تقلق يا صديقي سوف تراها بعد غد، فسوف تحضر اجتماعنا الأسبوعي في أجمل حليتها، وسوف أقدمك إليها بكل سعادة وترحاب. أوه يا خالد لكم أشتاق إلى هذه اللحظة من يوم أن عرفتك بأن تحب النساء أو على الأقل إحداهن، وأن تحتويك لتجعلك أسعد بائع أشعة في العالم. ضحكا من قلبهما لأول مرة اليوم وذهبا كل إلى معمله يفكر في آخر ما قيل بينهما على أنه أحلى الكلام وأجمل المشاعر.

عاد خالد إلى معمله وجلس على مكتبه ينظم ما تركه فجأة عندما جاءه محمود للغذاء فقد وضع جدول الأشعة والنتائج التي طبعها ومشاهداته وتحليلاته فوق بعضها في ملف، ثم في درج المكتب إلى أن ينهي الغذاء حتى لا يلفت نظر محمود فيفسد مفاجأة اكتشافه العلمي خاصة أنه أخفى هذا الأمر على والده وصديقه أحمد وأستاذه د. توفيق وحتى عن د. تاناكا نفسه. نظم خالد أوراقه ثم قرر أن يذهب للمكتبة حسب خطة اليوم فأخذ قلمه وأجندة المعمل لعله يجد معلومات هامة فيدونها.

وكعادته مر على غرفة القهوة ليحتسي كوبًا من الشاي الذي تعود عليه بعد الغذاء عكس الأوقات الأخرى التي يتلذذ فيها باحتساء النسكافيه. صنع خالد الشاي وأخذ يتحدث لبعض الزملاء على عجالة مخافة أن يأتي د. تاناكا ويدور حوار قد ينتهي بأن يخبره عما حدث وذلك لضعف خالد

أمـام أسـتاذه المسـافر خـارج طوكيـو والمنتظـر أن يعـود صبـاح الغـد فيجـب عـلى خالـد الانتهـاء مـن تحليلاتـه مسـاء اليـوم إذا اسـتطاع، وأن يقـضي غـدًا في تحضـير العـرض العلمـي لاجتـماع بعـد غـد.. اسـتأذن خالـد ممـن كانـوا يتحدثـون معـه قاصـدًا المكتبـة باحثًـا عـن جـداول الأشـعة بالموقـع الإلكـتروني للمؤتمـر أو مراسـلة إدارة المؤتمـر للحصـول عـلى المعلومـات اليـوم خاصـة أن الفـارق هـو سـبع سـاعات بـين توقيـت اليابـان وأمـيركا.

يعشـق خالـد المكتبـة التـي تذكـره بأفخـم الأماكـن التـي دعـي فيهـا يومًـا لحضـور عقـد قـران ابنـة د. توفيـق حيـث كانـت القاعـة بهيـة مزينـة بديكـورات ولمسـات جماليـة، فبـدا المـكان وكأنـه تحفـة جماليـة تنظـر عـلى النـاس بعيـون هادئـة. يومهـا كان خالـد خريجًـا حديثًـا يعمـل في مكتبـة لبيـع الكتـب العلميـة القديمـة والجديـدة ليسـتمتع بقيمـة العمـل، ويوفـر دخـلًا لنفقاتـه وعـلى دراسـة الماجسـتير. يومهـا مـال خالـد عـلى د. توفيـق مازحًـا أن عقـد القـران في هـذا المـكان يـا أسـتاذي يوحـي بـأن حضرتـك أو العريـس في قمـة الـثراء، فالمـكان يبـدو لي خياليًّـا. ضحـك د. توفيـق مازحًـا هـو الآخـر قائـلًا: ومـن يقبـل الدعـوة في هـذا المـكان الخيـالي يـا تلميـذي العزيـز؟ يوحـي بأنـه مقبـل عـلى الـثراء. يـا خالـد تأجـير هـذا المـكان مكلـف ولكنهـا ضريبـة الآبـاء بـألا يقفـوا أمـام رغبـة الأبنـاء وأنـا اعشـق ابنتـي الوحيـدة فلهـا منـي في فرحهـا مـا اسـتطعت توفـيره عـلى مـر الحيـاة. الـثراء يـا خالـد أن تـثري مشـاعر النـاس بالـود والحـب والاحـترام، وأن تـثري عملـك بالإبـداع والإخـلاص. هـز خالـد رأسـه معجبًـا بتعبـيرات أسـتاذه الجميلـة والتـي ذكرتـه بمـا يفعلـه والـده.

اختـار خالـد مكانًـا في المكتبـة قريبًـا مـن الشـباك الـذي يطـل عـلى حديقـة المعهـد الأماميـة والتـي تـتراص فيهـا السـاعات بطريقـة حلزونيـة بديعـة، وهنـاك نافـورة بـكل جانـب مـن جوانـب الحديقـة وكأنهـا اختـارت هـذه الأماكـن طواعيـة ناحيـة الشـمال والجنـوب والـشرق والغـرب وكأنهـا الأرقـام الكـبرى للسـاعة. بـدا المنظـر بديعًـا مـن الطابـق الثالـث الـذي يفضلـه خالـد مـن ضمـن الطوابـق الأربـع وهـو ينظـر إلى تلـك النافـورات وهـي تنـثر ماءهـا رزّات خفيفـة في اتجـاه السـاعات مشـكلة في مجموعهـا عقـارب الدقائـق للسـاعات. مـا أجمـل هـذا المنظـر! إنـه الإبـداع الإنسـاني عندمـا يوقـع بأناملـه إعجابـه بجـمال الكـون بأقـل الإمكانـات.

أدار خالـد زر تشـغيل الكمبيوتـر، ثـم أدخـل كلمـة المـرور وكأنـه رئيـس دولـة يأخـذ قـرارًا حربيًّـا بالضغـط عـلى زر التحكـم في نظـام أمـن دولتـه، ابتسـم خالـد عندمـا شـعر بنفسـه اليـوم مختلفًـا بعـض الـشيء عـن المـرات السـابقة التـي زار فيهـا المكتبـة حيـث يبـدو أكـثر حرصًـا وتدقيقًـا وكأنـه يبحـث بالمواقـع الإلكترونيـة عـن عـلاج لمريـض أعيـاه المـرض. ينظـر خالـد إلى أصابـع يـده وهـي تكتـب اسـم المؤتمـر الـذي حـضره محمـود بأمريـكا فوجـد الموقـع بسـهولة مـن أول محاولـة مـع أنـه كان قـد نـسي الاسـم الكامـل للمؤتمـر، ولكنهـا تكنولوجيـا الإنترنـت الحديثـة التـي تتفاعـل مـع الإنسـان بـذكاء كبـير فتوفـر عليـه أخطـاء العقـل المزدحـم بواقـع وأمنيـات الحيـاة.

تنفـس خالـد الصعـداء وهـو يتصفـح موقـع المؤتمـر بعـد أن وجـد أيقونـة تأخـذه إلى الصفحـة التـي بهـا وقائـع الجلسـة، فوجـئ خالـد أن الدخـول لهـذه الصفحـة يحتـاج إلى كلمـة مـرور والتـي لا يـدري إذا كان محمـود سـوف يعطيهـا لـه أم لا، فهـذه أول مـرة يذهـب فيهـا محمـود لمؤتمـر دولي وقـد يكـون نـسي أن يحصـل عـلى هـذه الخدمـة خاصـة أنـه غـير مهتـم بهـا أو لأنـه قـد قـرر أن يحتفـظ بهـذه المعلومـات لنفسـه إلى أن يقدمهـا في الاجتـماع الأسـبوعي غـدًا.

احتـار خالـد مـاذا يفعـل وبـدون إحـداث جلجلـة، فقـرر أن يرسـل لمنظمـي المؤتمـر يسـألهم عـن كلمـة المـرور لهـذه الجلسـة لاهتمامـه بهـا مقدمًـا نفسـه كطالـب مـن طـلاب البروفسـير تانـاكا والـذي أرسـل أحـد طلابـه مـن المعمـل لحضـور فعاليـات المؤتمـر بعـد أن كتـب اسـم محمـود كامـلًا، وأرسـل خالـد الرسـالة ونسـخة منهـا لأسـتاذه د. تانـاكا حتـى يكـون عـلى علـم بهـذه الخطـوة، وأيضًـا كدليـل لمنظمـي المؤتمـر. السـاعة هنـاك حـوالي الثامنـة صباحًـا فعليـه أن يقـضي سـاعة في تصفـح المعلومـات الأخـرى عـن المؤتمـر أو قـراءة بعـض الأبحـاث الحديثـة في مجـال الأشـعة لعلـه قـد يصـل إلى شيء قبـل أن يأتيـه الـرد. مـرت هـذه السـاعة عـلى خالـد وكأنهـا الدهـر كلـه؛ لأنهـا سـوف تحسـم الأمـر برمتـه فيـما إذا كان سـوف يسـتطيع إيجـاد حـل لأرقامـه بنفسـه أم يقـف عنـد هـذا الحـد ويعطـي الموضـوع برمتـه إلى د. تانـاكا ليجـد الحـل بنفسـه إذا اسـتطاع.

ومـع عمـره الصغـير الـذي لا يتعـدى الثامنـة والعشريـن إلا أن تفكـير خالـد يبـدو لمـن يتحـدث إليـه وكأنـه فكـر الخمسـين. فقـد تعلـم خالـد مـن عملـه في

شـارع الحيـاة أن اللمسـة الأخـيرة هـي كلمـة الـسر وراء إظهـار النجـاح. تعلـم أن هنـاك مـن يعمـل ويفكـر ويجتهـد وينفـذ طـوال الليـل والنهـار إلى أن يبـدو كل شيء رائعًـا جميـلًا، ثـم يـأتي شـخص آخـر يقـدم كل هـذا العمـل بعـد اكتمالـه.

لم يتذمـر خالـد قـط مـن ذلـك لإيمانـه أن لـكل إنسـان دورًا في الحيـاة، وأن إضفـاء اللمسـات الأخـيرة وإظهارهـا لهـا رجالهـا بخبراتهـم وقدراتهـم وحقهـم بعـد إعطائهـم الفرصـة للآخريـن لـكي يجربـوا وينفـذوا ويتعلمـوا، ولذلـك حـرص خالـد حتـى آخـر لحظـة عـلى إيجـاد حـل نابـع مـن رغبتـه الشـخصية وطموحـه العلمـي بـأن يثبـت لنفسـه أنـه قـادر عـلى اتبـاع الفكـر العلمـي وإبداعـه في أحـلى صـورة ليتحـول مـن مجـرد أفـكار علميـة أساسـية إلى علـوم تطبيقيـة يسـتفيد العـالم منهـا. بالإضافـة إلى السـعادة الغامـرة التـي سـوف تتملـك والـده عندمـا يعلـم أن ابنـه الوحيـد حقـق لـه مـا يتمنـاه كل أب في أن يـرى ابنـه بهـذا الحجـم العلمـي، وهـذا يكفـي لجعـل خالـد يبحـر العـالم حتـى يصـل إلى حـل للغـز الأرقـام هـذا. كعادتـه تـرك خالـد خيـال كلماتـه تهيـم في بحـور الكلـمات في تسـجيل هـذه اللحظـة الفارقـة في حياتـه العلميـة بتدويـن بعـض الكلـمات التـي قـد تعـبر عـن هـذه اللحظـة.

أحـضر الأعـداد الأخـيرة مـن الدوريـات العلميـة العالميـة التـي تنـشر الأبحـاث في مجـال الأشـعة، وبـدأ يقرؤهـا واحـدة تلـو الأخـرى قـراءة سـطحية مركـزًا عـلى ملخصـات البحـوث وكأنـه يبحـث عـن إبـرة في كـوم مـن القـش. وللأسـف وبعـد أكـثر مـن سـاعة لم يجـد مـا يشـفي غليلـه فقـد كانـت جميـع الأبحـاث تسـتخدم نفـس جـدول الأشـعة المعـروف والـذي لم يتـم تحديثـه منـذ ثـلاث سـنوات. نظـر مـن شـباك المكتبـة وعينـاه عـلى صفـوف السـاعات بالحديقـة نظـرة تأمـل وكأنـه يبحـث عـن الحـل في هـذه السـاعات، ولكـن السـاعات لا تقـدم حلـولا هـي فقـط تسـجل الوقـت الـلازم لإيجـاد الحلـول حتـى ينتهـي دون أن تسـجل الوقـت الضائـع.. عندمـا ألقـى نظـرة عـلى السـاعات بالحديقـة خيـل إليـه أن عقاربهـا جميعًـا خرجـت مـن أماكنهـا تجاهـه، وكأنهـا السـيوف تطلـب رقبتـه أو كأنهـا السـنة خرجـت مـن أفـواه السـاعات تتشـفى في خيبتـه للوصـول إلى حـل في ترجمـة الأرقـام إلى أشـعة. حينئـذٍ انزعـج خالـد وأبعـد عينيـه عـن تلـك السـاعات التـي تبـدو لـه وكأنهـا تتحـداه مـع أنـه معجـب بهـا وبصفوفهـا وبجـمال منظرهـا الأخّاذ.

آه مـن تلـك السـاعات كيـف تتجـرأ عـلى هكـذا؟ أتفعـل في ذلـك وأنـا الـذي أقـضي الليـل والنهـار في إيجـاد طريقـة للتحكـم في دوران عقاربهـا، ومـن يـدري لعلهـا علمـت بذلـك فغضبـت منـي لأني أريـد التحكـم فيهـا وهـي حـرة لا تريـد أن تكـون مثـل البـشر عندمـا يعشـقون أن ينـال منهـم التحكـم. آه مـن تلـك السـاعات! الآن عرفـت لمـاذا يطلـق عـلى الأسـهم المعدنيـة التـي تشـير إلى الوقـت بهـا العقـارب. إن كل سـهم فيهـا هـو عقـرب يلسـع لسـعة كل ثانيـة وسـتون لسـعة كل دقيقـة و ٣٦٠٠ لسـعة كل سـاعة، وهكـذا يقـضي النـاس وقتهـم تحـت لسـع عقـارب السـاعات. إنـه الوقـت الـذي يلسـع العمـر فيذيـب سـاعاته فتتفـكك وتتـلاشى وتتحـول إلى مـاضٍ. لـن يفكـر خالـد الآن في السـاعات بنظراتـه الرومانسـية التـي كان يـرى بهـا السـاعات مـن قبـل فهـي الآن تسـخر منـه ومـن فشـله مـن إيجـاد حـل وتهـزأ بجلسـته الآن في المكتبـة، وهـو يقـضي وقتـه في الـلا شيء. نعـم، لقـد انتـصرت السـاعات.

أفـاق خالـد مـن كل هـذه الأفـكار التـي تملكتـه وكأنـه دخـل في معركـة عاليـة الوطيـس مـع عـدو كان يحسـبه صديـق. أفـاق خالـد عـلى صـوت رنـين السـاعة الكبـيرة التـي تتوسـط الحديقـة والتـي تتبعـه عـلى الفـور صـوت السـاعات الأخـرى الأصغـر حجـمًا وكأنهـا الأب وحولـه أولاده يـرددون مـا يقـول. الرنـين عاليًـا وكأنـه أصـوات أجـراس الكنيسـة التـي كان يسـمعها في الشـارع العمومـي الـذي كان يبيـع فيـه الجرائـد ويمسـح فيـه زجـاج السـيارات.

اتضـح لخالـد الآن المغـزى مـن وضـع هـذه السـاعات بهـذه الطريقـة الدقيقة فمؤكـد أن د. تانـاكا هـو صاحـب هـذه الفكـرة الماكـرة حتـى يثبـت كل يـوم لـه ولطلابـه قـدرة الوقـت عـلى التغلـب عـلى أصحـاب الوقـت. لـو كان ذلـك صحيحًـا فهـو ذكاء ليـس بعـده ذكاء، سـوف أناقـش د. تانـاكا في هـذه الملحوظـة في الوقـت المناسـب ... قالهـا خالـد في نفسـه وهـو ينظـر إلى السـاعات التـي في الحديقـة بعـد أن توقفـت عـن رنـين صوتهـا العـالي.

أحداث الحياة تتوقف دائمًا قبل النهايات

«أحببت بنت الجيران حبًّا صادقًا طهورًا لم أتذوقه من قبل. حب يدغدغ القلب، ثم جاء من يسرق مني هذا الحب قرب النهاية.. ثم كالعادة تركتني النهاية وحيدًا وذهب الحب بعيدًا إلى أحضان غيري».

انتهت الساعة تقريبًا وبدأت دقات قلب خالد تدق مخافة ألا يعطي المؤتمر له السماح بالاطلاع على المحتويات العلمية لهذه الجلسة مما يفقده آخر أمل تبقى له في حل لغز الأرقام التي يريد أن يترجمها إلى أشعة يستطيع توليدها فيما بعد. فتح خالد البريد الإلكتروني ليرى أي رسالة من المؤتمر. انشرح قلب خالد جدًّا عندما رأى رسالة من إدارة المؤتمر، ثم انقبض قلبه دون أن يدري لماذا عندما وجد رسالة أخرى من د. تاناكا؟ أترى إدارة المؤتمر أرسلت لأستاذه تخبره عن طلبه في الحصول على كلمة السر دون أن يعلم د. تاناكا وبالتالي غضب هو فبعث برسالة يوبخ خالدًا.

لو كان ذلك هو ما حدث فسوف تتحول ليلة خالد إلى مأتم علمي لأن د. تاناكا يتحول إلى شخص آخر تمامًا عندما يتملكه الغضب خاصة إذا كان الأمر متعلقًا بأخلاقيات العمل، وذلك كما فعل مع الطالب الروسي الذي لم يبين بعض النتائج عمدًا أثناء عرضها في اللقاء الأسبوعي مما أدى إلى طرده خارج المعهد لما علم بذلك د. تاناكا، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أرسل د. تاناكا خطابًا بما حدث إلى الجهة المانحة اليابانية وآخر لجامعته في روسيا مما كان له أثر بالغ في الطالب بألا يعود إلى اليابان مرة أخرى بغرض الدراسة، وكذلك لدى جامعته. ولكن خالد لم يفعل شيئًا من هذا القبيل، فهو أرسل نسخة من البريد الإلكتروني الذي أرسله إلى إدارة المؤتمر إلى د. تاناكا ليكون على علم. من يدري لعل هذا أغضب د. تاناكا من خالد الذي وضعه أمام الأمر الواقع وأن رسالة خالد له ما هي إلا تحصيل حاصل؟

عصفت كل هذه الأفكار المؤلمة في ذهن خالد لدرجة أنه تردد أن يفتح رسالة د. تاناكا، فقام بفتح رسالة المؤتمر أولًا، فوجد الرد محبطًا جدًّا، فقد رفضت إدارة المؤتمر إعطاءه كلمة المرور؛ لأن هذه الجلسة تحتوي على معلومات في غاية الأهمية والتي لا يمكن لأحد الاطلاع عليها إلا بإذن من أحد الأساتذة المعروفين والمسجلين عالميًّا بهذا المجال. لاحظ خالد أن الرسالة تم إرسالها منذ نصف ساعة تقريبًا وأنها مرسلة أيضًا لدكتور تاناكا في نفس الوقت. وهنا تأكد لخالد أن رسالة د. تاناكا له ما هي إلا انقلاب منه على الوجه الآخر، وأن الليلة هي ليلة مأتم خالد العلمي.

زاغت عينا خالد وبهت لونه وانخفض ضغطه وتغيرت ملامحه فبدا وكأنه شيخ في التسعين. تردد خالد في فتح رسالة د. تاناكا ولكنه فتحها دون أن يدري، ووقعت عيناه على سطر واحد من الكلمات بالإنجليزية يقول فيها: عزيزي خالد، لست أدري ما هي المعلومات التي تبحث عنها ولماذا؟ لأنها معلومات خارج المرحلة البحثية التي أنت بها حاليًا. هذه هي كلمة المرور لجلسة المؤتمر التي طلبتها من إدارة المؤتمر هي لك فأنا أثق بقدراتك العلمية، وأن فكرك العلمي سابق لزملائك ولعصرك. لك مني تحياتي إلى أن ألقاك غدًا في الاجتماع الأسبوعي. المخلص تاناكا.

شعر خالد أن قلبه يرقص السامبا في صدره حتى إنه في طريقه للخروج إلى خارج جسده ليرقص في أنحاء المكتبة احتفالًا بصيغة الخطاب التي تعكس ثقة أستاذه به ولفرحته بالحصول على كلمة المرور التي من المحتمل أن تفتح له سر مغارة علي بابا ليغرف من كنوز العلم بها ويصل إلى حل اللغز الذي أعياه، وجعل منه شخصية جديدة تشبه بشخصية شارلوك هولمز الأمريكية. ابتسم خالد ابتسامة كلها سعادة ورضاء فشكر الله وحمده كلحظة نجاحه في الثانوية العامة وكلحظة نجاحه في البكالوريوس بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وبلحظة حصوله على المنحة من الحكومة اليابانية. هذه هي الثلاث محطات الرئيسية في حياة خالد والتي شعر في كل لحظة منها أنه سلطان امتلك كل العالم وها هو الآن يشعر وأنه سلطان السلاطين.

أدخـل خالـد كلمـة المـرور والتـي فوجـئ أنهـا ليسـت بهـا أي حـروف، ولكنهـا عـدد طويـل وكأن إدارة المؤتمـر تعمـدت أن تكـون كلمـة المـرور عـلى هيئـة رقـم تماشـيًا مـع طبيعـة المحتـوى العلمـي للجلسـة، وهـي الأرقـام التـي تكون الأشـعة، عنـد كل رقـم يدخلـه يدعـو خالـد في نفسـه أن يكـون وراء هـذا العـدد معلومات تسـاعده في حـل اللغـز الـذي يواجهـه، واسـتمر خالـد في الدعـاء حتـى وصـل إلى آخـر رقـم مـن العـدد وهـو الرقـم اثنـا عـشر الـذي أخذتـه إلى صفحـة المؤتمـر والمحتـوى العلمـي للجلسـة. تفـاءل خالـد بعـدد كلمـة السـر لأنـه الرقـم المفضـل لديـه منـذ أن كان يلعـب كـرة القـدم مـع أقرانـه.

ظهـرت محتويـات الجلسـة العلميـة كمجموعـة محـاضرات علميـة بحتـة مـزودة بالعديـد مـن النتائـج عـلى هيئـة أشـكال لتوضيـح الخلاصـة مـن كل بحـث، وتملكـت خالـد سـعادة بالغـة عندمـا وجـد أن الأسـماء المقرونـة بـكل محـاضرة هـي لأسـاتذة عمالقـة في مجـال العلـوم الطبيعيـة، ومنهـم الحاصلـون عـلى جائـزة نوبـل للسـلام، ومنهـم مـن لـه كتـب مرجعيـة في هـذا المجـال، فيـا لـه مـن شرف كبـير أن يقـرأ خالـد أحـدث الأفـكار العلميـة لهـؤلاء العمالقـة قبـل أن يعلـم بهـا أي متخصـص آخـر. وبعـد انتهـاء قـراءة الملخصـات وجـد ملخصًـا نهائيًّـا لمحتويـات جميـع المحـاضرات. وبـكل لهفـة قفـز إلى آخـر الصفحـة ليتأكـد أن هنـاك جـدولا حديثًـا بـه أكـواد جديـدة بأرقـام جديـدة قـد تنـم عـن أشـعة جديـدة كالتـي سـجلها العـداد. وبالفعـل وجـد خالـد الجـدول مكتوبًـا تحتـه :»هـذا الجـدول هـو مزيـج مـن الجـدول القديـم مضافًـا إليـه مـا تـم التوصـل إليـه بالدليـل القاطـع في الثـلاث سـنوات الأخـيرة«.

وسـط هـذا الزخـم مـن المعلومـات قـرر خالـد أن يبـدأ بقـراءة ملخـص كل بحـث أولًا، وإذا اسـتعصى عليـه إدراك معلومـة يعـود إلى المحـاضرة نفسـها لـكي يطلـع عـلى التفاصيـل مـع كتابـة سـطر أو جملـة واحـدة عـن كل ملخـص. اسـتمتع خالـد بهـذه الطريقـة كثـيرًا؛ لأنهـا كانـت ومـا زالـت طريقتـه المفضلـة عنـد المذاكـرة ليجـد نفسـه في النهايـة مـزود بالعديـد مـن الأسـطر أو الجمـل البسـيطة والتـي تذكـره بمحتـوى الموضـوع الأصـلي كبيانـات عسـكرية ليـوم المعركـة الكـبرى يـوم الامتحـان. واسـتفاد خالـد كثـيرًا مـما قـرأ واسـتوعب أن بالفعـل هنـاك بـين السـطور مـا يفيـد باكتشـاف أشـعة جديـدة بأرقـام جديـدة

مـما طمأنـه باحتـمال وجـود أرقامـه بـين هـذه الأرقـام الجديـدة. ققفـز خالـد إلى الجـدول باحثًـا عـن أرقامـه فطـار فرحًـا عندمـا وجـد بعـض الأرقـام مطابقـة تمامًـا لأرقامـه مـما يـدل عـلى صحـة مـا توصـل إليـه.

أثلجـت هـذه الخلاصـة قلـب خالـد وملأته بفرحـة عارمـة جعلته يسـتمتع بكل لحظـه يعيشـها الآن، فهـا هـو قـد اطـمأن إلى أنـه عـلى حـق، وأنـه بفكـره اسـتطاع أن يحـول مشـاهداته البيتيـة إلى حقائـق علميـة، وأن مـا توصـل إليـه اسـتحوذ اهتـمام العلـماء الكبـار في هـذا المجـال والذيـن لخصـوا ذلـك في محاضراتهـم في فعاليـات هـذه الجلسـة. إذن يـا خالـد اليـوم ليـس مأتمـك العلمـي بـل هـو زفافـك العلمـي إلى مرحلـة علميـة جديـدة في حياتـك سـوف يحـدد معالمهـا د. تانـاكا. هكـذا قـال خالـد في نفسـه وكلـه سـعادة وافتخـار بمـا وصـل إليـه.

بعـد أن اطـمأن خالـد عـلى أنـه يسـير عـلى الطريـق الصحيـح، وأنـه لـن يكـون عرضـه غـدًا مسـار سـخرية ولـو مكتومـة مـن زملائـه, تسـاءل: ومـاذا عـن الأرقـام الأخـرى والتـي لم تـأتِ في الجـدول الجديـد؟ كيـف أثبتهـا علميًـا كـما تـم إثبـات الأرقـام الجديـدة الأخـرى؟ لا أسـتطيع أن أسـتخدم نفـس الطريقـة المعتـادة التـي يسـتخدمها الجميـع مـن توليـد الأشـعة مـن مصـدر أيًـا كان نوعه؟ ثـم تسـجيل الأرقـام الناتجـة. فهـذه الطريـق هـي المعتـادة في توليـد أشـعة مـن مصـدر علمـي معـروف، ولكـن في حالتـي المعلـوم هـي الأرقـام والمجهـول هـو الأشـعة. فكيـف لي أن أصـل إلى طريقـة لمعرفـة الأشـعة التـي تقابـل الأرقـام التـي لم أجـد لهـا مكانًـا في الجـدول الجديـد؟!

وفجـأة وهـو يقلـب محتويـات المحـاضرات والملخصـات والجـداول بطريقـة عشـوائية لإصابتـه بالضجـر وجـد خالـد عبـارة صغـيرة مكتوبـة تحـت الجـدول الجديـد تقـول: لا توجـد حتـى الآن طريقـة يمكـن مـن خلالهـا الاسـتدلال عـلى ماهيـة أي شـعاع إذا عـرف رقمـه والموضـوع مفتـوح للبحـث وسـوف تخصـص جائـزة لمـن يسـتطيع الوصـول إلى طريقـة جديـدة تصلـح لذلـك.

اغتـم خالـد لذلـك بعـد الفرحـة الكـبرى التـي ملأتـه منـذ قليـل، وعلّـق قائـلًا: هكـذا حـالي دائمًـا أعمـل بجـد واجتهـاد حتـى أكاد أصـل إلى النهايـة التـي أتمناهـا ولكـن أحـداث حيـاتي تتوقـف دائمًـا قبـل النهايـات. فهـا أنـذا لـدي كل شيء

لاكتشـاف علمـي قـد يكـون الأول مـن نوعـه، وودت أن أكملـه للنهايـة، ولكـن أبـت النهايـة تمامًـا كـما حـدث مـع تعيينـي معيـدًا بالكليـة عندمـا اجتهـدت وحصلـت عـلى كل التقديـرات المطلوبـة، وبتفـوق ولكـن لم تـأتِ النهايـة إليّ، بـل ذهبـت إلى غـيري وتركتنـي وحيـدًا بـلا نهايـة. ومـا حـدث في حبـي الأول والـذي قـد يكـون الأخـير.

وأحببـت بنـت الجـيران حبًّـا صادقًـا طهـورًا لم أتذوقـه مـن قبـل.. حـب يدغـدغ القلـب، ثـم جـاء مـن يـسرق منـي هـذا الحـب قـرب النهايـة، وتركتنـي النهايـة وحيـدًا وذهبـت بعيـدًا إلى أحضـان غـيري. هكـذا كتـب عـلي وهـذا مـا كنـت أقولـه لوالـدي دائمًـا: أنـا يـا أبي مثـل القلـم تمسـكه كل الأيـادي ليكتـب كل أنـواع الكلـمات بـلا ضجـر، ولكنـه يلقـى بـه قبـل نفـاذه في سـلة المهمـلات.

آه مــن تلــك الأرقـام والأشــعة المجهولــة الهويــة التــي جعلتنــي أتذكــر مــن كنـت أهواهـا، وجعلتنـي أهـوى بقلبـي إلى قـاع عقـلي لأسـتخرج منـه ذكريـات مـا قـد نسـيت. مـا الـذي جعلنـي أتذكـر حبـي الأول هنـا؟ أهـي نقمـة الأشـعة والأرقـام التـي لاحقتنـي منـذ ليلـة أمـس؟ أهـذا هـو كل مـا توصلـت إليـه بعـد كل هـذا العنـاء؟ أهـذه خطـة مـن العقـل أن يسـتدرجني كالطفـل الـبريء إلى حـلاوة الاكتشـافات والشـهرة العلميـة مـن خـلال تهيئـات علميـة أجـري وراءهـا كالـسراب.

أفعـل بي عقـلي ذلـك اتفاقًـا مـع قلبـي حتـى أصـل إلى بـؤرة قلبـي وعقـلي وهــي حبــي الأول؟ مـاذا يريـدان؟ هـل يريـداني الآن بعـد أن اسـتدركاني دون أن أدري لتذكــر حبــي الأول حتــى أنقــم عليــه وأكرهــه وأنــا في حالــة القلــق النفـسي الـذي أشـعر بـه حاليًـا تجـاه أرقامـي؟ أم أن قلبـي شـعر بجفـاف عاطفـي فاسـتعطف عقـلي أن يذكـرني بحبـي الأول لعـل أحاسـيس الحـب تتحـرك في وتهتـز فألجـأ إلى حـب جديـد؟

آه لـو أن مـا أفكـر فيـه صحيـح، فسـوف أقـع في فـخ كبـير اسـمه (الـسراب العلمـي) الـذي نسـجه لي عقـلي لـكي يسـتميلني إلى قلبـي! آه لـو كان ذلـك إذن فأنـا ريشـة في الهـواء لسـت مـدركًا بحقيقـة ثقـلي! آه لـو كان ذلـك! يـا تـرى كـم دفـع قلبـي لعقـلي مـن رشـوة لـكي يأخـذني إلى هـذا الاتجـاه عـن طريـق هـذا المسلسـل العلمـي الدرامـي؟ عـلى أيـة حـال لقـد اسـتفدت أن أتعقـل وأتدبـر؛ ولأن

أنـسى قلبـي دائمًـا، وأن نكـون أصدقـاء فأشركـه في قـراراتي حتـى ولـو كانـت علميـة.

لملـم خالـد حاجاتـه وهـو يصـارع حالـة الفرحـة بثبـوت فرضيتـه عـلى الأقـل نظريًّـا وبـين إخفاقـه أن يجـد حـلًّا كليًّـا لترجمـة كل أرقامـه التـي لم يتوصـل أحـد لهـا مـن قبـل فهـي الاكتشـاف الحقيقـي الـذي مـن الممكـن أن يسـجل باسـمه. هـز خالـد رأسـه محـاولًا إرضـاء نفسـه أن مـا توصلـت إليـه في يومـين هـو إنجـاز بـكل المقاييـس ويكفينـي فخـرًا بذلـك.

أخـذ طريقـه إلى مكتبـه بالمعمـل ليقـرر مـاذا هـو بفاعـل غـدًا في الاجتـماع الأسـبوعي فالسـاعة الآن قاربـت عـلى الرابعـة والنصـف، ويجـب عليـه الاكتفـاء بمـا توصـل إليـه وإنهـاء العـرض الـذي سـوف يقدمـه غـدًا عـن الموضـوع. عـاد خالـد إلى مكتبـه وأخـرج القصيـدة التـي كتبهـا لهمسـة بعـد أن انفصـل عنهـا فقد ألهبـت الذكريـات مشـاعره حتـى سـالت الدمـوع عـلى الورقـة التـي يحملهـا في صـدره منـذ ٧ سـنوات والتـي أعطـى لهـا عنـوان (شـعاع مسـافر) وكأن قلبـه كان يعلـم بقصـة الأشـعة التـي اكتشـفها وكأن حياتـه كلهـا شـعاع همسـة .

ألقـى خالـد جسـده الطويـل عـلى كـرسي المكتـب وكأنـه يرمـي كل همومـه التـي أثقلـت عليـه اليـوم وراء ظهـره لـكي ينهـي العـرض الـذي سـوف يقدمـه صباحًـا أمـام الجميـع. وقـرر أن يذهـب لغرفـة القهـوة لـكي يحتـسي مشروبـه المفضـل النسـكافيه قبـل أن يبـدأ في إنهـاء عـرض الغـد. وجـد خالـد العديـد مـن الزمـلاء هنـاك فصنـع لنفسـه كوبًـا وتسـامر مـع الجميـع دون أن يظهـر عليـه أي علامـات ضجـر وكأنـه تـرك همومـه عـلى مكتبـه بالمعمـل قبـل أنـا يجـيء حتـى يفيـق مـن الهمـوم العلميـة ولـو لدقائـق. ولكنـه لم يفـق فقـد سـأله السـيد والـذي أتى للمعمـل قبلـه بعامـين: هنيئًـا يـا خالـد النسـكافيه، لمـاذا أنـت عـلى عجـل؟ ابـقَ معنـا قليـلًا واحـكِ لنـا عـن مغامراتـك العلميـة يـا صديقـي، ومـاذا سـوف تخبرنـا أو تفاجئنـا بـه غـدًا؟ فكلنـا شـوق.

أنهـى خالـد احتسـاء كوبـه وهـم بغسـيله في الحـوض كـما اعتـاد الجميـع أن ينظـف كل فـرد أكوابـه أو أطباقـه التـي كتـب عليهـا اسـمه، ثـم نظـر إلى السـيد وبصـوت يـكاد لا يسـمع قائـلًا: مـا سـوف أقدمـه غـدًا يقـل أهميـة عـن مـا سـوف تقدمـه أنـت يـا سـيد فـلا تشـغل بالـك كثـيرًا بمغامـراتي العلميـة هـذه،

فـما هــي إلا مجـرد مغامـرات، وتمنيـاتي لـك أنـت أن تحقـق العلـم الحقيقـي الـذي نتطلـع إليـه للتحكـم في الوقـت. تـرك خالـد المـكان، وذهـب إلى مكتبـه لينهـي العـرض ليضـع فيـه كل مشـاهداته منـذ الليلـة قبـل الماضيـة بـما فيهـا اطلاعـه عـلى محتويـات جلسـة المؤتمـر عـن جـدول الأشـعة الجديـد.

بـدأ خالـد بـأول شريحـة في العـرض عـن الهـدف الأسـاسي للموضـوع، ثـم الثانيـة عـن الطـرق المختلفـة المقترحـة في المـشروع حسـب اقتراحـات د. تانـاكا، ثـم أخـرى عـن دور خالـد في طريقـة محـددة، ثـم أخـرى عـن إنجـازات خالـد في تحقيـق دوره حتـى الآن، ثـم انتقـل إلى المعلومـات الجديـدة التـي سـجلها طيلـة الأيـام السابـقة، والـذي أعطـى له عنـوان: مشـاهدات شـخصية لاكتشـافات علمية.

وضـع كل المشـاهدات مـن الألـف إلى اليـاء، وذلـك بوصـف كل ملاحظـة كـما شـاهدها تمامًـا، ثـم يتبعهـا بوصـف علمـي لنفـس المشـاهدة حتـى انتهـى إلى مـا حـدث مـع إدارة المؤتمـر ثـم موقـف د. تانـاكا الـذي كان درسًـا في الأسـتاذية الـذي لـن ينسـاه. بعـد مـا يقـرب مـن السـاعة وجـد خالـد نفسـه وقـد أنهـى العـرض بتسلسـل مقنـع وجـذاب فأعـاد عرضـه عـلى نفسـه حتـى يضبـط الوقـت المسـموح، وقـام بطبـع الجـدول الجديـد حتـى يوزعـه عـلى زملائـه غـدًا ليكونـوا عـلى علـم بمـا فيـه. أخـذ خالـد يرتـب أوراقـه اسـتعدادًا للعـودة إلى سـكنه لـكي يأخـذ قسـطًا مـن الراحـة التـي لم يهنـأ بهـا منـذ يومـين؛ ولان الجـدول الجديـد مختلـف إلى حـد كبـير عـن القديـم فضـل خالـد أن يعيـد قـراءة الجـدول الجديـد مـرة أخـرى ليكـون أكـثر درايـة بـه ليسـتطيع التوضيـح إذا سـأله أحـد.

جلـس خالـد أمـام المكتـب مـرة أخـرى وبـدأ يقـرأ في الجـدول بتفحـص وتـأنٍّ وكأنـه يقـرؤه لأول مـرة. وخـلال هـذه القـراءة المتأنيـة لاحـظ خالـد شـيئًا لم يلاحظـه أول مـرة وهـو أن هنـاك أرقامًـا بعينهـا تتكـرر كثـيرًا، ولكـن بنسـب وتوافقـات مختلفـة في الأعـداد المقابلـة لـكل نـوع مـن أنـواع الأشـعة. ملحوظـة لا يـدري إذا كان لهـا أي معنـي محـدد أم أنهـا مجـرد مصادفـة؛ ولأن النظريـات العلميـة لا تعتمـد عـلى المصادفـة، بـل عـلى الحقائـق المؤكـدة وتكرارهـا بصـورة منطقيـة فقـد أعـاد خالـد قـراءة الجـدول أكـثر مـن عـشرة مـرات وفي كل مـرة يضـع خطًّـا بلـون مختلـف تحـت هـذه الأرقـام التـي تتكـرر في كل عـدد.

تأكـد أن ملاحظتـه قـد تكـون مبنيـة عـلى نظريـة معينـة، وتحتـاج هـذه النظريـة إلى اختبارهـا إذا كانـت حقيقيـة أم لا. بـدأ يشـحذ ذهنـه ليجـد طريقًـا يسـتطيع بـه أن يختـبر فرضيتـه هـذه خاصـة أن الأعـداد التـي تكـررت فيهـا هـذه الأرقـام كانـت كثـيرة سـواء كانـت بـالجدول القديـم أو الجديـد. كانـت هـذه الملاحظـة مفاجـأة كبـيرة لخالـد لم يتوقـع أن يلاحظهـا هكـذا وهـو ينهـي أعـمال اليـوم بعـد أن قـرر قفـل هـذا الملـف عنـد النقطـة التـي توصـل إليهـا، وأن يـترك الباقـي لأسـتاذه د. تانـاكا. أطلـق خالـد عينيـه لسـقف الحجـرة متحدثًـا مـع نفسـه أيكـون مـا أفكـر بـه صحيحًـا؟ أيكـون ذلـك هـو الحـل العلمـي والمنطقـي لمـا كنـت أبحـث عنـه لحـل لغـز ترجمـة أي عـدد إلى شـعاع محـدد؟ لـو كان ذلـك صحيحًـا فلـماذا لم تخطـر هـذه الفكـرة عـلى أي باحـث متخصـص مـن قبـل أو عـلى الأقـل يفكـر فيـه؟ لمـاذا تـم وضـع الإعـلان بخـط صغـير تحـت الجـدول الجديـد بدرجـة تجعلـه غـير واضـح للقـارئ؟ أكان هـذا لاقتنـاع المؤتمـر أن الأمـر جـد عسـير أم كوسـيلة لاكتشـاف مـن يدقـق ويمحـص بعـين العـالم في كل شيء حتـى ولـو كان غـير واضـح.

اسـتغرب خالـد مـن هـذه الملاحظـة في الدقائـق الأخـيرة التـي ولـدت كل هـذه الأسـئلة في ذهنـه الآن. عـلى أيـة حـال لـو كان مـا أفكـر بـه صحيحًـا فقـد تتـاح لي الفرصـة بـأن أحصـل عـلى الجائـزة التـي أعلنـت عنهـا إدارة المؤتمـر لمـن يجـد طريقـة عامـة لتحويـل أي عـدد إلى شـعاع محـدد. أيًّـا كانـت الأسـباب والدوافـع فالـذي يهـم الآن هـو كيـف أؤكـد أن ملاحظتـي ممكـن تطبيقهـا بالفعـل عـلى أي عـدد وأي شـعاع.

تذكـر خالـد أحـد دروس البيولوجيـا في تخليـك البروتينـات في أجسـادنا وهـي أن كل حامـض أمينـي لـه كـود مـن ثلاثـة حـروف مـن خلالـه يتـم التعـرف عـلى اسـم الحامـض الأمينـي والعكـس صحيـح، وبالتـالي فـإن قـراءة تتابـع الأكـواد كلهـا أي الحـروف كلهـا يـؤدي إلى معرفـة البروتـين المطلـوب تكوينـه بالكامـل، وبالمثـل فمـن الممكـن معرفـة نـوع الشـعاع مـن تتابـع محـدد مـن الأعـداد في كل رقـم والعكـس صحيـح فـإن معرفـة الشـعاع يـؤدي إلى معرفـة مؤكـده للأرقـام المكونـة للعـدد الخـاص بهـذا الشـعاع.

بعـد أن اطـمأن خالـد لهـذا التحليـل الـذي أخـذه بالقيـاس البيولوجـي فكـر أن يطبـق هـذه القاعـدة البيولوجيـة عـلى أرقـام الأعـداد التـي لديـه. فقـام بحـصر الأرقـام التـي تتكـرر ومـدى تكرارهـا بأعـداد معينـة، وبالتـالي ارتباطهـا بأشـعة معينـة، وبعـد مـا يقـرب مـن السـاعة انتهـى خالـد مـن عمـل هـذه القائمـة، ثـم وضعهـا في برنامـج إحصـائي متقـدم كان قـد تـدرب عليـه في معهـد علـوم وحاسـبات في القاهـرة، وأحـضره معـه إلى اليابـان. وبعـد أن أدخـل البيانـات برمـج البرنامـج عـلى أن يتعـرف عـلى اسـم الشـعاع إذا تعـرف عـلى رقـم أو أرقـام محددة في رقـم معـين حتـى وإن احتـوى هـذا العـدد عـلى أرقـام أخـرى. ثـم اسـتخدم البرنامـج في معرفـة كل شـعاع وذلـك بعـد إدخـال الرقـم المحـدد المطابـق لـه.

بـدأ خالـد بتطبيـق البرنامـج عـلى الأشـعة المعروفـة في الجـدول القديـم ليبرهـن بالدليـل القاطـع عـلى صحـة نظريتـه تلـك، وبالفعـل لقـد نجـح البرنامـج في التعـرف عـلى جميـع الأشـعة بمجـرد إدخـال الأرقـام الدالـة عليهـا، ثـم قـام بتطبيـق البرنامـج عـلى الأشـعة التـي تـم التعـرف عليهـا حديثًـا في المؤتمـر، وبالفعـل اسـتطاع البرنامـج التعـرف عـلى هـذه الأشـعة بصـورة متناهيـة الدقـة بمجـرد إدخـال الأرقـام المطلوبـة، ومـن خـلال تلـك التجربـة تأكـد لخالـد أن الأكـواد التـي تعـرف عليهـا هـي بالفعـل ممكـن اسـتخدامها في التعـرف عـلى أي شـعاع. ابتسـم خالـد ابتسـامة كلهـا رضـاء وفـرح فهـا قـد أعطـاه اللـه الـسر والجائـزة في آخـر لحظـة حتـى يكتشـف صـبره وتصميمـه عـلى المعرفـة الحقـة. أدخـل خالـد تتابعـات الأرقـام الجديـدة التـي سـجلها عـداد الأشـعة الخـاص بـه والتـي لم يسـجلها أي باحـث متخصـص مـن قبـل، وحصـل خالـد عـلى أسـماء الأشـعة المفترضـة والتـي تقابـل هـذه الأعـداد، صمـم جـدولا ثالثًـا يحتـوي عـلى كل أسـماء الأشـعة التـي بالجـدول القديـم والجديـد والتـي توصـل هـو لهـا نظريًّا بهـذا البرنامـج، وبهـذا يسـتطيع خالـد أن يولـد الأشـعة التـي رآهـا في حجرتـه، وذلـك ببرمجـة مولـد الأشـعة عـلى الكـود الموجـود بالجـدول الجديـد.

لم يصـدق خالـد نفسـه وهـو يصـل وبهـدوء وبتسلسـل منطقـي لم يقصـده أبـدًا، ولكنـه أتى كأمـواج البحـر تباعًـا في شـد وجـذر إلى أن اسـتقر عـلى شـاطئ عقلـه راميًـا بـكل خـيرات البحـر مـرة واحـدة. شـكر اللـه شـكرًا كبـيرًا وقـام وسـجد عـلى أرض المعمـل عـلى توفيـق اللـه لـه بـأن يصـل إلى هـذه النتيجـة

المنطقيـة مـن مجـرد ملاحظـات ليليـة لم يكـن أبـدًا يقصدهـا إلى أن أكرمـه اللـه وجعلـه ينـسى عـداد الأشـعة في جيبـه ليسـجل مـا قـد توصـل إليـه مـن أشـعة جديـدة ممكـن توليدهـا بدقـة متناهيـة عنـد الحاجـة إليهـا. ومـا سـوف يركـز عليـه خالـد هـي الأشـعة التـي قـد يكـون لهـا القـدرة في التحكـم في الوقـت لتحـدث تغـيرات نفـس وقتيـة كالتـي شـعر بهـا عندمـا تعـرض لهـذه الأشـعة في حجرتـه منـذ يومـين. فـما عليـك يـا خالـد الآن إلا أن تضيـف هـذه النهايـة إلى العـرض لاجتـماع غـدًا، ثـم الذهـاب إلى البيـت للراحـة حتـى تكـون جاهـزًا لمفاجـأة غـدًا لأسـتاذه وزملائـه. إنهـا سـوف تكـون مفاجـأة المفاجـآت.

جمـع خالـد أغراضـه ورتـب مكتبـه وغـادر المعهـد مـارًّا بـين السـاعات المتراصـة بالحديقـة ناظـرًا إليهـا بعيـون جديـدة متأمـلًا فيهـا وكأنـه يخاطبهـا: «إن غـدًا موعـده لقريـب»، فقـد حـان اللقـاء بينـي وبينـك لـكي أتحكـم في دقـات ودوران عقاربـك ليبحـر العـالم في أوقاتـك، وسـوف تتحقـق أحلامـي التـي أحملهـا عـلى كتفـي في يـوم مـا، وأنشـد في نفسـه:

أحلام العمر ترقص وتنشد الأمنيات

وقامرت سماوات الأمل وأرض الآلام

فحملت أحلامي ضاحكة على الأكتاف

وثقلت الأحمال ولن تسقط الأحلام

وجدتها وجدتها

«العلـم أفـكار ثائـرة لا تنـام ولـو انطفـأت كل الأنـوار، يبقـى العقـل مضيئًـا ... فالعلـم لا يعتمـد عـلى زمـان أو مـكان، ولكـن عـلى الوقـت الـذي يحـدده العلـم ذاتـه».

اسـتقل خالـد القطـار عائـدًا إلى سـكنه وكلـه سـعادة، وتمنـى أن يخـبر كل مـن في القطـار بإنجـازه الـذي توصـل إليـه دون غـيره في هـذه المدينـة المزدحمـة بالملايـين، فسـوف يكتـب التاريـخ غـدًا يـوم ولادتي العلميـة. صحـا خالـد عـلى صـوت القطـار وهـو يتوقـف في محطـة مسـكنه فنـزل مسرعًـا تمـلأ وجـه ابتسـامة كادت تتحـول إلى ضحكـة هيسـتيرية إلا أنـه أمسـك شـفتيه واكتفـى بالبسـمة وهـو يقـول سـاخرًا بداخلـه: لقـد ابتـدا التغيـير النفسـوقتي بالفعـل فهـا أنـا قـد وصلـت إلى محطتـي في لمـح العـين في رحلـة كانـت تأخـذ السـاعة.. هـذه بـشرى عـلى أن كل شيء سـوف يتحقـق بـإذن اللـه.

ومـا أن صعـد خالـد إلى حجرتـه في الـدور العـاشر حتـى قصـد الشـباك الـذي عـاش مـن خلالـه اكتشـافه الجديـد، وابتسـم وهـو يتطلـع إلى السـماء: لا تمطـري اليـوم أيتهـا السـماء، ولا تأتنـي برعـد أو بـرق فأنـا لسـت عـلى اسـتعداد اليـوم لأن أعيـش معـكِ قصـة حـب أخـرى، فيكفينـي حـب شـعاع واحـد. وكأن السـماء كانـت تعلـم بمـا في ذهنـه فبـدت صافيـة صفـاء زرقـة البحـر والنجـوم تتـلألأ هنـاك راقصـة وكأنهـا تحيـي مجيئـه إلى غرفتـه، فألقـى بجسـده عـلى السريـر محاطًـا بـسقف الحجـرة قائـلا لهـا: أنـتِ سـمائي التـي أرى فيهـا كل أحلامـي، أنـتِ سـمائي الصغـيرة التـي أرسـم فيهـا آمـالي. أنـت سـمائي التـي تحوينـي وتغطـي آلامـي. واسترسـل في انسـيابية هادئـة وكأنـه يسـتمد مـن سـقف غرفتـه أقراصـه المنومـة ورويـدًا رويـدًا راح خالـد في النـوم دون أن يـدري فنـام نومـة العـروس حتـى أيقظـه نـور الصبـاح الـذي أطـل عليـه مـن الشـباك الـذي نـسي أن يقفـل عليـه السـتائر، فـكان محظوظًـا كعادتـه وإلا فقـد كان عرضـة ألا يحـضر اجتـماع اليـوم وكأنـه اجتـماع مجلـس الأمـن.

أفـاق خالـد ونظـر إلى السـاعات المعلقـة عـلى حوائـط غرفتـه والتـي أشـارت إلى السادسـة فهـدأت نفسـه القلقـة، فـما زال لديـه الوقـت لإنجـاز مراسـم الصبـاح التـي تعـود عليهـا وغابـت عنـه طيلـة اليومـين الماضيـين. توضـأ خالـد وصـلى وتنـاول مـا لديـه مـن بواقـي الفطـور وحمـل شـنطته قاصـدًا القطـار إلى اجتـماع اليـوم المشـهود.

السـاعة الثامنـة والنصـف ومعظـم الزمـلاء يحتسـون مشروباتهـم السـاخنة، والـكل يـردد تحيـة الصبـاح عـلى الطريقـة اليابانيـة: «أوهايـو جوزايمـص» والتـي يسـتمتع خالـد كثـيرًا بسـماعها لمـا لهـا مـن جـرس موسـيقي جميـل. دخـل زميلـه السـيد وصديقـه محمـود وتبـادلا التحيـات، وسـأله السـيد: هـل أنـت جاهـز اليـوم لإلقـاء عرضـك العلمـي عـن مـا أخفيتـه علينـا طيلـة يومـين؟ نحـن شـغوفون لنعـرف مـاذا وراء «وجدتهـا وجدتهـا» التـي هـزت أركان المعمـل، مؤكـد أن لديـك اكتشـافًا علميًّـا كبـيرًا. أعقـب السـيد كلماتـه بضحكـة عاليـة ابتسـم لهـا خالـد وعـاد إلى مكتبـه هـو ومحمـود دون تعليـق. همـس محمـود في أذن خالـد قبـل أن يتركـه إلى المعمـل الآخـر قائـلًا: لا تنـسَ أن تشـير لي اليـوم عـلى حبيبـة القلـب شـعاع لأعـرف مـن هـي مـن البنـات. كلي شـوق أن أراهـا يـا صديقـي. ابتسـم خالـد وقـال: مؤكـد سـأفعل، ولكـن في الوقـت المناسـب لأني أيضًـا متشـوق أن أعـرف رد فعلـك أنـت الآخـر عندمـا تتعـرف عـلى حبـيبة قلبي.

«أوهايـو جوزايمـاص» قالهـا د. تانـاكا ملقيًـا صباحـه عـلى الجميـع ومعقبًـا: «منـا أوجنـكي ديسـكا» مطمئنًـا عـلى أن الجميـع بخـير. رد الجميـع عـلى التحيـة في صـوت واحـد فانعكـس رنينـه في القاعـة وكأنـه صـدى كـورال يغنـي وراء المطـرب بالتـزام شـديد. نظـر د. تانـاكا إلى قائمـة طلابـه ليبـدأ مـن عليـه الـدور في إلقـاء العـرض، وبـدأ ثلاثـة طـلاب يابانيـين، ثـم السـيد، ثـم طالـب صينـي، ثـم آخـر كـوري بعـد أن أدلى كل بعرضـه الـذي تـراوح مـن عـشر إلى خمسـة عـشر دقيقـة. وحينئـذٍ طلـب د. تانـاكا وقـف العـروض للاسـترخاء لمـدة عـشر دقائـق، ثـم العـودة لسـماع محمـود، ثـم خالـد. لم يـترك خالـد أو محمـود قاعـة الاجتـماع، وانشـغل محمـود بمراجعـة عرضـه الـذي سـوف يقدمـه عـن المؤتمـر الـذي حـضره في أمريـكا وكيفيـة اسـتفادته مـن نتائـج المؤتمـر في أبحاثـه وأبحـاث المعمـل ككل.

عـرض محمـود فعاليـات المؤتمـر جلسـة جلسـة مـع التركيـز عـلى بعـض المحـاضرات العامـة، ثـم عـرض بإحصائيـات عـن المؤتمـر مـن حيـث عـدد الحاضريـن وأعـداد البحـوث المقدمـة وعـدد الـدول وعـدد المعامـل الممثلـة مـن اليابـان، ثـم ذكـر توصيـات المؤتمـر النهائيـة، ولم يفوتـه في النهايـة أن يعطـي معلومـات عـن المدينـة التـي أقيـم فيهـا المؤتمـر، وأهـم معالمهـا مـع بعـض الصـور للبنـات الجميـلات هنـاك، وضحـك الجميـع عندمـا عـرض صـورة لفتـاة تعـرف عليهـا هنـاك، وصـارا أصدقـاء في أقـل مـن أسـبوع. ضحـك معهـم د. تانـاكا الـذي فاجـأ محمـود بسـؤال فوجـئ بـه أيضًـا خالـد, ومـاذا عـن الجلسـة الخاصـة بجـدول الأشـعة الجديـد، ألا يوجـد أي معلومـات عنـه؟

لم يسـتطع محمـود أن يـرد بمعلومـات مفيـدة غـير أن هـذه الجلسـة كانـت خاصـة للمتخصصـين. رد د. تانـاكا باقتضـاب: ألسـت أنـت مـن ضمـن المتخصصـين؟ ألم تكـن تسـتطيع أن تتواصـل معـي لحـل أي عقبـات لتذليلهـا لـك إذا طلبـت؟ رد محمـود والخجـل يمـلأ وجهـه: أنـا اعتقـدت أن ذلـك ليـس مـن تخصـصي؛ لأن مجـال أبحـاثي ليـس عـن تطويـر أنـواع جديـدة مـن الأشـعة، ولكـن نعـم كان يجب حتـى يسـتفيد المعمـل كلـه طالمـا أني ذهبـت هنـاك لتمثيـل المعمـل ككل. تأسـف محمـود عـلى الطريقـة اليابانيـة «جومنـا سـاي» د. تانـاكا عـلى هـذا التقصـير. عمومًـا لا تقلـق محمـود مـن يـدري لعـل أحـد طـلابي ذهـب هنـاك وعلـم بمـا توصلـت إليـه الجلسـة دون أن يكلفنـي تذاكـر الطـيران. لم يسـتطع محمـود التعليـق وأنهـى عرضـه وجلـس ليفسـح لخالـد في إلقـاء العـرض الأخـير اليـوم.

بـدأ خالـد بالعـرض كـما أعـده متنقـلًا بسلاسـة مـن نبذة بسـيطة عـن الهدف الأسـاسي لمـشروع د. تانـاكا وهـو الوصـول إلى تكنولوجيـا جديـدة للتحكـم، ثـم قـدم دوره في المـشروع، ثـم مـا تـم إنجـازه في الثلاثـة شـهور الأخـيرة وكأنـه يريـد أن يذكـر الحاضريـن بالمـشروع مـع أنهـم جميعًـا يحفظونـه عـن ظهـر قلـب، ودوره الـذي لم يسـتطع مـن خلالـه أن يصـل إلى شيء مفيـد، وكأنـه يمهـد إلى أن مـا توصـل إليـه في يومـين اثنـين مـن خـلال ملاحظـات ومشـاهدات منزليـة أهـم بكثـير مـما قـام بـه في خـلال عـام. إلى الآن ليـس هنـاك جديـد يذكـر للحاضريـن ناهيـك عـن الرسـالة السـلبية التـي تنعكـس مـن هـذا العـرض الـذي يبـدو وكأنـه

تهكـم أو معارضـة غـير صريحـة للمـشروع الـذي لم يتمخـض عـن شيء ذي قيمـه منـذ الإفصـاح عنـه مـن عامـين. ولكـن د. تانـاكا يثـق بخالـد فاضطجـع بكرسـيه للـوراء وكأنـه يعلـم أن خالـدًا سـوف ينتقـل بالحاضريـن الآن إلى مفاجـأة كبـيرة، وذلـك عكـس ظنـون باقـي الحاضريـن الذيـن اعتقـدوا أن هـذا هـو كل مـا عنـده اليـوم مـن معلومـات، وقـد يكـون ذلـك السـبب وراء تعمـد إرجائـه عـرض خالـد إلى آخـر القائمـة.

بعـد برهـة مـن الصمـت والانتظـار فاجـأ خالـد الجميـع بشريحـة مكتـوب عليهـا: (العلـم لا يعتمـد عـلى زمـان أو مـكان ولكـن عـلى الوقـت الـذي يحـدده العلـم ذاتـه). لم يفهـم الجميـع مـاذا يقصـد خالـد بهـذا الـكلام، ولكـن لفـت نظرهـم اسـتخدام كلمـة الوقـت والزمـن كمعـاني مختلفـة. نظـر خالـد إلى سـقف الحجـرة وفاجـأ الجميـع بـأن أمسـك بــكوب الشـاي، ثـم أفرغـه عـلى الأرض بطريقـة فجائيـة وكأنـه انكـب منـه دون قصـد.

هنـا صـاح الجميـع عليـه بـأن يأخـذ بالـه مـن الكـوب الـذي انكـسر وتحـول إلى شـظايا عـلى الأرض. فـرد خالـد مبتسـمًا: ومـاذا عـن المـاء الـذي بالكـوب بعـد أن انكـب عـلى الأرض آخـذًا معـه ألـوان بعـض الأقـلام المتناثـرة عـلى منضـدة الاجتماعـات فاختلـط بهـا المـاء وتحـول إلى خليـط مـن ألـوان وكأنهـا ألـوان الطيـف. لم يفهـم الحـاضرون أيًّـا مـن كلام أو تعبـيرات خالـد الجسـدية إلا أن د. تانـاكا ظـل ناظـرًا إلى خالـد وكلـه شـغف بـأن يعـرف مـا بعقلـه ومـاذا يريـد أن يقـول، فقـد شـعر أنـه أمـام عقليـة علميـة مـن الطـراز الأول.. عقليـة فاهمـة واعيـة غـير تقليديـة، عقليـة باحـث عـن الحقيقـة قـادر عـلى توصيـل المعلومـة بطريقـة الصدمـات وهـي الطريقـة التـي تناسـب الباحثـين في مجـال الإشـعاعات.

تسـاءل السـيد: مـاذا تريـد أن تقـول يـا خالـد؟ أتريـد أن تعطينـا درسًـا في السـحر؟ إن مـا تقولـه ليـس لـه علاقـة بمـا قمـت عرضتـه مـن دقائـق. ابتسـم خالـد وهنـأ السـيد عـلى ذكائـه المفـرط وكـم هـو لمـاح، ولكـن في حـدود مـا يقـال وليـس مـا سـوف يقـال. ابتسـم د. تانـاكا ابتسـامة ماكـرة وهـو ينظـر إلى كل منهـما ويـده عـلى خـده بـدون أي تعليـق في انتظـار مـا سـوف يقولـه خالـد.

شرح خالـد الفـرق بـين الباحـث الـذي يـرى الأشـياء بعـين المشـاهد والباحـث الـذي يشـاهد، ثـم يحلـل الظواهـر، فهنـاك مـن انشـغل بكـسر الكـوب والبلـل

الـذي حـدث، وهنـاك مـن لم ينتبـه أو يحلـل لمـاذا أصبـح المـاء بهـذا الخليـط مـن الألـوان، وبهـذه السرعـة الغريبـة، وهـل سريـان المـاء عـلى الأرض يختلـف بـين المـاء العـادي والملـون؟ أنـا أعلـم أن الـكل قـد يعلـم إجابـة هـذه الأسـئلة، فالمشـكلة ليسـت في الإجابـة، ولكـن في حضـور الذهـن وشـحذ قدرتـه عـلى أن يطـرح الأسـئلة. اسـتمر خالـد في بقيـة العـرض الـذي اعتقـد زمـلاؤه أنـه انتهـى وبـدا بصـورة للسـحاب الممطـر ويظهـر فيـه الرعـد والـبرق شـارحًا بعـد برهـة صمـت كيـف أنـه شـخصيًّا ينزعـج كثـيرًا مـن رؤيـة وسـماع الـبرق والرعـد خاصـة ليـلًا حيـث ينتابـه شـعور نفـسي غريـب يقـترب مـن القلـق النفـسي الـذي يأخـذه إلى عـالم آخـر لا يـدري مـا هـو.

ثـم انتقـل إلى الشريحـة التاليـة مبينًـا فيـه فيديـو للرعـد والـبرق وهـو ينعكس عـلى إطـار إحـدى الشرفـات الزجاجيـة، ومـا يصـدر مـن ألـوان مختلفـة لحظـة اصطـدام الـبرق والرعـد بالزجـاج. وهنـا توقـف خالـد برهـة قبـل أن ينتقـل إلى الشريحـة القادمـة، هـل دل ذلـك عـلى أي شيء للحاضريـن؟ وجـه هـذا السـؤال وكأنـه عـالم كبـير يلقـي محـاضرة مهمـة مدعـوًّا إليهـا بدعـوة خاصـة تليـق بمقامه.

لم يـرد أحـد وكذلـك لم يـرد د. تانـاكا الـذي بـدا عليـه الآن الاسـتمتاع بهـذا السـجال المعلومـاتي غـير المبـاشر والـذي لم يعتـدْ عليـه في معملـه وبـين طلابـه مـن قبـل فهـو الآن أمـام تجربـة جديـدة مـن طـرق العـرض العلمـي المشـوقة والتـي لم يعتـدْ عليهـا فأصبـح كلـه شـغف أن يعـرف مـا بذهـن خالـد، فمـن الواضـح أن لديـه أمـرًا يعرفـه خـير المعرفـة تجعلـه يعـرض وكأنـه محـاضر وليـس طالـب، فهـو لا يعـرض بـل يسـتعرض معلوماتـه التـي توصـل إليهـا، ولكـن بتحكـم شـديد. مؤكـد أن خالـدًا لديـه شيء هـام متعلـق بالرقـم الـسري الـذي طلبـه، مـا أجمـل هـذا الأسـلوب فقـد أحببـت هـذا ولسـوف أجربـه! ردد د. تانـاكا ذلـك في نفسـه مبتسـمًا قـد انتـشى بفكـرة أن يكـون بمنزلـة الطالـب الـذي يتعلـم مـن أحـد تلاميـذه.

قـال وهـو يشـير إلى الفيديـو: هـذا مـا حـدث لي منـذ يومـين وأنـا في شرفـة حجـرتي، فقـد داهمنـي الـبرق والرعـد ليـلًا فـور عـودتي إلى سـكني وكانـت قوتـه شـديدة، فـما كان منـي إلا أن حميـت عينـيّ وأذنيّ بمـا لـدي في المطبـخ المجـاور للشـباك الزجاجـي. فأمسـكت بالأغطيـة الزجاجيـة، ودافعـت بهـا عـن نفـسي مـن شراسـة قـوة الـبرق والرعـد حيـث أنـا -وكـما قلـت- لا أحبهـما وأقلـق منهـما.

استمر في وصف ما حدث من رؤيته لألوان الطيف المختلفة وتغيير مزاجه النفسي المصاحب لتعرضه للأشعة وتأثير زجاج الشباك في الأشعة، ثم انتقل إلى العداد الذي نسيه أول مرة في جيب بنطلونه مفتوحًا، وتسجيل أعداد لا يعرفها على العداد واكتشافه لاحقًا أن هذه الأعداد هي بصمات الأشعة.

استمر خالد يتنقل في تسلسل من شريحة إلى أخرى مبينًا فيها الخطوات التي مر بها منذ اكتشافه وجود الأعداد على العداد حتى توصله إلى تحليلها والوصول إلى الجدول الجديد الذي صممه بنفسه بعد أن استطاع فك شفرة الأعداد الجديدة التي لم تسجل من قبل. وكيف أن د. تاناكا كان كريمًا معه بقبول إعطائه كلمة المرور فور سؤاله عنها وكيف أن ذلك كان سببًا في الدخول على موقع المؤتمر، وكيف أنه توصل من خلال برنامج إحصائي من الوصول إلى أرقام محددة يستطيع بها التعرف على أي شعاع أو تكوين أي شعاع بمجرد معرفة الرقم والذي يمثل إنجازًا عالميًّا في هذا المجال.

وصل إلى نهاية العرض وهي التوصيات بنشر هذه النتائج المهمة في أحد الدوريات العلمية على قمة الهرم العلمي، ثم إثبات نظريته عن طريق توليد أشعة من أي رقم والعكس، ثم التوصية الأخيرة وهي إيجاد الأشخاص المتبرعين لدراسة تأثير الأشعة في التحكم في الوقت والمزاج. وقبل أن يختم خالد عرضه العلمي هذا عرض شريحة بها رسمة شعاع ساطع من ضوء شمعة وشعاع آخر من الشمس معلقًا بابتسامة تملأ وجهه هذه هي حبيبة القلب شعاع التي أحببتها منذ يومين فقط، وهمت في حبها شوقًا أنها الشعاع الذي أنار لي عقلي وطريقًا لباب علم جديد, إنه كل شعاع أستطيع أن أتعرف عليه دون عناء، إنه كل عدد أستطيع أن أولد منه شعاعًا من دون عناء.

نظر خالد وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة تجاه محمود غامزًا بعينه وهو يتحدث عن محبوبته شعاع، وهنا فهم محمود من هي شعاع التي أحبها خالد فابتسم هو الآخر، وقال في نفسه: حسابك معي يا خالد، وعقابي لك أن تعزمني على العشاء اليوم. ابتسم خالد ردًّا على ابتسامة محمود وكأنهما يتحدثان بلغة الابتسامات. وأعقب خالد تقديم «شعاع» بالشمس المشرقة والقادمة من الركن السفلي الأيمن من الشريحة وحولها خريطة اليابان صادرة منها لأعلى على باقي العالم وكأنه يريد أن يقول: إن الشعاع

الـذي تحـدث عنـه يرمـز لإشراقـة اليابـان.. البلـد التـي لا تغيـب عنهـا الشـمس.

الأشـعة هـي مصـدر الـدفء، ومصـدر النـور، ومصـدر ألـوان الطيـف، ومصدر كلـمات الشـعراء، ورمـز الإشراق والحـب والعشـق، وفـوق كل ذلـك فـإن الأشـعة تشـكل بـل تحـدد المواقيـت، فبهـا نعـرف الليـل مـن النهـار، وبهـا يتشـكل الصبـح والظهـيرة والعـصر والمغـرب والسـحر والـشروق. ومـن أكـثر الظواهـر العلميـة والحياتيـة التـي شـغلتني في طفولتـي هـي كينونـة الأشـعة والوقـت، وهـل هنـاك رابـط بينهـما. تعـودت أن أصحـو عندمـا تـشرق الشـمس وأعـود مـن الدراسـة أو العمـل عندمـا يحـين وقـت الغـروب.. وشـكر الحاضريـن عـلى الطريقـة اليابانيـة «أريجاتـو جوزياماشـتا».

«أيـي ديسـنيه» أي أحسـنت يـا خالـد، طريقـة العـرض مشـوقة، وقدمتهـا بطريقـة مختلفـة ومتمكنـة. «أريجاتـو» شـكرًا د. تانـاكا. الآن وبعـد أن توصلـت إلى هـذه النتيجـة النظريـة والتوصيـات التـي ذكرتهـا يـا خالـد مـاذا في ذهنـك بالتحديـد إذا ثبـت معمليًّـا فرضيتـك بإمكانيـة توليـد الأشـعة مـن مجـرد أرقـام، وعلاقـة ذلـك بالتحكـم في الوقـت؟ وإذا تـم التأكـد مـا هـي رؤيتك لتصنيـع نموذج مصغـر يمكـن للتحكـم في الوقـت؟ وقبـل كل ذلـك هـل لديـك أي معلومـات مـن الحيـاة تشـير إلى إمكانيـة التحكـم في الوقـت بطريقـة واضحـة؟ لاحـظ د. تانـاكا خالـد ينصـت باهتـمام إلى أسـئلته وعينـاه تحلـق أحيانًـا في سـقف الحجـرة وأحيانًـا أخـرى إلى الشريحـة المعروضـة, فطلـب منـه أن يؤجـل الإجابـة عـن هـذه الأسـئلة إلى الاجتـماع القـادم إذ كان يحتـاج قـراءة وتفكـير أكـثر نظـرًا لأهميـة الموضـوع. إلا أن خالـدًا سـعد بهـذه الأسـئلة كثـيرًا لأنـه قـد فكـر فيهـا ودونهـا في مدوناتـه المعمليـة مـن قبـل، ولم يشـأ أن يعرضهـا في الاجتـماع قبـل أن يجـد استحسـانًا بفكرتـه لـدى أسـتاذه وزملائـه.

أنـا جاهـز تمامًـا للإجابـة عـن هـذه الأسـئلة. أمـا بالنسـبة للسـؤال الأول لإثبـات النظريـة عمليًّـا فهـذا ليـس عسـيرًا بعـد أن توصلـت إلى الشـفرة العدديـة، فـكل مـا عـليّ فعلـه هـو أن أغـذي مولـد الأشـعة بكـود الأرقـام الـذي توصلـت إليـه لـكل شـعاع ليقـوم المولـد بتوليـد الشـعاع المطلـوب، وبعـد ذلـك يتـم عكس التجربـة حيـث أقـوم بتسـليط الشـعاع الـذي تـم توليـده عـلى مولـد أشـعة آخـر

متصل به عداد لتسجيل الأرقام المناظرة للشعاع. ثم أقوم بمقارنة الرقم الذي سجله العداد مع الكود الذي غذيت به المولد الأول؛ فإذا تطابقا فهذا دليل على صحة الكود، وسوف أكرر هذه التجربة عشر مرات للتأكد من تكرار نتائجها كل مرة، وسوف أكرر ذلك على كل كود قمت بالتوصل إليه، ولكن سوف أبدأ بالأشعة المعروفة أولًا، ثم أتبعها بالأشعة الجديدة التي تم التعرف على كودها من دراستي.

نظر الجميع إلى خالد وهو يقوم بالإجابة عن سؤال د. تاناكا غير مصدقين أنه قد توصل إلى هذه النتائج القيمة والتي لم يتوصل إليها أحد من قبل وانبهارهم بطريقة رده السلسة والمنظمة والمرتبة والمقنعة وكأنه ليس بطالب أحدث بكثير من بعض الطلبة بالمعمل، مثل السيد الذي سبقه بعام على الأقل وما زال خالي الوفاض من أي نتائج قابلة للنشر مما اضطر د. تاناكا إلى إنذاره بعدم استمراريته في البحث مما جعل السيد يطلب من د. تاناكا أن يضمه إلى مشروع آخر أبسط من هذا المشروع، وقد وافق د. تاناكا على طلب السيد بعد تفكير طويل. نظر زملاء خالد إليه بانبهار ما عدا محمودًا الذي يثق كثيرًا في قدرات خالد العلمية والذهنية. بدا خالد لزملائه وكأنه بروفيسير زائر يعطي محاضرة ينقل فيها خبراته المعملية الكبيرة.

خالد بين الحرمان وتحقيق الإبداعات

«الحرمـان أنـف نستنشـق بـه الشـقاء ... ولكـن أيضًـا نشـم بـه رائحـة المجـد حـين يتحقـق ... فبـدون الحرمـان كيـف نشـعر بــقيمة تحقيـق الأحـلام فالحرمـان عـود ثقـاب الإبـداع ... وتحـدي الحرمـان هـو شرارة الإبـداع... ووراء كل ناجـح قصـة إبـداع بطلهـا الحرمـان ... يمـوت الحرمـان ويبقـى فيهـا البطـل...»

كانـت لحظـة مشـاعر حانيـة لا ينسـاها أبـدًا, لحظـة نبـض فيهـا وريـد الحـب الدافـئ بقلبـه أراد أن يعـبر فيهـا عـن حبـه لهمسـة عندمـا وعدهـا ذات يـوم أنـه سـوف يفعـل المسـتحيل ليكـون في وضـع مـشرف لهـا بـين النـاس أيًّـا كان هـؤلاء النـاس. تمنـى خالـد أن يسـجل اللحظـة التـي يـرى فيهـا أسـتاذه قبـل زملائـه يعجـب ليـس فقـط بفكرتـه والنتائـج التـي توصـل إليهـا بـل أيضًـا بطريقـه عرضـه الشـيقة وسرعـة ردـه المنطقـي عـلى أسـئلة أسـتاذه. كـم تمنـى أن يسـجلها لتراهـا همسـة ووالـده وأحمـد صديـق العمـر. وكـم تمنـى أن تكـون همسـة هنـا ضمـن الحاضريـن حتـى وإن كانـت قـد بعـدت عنـه رسـميًّا، وأصبحـت تسـكن في أركان عـالم رجـل آخـر. ليتهـا هنـا ليـس للتشـفي، ولكـن لتتأكـد مـن صـدق نوايـاه وكلماتـه عندمـا أخبرهـا بأنـه يحبهـا حبًّـا يتسـع لـكل الكلـمات، حبًّـا يجعلـه يتحكـم في كل شيء حتـى ولـو كان الوقـت الـذي يحـول بينـه وبـين تحقيـق مطالب أسرتهـا التـي كانـت تحتـاج إلى عـشر سـنوات عـلى الأقـل لمـن في مثـل حالـه.

آه يـا همسـة لـو كنـتِ هنـا لـكان كل شيء جميـلًا جـمالًا بـكل ألـوان الطيف. كـم أتمنـى أن تكـوني هنـا لـكي أقدمـك إلى صديقـي الحبيـب محمـود بأنـك شـعاع الحقيقيـة التـي كنـت أدور في شمسـها. ومـا شـعاع اليـوم الـذي تحدثـت عنـه يـا همسـة إلا إشـعاع عينيـك وانعكاسـه في قلبـي كلـما افترقنـا. ولكنـك لسـت هنـا يـا همسـة، وسـيبقى شـعاعك في قلبـي لينـير لي ظلمـة وحـدة مشـاعري لعلهـا تنـير يومًـا بالشـعاع الـذي اكتشـفته هنـا في اليابـان . كـم كنـت أتمنـى فـك كـود شـعاعك لأكـون بجانبـك ولكنـي كنـت بـلا عـداد أشـعة ولا مولـد ولا أي إمكانـات

إلا حبـي لـكي الـذي تولـد وافـترش داخـلي.

كانــت لحظــة مــن أجمــل لحظــات الحيــاة عندمــا همــس خالــد في أذن همســة، وبخفـة حتـى لا يشـعر بـه أحـد مـن الواقفـين في السـوبر ماركـت قائـلًا: أريـدك ضروري، ثـم دس في سـلة مشـترياتها ورقـة طواهـا بعنايـة وكأنهـا حجـاب. ابتسـمت همسـه في خجـل واسـتمرت في الـشراء حتـى لا يلاحظهـا أحـد. يتذكـر خالـد هـذه اللحظـة وكأنهـا لحظـة ميـلاده , لحظـة تولـدت يـوم تخرجـه مـن الكليـة وحصولـه عـلى تقديـر امتيـاز مـع مرتبـة الـشرف, عندمـا سـاقته فرحتـه إلى هسـمة لتشـاركه نبضـات قلبـه الـذي كاد أن يتوقـف عـن الخفقـان.

حـرص خالـد عـلى همسـة جعلـه لا يجـرؤ أبـدًا أن يطلـب منهــا أن يتقابـلا خـارج الحـارة ليعـبرا عـن حبهـما ويسـمع صوتهـا وهـي تشـدو بجانبـه باسـمه بعيـدًا عـن عيـون الحـارة، فـكان حريصًـا ألا يقـع حبـه تحـت طائلـة أعـراف أهـل الحـارة والأقـارب، وهمسـة لم تـرد أن تضـع حبهـا لخالـد تحـت مطـارق أهلهـا الذيـن كانـوا يقدمـون لهـا كل يـوم عريسًـا عنـده كل الامتيـازات إلا مشـاعر همسـة لـكل مـن تقـدم , ترفـض باسـتمرار بحجـة الانتهـاء مـن دراسـتها الجامعيـة.

عشـقت همسـه الفنـون الجميلـة، وكان رسـمها جميـلا ومعـبرا وذا خطـوط قصـيرة وصغـيرة وكأنهـا تعكـس ملامحهـا الدقيقـة والمتناسـقة والمبتسـمة في رسـوماتها دون أن تـدري. والدهـا كان يعمـل مأمـورًا للضرائـب يهابـه أهـل الحـارة بمـا لديـه مـن نفـوذ مـن خـلال عملـه فطبعـت طبيعـة عملـه في ذهـن أهـل الحـارة جديتـه الشـديدة الممزوجـة بالغلظـة. وقـد كان هـذا الشـعور لـدى خالـد أيضًـا مثلـه مثـل أهـل الحـارة، فوالـد همسـة يعتـد بنفسـه كثـيرًا، وقليـل الحديـث مـع أهـل الحـارة ولا يبادلهـم الزيـارات في المناسـبات كعـادة الجميـع.

لم يكـن يشـغل ذلـك خالـد كثـيرًا إلا عندمـا تملكـه حـب همسـة شـعر بـالقلق، ومـن طريقـة فكـره المتعاليـة. أمـا والـدة همسـة فهـي إنسـانة رائعـة بـكل معـاني الكلمـة، فهـي إنسـانة حبوبـة ومحبوبـة وكأنهـا تريـد أن تعـوض أهل الحـارة غلظـة زوجهـا غـير المرحـب بـه. اجتماعيـة جـدًا، وتـزور النـاس، وتسـأل عنهـم، وتسـاعدهم وقـت المحـن وكأنهـا اكتسـبت تلـك الصفـات مـن مهنتهـا كصحفيـة تكتـب مقـالات وتحقيقـات مـن وقـت لآخـر في صفحـة الاجتماعيـات.

عرفهـا خالـد عـن قـرب عندمـا زارتـه في منزلـه واسـتأذنته أن تكتـب تحقيقًـا صحفيًّـا عـن الحرمـان وتحقيـق الإبداعـات لما علمـت بتفوقـه السـاحق في كليـة مـن أصعـب الكليـات مـع حرمانـه مـن كثـير مـن الإمكانـات المتوفـرة في أيـدي الكثـير، ولكـن يسـتهينوا بهـا بـل أحيانًـا تكـون سـبب المفسـدات.

وافـق خالـد عـن رحـب وقتهـا بـشرط ألا تنـشر اسـمه أو صورتـه، وعـلى أن تغـير العنـوان مـن «الحرمـان وتحقيـق الإبداعـات» إلى الحرمـان مـن الإمكانـات وتحقيـق الإبداعـات» لاقتناعـه بأنـه ليـس محرومًـا إلا مـن الإمكانـات الماديـة، أمـا المعنويـة التـي كان يسـتمدها مـن والدتـه، والآن مـن والـده فهـو ينهـل منهـا ويسـتقي أعـذب المشـاعر، فهـي سـنده الأكـبر في الحيـاة، وافقـت أم همسـة عـلى طلبـات خالـد وسـعدت بـه وبفكـره وثقافتـه العاليـة، وأظهـرت لـه احتراماتهـا البالغـة مـع حنـان خفـي لشـاب فيـه صفـات الابـن البـار .

تشـبه همسـة والدتهـا كثـيرًا خاصـة وأنهـا البنـت الوحيـدة، فكانـت هـي الأخـرى حبوبـة ومحبوبـة مـن الجميـع صغـارًا وكبـارًا، وكأن أمهـا غرسـت فيهـا جينـات الجـمال والخفـة والابتسـام والتواضـع والحـس المرهـف وكأن والدهـا لم يشـأ أن يورثهـا أي مـن جيناتـه إلا التـي تتعلـق بالأنفـة والشـجاعة والإقـدام. وهكـذا بـدت همسـة مزيجًـا مـن الجـمال والشـقاوة البريئـة الغضـة والإحسـاس المرهـف والخجـل كالغـزال والـذي يتحـول إلى صقـر أو نمـر يقاتـل إذا تعـدى أحـد حـدود الأهـل أو الجـيران. بـدت همسـه لخالـد أنثـى تجمعـت فيهـا الأنوثـة أشـكالا وألوانًـا، بـدت إليـه مختلفـة عـن كل مـا قابلهـم ومـن سـوف يقابلهـم، فخطفـت قلبـه بـلا اسـتئذان وهـو الـذي لم يفكـر يومًـا في الحـب ولم يسـعَ إليـه ولم يكـن أبـدًا في الحسـبان. ولكـن جـاءت همسـة في لحظـة تاريخيـة تجعـل منـه العاشـق الولهـان.

كتـب خالـد في الورقـة المطويـة: «عزيـزتي همسـة، لقـد نجحـت بتقديـر امتيـاز مـع مرتبـة الـشرف, أهـدي إليـكِ هـذا النجـاح، وأتمنـى أن أقابلـك غـدًا السـبت في كليـة الفنـون الجميلـة آخـر النهـار لـكي تشـاركيني فرحتـي». طـارت همسـة مـن الفـرح لمـا قـرأت هـذه الكلـمات، فقـد كانـت تنتظـر منـه ذلـك لـكي تحـكي لـه عـن أمـور حياتهـا، وتسـعد بصحبتـه، وبالنظـر إلى عينيـه اللتـين تسـكنهما أمـواج

البحـر الهادئـة. حـضر خالـد في الميعـاد وكانـت همسـة قـد انتهـت مـن العمـل عـلى مشروعهـا الصيفـي والـذي اختارتـه لرسـم العيـون التـي تعـبر عـن المشـاعر بأنواعهـا.

مـد يـده إليهـا ليسـلم فمـدت يدهـا تعانـق كفـه وكلهـا سـعادة ومـرح، ثـم أخذتـه مـن يـده كالطفلـة البريئـة لـكي يـرى آخـر رسـوماتها في المـشروع الـذي تعكـف عليـه لـزوم تخرجهـا بعـد عامـين. شـعر خالـد أن حلـو الحيـاة يجـري في خطـوة كفـه، وأن كل خطـوط نهـر عـزب لحيـاة حـب لم يعشـها، ولكـن بـدأت مياههـا تجـري فيـه بمجـرد أن لمـس يـد همسـة تجـري في روحـه تهدهـد الاشـتياق لحـب كبـير ينبـع هنـاك مـن نظـرات همسـة. تناثـرت السـعادة مـن عيـون همسـة وهـي تراقـب عينـي خالـد وهـو ينظـر إلى لوحاتهـا ثـم ينظـر إلى عيونهـا قائـلًا: عينـاكِ هـما الأحـلى، يسـكن فيهـما الجـمال وتتحـدث فيهـما المشـاعر، مـا تحتاجينـه يـا همسـة هـو رسـم عينيـكِ بديـلًا عـن كل هـذه العيون.

ليـس لـدي مانـع يـا خالـد، ولكـن أن ترسـم عينـيّ أنـت, ردت همسـة بـضحكة كلهـا خجـل ودلال. أنـا لا أرسـم عينيـكِ يـا همسـة، أنـا أسـكنهما وأعيش فيهـما، ولا يوجـد ولـن يوجـد أحـد غـيري ينظـر إليهـما كـما أنظـر أنـا، ولـن يحنـو إليهـما مثـل مـا أحنـو أنـا. شـعرت همسـة بخجـل شـديد فأخـذت خالـد مـن كلماتـه فهـما مـا زالا في الكليـة والنـاس حولهـما فسـألته: ولمـاذا يـا دكتـور كتبـت لي عزيـزتي؟ أنـا فعـلا عزيزتـك أم شيء آخـر؟

وكأنـه كان يتوقـع السـؤال ابتسـم بشـفتيه وضحـك بعينيـه وقـال: كتبتهـا لـكي أسـمع منـكِ هـذا السـؤال، وأسـتمتع بسـماعه وأنتـشي بالإجابـة عنـه. أنـتِ عزيـزة قلبـي وحبيبـة عمـري ونسـيم روحـي، أنـتِ كل المعـاني الجميلـة التـي خلقهـا اللـه في حـواء، أنـتِ النقـاء والصفـاء، أنـتِ مـن لا أقـدر أن أصـف حسـنه فأنـت كل النـاس. زاد خجـل همسـة وأحسـت بمشـاعر خالـد الجياشـة وأحسـت بنفسـها تتـوق إلى سـماع كلماتـه، ولكـن المـكان غـير مناسـب فأخذتـه مـن يـده لتريـه الكليـة عـلى عجـل فذهبـا وهـي كالطفلـة التـي تلهـو يـوم عيـد ميلادهـا فقضيـا أحـلى الأوقـات وهـما يتجـولان بـين أماكـن المحـاضرات لـكي يعـرف أيـن تجلـس وأيـن تقـضي أوقاتهـا.

فاجـأت همسـة خالـد بـأن أمهـا سـوف تـأتي لتأخذهـا وهـي عائـده مـن العمـل بعـد حـوالي السـاعة مـن الآن وهـي تريـد أن تقدمـه لأمهـا. فوجـئ خالـد

بجـرأة همسـة وقـال:

-هذه جرأة كبيرة منا يا همسة ونحن لم نجلس سويًّا بعد.

-إنهـا ليسـت جـرأة يـا خالـد فحسـب، ولكنهـا أيضًـا ثقـة في حبـي وفي أمـي، فقـد بحـت لهـا بمشـاعري فهـي صديقتـي قبـل أن تكـون أمـي. لا تخـف يـا خالـد فهـي تحبـك وتحترمـك جـدًّا، وسـوف تأخذنـا بسـيارتها للاحتفـال بنجاحـك السـاحق يـا دكتـور.

فـرح خالـد جـدًّا بـكلام همسـة، وطلـب منهـا أن يذهبـا إلى كافيتريـا الكليـة ليحتفـلا سـويًّا قبـل أي أحـد آخـر.

-مـا أحـلاك مـن خالـد، ردت همسـة بفرحـه ومشـيا سـويًّا في صمـت الأحبـة حتـى جلسـا وجهًـا لوجـه وهـما غـير مصدقـين.

-ألـف مـبروك يـا خالـد لقـد فرحـت لـك كثـيرًا أكـثر مـن فرحتـي بنجاحـي ودخـولي كليـة الفنـون الجميلـة والتـي كانـت لي الأمنيـة الكـبرى، ولكـن أصبحـت أنـت كل أمنيـات حيـاتي وأتمنـى مـن كل قلبـي أن يتـم تكليفـك معيـدًا كـما كنـت تتمنـى وتعمـل لهـا دائمًـا. وأنـا فرحتـي بـك يـا همسـة الآن طغـت عـلى كل الأمنيـات، فتحقيقهـا لـن يشـعرني بـأي سـعادة إلا إذا كنـتِ معـي وكنـا سـويًّا طـوال العمـر. هـذا مـا أتمنـاه يـا خالـد مـن كل قلبـي، ولذلـك دعـوت أمـي اليـوم لـكي أقدمـك إليهـا. هـي تعرفنـي جيـدًا وأنـا كذلـك يـا همسـة، أنسـيتِ أنهـا كتبـت تحقيقًـا عـن الحرمـان مـن الإمكانـات والإبـداع منـذ شـهور وقبـل أن يولـد حبنـا وقـد اتخذتنـي نموذجًـا في تحقيقهـا؟

-طبعًـا يـا خالـد أعلـم ذلـك، ولكـن تقديمـك لهـا اليـوم مختلـف فأنـا أريدهـا أن تبـارك علاقتنـا وتقـف بجانبنـا لأني أتوقـع عـدم موافقـة والـدي.

-أعلم ذلك يا همسة، فهو مختلف عن والدتك وطموحه فيكِ مختلف.

-هـذا مؤكـد يـا خالـد، وهنـاك العديـد ممـن تقدمـوا إليّ ووافـق عليهـم والـدي وطلـب منـي في كل مـرة أن أوافـق لعـدم وجـود مـا يمنـع خاصـة أنهـم جميعًـا مـن وجهـة نظـر والـدي مناسـبون تمامًـا وظيفيًّـا وماديًّـا واجتماعيًّـا.

-وما هو الحل يا همسة؟ فإذا كان الوضع كذلك فلن يوافق والدك عليّ حتى لو كنت معيدًا في الجامعة؟!

-لا لا، ماما قالت إنها ممكن تقنعه لو تم تكليفك معيدًا لأن ذلك معناه وظيفة محترمة ومستقبل ممتاز خاصة أن والدي لا يعارض رغبتي الجامحة في دراسة الماجستير والدكتوراه.

-وماذا إذا لم يتم تعييني؟

-إن شاء الله تتعين يا خالد فأنت الأول ولا أحد مثلك، فلا تيأس وكن متفائلا من أجلنا.

-أنا متفائل جدًّا، ولكن لا أضمن الواقع حتى آخر لحظة، فنحن لا نعلم ما يخبئه القدر.

-إن شاء الله كل خير أنا متفائلة جدًّا وعندي شعور لا يوصف بحب الحياة الآن وأنت معي، وفخورة جدًّا بنفسي أني معك الآن. عمومًا لنترك هذا الكلام إلى أن تأتي ماما ودعني أعزمك على أحلى مشروب هنا لنتذوقه معًا احتفالًا بك وبلقائنا الأول.

ابتسم خالد ابتسامة كلها حب ونشوة وهو يقول:

إذا كان علي يا ريت تطلبي شربات.

ضحكت همسة: لا لا, الشربات ده في ميعاده وله طقوس لا بد من الحفاظ عليها لتكون ذكرى لنا.

-عمومًا يا همسة أي ما تطلبيه لنا هو شربات في معناه ومذاقه، اطلبي ما تشائين فكل اختياراتك هي الأحلى وأنا أريد أن تكون ذكرى جميلة لنا أن أتذكر دومًا أي شيء تطلبيه.

-أوك، أنا أعشق النسكافيه، هل تحبه؟

-بصراحة لم أشربه قبل اليوم، ولكني متشوق أن نشربه سويًّا. طلبت همسة النسكافيه واحتسياه سويًّا على أنغام دقات قلوبهما الحالمة

ونظراتهـما المعـبرة عـن كل كلـمات الحـب الجميلـة.

وقبـل أن ينتهيـا مـن احتسـاء النسـكافيه وقبـل أن يذوبـا في صمـت العشـق جـاءت أم همسـة تعلـو شـفتيها ابتسـامة عريضـة وعيـون كلهـا حنـان وهـي تقـول: أهـلا بيـك يـا خالـد، هـذه ثالـث مـرة نتقابـل في عـام واحـد، سـعيدة برؤيتـك مـرة أخـرى.

نهـض خالـد وبـأدب جـم ليسـلم عـلى أم همسـة ويشـكرها عـلى كلماتهـا المشـجعة قائـلًا:

-اليـوم مختلـف عـن المرتـين السـابقتين، فقلبـي هـو الـذي جـاء اليـوم وليـس عقـلي كـما أتيـت إليـك في السـابق.

-كلامـك جميـل يـا خالـد وتعبيراتـك راقيـة؛ ولذلـك فأنـا سـعيدة بحـب همسـة لـك، وجئـت لأباركـه ولأبـارك نجاحـك وتفوقـك، فألـف مـبروك، ودائمًـا في تفـوق وهـذا مـا أشـعر بـه، بـل أنـا عـلى يقـين بـه إن شـاء اللـه.

-أنـا سـعيد جـدًّا بثقتـك فيّ، وسـوف أكـون عـلى قـدر المسـئولية، فهمسـة هي كل العـالم لي وبدونهـا سـوف يتـلاشى العـالم في عيـوني، ولـن تبقـى منـه إلا البنايات والنـاس، ولكـن بـلا أي إحسـاس. أنـا أحببـت همسـة وأحببـت عائلـة همسـة وكل مـن لـه علاقـة بهمسـة، ولكنـي أخـشى رفـض والدهـا.

-انتظـر إلى أن يتـم تعيينـك وتعـالَ أنـت ووالـدك وأنـا سـوف أكـون بجانبـك فـلا تقلـق.

-وماذا لو لم يتم تعييني؛ فأنا لا أضمن التعيين؟

-إن شـاء اللـه تتعـين وتكـون دكتـور كبـير في المسـتقبل, أيـه يـا همسـة لمـاذا لا تتكلمـين؟

-أنـا أسـعد بنقاشـكما يـا مامـا وأسـجله في قلبـي وعقـلي ليكـون ذكـرى لي طـوال العمـر.

-دعينـي أطلـب شـيئًا نشربـه جميعـا كنخـب هـذه اللحظـة الجميلـة. -شربنـا نسـكافيه يـا مامـا، ولكـن فلنـشرب مـا تختارينـه فنحـن كلنـا وشـهية مفتوحـة.

ضحـك الجميـع وتمنـى خالـد وتمنـت همسـة أن يطـول الوقـت ويطـول، ولكـن كالعـادة الوقـت الجميـل ينتهـي سريعًـا. ومضيـا كل في طريقـه عـلى أمـل اللقـاء في بيـت عائلـة همسـة.

بعـد أن انتهـى قـرار التعيـين ولم يتمكـن خالـد مـن الحصـول عـلى وظيفـة معيـد شـعر وأن العـالم كلـه يـدور حـول الفـراغ وكأنـه لم يعـد موجـودًا عـلى ظهـر الأرض وكأنـه يتصعـد إلى السـماء وتتخطفـه الطـير حتـى حولتـه إربًـا إربـا. لم يـدرِ خالـد مـاذا يفعـل فمحبوبتـه أمامـه، ولا يسـتطيع أن يقنـع والدهـا الـذي كان يتوقـع رفضـه حتـى وإن تـم تعيينـه، الحـال أصبـح أسـوأ الآن. تحـدث خالـد مـع والـده وقـص لـه كل شيء، فـما كان مـن والـده إلا أن ربـت عـلى كتفـه بحنان بالـغ ناصحًـا إيـاه ألا يذهـب؛ لأنـه يعلـم جيـدًا كيـف يفكـر والـد همسـة؟ ألـح خالـد عـلى والـده أن يذهبـا لعـل وعـسى يقتنـع والـد همسـة عندمـا يعلـم بـأني سـوف أدرس الماجسـتير وأعمـل أعـمالًا خاصـة إلى أن أقبـل في منحـة دكتـوراه إلى اليابـان أو أمريـكا مـما سـوف يفتـح لي أبـواب العمـل في مـصر عندمـا أعـود. لم يسـتطع عـم صابـر رفـض طلـب ابنـه الوحيـد فرغبتـه تبـدو جامحـة تجـاه هـذا الحـب الكبـير خاصـة بعـد أن اطـمأن أن همسـة هـي الأخـرى تبادلـه الحـب، وأن أمهـا تبـارك هـذا الحـب العـذري الصـافي.

أخـبر خالـد همسـة بمـا حـدث فشـجعته أن يـأتي ليقابـل والدهـا، وأن يقـدم لـه كل أمانيـه وأحلامـه وطموحاتـه، وأنهـا هـي وأمهـا سـوف يعملـون المسـتحيل لإقنـاع والدهـا، فهـي فخـورة بكفاحـه وتفوقـه وشـخصه وبـره بوالديـه وبحبـه الكبـير الـذي حافـظ عليـه مـن كل معـاول الراغبـين في إفسـاده لـو علمـوا.

ذهـب عـم صابـر مـع خالـد في اليـوم الـذي حـدده والـد همسـة عـلى مضض، وكان اللقـاء رتيبًـا غـير مرحـب بـه، وكان فرصـة لوالـد همسـة أن يفـرض عضلاتـه الاجتماعيـة والوظيفيـة والماديـة التـي لا تعنـي لخالـد ولا أبيـه أي شيء ولكنهـما قبـلا هـذا الاسـتعلاء عـلى اسـتحياء مـن أجـل همسـة والتـي كانـت تتسـمع في بـكاء لم يشـفع لـدى والدهـا ولا تدخـل أمهـا. كان والـد همسـة فظًّـا غليظًـا كعادتـه, عـدد الخطـاب وإمكاناتهـم وقـارن خالـد بهـم حتـى زادت المهانـة حدها فاسـتأذن عـم صابـر وهـو ممسـك بيـد خالـد التـي تسـمرت في الكـرسي الـذي كان

قد ابتلعه وكاد أن يمتص دمه وعظامه من شدة الصدمة التي كان يتوقعها إلا أنه كان يحدوه الأمل بعد أن قدم قائمة من الطموحات المستقبلية. ولكن لا شيء يجدي مع والد همسة الذي تحول إلى مصارع، بل محارب يمتلك كل الأسلحة ويمتلك الجائزة، يمتلك همسة التي لا يملك خالد سوى حبه لها، حبه الذي يفوق كل الإمكانات ولكن والدها لا يعترف إلا بالإمكانات المادية الذي طلب من خالد وأبيه أن يعداه بألا يكون هناك أي اتصال مع همسة، وإلا سوف تكون بداية لا يحمد عقبى نهايتها. انتفض عم صابر وهم بالانصراف وهو يقول: أخلاقنا لا تسمح بغض النظر عن التهديدات.

وبهذا الوعد انتهت علاقة خالد بهمسة ولم يسمع عنها إلا أنها قد تمت خطوبتها، ومن يومها لم يعد يعرف عنها شيئًا، فقد انتقلت أسرتها إلى مكان غير معلوم له وهو لم يشأ أن يخلف وعده، فلم يذهب إليها في الكلية، ودعا لها بكل توفيق وسعادة وقلبه ينفطر يوميًّا إلى أن أخذه العمل وتاه وسط الزحام وحبس حبه داخل قلبه إلى المنتهى. مشى خالد مع والده وقد فقد الإحساس. وارتمى في سريره باكيًا ووالده يهدهده ولكن لوعة الحب لا يهدهدها إلا النوم لو جاء، ونام خالد من كثرة اللوعة بعد أن هده الليل ولم يصحو إلا على صوت والده يدعوه إلى الإفطار.

خالد بين إبداعاته العلمية ومنغصات الصداقة البرية

«الصداقة نهر عذب يفيض بحلو المشاعر، ترى الصديق في كل قطرة فيه وأنت محمول على أمواج السعادة والأمان، ومن الأصدقاء من يشبه ثمرة التين الشوكي؛ فهي حلوة المذاق عندما تنضج ولكنها محاطة بالأشواك وملآنة بالبذور المفيدة ولكنها موجعة للبطن إذا أكلنا منها الكثير».

ابتسم د. تاناكا برد خالد المقنع وهز رأسه دلالة على اقتناعه وإشارة إلى أن يستمر في الإجابة عن بقية الأسئلة، واسترسل خالد عن العلاقة بين الأشعة التي سوف يتم توليدها والتحكم في الوقت قائلًا: إن ذلك سابق لأوانه حتى توليد الأشعة، ولكن من الممكن أن يتم دراسة تأثير الأشعة التي سجلها العداد في مشاهداته عندما تعرض لها وما صاحبها من تغيرات مزاجية أحس فيها وكأنه انتقل إلى نهاية طريق بالمستقبل، ثم إلى زمن آخر بالماضي متأرجحًا بين هذا وذاك حتى أخذه دوار الانتقال من زمن لزمن وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًّا التوى شريطه على ماكينة العرض مما جعل الأحداث متشابكة ومتحركة بسرعة كبيرة.

هذا هو دليلي على ما قد تؤثر به الأشعة على الزمن الذي يعيشه الإنسان، ولذلك فمن الممكن أن نحلل التغيرات النفسية المتعلقة بالوقت لمتبرعين بعد تعرضهم لهذه الأشعة؛ إما في سورة شعاع واحد أو اثنين أو أكثر، ولفترات مختلفة إلى أن نصل إلى وقت ونوع وعدد الأشعة المطلوب لإحداث التغيير بأحداث الماضي والحاضر وما يتطلع إليه الشخص في المستقبل في استبيانات وتحليل ذلك من خلال أخصائيين نفسيين.

أما بالنسبة للتصنيع فمن الممكن تصنيع نموذج صغير كساعة اليد يحتوي على مولد أشعة عبارة عن شريحة دقيقة مثل الموجودة بالتليفون المحمول متصلة بمدخل به الأكواد بحيث يتم برمجة المولد بالكود المطلوب للأشعة لتبحر في الماضي أو المستقبل، وما إذا كان هذا الإبحار يحمل معه

الإمكانـات والأحـداث المتاحـة بالحـاضر أو بدونهـا ومـا إذا كان الإبحـار يتـم عـلى مسـتوى حـدث واحـد وهـو الحـدث الحـاضر في لحظـة الانتقـال الزمنـي، وبمجـرد العـودة إلى لحظـة الحـاضر التـي تـم الانتقـال الزمنـي منهـا تنقطـع العلاقـة بالزمـن الـذي تـم الإبحـار إليهـا سـواء في المـاضي أو المسـتقبل.

أمـا بالنسـبة للأمثلـة الحياتيـة مـن واقـع الحيـاة فهنـاك العديـد مـن الأمثلـة التـي تؤكـد نظريـة التحكـم في الوقـت هـذه والتـي ذكـرت في القـرآن الكريـم قصـة سـيدنا محمـد في الإسراء والمعـراج والتـي تـدل عـلى إمكانيـة أن يتخطـى الإنسـان حواجـز الزمـن. وكذلـك قصـة أهـل الكهـف والتـي تـدل عـلى أن الإنسـان مـن الممكـن بقـدرة اللـه أن يعيـش في الحـاضر منقطعًـا عـن مـن حولـه. وكذلـك قصـة الهدهـد الـذي أحـضر خـبر بلقيـس ملكـة سـبأ باليمـن قبـل أن يرتـد طـرف سـيدنا سـليمان والتـي تـدل عـلى القـدرة الفائقـة التـي قـد يكتسـبها حتـى الحيـوان في خـرق نامـوس الوقـت.

لاحـظ خالـد أن د. تانـاكا يسـتمع إليـه وهـو واقـف ومضطجـع ظهـره إلى الحائـط وكأنـه يسـتمع إلى أغنيـة مـن الزمـن الجميـل، أو كأنـه في حالـة طـرب ولا يريـد لخالـد أن يتوقـف عـن هـذا العـزف السـيمفوني لمعلومـات دينيـة لم يكـن يعرفهـا مـن قبـل مـما جعلـه يطلـب مـن خالـد أن يـزوده بهـذه المعلومـات والمراجـع الدالـة عليهـا.

وجـه د. تانـاكا نظـرات عينيـه إلى باقـي طلابـه والذيـن لم يوجـه أي منهـم أي ملاحظـة أو سـؤال لخالـد سـوى الانبهـار بمـا يقـول حتـى ظنـوا أن خالـدًا خبـأ هـذه المعلومـات فـترة طويلـة، فـلا يعقـل أن ينجزهـا في يومـين. قـرأ د. تانـاكا كل هـذه التسـاؤلات في ذهـن معظـم الطلبـة، ولكنـه لم يشـأ أن يواجههـم بهـا لأنهـم محقـون في ذهولهـم.

ولكنـه وجـه سـؤالا لهـم لعلهـم ينتقلـون مـن دور المشـاهد المذهـول إلى المشـاركة الفعالـة حتـى لا يشـعروا أن هنـاك هـوة في التفكـير العلمـي بينهـم وبـين خالـد. سـأل د. تانـاكا: إذا كانـت الأمثلـة إلى اسـتقاها خالـد مـن القـرآن يصدقهـا المسـلمون لأنهـم يؤمنـون بهـا ولأنهـا حـق وقـع في بلادهـم, فهـل يعلـم أي منكـم أمثلـة أخـرى تدعـم نظريـة خالـد في التحكـم في الوقـت يصدقهـا

ويمارسـها معظـم النـاس سـواء كانـوا مسـلمين أم غـير. لم يـرد أحـد عـلى التـو مـما جعـل د. تانـاكا يعلـق قائـلًا مـن الواضـح أنكـم أنهكتـم مـن كـثرة متابعـة المناقشـة اليـوم، فـرد الجميـع نعـم إننـا نريـد إفـراج اليـوم فقـد هلكنـا مـن تحضـير وإلقـاء العـروض. وزاد محمـود عـلى ذلـك باعتبـار الإجابـة عـن هـذا السـؤال واجـب منـزلي حتـى الاجتـماع القـادم.

ضحـك الجميـع عاليًـا وكأنهـم كانـوا في سـجن عـدم الضحـك، ثـم أفـرج عنهـم للتـو، فـما كان مـن د. تانـاكا إلا أن وافـق عـلى اقـتراح محمـود، ولكـن أفسـد خالـد هـذا الاقـتراح بتطوعـه للإجابـة ووافـق د. تانـاكا وأشـار إلى الجميـع بـأن يبقـوا في حالـة اجتـماع للاسـتماع لخالـد. فـما كان منهـم إلا أن نفـذوا طلـب د. تانـاكا عـن طيـب خاطـر حبًّـا وتقديـرًا وطاعـة لـه مـع الاحتفـاظ بعقـاب خالـد عـلى هـذه المحـاضرة المطولـة بعـد ذلـك، وقـد ظهـر هـذا في الإشـارة التـي أعطاهـا محمـود بيـده لخالـد مبتسـمًا مـا معنـاه سـوف أقتلـك اليـوم.

ضحـك خالـد في نفسـه واسترسـل أن المثـل الأكـثر وضوحًـا لمـا نحـن بصـدده مــن إمكانيــة التحكــم في الوقــت يظهــر في الأحــلام، فمــن منــا لم يســافر إلى أقطـار بعيـدة وهـو نائـم في سريـره؟ ومـن منـا مـن لم يقابـل أناسًـا لم يكـن يعرفهـم ومتحدثًـا بلغـات لم يكـن يعـرف أبجدياتهـا؟ ومـن منـا لم يقابـل مـن فقدهـم بالمـوت وكأنهـم مـا زالـوا عـلى قيـد الحيـاة؟ ومـن منـا مـن عـاش أحداثًـا تسـتغرق أيامًـا وأسـابيع وسـنين في حلـم لم يتجـاوز الخمـس دقائـق؟ إذن الأحـلام هـي المـورد للأفـكار والانعكاسـات العقليـة التـي تجعـل العقـل في حالـة سـيولة فكريـه يسـتطيع مـن خلالهـا أن يصـل إلى أبعـد مـدى مـن الأحـداث دون أن ينتقـل مـن مكانـه.

أعجـب د. تانـاكا كثـيرًا بمثـال الأحـلام الـذي سـاقه خالـد مـما جعلـه يغـير نظـام العمـل بالمعمـل اليـوم طالبًـا مـن الجميـع أخـذ راحـة لمـدة النصـف سـاعة، ثـم العـودة مـرة أخـرى لتكملـة الاجتـماع. ولأن د. تانـاكا يعلـم كيـف أن محمـودًا وزمـلاءه سـوف يفتكـون بخالـد بـمجرد أن يخـرج معهـم للراحـة واحتسـاء المشروبـات فقـد طلـب مـن خالـد البقـاء للتحـدث معـه في بعـض الأمـور العلميـة المتعلقـة بمـا عرضـه اليـوم. إلا أن خالـدًا اسـتأذنه أن يذهـب معهـم لإحضـار كوب

مـن النسـكافيه ثـم يعـود. ضحـك د. تانـاكا مـن هـذه المشـاغبات اللطيفـة بـين الزمـلاء والتـي كثـيرًا مـا يشـتاق إليهـا حيـث كان يفعـل ذلـك في مثـل سـنهم، ولكـن في عـدم معرفـة أسـتاذه اليابـاني لصرامتـه الشـديدة، سـمح لخالـد أن يذهـب وأن يحترس منهـم ألا يأكلـوه قطعًـا قطعًـا. ضحـك خالـد قائـلًا: لا تقلـق أسـتاذي فإنهـم ولـو أكلـوني فلـن يسـتطيعوا أن يهضمـوني لأني عسـير الهضـم.

جـرى خالـد وراء زملائـه لـكي ينضـم إليهـم ولـو لبضـع دقائـق أثنـاء عمـل المشروب السـاخن والذيـن التفـوا عليـه لـكي يفتكـوا بـه مـن كل جانـب، وخاصـة محمـود الـذي أخـذه بالكامـل تحـت إبطيـه بالقـوة قائـلا وبصـوت عـالٍ: مـاذا دهـاك يـا رجـل لقـد أنهكتنـا وأمتنـا اثنتـين؟! فضحـك الجميـع وهـم يضربـون خالـدًا وكأنهـم يباركـون عرضـه الرائـع الـذي أدهشـهم بـكل المقاييـس اليـوم مـما جعـل محمـودًا يطلـب منـه أن يرتـاح عـلى الكنبـة إلى أن يصنـع لـه أحـلى كـوب نسـكافيه يشربهـا مـن يديـه في حياتـه احتفـالًا باكتشـاف اليـوم. فعـلًا إن مـا حـدث اليـوم يـا خالـد يمثـل إنجـازًا علميًّـا كبـيرًا للمعمـل وللمـشروع ولذلـك قررنـا نحـن زملاءك -رضيـت أم لم تـرضَ- أن نخـرج سـويًّا في نهايـة هـذا الأسـبوع للاحتفـال بهـذا الإنجـاز والتقـاط بعـض الصـور لتسـجيل هـذه اللحظات التاريخيـة لـك ونحـن معـك.

سـعد خالـد جـدًّا بشـعور زملائـه والـذي كان لـه صـدى أكـبر مـن صـدى اكتشـافه العلمـي. اليـوم أحـب خالـد محمـود كأنـه لم يحبـه مـن قبـل وكأن محمـود أصبـح في مكانـه شـعاع. أحـضر محمـود كـوب النسـكافيه السـاخن إلى خالـد مقدمًـا إيـاه إليـه وهـو منحـنٍ عـلى الطريقـة اليابانيـة وإحـدى يديـه وراء ظهـره وكأنـه الخـادم يخـدم سـيده قائـلًا: تفضـل يـا معلمـي, تفضـل يـا باشـا. أخـذ خالـد الكـوب مـن محمـود، ثـم ضمـه إلى صـدره وقـد سـالت بعـض الدمـوع التـي حـاول جاهـدًا أن يحبسـها في عينيـه هامسًـا في أذن محمـود: أحبـك يـا صاحبـي كحبـي لشـعاع. ابتسـم محمـود وربـت عـلى ظهـر خالـد قائـلا: مـبروك يـا صديقـي فأنـت الأشـعة كلهـا، وكـم أحـب أنـا الأشـعة الصـادرة مـن قلبـك الطيـب المحـب وعقلـك الـذي لا يـكل عـن التفكـير حفظـه لـك اللـه، وأدام الحـب بيننـا أصدقـاء طـوال العمـر.

سـأل خالـد: أيـن السـيد؟ أنـا لا أراه هنـا أيـن ذهـب؟ لم يـدرِ أحـد أيـن السـيد فهـذه غـير عادتـه فهـو يحـب الشـاي جـدًّا، ولـو تطلـب الأمـر كـوب شـاي كل سـاعة لفعلهـا، فأيـن ذهـب ليـشرب الشـاي؟ ثـم أيـن هـو بأسـئلته التـي يعبئهـا دائمًـا تحـت لسـانه كقنابـل كلاميـة موقوتـة يفجرهـا أينـما وكيفـما يشـاء؟ إنـه لـو تخـلى عـن صناعـة تلـك القنابـل لـكان لـه أفضـل خاصـة أن بعضهـا قـد ينفجـر فيـه كـما حـدث في بعـض المواقـف السابــقة، ولكنـه لم يعـترف بأنهـا قنابـل، فدائمًا مـا يظـن أنهـا ورود مـزودة ببعـض الأشـواك حتـى يعلـم النـاس قيمـة الـورد. اسـتأذن خالـد محمـودًا وباقـي الزمـلاء مخـبرًا إياهـم أنـه ذاهـب إلى المعمـل ليحـضر شـيئًا عـلى أن يذهـب مـن هنـاك إلى الاجتـماع حيـث ينتظـره د. تانـاكا.

عندمـا دخـل خالـد المعمـل وجـد السـيد هنـاك عـلى مكتبـه وتبـدو عليـه علامـات الضيـق المدفـون والضجـر في مقلتيـه، وناظـرًا بعينـين ثابتتـين أمامـه وكأنهـما تسـمرتا عـلى السـاعة المقابلـة لـه عـلى الجـدار. كيـف حالـك يـا أسـتاذ؟ أيـن تركتنـا وذهبـت؟ لقـد افتقدنـاك وسـألنا فنجـان الشـاي عنـك فقلنـا لـه: مـن المحتمـل أن يكـون في ذهـب وسـوف يعـود ولكنـك لم تعـد. لمـاذا لم تـأتِ وتـترك فرصتـك لاحتسـاء الشـاي؟ ابتسـم خالـد وهـو يتحـدث إلى السـيد بهـذه الكلـمات ولكـن السـيد لم يـرد ويبـدو عليـه أنـه يكتـم غضبًـا كبـيرًا ولم تؤثـر فيـه أي مـن هـذه الكلـمات. مـاذا بـك يـا زميـلي العزيـز؟ هـل حـدث مكـروه؟

هــل ضايقــك شيء مــا أثنــاء الاجتــماع؟ أرجــو أن تخــبرني فنحــن زمــلاء وبلديـات. انتفـض السـيد مـن عـلى مكتبـه واقفًـا وهـم بـترك المعمـل قائـلًا: لا يوجـد شيء، فقـط لا أريـد التحـدث إلى أحـد الآن, أنـا ذاهـب إلى الاجتـماع. أمسـك خالـد بـيد السـيد بقـوة ليوقفـه قائـلًا: أنـا جئـت لأطمـئن عليـك ولـكي أعـرض عليـك أن تعمـل معـي في الجـزء الخـاص بي بالمـشروع الـذي قدمتـه اليـوم إذا وافـق د. تانـاكا عـلى اسـتكمال الأهـداف التـي ذكرتهـا. فسـوف يحتـاج إجـراء هـذه الأهـداف مسـاعدتك الهامـة لتنفيـذ التجـارب. فـماذا قلـت يـا عزيـزي فنحـن مـن الممكـن أن نكـون فريقًـا جيـدًا ولـن يعـارض د. تانـاكا عـلى ذلـك. أزاح السـيد يـد خالـد مـن عـلى سـاعده طالبًـا منـه الذهـاب الآن للاجتـماع وأن ينـسى أفـكاره هـذه فهـو ليـس بحاجـة إلى هـذا التعـاون.

وجـد خالـد د. تانـاكا في حجـرة الاجتماعـات ممسـكًا بكـوب كبـير مـن النسـكافيه لا يـدري خالـد مـن أيـن أتى بـه وبابتسـامته الهادئـة نظـر لخالـد قائـلًا: هـل كان حديثـك مـع السـيد بـلا قنابـل؟ ضحـك خالـد وقـال: نعـم، لم يكـن هنـاك قنابـل فلـم يكـن لديـه وقـت لصنعهـا فأهـداني بعـض الـورود المغلفـة بـورق بـه بقايـا بعـض الأشـواك التـي لا تدمـي عـلى الإطـلاق بـل قـد تزيـد مـن الإحسـاس بجـمال الـورود عندمـا نتلمسـها ونتحسسـها. السـيد ملأهـا وردًا جميلـة ولكنـه يهملهـا ولا يرويهـا؛ لأنـه لم يكـن فلاحًـا أو عامـلا في يـوم مـن الأيـام ليتعلـم كيـف ينـزع الأشـواك مـن حـول الـورود. السـيد بالنسـبة لي يـا أسـتاذي مثلـه مثـل ثمـرة التـين الشـوكي المشـهورة عندنـا في مـصر حلـوة المـذاق عندمـا تنضـج، ولكنهـا محاطـة بالأشـواك وملآنـة بالبـذور المفيـدة، ولكنهـا موجعـة للبطـن إذا أكلنـا منهـا الكثـير.

هكـذا السـيد لذيـذ ومفيـد، ولكـن إذا تحملنـا أشـواكه ونحيناهـا جانبًـا. ابتسـم د. تانـاكا ابتسـامة كلهـا ود وحـب وإعجـاب لخالـد وكأنـه الابـن البكـري لـه قائـلًا: يعجبنـي طريقـة تفكـيرك يـا خالـد في العلـم وخـارج إطـار العلـم فحديثـك عـذب في كل الأحـوال فأنـا أتعلـم منـك الكثـير ويكفينـي تعلمـي منـك كيـف أن أكـون زميـلًا مخلصًـا حتـى لمـن لا يطلـب الزمالـة. شـكرًا خالـد د. تانـاكا أنـا تعلمـت الكثـير مـن هـذه الأمـور في مـصر مـن خـلال خـبرات الحيـاة القصـيرة، ولكنـي أثقلتهـا هنـا عنـدك في المعمـل يـا أسـتاذي مـن خـلال توفـر البيئـة الرائعـة التـي نستنشـقها كل يـوم مـن عبـير نظـام معاملاتـك الرائعـة، فأنـا أشـكرك عـلى إتاحـة الفرصـة لي ولزمـلائي لـكي نتنافـس ولكـن في مصلحـة الجميـع وبـدون مقابـل ولا قنابـل، وأن نبحـث عـن الـورود وأن ننحـي الأشـواك جانبًـا.

حـضر الجميـع وأخـذ كل مكانـه عـلى منضـدة الاجتماعـات، وكل بيـده مشروبـه للاسـتمتاع بباقـي الاجتـماع بطريقـة غـير رسـمية كـما أخبرهـم بذلـك د. تانـاكا عندمـا ذهـب لإحضـار مشروبـه. مـا الـذي لـدى د. تانـاكا ليخـبر بـه الجميـع بعـد أن أنهـى خالـد عرضـه العلمـي بالتوصيـات المرجـو تنفيذهـا؟ توقـع الجميـع أن يقـوم د. تانـاكا بإعطـاء الخلاصـة منـه هـو شـخصيًا كأسـتاذ المعمـل وكباحـث رئيـسي للمـشروع. شـكر د. تانـاكا الجميـع عـلى العـروض المقدمـة مـن

كل طالب وخاصة عرض محمود عن المؤتمر. واسترسل في التعليق على عرض خالد مبينًا أهميته العلمية الكبيرة وموضحًا أن ما وصل إليه خالد هو من سبيل الاكتشافات العلمية التي تحدث بالصدفة أثناء إجراء التجارب.

وما زاد من قيمة اكتشاف خالد أنه تم بالصدفة، ولكن ليس في المعمل بل في سكنه والذي جعله يسهر ليل نهار في الوصول إلى تفسير علمي يعضد به مشاهداته، وهذا ما توصل إليه بالفعل بعد تفكير علمي ومنطقي متسلسل أدى إلى وصوله إلى هذه الأكواد التي من الممكن تطبيقها لتوليد أي شعاع مما سوف يوفر مجهودات وأموال طائلة تنفق على التجارب لتوليد شعاع واحد، والذي عادة ما يحتاج عدد من السنين وقد تنجح المحاولات أو تفشل. أما إذا تحققت نظرية خالد كما عرضها وأظنها سوف تتحقق بسهولة ويسر مثلها مثل كل النظريات الجميلة فسوف تجعلنا قادرين على الحصول على أي شعاع بالخصائص التي نحتاجها فقط بإدخال بعض الأرقام في مولد الأشعة. هذا الاكتشاف يعد بمثابة اكتشاف سر القنبلة النووية، وعليه فأنا أدعو الجميع ألا يفشي هذه الأسرار العلمية لأي إنسان مهما كان. وسوف أتقدم بطلب ملكية فكرية باسم خالد لكي يتفرد به لأن هذا حقه علينا.

هنا استأذن خالد في التدخل وقال مسرعًا بلهجة تكاد تكون حازمة:

-أنا لا يمكن أن أتقدم به إلا إذا اقترن اسمي باسمك أستاذي.

-سوف نتحدث عن ذلك لاحقًا يا خالد، ولكني موافق من حيث المبدأ. واسترسل د. تاناكا في إلقاء العديد من التوجيهات مثل النشر وتوزيع الأدوار لكل طالب لخدمة تحقيق توصيات خالد، وذلك استجابة للمستجدات على أن يكون خالد هو المسئول علميًّا لتحقيق هذه الأهداف بعد تخصيص ميزانية لإجراء هذه البحوث والانتهاء منها في جدول زمني لا يتعدى الثلاثة أشهر نقوم بعدها بالاتصال بالمتخصصين النفسيين لتحقيق الجزء الثاني من الأهداف، وبعد ذلك الجزء الأخير وهو تصنيع نموذج للتسويق.

الآن باب النقاش مفتوح لمن يريد أن يعلق أو يضيف قبل أن أسلم هذا الملف لخالد ليكون هو المسئول العلمي عنه بالكامل. لم يعلق أحد

إلا السيد الذي طلب بصوت خافت أن يظل كما هو يعمل في الدور الذي بدأه وذلك لترك الفرصة للآخرين أن يعملوا مع خالد. رد د. تاناكا باقتضاب: لك ما قلت إلا إذا احتاج خالد لمجهوداتك وهنا ليس عليك إلا الانضمام إليه كما تتطلب الأمور. هز السيد رأسه مظهرًا الموافقة على مضض، فليس له حيلة أن يرفض أو يقبل فالأمر الآن برمته سوف يكون تحت إمرة خالد.

انتهى الاجتماع وذهب كل إلى معمله وبقي خالد مع د. تاناكا ليأخذ منه التوجيهات العامة لبدء العمل في المشروع، واقترح خالد دعوة أحد خبراء علم النفس لإلقاء محاضرة عن التغيرات النفسية المصاحبة للتغيرات الجسدية في الصحة والمرض وخاصة تأثير الإشعاعات. اقترح أيضًا التعاون مع أحد معامل البيولوجي المتخصصة في الدراسات المخية والعصبية على حيوانات التجارب لمعرفة تأثير الأشعة التي سوف يتم توليدها في مخ الفئران مما سوف يساعد في الحصول على موافقات الجهات المعنية قبل التسويق.

انشرح صدر د. تاناكا كثيرًا لأفكار خالد لأنها جديدة تمامًا على فكره، ولكنها سوف تنقل المعمل نقلة نوعية في طبيعة الدراسات علاوة على أهميتها في المشروع نفسه. أعطى د. تاناكا الضوء الأخضر لخالد لعمل المطلوب مع إعطاء تقرير أسبوعي منفصل عن الاجتماعات العادية.

رجع خالد إلى معمله سعيدًا منتشيا وكأنه ملك أدوات العلم بين يديه، فما أن جلس على مكتبه حتى نظر إلى اللوحة القرآنية المعلقة أمامه والمهداة من والده قبل سفره، وقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}. على الفور اتصل بوالده مطمئنًا عليه وأخبره على عجالة بملخص ما حدث على أن يخبره بالتفصيل ليلا بعد أن ينهي عمله، وفعل نفس الشيء مع صديق العمر أحمد وأستاذه د. توفيق، سعد الجميع أيما سعادة بتقدم خالد العلمي باليابان وحصل على كم من الدعوات من والده تكفي لانتصار أمم على كل الأعداء. ابتسم خالد ابتسامة كلها رضا وامتنان وهو يردد: هذا من فضل الله، وببركة دعاء الوالدين. نظر في سقف الحجرة شاردًا, كنت أتمنى أن يكون من بين محبي في مصر والذين أشاركهم فرحتي همسة ليكون للنجاح طعم آخر يملأ جيوب القلب فرحًا وسعادة، ولكني لا أستطيع حتى التفكير في ذلك احترامًا لخصوصية حياتها العائلية.

خالد تحت تأثير إفرازات الغدد العلمية

«البحث العلمي سيمفونية كلها عشق ... وكم هناك من الباحثين العاشقين بأفكار العقل وإحساس القلب، إنه عشق البحث عن العلم الذي لا ينتهي».

وضع خالد خطة محكمة مدتها ثلاثة شهور، ووزع المهام حسب ما يناسب كل باحث بفريق العمل، وبعد ثلاثة شهور كانت كل النتائج وبدون استثناء مشجعة كما كان متوقعًا، فقد انتهى الهدف الأول وهو تجريب كل الأكواد التي حددها لتوليد أشعة، وبالفعل استطاع أن يثبت نظريته التي تدحرجت إليه نتائجها، وكأنها كانت تنتظر عقليته للإفراج عنها، فقد تم بالفعل دراسة تأثير كل شعاع يتم توليده على المخ باستخدام نماذج معملية معروفه مثل الشيزوفرينيا لدى الفئران وغيرها. وبعد شهرين تم الانتهاء من دراسة أكثر من ثلثي الأشعة التي تم توليدها وهي نفس نوع الأشعة التي شاهدها خالد يوم البرق المشهود في حجرته. وقد أظهرت النتائج أهمية نوع الشعاع ووجوده مع أشعة أخرى بعينها في إحداث تأثيرات في وظائف المخ. وبانتهاء الثلاثة أشهر توصل الفريق البحثي إلى قائمة من التوافقات بين أشعة محددة وبأوقات وجرعات محدده قادرة على إحداث تأثيرات محدده في وظائف المخ، وبذلك استطاع خالد إنجاز جزء كبير من التجارب قبل مجيء أستاذه د. توفيق من مصر لحضور المؤتمر وإعطاء محاضره في المعمل.

حضر د. توفيق المؤتمر السنوي في طوكيو الذي لم يستطع خالد أن يحضره ومقابلة د. توفيق هناك، وذلك لانشغاله الشديد في اللحاق بكم النتائج التي توصل إليها والتي يريد الانتهاء منها قبل مجيئه. لم ينسَ د. توفيق أن يحضر معه هدايا من والد خالد ومن صديقه أحمد وهدية د. توفيق نفسه والتي كانت عبارة عن كتابه الأخير عن التغيرات الجينية المصاحبة للتأثيرات البيئية، ومع الكتاب ساعة يد أحدث موديل ولكنها

أرقـام وليسـت عقـارب بالإضافـة إلى سـاعة رمليـة رائعـة كبـيرة الحجـم تتوسـط كـرة أرضيـة زرقـاء بديعـة وكأنـه أراد أن يرمـز لخالـد بمـدى إعجابـه بفكـرة موضـوع المـشروع، وبمـا توصـل إليـه مـن نتائـج وبأهميـة التفكـير في أصـول الاختراعـات عندمـا نفكـر في اسـتخدام أحدثهـا والوصـول إلى أبعـد منهـا.

شـكرًا د. توفيـق جـدًّا عـلى اهتمامـك بي والهدايـا التـي تحملـت عنـاء حملهـا وهديتـك غـير العاديـة في فكرهـا ورمزيتهـا, وبالمناسـبة ألـف مـبروك عـلى كتابـك الجديـد الـذي جـاء في وقتـه لاحتياجنـا إليـه لتعلقـه بـتأثير أنـواع الأشـعة عـلى الجينـات المسـئولة عـن السـلوك خاصـة وأننـا نحتـاج إلى خبرتـك الكبـيرة لإجـراء هـذه التجـارب، ولكـن عـلى الفـئران كمرحلـة أولى. وافـق د. توفيـق عـلى الفـور عـلى أن يحصـل عـلى معلومـات أكـثر عـن طبيعـة هـذه الأشـعة وبعـد موافقـة د. تانـاكا.

ابتسـم خالـد وكلـه خجـل لاضطـراره أن يخـبر د. توفيـق عـن عـدم إمكانيـة البـوح بـأي معلومـات عـن طبيعـة الأشـعة نظـرًا للسريـة غـير العاديـة للمـشروع، ولذلـك سـوف تكـون التجـارب التـي سـوف يجريهـا في معملـه في مـصر بصـورة غـير معلومـة، أمـا بالنسـبة لموافقـة د. تانـاكا فلـن تكـون هنـاك أدنى مشـكلة نظـرًا لأنـه أسـند لي مسـئولية هـذا المـشروع كاملـة بعـد أن اضطلـع عـلى النتائـج التـي انتهيـت إليهـا وأخبرتـك بملخـص عنهـا في آخـر مكالمـة تليفونيـة. ابتسـم د. توفيـق ابتسـامة لا يعـرف معناهـا إلا خالـد.. ابتسـامة تعكـس كل أنـواع الرضـا والفخـر والاعتـزاز والثقـة بخالـد وأمانتـه العلميـة التـي هـي قلـب كل نجـاح علمـي.

التقـى د. توفيـق ود. تانـاكا وتحدثـا عـن المـشروع والأفـكار الجديـدة التـي أفرزهـا خالـد مـن غـدده العلميـة والتـي هـي مزيـج مـن الغـدد الصـماء التـي تفـرز إنتاجهـا مبـاشرة ليكـون التأثـير مبـاشرًا عـلى المعمـل وباحثيـه ومنهـا الغـدد غـير الصـماء والتـي تصـب إفرازاتهـا عـبر قنـوات تنتهـي بعقـول فريقـه البحثـي فيكـون التأثـير غـير مبـاشر عـلى الباحثـين والمعمـل. خالـد ظاهـرة فريـدة مـن الغـدد العلميـة فـلا ينطبـق عليـه التأثـير السـلبي المعاكـس والـذي يـؤدي إلى وقـف نشـاط الغـدة بمجـرد أن تصـب إفرازاتهـا فهـو دائـم الإفـراز للهرمونـات العلميـة.

ضحـك د. توفيـق ضحكـة أدمعـت عينيـه فهـا هـو يسـمع كل مـا يثلـج صـدره عـن تلميـذه النبيـه الـذي لم يأخـذ فرصتـه في بلـده مـصر بسـبب القوانـين

الروتينية البلهاء التي تتحكم في تعيين المتفوقين. يسمع ذلك عن خالد من أستاذه الياباني الذي ليس لديه أي دوافع في قول الحق عن خالد. آه يا خالد كم أنا فخور بك ولسوف تكون أولى محاضراتي بعد عودتي إلى طلابي بمصر عنك يا خالد كنموذج ناجح لطالب اعتمد على الله وعلى نفسه وليس على الآخرين. عبر د. توفيق عن إعجابه الشديد بمصطلح د. تاناكا عن تشبيه خالد بالغدد العلمية فهو تشبيه رائع لا ينطبق على كل العلماء، فليس كل باحث بعالم ولكن كل عالم باحث، ومؤكد أن الغدد العلمية هذه توجد في أمخاخ العلماء فقط.

أنا لم أخترع هذا المصطلح من فراغ يا دكتور توفيق، بل خالد هو صاحب الفضل في اكتشاف هذا المصطلح، فهو اكتشاف وليس اختراع. دعنا نتفق على إعداد مشروع مشترك عن الكشف عن موقع ووظائف هذه الغدد العلمية، وما إذا كانت توجد في كل منا أم أننا مجرد باحثين وليس علماء. ضحك د. تاناكا ضحكة هيستيرية جعلته يرجع بكرسيه إلى الوراء قائلًا: أتريد إنهاء خدمتي من المعهد يا د. توفيق؟ إذا اكتشفت إدارة المعمل أني مجرد باحث فلن يكون لي مكان هنا على الإطلاق. معك حق يا عزيزي، فهذا هو حال العلم في اليابان كالدول الأخرى انتقاء العلماء من الباحثين، أما أنا فليس لدي أي قلق من فقدان وظيفتي في مصر، فلا أحد يستطيع وقفك عن العمل حتى ولو كنت غبيًّا، فيكفي أن تكون مواليًا ومعك شهادة اسمها الدكتوراه.

تحدث د. توفيق عن التعاون مع خالد وموافقته على إجراء التجارب مع الاحتفاظ بالسرية حيث إن خالدًا أخبره أن التجارب سوف تجري مكودة بحيث لا يعلم القائمون عليها نوع المؤثرات. رائع د. توفيق قالها د. تاناكا، ثم نظر فجأة إلى د. توفيق وبجدية وكأنه قادم على إصدار قرار خطير: خالد من الآن هو د. خالد، وعلى جميع من بالمعمل مناداته بهذا اللقب، ثم نادى على خالد بأن ينضم إلى اجتماعهما لمناقشه التعاون الذي أشار إليه د. توفيق ثم أخبره بقراره بكونه د. خالد من الآن. حاول خالد الاعتراض بلطف ولكن د. تاناكا كان حازمًا وقال: العلماء يصنعون الألقاب

العلميـة والتـي مـا هـي إلا نجـوم للترقيـة عـلى أكتـاف الباحثـين، وأنـت ملكـت كل النجـوم التـي تجعلـك أسـتاذ الأسـاتذة، وليـس أسـتاذًا واحـدًا.

أظهـر خالـد امتنانـه بهـذا القـرار فهـو يعلـم جيـدًا قيمـة هـذا الـشرف الكبـير والـذي لا يعطـى أبـدًا إلا بعـد الحصـول الرسـمي عـلى الدكتـوراه، ويعلـم أيضًـا أثـر ذلـك عـلى جميـع زملائـه بمـا فيهـم اليابانيـون والمصريـون وخاصـة السـيد. ابتسـم د. توفيـق قائـلًا بمـرح: لقـد نلـت ترقيـة قيمـة يـا خالـد قبـل ميعادهـا تمامًـا كـما يحـدث عندنـا أحيانًـا في الجيـش، ولكـن لا زيـادة في المرتبـات يـا عزيـزي . هــ هــا هــا طبعًـا يـا أسـتاذي يمكـن أخدهـا في عيـد العـمال. الآن يـا د. خالـد تعـالَ نتفـق عـلى خطـة العمـل بمـصر والميزانيـة المطلوبـة والفريـق المطلـوب والخطـة الزمنيـة المتوقعـة.

انتهـى الاجتـماع وتـم الإعـلان عـن محـاضرة د. توفيـق في المعهـد وعـن كتابـه الجديـد. أبـدع د. توفيـق في محاضرتـه وأبهـر الحاضريـن بمـا فيهـم، وهنـا أدرك د. تانـاكا سـبب تميـز خالـد في طريقـة إلقائـه المحـاضرات، فحقًّـا يعـرف التلميـذ مـن أسـتاذه والأسـتاذ مـن تلميـذه.

معمـل د. توفيـق مجهـز بأحـدث التجهيـزات المعمليـة التـي يسـتطيع بهـا أن يزيـل جينًـا مـن مكانـه للأبـد أو يضـع جينًـا جديـدًا أيضًـا للأبـد أو المقـدرة عـلى حـث جـين مـن الجينـات الصامتـة إلى التحـدث عـن نفسـها وبقـوة وهـذا مـا قـام بـه د. توفيـق حيـث تعـرف عـلى الجينـات التـي زادت في التعبـير عـن نفسـها وبشـدة مفرطـة بعـد التعـرض للأشـعة وحـدد الكـود الخـاص بهـا، ثـم قـام بإلغـاء الوظيفـة الخاصـة بهـا وذلـك بإزالتهـا مـن خلايـا المـخ فقـط دون الأعضـاء الأخـرى أو هندسـتها بطريقـة معينـة تجعلهـا تزيـد مـن التعبـير عـن نفسـها بدرجـة عاليـة خاصـة وأن كل الجينـات التـي سـجلها د. توفيـق كانـت مـن النـوع الصامـت.

وكشـفت البحـوث التـي أجراهـا د. توفيـق عـلى جينـات المـخ في فـئران التجارب عـن نتائـج جديـدة لأول مـرة وهـي أن تعـرض الفـئران إلى أنـواع معينـة وبجرعـات وفـترات محـددة يحـث جينـات محـددة في المـخ مـن مرقدهـا. أرسـل د. توفيـق لخالـد النتائـج كـما هـي بـدون تفسـير ولأنـه لا يعلـم أكـواد الأشـعة درس خالـد

وحلـل هـذه النتائـج ووضـع يـده عـلى أسـماء الأشـعة التـي أحدثـت هـذه التأثيرات مـن خـلال أكوادهـا، ولاحـظ أن معظـم الأشـعة التـي حثـت هـذه الجينـات مـن مرقدهـا هـي مـن مجموعـة الأشـعة الجديـدة الصـادرة مـن الـبرق والرعـد والتـي تعـرض لهـا بعـد اصطدامهـما بالأغطيـة الزجاجيـة في الليلـة الموعـودة.

بعـد العديـد مـن التجـارب توصـل الفريـق البحثـي بقيـادة د. توفيـق إلى أن زيـادة نشـاط هـذه الجينـات يـؤدي إلى تأثـيرات عـلى خلايـا المخ حيـث تختفـي هـذه التأثـيرات تمامًـا عندمـا تغيـب هـذه الجينـات مـن الوجـود في الخليـة. وعليـه أكـدت هـذه التجـارب أن التعـرض لأنـواع ومجموعـات محـددة مـن الأشـعة يـؤدي إلى حـث الجينـات الصامتـة عـلى التحـدث وبـصوت عـالٍ في الخليـة لإظهـار وظيفـة جديـدة تمامًـا لم تكـن الخليـة تعلـم عنهـا شـيئًا مـن قبـل. والعجيـب أن معظـم هـذه الجينـات الصامتـة اتضـح أن لهـا دورًا كبـيرًا في الإحسـاس والتعايـش مـع المـاضي أو المسـتقبل، وكانـت هـذه النتائـج سـببًا كافيًـا لـكي يرسـل د. توفيـق بريـدًا إليكترونيًّـا لخالـد في صـورة برقيـة بريديـة: عزيـزي د. خالـد بـك: لقـد أدت الأشـعة التـي قمـت بتوليدهـا مـن مولـد الأشـعة الـذي أعطيتـه لي وبالأكـواد التـي زودتنـي بهـا ولا أعلـم عنهـا سـوى أرقامهـا إلى بعـث جينـات المسـتقبل والمـاضي الصامتـة مـن مرقدهـا وحثـت جينـات الحـاضر عـلى مزيـد مـن التعبـير عـن نفسـها، ولقـد تعرفنـا عـلى هـذه الجينـات واكتشـفنا أنهـا تلعـب دورًا محوريًّـا في الإحسـاس بالمـاضي والمسـتقبل القريـب والبعيـد. مـبروك ولـك تحيـاتي.

قـرأ خالـد هـذه الجملـة مـرات ومـرات ومحلـلًا كل كلمـة تحليـلًا دقيقًـا؛ لأنـه يعلـم أن د. توفيـق يكتـب كل كلمـة بعنايـة فائقـة، وأنـه يعنـي بـكل كلمـة مـا أراد حتـى ولـو كانـت بأسـلوب بلاغـي. ابتسـم خالـد في نفسـه غـير مصـدق حيـث يمثـل هـذا الاكتشـاف ثـورة علميـة في مجـال الهندسـة الوراثيـة وعمـل الجينـات، فـكل شيء يخـرج مـن هـذا المـشروع يمثـل ثـورة، وقـد تعـددت الثـورات، وأخـشى أن يقبـض عـليّ بتهمـة الحـث عـلى الثـورات..

بعـد عـرض مجمـل النتائـج -بمـا فيهـا التـي وصلتـه مـن د. توفيـق- عـلى د. تانـاكا في الاجتـماع الربـع سـنوي للمعمـل تـم الاتفـاق عـلى البـدء في المرحلـة الثانيـة للمـشروع وهـي تجربـة تأثـير الأشـعة التـي اجتـازت المرحلـة الأولى عـلى متبرعـين لمعرفـة مـا إذا كان لهـا القـدرة عـلى إحـداث أي تأثـيرات وخاصـة

المتعلقة بالتحكم في الوقت بأحداث زمنية. وبالفعل تمت دعوة المتخصصين من أطباء النفسية والعصبية، وكذلك علماء النفس إلى ندوه في المعهد عن العلاقة بين الصحة النفسية والتغييرات الجسدية.

كانت ندوة رائعة جعلت خالدًا وزملاءه يتعرفون عن قرب عن طبيعة هذه العلاقة التي كانت مبهمة إليهم نظرًا لأن معظمهم ذوو خلفية أكاديمية بعيدًا عن الطب. اتفق خالد مع الخبراء الذين حاضروا في الندوة على تصميم استبيان علمي على متبرعين من المعهد.

تم تصميم الاستبيان وتم توزيعه على المتبرعين ليسجلوا فيه الأحداث الكبرى في الماضي والتي يرغبون في معيشتها مرة أخرى أو أحداثا يتوقعون حدوثها في المستقبل ويتمنون أن يعيشوها قبل أن تأتي، أو أحداثًا جارية يتمنون أن تستمر بهم إلى فترات أطول. أظهر التحليل الإحصائي للاستبيانات تفاوت الناس تفاوتًا كبيرًا في الرغبات سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وكان ذلك مبهرًا لخالد و د. تاناكا لأنهما كانا يتوقعان عدم اختلاف رغبات الناس كثيرًا، ولكنه ابتسم محدثًا نفسه نحن في اليابان يا خالد، وليس بمصر فالناس هنا لديهم مقومات الحياة، ولذلك فالاختلاف في الرغبات يظهر الحاجة إلى التفرد أو أن كل شخص مختلف تمامًا عن الآخر طالما أن الجميع متساوون في الحقوق العامة.

الإبحار في الحاضر و الماضي و المستقبل

«الماضي والمستقبل وبينهما الحاضر أزمنة الحياة ... الماضي انتهي والمستقبل لم يأتِ بعد ... فاغنم بالحاضر قبل أن يهاجمه المستقبل ويصبح ماضيًا فلا يتبقى لديك إلا الذكريات, فعجلة الزمن لا تتوقف».

حانت ساعة الصفر وهي اختبار تأثير الأشعة في السلوك الوقتي للمتبرعين، تم التحضير لهذا اليوم وكأنه معركة حربية لا يعرف أسرارها إلا د. تاناكا وخالد فقد تم برمجة العدادات ومولدات الأشعة بحيث لا تعمل في هذا اليوم إلا بكود من خالد تحت إشراف د. تاناكا، وتم وضع الأجهزة في أماكن مختلفة بحيث لا يتقابل المتبرعون لكي لا يعرفوا عن بعضهم شيئًا. وتم استبعاد أعضاء الفريق البحثي جميعًا من الاشتراك في هذه التجارب حتى لا يكون هناك أي نسبة تدخل ولو بسيطة، كان معظم المتبرعين من العاملين بالمعهد ولكن في معامل أخرى لا تعلم شيئًا عن ما يجريه خالد. وبالفعل تم التشغيل وإدخال حزم الأشعة وقامت الأجهزة التي أحضرها المتخصصون في علم النفس من تسجيل النتائج.

كان زمن التشغيل قصيرًا ثم تدرج إلى فترات أطول، ولكن لا تزيد عن الخمس دقائق. قام أخصائي علم النفس بعقد عدة لقاءات مع المتبرعين لمعرفة ما حدث لهم أثناء التعرض للأشعة ومقارنتها برغباتهم التي تم تسجيلها في الاستبيانات من قبل. دهش أخصائي علم النفس عندما وجدوا تطابقًا كبيرًا بين رغباتهم المسجلة في الاستبيانات وما عايشوه خلال فترة الخمس دقائق والتي عبر عنها الجميع عندما طلب منهم وصفها بأنها كانت حلمًا طويلًا أخذهم إلى ما كانوا يتطلعون إليه. وهكذا نجحت التجربة نجاحًا منقطع النظير وهو نجاح مدعم بنتائج مسجلة غير تلك التي حدثت لخالد في غرفته والتي لم يستطع أن يقنع بها أحدًا وقتها لعدم وجود أدلة، أما الآن فلديه العديد من الأدلة التي تجعله قادرًا ليس فقط

على النشر ولكن أيضًا على تسجيل براءات الاختراع لهذا الاكتشاف الكبير.

هذا الاكتشاف في حد ذاته سوف يكون له صدى كبير ليس فقط في تحقيق رغبات الناس في زيارة الأحداث الكبرى والمسجلة في أدمغتهم، ولكن من الممكن استخدامه في السياسة لمعرفة الخطط المستقبلية للناخبين أو السياسيين عمومًا، وكذلك في الحروب والمخابرات؛ ولأن الهدف الرئيسي من المشروع هو التحكم في الوقت, قرر خالد بعد موافقة د. تاناكا على إعادة التجربة على متبرعين جدد لاختبار مرحلة متقدمة من تأثير الأشعة في السلوك النفسي للمخ. وبالفعل تم تحضير العديد من المتبرعين بسهولة بالغة عكس ما كان خالد متوقعًا لأنه اكتشف أن معظم الناس تريد أن تعيش في زمن آخر سواء في المستقبل أو الماضي أو يبقوا زمنًا أطول في الحاضر ... إذا كان سعيدًا. صممت الاستبيانات بطريقة يمكن بها معرفة رغبة المشترك في الإبحار في الماضي أو المستقبل أو البقاء في لحظة الماضي، وقُورن ذلك بنتائج الاستبيان الأول لمعرفة ما إذا كانت الرغبات العريضة للإنسان ثابتة أم متغيرة بتغير الوقت.

قبل التشغيل مباشرة طلب أخصائي علم النفس من كل مشترك أن يحدد بنفسه اختياريًّا في أي اتجاه يريد أن يبحر إلى الحاضر أو الماضي أم المستقبل. وتم التشغيل والقلوب لدى الحناجر لخالد ود. تاناكا لأهمية هذه المرحلة فهذه النتائج هي الفاصلة والتي يتطلع المشروع إليها. صحيح أن مجرد معرفة أو التنبؤ بما يدور في مخ الإنسان من رغبات مهم للغاية إلا أن إعطاء القدرة للإنسان أن يختار هو الزمن الذي يريد الإبحار فيه يمثل انتصارًا وكشفًا علميًّا ليس له مثيل. كانت النتائج مبهرة وجلية لأنها تطابقت مع الرغبات التي أبداها المشتركون تمامًا، فقد أبحر كل إلى اتجاهه كما سجل كل مشترك بعد ذلك بنفسه صوتيًّا، وكما بينته الأجهزة التي تسجل رحلة الإبحار دون أن يعلم المشترك.

لم يبقَ إلا تجربة مهمة ومكملة وهي إعطاء الاختيار للمتبرع أن يحدد ليس فقط الاتجاه الذي يريد أن يبحر فيه، ولكن أيضًا إذا كان يريد أن يبحر على مستوى حدث واحد أم أكثر وما إذا كان يرغب في الإبحار إلى

الماضي أو المستقبل تاركًا ما لديه من تكنولوجيا العصر الذي يعيشه أو يأخذها معه أثناء الإبحار.

وافق المشتركون ولكن أبدوا قلقهم من إمكانية عدم العودة إلى اللحظة التي يعيشون فيها وما إذا كان الإبحار لزمن آخر يؤثر على الأحداث التي يعيشونها إلا أن المتخصصين في علم النفس مع خالد و د. تاناكا أكدوا لهم أن كل هذه المخاوف أخذت في الحسبان ولا داعي للقلق، ومن شدة الإثارة التي تحيط بالموضوع وافق المشتركون على التجربة. ومرة أخرى كانت النتائج مبهرة لدرجة جعلت من بعض المشتركين أن يعيدوا التجربة لمجرد الاستمتاع باللحظة إلا أن خالدًا نصح بعدم التكرار على الأقل في هذه المرحلة.

انبهر خالد و د. تاناكا بهذه النتائج التي تؤكد وبصورة بالغة النظرية التي بني عليها المشروع، كما بينت وبشكل قاطع قدرة الأجهزة على تسجيل لحظة الإبحار وذلك لأن ما تم تسجيله تطابق مع ما قاله المشتركون مما يعطي هذه الأجهزة هي الأخرى أهمية غير عادية في التطبيقات العملية من هذا النوع من الاختبارات. تعجب د. تاناكا وخالد من جمال وسلاسة النتائج بهذا الشكل الذي فاق توقعاتهم، فقد كانا يتوقعا العديد من التحديات التي قد توقف أو على الأقل تعطل المشروع، فعلى سبيل المثال كان من المتوقع أن تكون هناك فجوة أو اختلاف بين ما تسجله الأجهزة من تغيرات نفسية، وكذا الإحساس بالوقت مع الحالة الحقيقية للمشتركين، وكذلك كانا يتوقعان اختلافًا في التطبيق على الأطفال والكبار والرجال والنساء، ولكن لم يحدث مما يدل على أن جمال النظرية العلمية ينعكس على نتائجها فكلما كانت النتيجة سهلة الفهم وسهلة التكرار وسهل الحصول عليها كلما كانت النظرية العلمية حقيقية وأكثر ارتباطًا بالواقع.

دفع جمال هذه النتائج وروعتها في التطبيق القفز إلى المرحلة الثالثة من المشروع وهي التجريب على عدد أكبر من المتبرعين، وهذه المرة من خارج المعهد بحيث يضمون أطفالا وشبابًا ومن في عمر الكهولة والشيخوخة وكذلك نساء ورجالا ولكن بشرط أن يكونوا أصحاء. وتمت التجربة بنجاح مثل المرحلة الثانية. ولم يتبقَّ الآن إلا المرحلة الرابعة وهي تصنيع نموذج مصغر..

إذا كان للعقل مفتاح فللقلب ألف مفتاح

«حقًّا الحرمان أنف نستنشق به الشقاء، ولكن أيضًا نشم به رائحة المجد حين يتحقق، فكيف نشعر بصهد تحقيق الأحلام بدون نار الحرمان؟».

كانت هذه أول مرة تسير الأمور بين يدي خالد بهذا اليسر، فقد كانت كل أمور حياته في مصر وحتى في الأشهر الأولى له في اليابان تسير بصعوبة لدرجة جعلته يعتقد أن الصعب خلق له، وأنه رجل الصعوبات بما فيها حبه لهمسة الذي كان كله صعوبات انتهت بفشل كبير لهذا الحب الطاهر الذي غار منه الكون وكل قصص الحب الرومانسية. ولا ينسى تعيينه في الكلية وما قابله من صعوبات انتهت بعدم تعيينه وخروجه للعمل في وظائف لم يكن يتوقع العمل فيها، ولم ينسَ قصة تسجيله للماجستير وكيف كان يوازن بين العمل وبين الدراسة جعلته لا ينام أكثر من أربع ساعات في اليوم فلم يكن لديه وقت للترويح عن نفسه أو حتى قضاء بعض الوقت مع والده وصديقه أحمد. هكذا كانت حياته كلها صعوبات في صعوبات والتي واجهها بلا تذمر ولكنه يتعجب لماذا لا توجد الآن أي صعوبات وكأنه افتقد الصعوبات؟

ابتسم خالد في نفسه وهو ينظر إلى الآية القرآنية المعلقة فوق الساعة أمام مكتبه والتي تذكره بوالده وكيف قابل وتحدى الصعوبات بالجملة في حياته وبدون تذمر. فلماذا الأمور تسير معي وعلى أعلى مستوى بسلاسة؟ ما الذي حدث أهو تعويض من الله على جميع الصعوبات التي واجهتها في حياتي؟ إذا كان كذلك فلماذا الآن؟ أيكون السبب أن الله يعوض الإنسان عن حرمانه بشرط وجود الأسباب والإمكانات التي تسمح بذلك حتى لا يطلق الناس على هذه الحالة معجزات. نعم، أعتقد أن ذلك هو السبب المنطقي حيث إن جميع الأسباب هنا متوفرة وبغزارة، ولا تحتاج إلا إلى العقل الذي يفكر فيها، ويذلل الصعاب بالإمكانات. إنه لشيء رائع أن يعوضك الله

بشروط وقد يفسر ذلك السبب في وجود أناس كثيرين يعملون بجدية، ويواجهون الصعاب طوال حياتهم، ولكن بلا تعويض والسبب هو عدم توافر الإمكانات. هذه هي الحياة بحلوها ومرها وحلو الحياة يحتاج إلى أسباب جميلة تزين النضال لينتهي بالانتصارات وتذليل كل الصعوبات.

سأل خالد نفسه: أمن الممكن أن يكون القادم في حياته كله سهلًا مثل الآن أم أن هذه فترة انتقالية مرتبطة بنوع الحدث؟ هل تعويض الله له عن الحرمان وعن تحدي الصعوبات يتم بصورة عامة بشرط توفر الأسباب عمومًا أم أسباب محددة؟ هل من الممكن أن تتسع دائرة التعويض من الله بعيدًا عن العمل لتشمل الرغبات العاطفية حتى وإن كانت أسبابه غير متوافرة الآن، أم أن التعويض يتم فقط على الأمور التي تتوافر فيها الأسباب؟

آه لو أستطيع أن أستفيد من هذا الجهاز لأبحر في الماضي وأتوقف هناك في السوبر ماركت الذي كنت أنتظر همسة فيه حتى تأتي. آه لو حدث ذلك لقصدت اللحظة التي غنت لي همسة أغنية «إزيك يا خالد». لسوف أتوقف هناك حتى أرتوي من ماء كلمات هذه الأغنية الجميلة التي لم أسمع مثلها في حياتي من قبل ومن بعد. وبعد أن أرتوي أعيدها مرات ومرات. آه لو أستطيع أن أكتشف شعاعًا يمكنني من استقطاع أحداث في الماضي وأعود بها إلى الحاضر. آه لو أستطيع استرجاع كل اللحظات الجميلة التي جمعتني مع همسة قبل الفراق وأحتفظ بها كنزًا أعيش عليه للأبد. لسوف أعمل جاهدًا على اكتشاف أو اختراع هذا الشعاع الذي يمكنني من ذلك وسوف يكون لي أنا وحدي فقط هدية لهمسة حبيبة قلبي, قلبي الذي ما زال يتألم طالبًا حقه في الحياة. آه لو أعلم أسباب تعويض العاطفة التي بها قد يشملني الله ويعوضني عن معاناتي في الحرمان من حبي لهمسة وحبها لي، لو علمت تلك الأسباب لطلبتها أو صنعتها في أي مكان.

حان وقت الاجتماع الربع سنوي الثاني، وقد انتهى خالد من تحقيق الأهداف الثلاث الأولى من خطة البحث الذي قدمه إلى د. تاناكا وأصبح مسئولًا عنه مسئولية كاملة، ويمثل هذا الاجتماع فرصة كبيرة لخالد والفريق البحثي ليعرضا ما لديهم في وجود د. تاناكا خاصة وأنه لم يكن متوقعًا أن ينتهي الفريق من تحقيق الأهداف بهذه السرعة. طلب د. تاناكا

أن يديـر خالـد الاجتـماع بـدلًا منـه فوافـق خالـد بعـد إصرار د. تانـاكا.

عـدد الفريـق البحثـي تسـعة, اختارهـم خالـد بعنايـة مـن وسـط الباحثـين مـن المعمـل مـا عـدا السـيد الـذي لم يشـأ خالـد أن يضمـه للفريـق البحثـي إرضـاءً لرغبتـه التـي أبداهـا أمـام الجميـع وأمـام د. تانـاكا والتـي أتـت عـلى هـوى خالـد حتـى لا يتأثـر المـشروع بـأي عوامـل سـلبية.. ضـم خالـد للفريـق اثنـين مـن الباحثـين مـن معمـل آخـر مجـاور، وكان عـدد الباحثـين اليابانيـين أربعـة وباقـي الخمسـة مـن مـصر ولبنـان والصـين وأمريـكا وألمانيـا. ودعـا خالـد للاجتـماع أحـد أفـراد الفريـق البحثـي الـذي أجـرى دراسـات تأثـير الأشـعة عـلى حيوانـات التجارب وهـو مـن معهـد آخـر بالإضافـة إلى باحـث مـن مـصر ممثـلًا عـن د. توفيـق نظـرًا لانشـغاله الشـديد وممثـلًا عـن أخصـائي علـم النفـس واحـد المتخصصـين في الصناعـات الدقيقـة مـن نفـس المعهـد بالإضافـة إلى أحـد رجـال الأعـمال الـذي اختـاره د. تانـاكا بنفسـه نظـرًا لعـدم معرفـة خالـد بالمشـتغلين بهـذا القطـاع.

طلـب خالـد مـن د. تانـاكا دعـوة بعـض المتطوعـين الذيـن أجريـت عليهـم الاسـتبيانات، فوافـق وقـام بالفعـل في توجيـه الدعـوة إلى ثمـاني مشـتركين مـن فئـات عمريـة مختلفـة ومـن كلا الجنسـين. وكان هـذا العـدد مـن المتبرعـين الذين اشـتركوا في التجـارب الأخـيرة كافيًـا، وخاصـة أن بعـض أعضـاء الفريـق البحثـي قـد اشـتركوا أيضًـا كمتبرعـين في هـذه التجـارب، وبسـبب طبيعـة وأهميـة الاجتـماع، وكذلـك كـثرة عـدد المجتمعـين أشـار خالـد عـلى د. تانـاكا بـأن يكـون الاجتـماع في القاعـة الكـبرى، وأن تكـون فعالياتـه كنـدوة، وأن يتـم تسـجيله صـوت وصـورة لإمكانيـة العـودة إلى محتوياتـه إذا لـزم الأمـر. استحسـن د. تانـاكا الفكـرة وطلـب مـن خالـد اجتماعًـا تحضيريًّـا لهـذا المؤتمـر المصغـر وإعـداد البرنامـج لـه عـلى ألا يـوزع عـلى الحاضريـن إلا يـوم الاجتـماع، وأن يحـضر وثيقـة يقـر عليهـا الجميـع بالاحتفـاظ بسريـة المعلومـات خـارج نطـاق قاعـة الاجتماعـات بعـد فـض المؤتمر. قـام خالـد بإعـداد كل شيء بإتقـان شـديد، وجـاء يـوم المؤتمـر، وكان خالـد هـو مـن يديـر فعالياتـه بمهـارة عاليـة.

افتتـح المؤتمـر في الوقـت المحـدد تمامـا وقـدم د. تانـاكا خالـد للجميـع عـلى أنـه هـو الدكتـور المسـئول علميًّـا عـن المـشروع وأنـه هـو الوحيـد الـذي يشـاركه

الملكيـة الفكريـة، وذكـر لهـم كيـف توصـل خالـد إلى هـذه الفكـرة في حجرتـه عندمـا كان يصـارع الـبرق والرعـد في ليلـة شـتوية قارسـة لم يعهدهـا مـن قبـل خاصـة أن هـذا الشـتاء القـارس -هـو أول فصـل شـتاء للدكتـور خالـد في اليابـان. وهكـذا تولـدت الفكـرة بسـبب معاناتـه، ولذلـك قـررت أن أضـم الطلبـة الجـدد لمعملي فقـط في فصـل الشـتاء القـارس لعـل كل منهـم تتولـد منـه فكـرة جديـدة. ضحـك الجميـع مـن لفتـة د. تانـاكا الرشـيقة، ثـم بـدا المؤتمـر بكلمـة خالـد عـن المشروعـات البحثيـة.

المـشروع البحثـي مـا هـو إلا مـشروع زواج، هكـذا بـدأ خالـد محاضرتـه.. مـشروع الـزواج مبنـي عـلى نظريـة إمكانيـة الطرفـين عـلى العيـش سـويًّا بنجـاح رغـم توقـع وجـود خلافـات بـين الـزوج والزوجـة، وعـلى أهـداف قصـيرة وأخـرى طويلـة الأجـل يكـون مـن ضمـن نتائجهـا الأولاد، وتربيتهـم وتعليمهـم ومـا يترتـب عـلى ذلـك مـن توفـير الإمكانـات الماديـة اللازمـة. وكـما في مـشروع الـزواج, فالمـشروع البحثـي لا بـد لـه مـن فرضيـة ممكـن اختبارهـا وأهـداف واضحـة ممكـن تحقيقهـا في المسـتقبل القريـب، وأخـرى في المسـتقبل البعيـد ووجـود جهـة تمويـل للمـشروع وإمكانيـة توالـد مشروعـات أخـرى مـن المـشروع الأسـاسي.

بـدأ خالـد بهـذه الكلـمات كمقدمـة عـن المشروعـات البحثيـة عمومًـا، ثـم استرسـل في الحديـث عـن العنـاصر المهمـة لنجـاح أي مـشروع وخاصـة التفكـر خـارج الصنـدوق بطريقـة إبداعيـة، ثـم قـدم رحلتـه الناجحـة كقصـة نجـاح، ثـم عـرض بعـض نتائـج المـشروع دون أن يسـمي الأشـعة للحفـاظ عـلى السريـة.. إن العلـم دائـرة مغلقـة وترهـا المعلومـات الأساسـية ومحيطهـا المعلومـات المتجـددة التـي تـدور حـول الوتـر فتنشـأ منهـا دوائـر جديـدة، وكأنهـا برعـم مـن الدائـرة الأم تمامًـا كالدوائـر التـي نراهـا في المياه الراكـدة بمجـرد إلقـاء حجـر في المـاء عندمـا تتولـد دوائـر عديـدة مـن الدائـرة الأصليـة. واسـتمر خالـد في العـرض والتحليـل حتـى انتهـى مـن المحـاضرة التي كان عنوانهـا البحـث العلمـي التطبيقـي بـين الحقيقـة والخيـال فكانـت قصـة خالـد التـي عرضهـا مثـالًا بينًـا عـلى أنـه حقيقـة وليـس خيـالا.

انتقـل البرنامـج إلى الجلسـة الخاصـة بطريـق وآليـة التصنيـع وهـي المرحلـة الأخـيرة مـن المـشروع. طلـب خالـد أن تكـون هـذه الجلسـة مغلقـة بينـه وبـين د.

تاناكا ورجال الأعمال والصناعة الذين أظهروا اهتمامًا بالنتائج حيث كانت توصيات المؤتمر مشجعة وواضحة، وهي المزيد من التجارب للكشف عن تطبيقات أثر الأشعة، وسرعة التوصل إلى نموذج معملي ممكن تصنيعه وبثمن لا يزيد عن ثمن ساعة اليد أو أقل.

اشترت حق الانتفاع شركة يابانية من ضمن الشركات التي حضرت المؤتمر بعد أن قدمت عرضًا ماديًّا مغريًا وقامت بالفعل بتصنيع الجهاز على أحدث مستوى تقني، ولكن للعرض فقط. وبعد أن اطمأن د. تاناكا وخالد إلى أن عرض الجهاز لاقى رغبة الآلاف خلال أسبوع واحد فقط قررا أن يقوما بنشر نتائج المشروع في الدوريات العالمية والمؤتمرات والندوات وإزالة السرية عن مخرجاته والإعلان عن المنتج في كل وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمقروءة، وبالفعل نجحت الإعلانات نجاحًا منقطع النظير بعد أن ظهر الإعلان في التليفزيون بأكثر من طريقة، فهذا رجل في سن الشيخوخة يظهر وهو يشتري ساعة «وقت للبيع» والتي بمجرد أن يرتديها وبضغطة على زر الحاضر أو الماضي أو المستقبل يتحكم في زمنه ليسرع أو ليبطئ معدل جريان واتجاه زمنه الحاضر أو الماضي أو المستقبل ليقف عند حدث أو أحداث بعينها، ومدى فرحة العجوز بهذا الحدث. وإعلان آخر يظهر طفلًا أو شابًّا يرتدي الساعة وهو يفكر في حدث في المستقبل امتدادًا لأحداث الحاضر .... وهكذا ظهر للإعلان فعل السحر لأنه ولأول مرة يستطيع أي إنسان التحكم في الوقت لفترات معقولة قد تصل إلى الخمس دقائق وهو وقت طويل جدًّا إذا ما قورن بوقت الأحلام.

غمرت خالد نشوة الفرحة العارمة بالتوصل إلى كل هذه الإنجازات في فترة قصيرة لم تتجاوز العام وكأن الله استجاب لدعوات أبيه وأمه مرة واحدة. فيكفي الآن أنه غير قلق على الحصول على الدكتوراه، فلديه أطنان من النتائج القابلة للنشر في أفضل المجلات العالمية، وها هو سيصبح مشهورًا في اليابان ومصر والعالم أجمع خاصة بعد أن طلبت الشركة المعلنة إضافة لقطة علمية مع د. تاناكا وخالد إلى الإعلان، وها هو قد وصل إلى المنتج النهائي الذي اتفقت عليه الشركة المنتجة على حق تصنيعه وتقديم عرض مالي كبير سوف يكون لخالد نصيب كبير منه. وها هو قد حقق إنجازًا

علميًّا كبيرًا سوف يضعه في مصاف العلماء الكبار بمجرد أن ينشر هذه النتائج في الدوريات والمؤتمرات العالمية.

ماذا يريد خالد بعد ذلك من إنجازات فقد وصل بسلم الكفاح الذي صنعه من أخشاب الطموح ومسامير الحرمان وقادوم الحظ الفكري ودقات دعا الوالدين إلى سماء المجد العلمي والمالي والشهرة. إنه فعلًا فضل الله الذي يؤتيه من يشاء وأينما وكيفما يشاء. هكذا قال خالد في نفسه وهو يعيد شريط ذكرياته ومدى الشقاء والحرمان الذي قابله في حياته. حقًّا الحرمان أنف نستنشق به الشقاء، ولكن أيضًا نشم به رائحة المجد حين يتحقق، فكيف نشعر بصهد تحقيق الأحلام بدون نار الحرمان؟

لكم تمنى خالد أن يكون والده ووالدته وكذلك صديقه أحمد و د. توفيق بجانبه في تلك اللحظات الحاسمة والجميلة في حياته والتي يتدحرج فيها المجد إلى حجره وكأنه يهبط من هضاب الحظ له وحده. وكم تمنى أن تكون بجانبه شعاع القلب همسة تملأ قلبه بالحب والدفء الذي ما زال يبحث عنه وسط كل هذه الأمجاد فلا يجده إلا سرابًا يفترش طرق الحياة، فإذا كان حب والده وحب أصدقائه وأساتذته وحب العلم يملأ حجرات قلبه إلا أن الحب الذي كان مع همسة كان لقلبه الضوء لحجرات قلبه .فما زال قلب خالد عطشان إلى نوع آخر من الحب الذي لا تعرفه إلا القلوب التي لمس جدارها برق ورعد المشاعر في ليلة كانت وكأنها ألف ليلة وليلة. آه يا خالد ليت أشعتك بيع الوقت تعمل على القلوب مثلما تفعل في العقول، ولكن إذا كان للعقل مفتاح فللقلب ألف مفتاح.

لم تنقطع التليفونات عن الرنين سؤالًا عن ساعة «وقت للبيع» فقد وصلت د. تاناكا وخالد آلاف مؤلفة من رسائل البريد الإلكتروني استفسارًا عن ثمن وميعاد يتم طرحها في الأسواق مما دعا د. تاناكا أن يقرر افتتاح شركة خاصة كمنفذ لتوزيع هذا المنتج فور الإعلان عنه رسميًّا.

أثار هذا النجاح خالد أن يجرب الجهاز الجديد على نفسه مرة ليبحر إلى أوقات زمانه الجميلة والقليلة في الماضي التي كان يشعر فيها بحلو الحياة

كلهـا, الأوقـات التـي قابـل فيهـا همسـة ومـلأت قلبـه وأذنيـه وعينيـه, ومـرة ليبحـر إلى أوقـات زمانـه في المسـتقبل، فمـن يـدري فلعلـه يقابـل همسـة ولـو صدفـة هنـاك. ولكنـه كلـه شـوق للإبحـار في المـاضي، فـكل الأحبـاب والذكريـات الجميلـة قابعـة هنـاك، فقـد كانـت أجمـل اللحظـات عندمـا يعـود إلى البيـت منهـكًا مـن العمـل فيجـد والـده -عـم صابـر - كـما يناديـه أهـل الحـارة ومـن يعرفـه - في انتظـاره عـلى بـاب البيـت مبتسـمًا ابتسـامة الحيـاة وكأنـه أمسـك عـن نفسـه كل ابتسـامات اليـوم ليعطيهـا مجمعـة في ابتسـامة عاليـة التركيـز والتـي تكفـي العـالم كلـه إن أراد أن يبتسـم بحنـوّ وإخـلاص، يمـد عـم صابـر يـده إلى خالـد ليمسـك بيـده وهـو يصعـد درجـات البيـت الثـلاث وكأنـه يريـد أن يقـول لـه :أنـا هنـا لـك أب وأخ وصديـق للاعتـماد والتوكـؤ عليـه حتـى ولـو كنـت لم أعـد قـادرًا عـلى خـوض تجـارب العمـل في شـوارع المدينـة. أنـا هنـا لـك أم لأعوضـك عـن حنـان أمـك التـي تركـت الحيـاة وهـي بينـي وبينـك تغنـي باسـمك دون أن تنطقـه، ولمَ لا وهـي التـي كانـت تضحـك معـك حـين عودتـك مـن المدرسـة وتقبّلـك وكأنـك طفـل وليـد، وتنـادي عليـك كل يـوم باسـم جديـد. كنـت يـا خالـد لأمـك كل الأسـماء فاسـم خالـد ليـس مجـرد اسـم بـل أعطتـه لـك ليمثـل معنـى الخلـود لوليدهـا الـذي يسـتحق أن يحمـل كل الأسـماء.

كانـت أم خالـد أمًّـا تتمتـع بـطيبة بالغـة, يحبهـا كل مـن يعرفهـا ويتعامـل معهـا، طيبـة تسـكنها وكأن شـجرة الطيـب قـد نبتـت مـن قلبهـا وتفرعـت في روحهـا فـلا تثمـر إلا كل كلام طيـب حتـى في أحلـك ظـروف الحيـاة خاصـة عندمـا كان أبـو خالـد يخـرج همـوم الحيـاة ويلقيهـا بـين يديهـا، كانـت دائمًـا لوالـده الوعـاء الـذي تلقـي فيـه حبـات الهمـوم لتمضغهـا هـي عمـدًا لتظـل الهمـوم بعيـدًا عـن هـذا البيـت الصغـير التـي لا تعـرف هـي مـن قـارات الدنيـا الخمـس إلا حجرتيـه، ولا تعـرف في هـذا العـالم إلا رجليهـما؛ خالـد وأبـا خالـد. أم خالـد لا تتأفـف مـن كـثرة الأحـمال وحبـات الهمـوم التـي تمضغهـا بصـبر وعـن طيـب خاطـر فقـط همهـا الوحيـدان اللـذان تحمـل همهـما خالـد وأبـو خالـد.

تحملـت أم خالـد ومضغـت حبـات الهمـوم أكـثر مـما مضغـت وهضمـت حبـات الأرز والعـدس فداهمتهـا الأوجـاع وتركـت صابـر وسـط ثـرى الهمـوم التـي تـأتي بهـا الحيـاة والتـي تراكمـت جبـالًا لمـا توقـف المضـغ بحنـان أم

خالـد. خالـد ينظـر إلى أمـه كرمـز للأمومـة الحانيـة الفطريـة, عنـوان للحـب الصـافي والطيبـة التـي لم تلوثهـا متـع الحيـاة. رحمـة اللـه عليـكِ يـا أمـي لكـم كنـت أتمنـى أن يمـد اللـه في عمـرك لأرى ابتسـامتك بنجاحـي الـذي لم يـأتِ إليّ متدحرجًـا هكـذا إلا بدعائـك ورضـاكِ عنـي أنـتِ وأبي الحبيـب. ولكـن أنـتِ في قلبـي ومـا زالـت ابتسـامتك الطيبـة الحنونـة تزيـن أركان قلبـي، تحمينـي مـن نفـسي ومـن حقـد الآخريـن. مـا زالـت ابتسـامتك وصوتـك يـوم الجمعـة وأنـتِ توقظينـي للصلاة أحـلى لحـن وأعـذب أنشـودة يطيـب لهـا قلبـي وتقوينـي عـلى ثقـل أحـمال الحيـاة.

آه يـا أمـي لكـم كنـت أتمنـى أن تشـاركيني مشـاعر حبـي لهمسـة الـذي تمنيتـه أن يبقـى في قلبـي ويترعـرع ولا يهـرم كحبـي لـكِ, ولكـن حبـي لهـا توقـف بعـد أن ترعـرع, وذبـل لمـا هـاج وأينـع فاصفـر تـذروه ريـاح البعـد والهجـر الـذي لا حيلـة لي بـه. آه يـا أم خالـد حـب الأمهـات نسـيج مـن الحريـر الطبيعـي الـذي يحلـو كلـما تزينـا بـه فيبقـى أمـد الدهـر. هـو الحـب الـذي لا ينازعـك فيـه أحـد فيـه، حـب متفـرد للبنـوة كلـما أخـذت منـه زاد. لكـم تمنيـت أن يتعلـم الحـب العـذري مـن حـب الآبـاء كيـف يكـون الحـب.

لتبدأ بعيدًا عن قمم الآخرين حتى لا تدوسك أقدامهم

«وهنـاك مـن الذبـح العلمـي مـا ينفـذ بسـكين صدئـة وبيـد مـن فـولاذ تـرى شرايـين وأوردة الـرأس التـي تذبحهـا مجـرد أسـياخ مـن الحديـد «

في وسـط هـذا الزخـم الإعلامـي وخالـد يشـعر بنفسـه طاوسًـا يمـشي فـوق السـحاب يجـر وراءه إنجازاتـه، ريـش يغطـي جسـد واقعـه, إنجازاته التـي كان هو المحـرك لهـا مـن مرقدهـا بفعـل مشـاهداته ورؤيتـه المختلفـة للأمـور، إذ يفاجـأ بمـن يخـبره أن د. تانـاكا يبحـث عنـه ويريـده في الحـال وبـدون أي تلـكأ لأن الأمـر هـام، حـاول خالـد معرفـة الأمـر ولكـن لا أحـد يعلـم أي شيء سـوى أن د. تانـاكا متجهـم الوجـه وليـس كعادتـه. أسرع خالـد إلى مكتـب د. تانـاكا وقلبـه ينبـض كالعصفـور وكل الاحتـمالات تمـر بخيالـه، فهـل قـام د. تانـاكا بتطبيـق الجهـاز عـلى نفسـه كـما كنـت أنـوي أن أفعـل بعـد دقائـق ولم يجـد تأثـيرًا لهـا، كيـف وكل النـاس أحسـت وتعايشـت هـذا السـحر في التحكـم في الوقـت؟ هـل الشركـة المصنعـة للمنتـج تخلـت عـن اتفاقهـا عـن التصنيـع؟ إذا كان ذلـك فهـذا ليـس بسـبب فهنـاك آلاف الـشركات التـي تتمنـى أن تنـال شرف التعاقـد .وتـواردت الأفـكار مـن كل جانـب عـلى رأس خالـد وهـو في طريقـه إلى مكتـب د. تانـاكا.

دخـل خالـد عـلى د. تنـاكا في مكتبـه وقلبـه معلـق في حلقـه: خـير يـا أسـتاذي. لم يـرد د. تانـاكا عـلى الفـور إلى أن جلـس خالـد أمامـه عـلى المكتـب متلهفًـا إلى رده. نظـر د. تانـاكا إلى خالـد نظـرة كلهـا إحبـاط معطيًـا إيـاه فاكـس باللغـة الإنجليزيـة ليقـرأه بتـأنٍّ. أخـذ خالـد الورقـة متوجسًـا وكعادتـه قـرأ العنـوان المرسـل منـه الفاكـس، فدهـش دهشـة كلهـا خـوف وانزعـاج شـديد عندمـا علـم أن الجهـة التـي أرسـلت الفاكـس, وانزعـج أكـثر عندمـا وقعـت عينـاه عـلى آخـر سـطرين في الخطـاب ولم يصـدق نفسـه.

سـأل د. تانـاكا: أهـذا صحيـح أم أن أحـدًا مـا يحيـك المكائـد بنـا؟ هـذا صحيح مائـة في المائـة يـا خالـد؛ لأنـه قـد وصلتنـي صـورة مـن هـذه الرسـالة مـن مكتـب

الأمـن القومـي اليابـاني ليخـبروني بهـذا الأمـر الجلـل ومـا يجـب علينـا تنفيـذه عـلى الفـور تجـاه تحقيـق مـا جـاء بالفاكـس. رد خالـد بشـفاه مرتعشـة وعينـين زائغتـين: أيعقـل هـذا يـا أسـتاذي؟ أبعـد كل هـذا العمـل الشـاق والـدءوب ليـل نهـار الـذي تكلـل بـكل هـذه النجاحـات العلميـة ينتهـي الأمـر بالمـشروع هكذا؟! ألا يوجـد لنـا حقـوق ندافـع عنهـا لوقـف تنفيـذ هـذا الهـراء؟! رد د. تانـاكا بجديه وكأنـه ينهـر خالـد: إنـه ليـس هـراء، إنـه أمـر لا نسـتطيع إلا قبولـه كأمـر واقـع وتنفيـذ المطلـوب، إنهـا أمـور خـارج نطـاق المناقشـة، نحـن علـماء ولا يجـب أن نـزج بأنفسـنا إلى معـترك السياسـات الكـبرى والأمـن القومـي للبـلاد.

وكيـف عرفـوا ذلـك يـا أسـتاذي ولمـاذا لم يبلغونـا في الوقـت المناسـب حتـى نفكـر في أمـر آخـر؟

لماذا تركونا هكذا لنحقق ما حققناه ثم يصدر هذا القرار؟

أيعقـل أن تهـدم أعـمال أكـثر مـن سـنة وميزانيـة مكلفـة بمجـرد رسـالة مـن سـطرين؟!

لمـاذا لم ترسـل لنـا المخابـرات الأمريكيـة بهـذه الرسـالة قبـل أن نبـدأ المشروع؟ إنهـا مأسـاة كبرى!

أبعـد كل هـذا الجهـد الذهنـي والجسـدي والمـالي وكل هـذه النتائـج مـن الإبداعـات العلميـة غـير المسـبوقة تـأتي المخابـرات الأمريكية لترسـل فاكسًـا لتأمرنا أن نوقـف المـشروع ونتخلـص مـن نتائجـه أو نسـلمه إليهـا مـن خـلال الأمـن القومـي اليابـاني؟ أنـا أعـترض بشـدة يـا أسـتاذي عـلى هـذا الفاكـس المقتضـب والـذي لا يبـين أي أسـباب علميـة أو أمنيـة يمكـن الاقتنـاع بهـا. أنـا كلي حـزن أن تتنـاول أكـبر دولـة راعيـة للعلـم في العـالم.. أن تحـارب مشروعنـا بعـد أن نجـح كل هـذا النجـاح الكبـير.

تحـدث خالـد في نفسـه: مـاذا حـدث يـا خالـد؟ هـل حسـدت نفسـك عـلى النجاحـات التـي كنـت تقـول إنهـا تهبـط إليـك متدحرجـة مـن هضاب السـعادة؟ إنهـا لم تكـن تتدحـرج بهـذه السرعـة إليـك بـل إلى محيطـات الوهـم الـذي يمـلأ الحيـاة، والوهـم الـذي كانـت سـاعات التحكـم في الوقـت سـوف تبيعـه للنـاس.

أيستجيب الله لدعاء والدي لتملأني النجاحات ثم تنقلب إلى اللا شيء. من وراء كل ذلك؟ وماذا سوف يحدث لو تحقق تنفيذ ما تطلبه المخابرات الأمريكية والأمن القومي الياباني. أتنتهي القصة على ذلك؟ لقد كان السيد ذكيًّا عندما رفض الاهتمام والانضمام للمشروع وفكرتي التي أبهرت الجميع وكأنه كان يعلم بهذه الأحداث مسبقًا، ومن يدري فمن المحتمل أنه يتبع المخابرات الأمريكية ونحن لا ندري. تبًّا للسياسة والسياسيين.

أنا لم أنتمي أبدًا لأي حزب أو أي فصيل سياسي، ولم أتحدث أبدًا في السياسة لعلمي أنها متقلبة وكل من بها يعلم أنه تاركها يومًا ما بكبري المشاكل. أنا رفضت أن أترشح لاتحاد الطلاب رغم أن فرصة نجاحي كانت كبيرة بناءً على طلب الزملاء والأساتذة إلا أني رفضت لأركز على الدراسة وأبعد عن تقلبات السياسة. وأنا لم أنتمي لأي حزب سياسي في مصر بعد تخرجي رغم كل المغريات التي عرضت على ولكن لم أشأ أن أحيد عن فلسفتي في الحياة.. إبعاد السياسة عن دياري حتى لا تقف أمام أحلامي.

أهو قدري أن أفقد كل شيء أحببته واقترب مني في الحياة؟ أمي أولًا وقد كانت تمثل لي صنبور الحنان الذي أرتوي منه يوميًّا، تركتني بعد أن كبرت وتعلقت حبًّا بها، وهمسة التي ملأت عليَّ حياتي وجعلتني قلبًا حنونًا يمشي على الأرض.. تركتني بعد أن امتلأت بعنفوان حبها، وتعييني في الجامعة بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى فحُرمت منه وقد كان كل أحلامي، والآن نفس السيناريو يتكرر وتخطف مني أحلامي التي حققتها، إنه القدر الذي يحرم، ثم يعطي، ثم يحرم وها أنا في مرحلة الحرمان مرة أخرى. وقدري أن الفترة بين الحرمان والعطاء دائمًا ما تكون طويلة قبل العطاء مرة أخرى وإن تحقق.

هون عليك يا خالد فلن نستطيع فعل شيء، أنا أقدر مجهودك الكبير والمبدع الذي أوليته أنت لهذا المشروع حتى وصل إلى هذه النتائج المبهرة التي كنا على وشك تطبيقها وجني ثمارها العلمي والمادي. وأنت تعلم كم أنا فخور بك لإنجاحك هذا المشروع، ولذلك جعلتك تقوده بالنيابة عني وهذا ما لم أفعله مع أي أحد من تلاميذي من قبل سواء من اليابان أو

أي دولة أخرى. أنا يا أستاذي رغم عوزي للمال الذي من الممكن أجنيه من وراء هذا المشروع إلا أنني أحببته من كل عقلي وجعلته هدفي بل محط أهدافي وطموحاتي العلمية، أتظن يا أستاذي أن سبب قيادتي لهذا المشروع المهم هو الذي أدى إلى تدخل الوكالة الأمريكية في طلب بل الأمر بوقف هذا المشروع بهذا الشكل وعدم استخدام أي من نتائجه في التطبيق حتى وصل الأمر إلى تسليم النتائج إليهم أو إعدامها. أيكون كل ذلك بسببي خاصة وأني شاب ومن الشرق الأوسط؟ أيكون قدري أن أكون سببًا لإنجاح المشروع وفي نفس الوقت سببًا لإفشاله بل إعدامه؟ إذا اكتشفت أن هذا صحيح فلن أسامح نفسي على الضرر الذي تسببت فيه لمعملك يا أستاذي.

لا يا خالد، أنت خارج نطاق هذه الأحداث، الأسباب مختلفة تمامًا.

إذن بالله عليك أن تخبرني بهذه الأسباب حتى أجد مبررًا لما حدث هكذا فجأة وبدون مقدمات.

وقف د. تاناكا مطلقًا بصره لسقف الحجرة، ثم ترك عينيه تدور على الساعات المعلقة على كل جدار بمكتبه وكأنه يودعها إلى الأبد كساموراي ينهي حياته القتالية بالاعتزال عن السيف والدرع، وعيونه معلقة على الساعات قال لخالد: السبب وراء ذلك يا خالد -وكما جاء في التقرير الذي وصلني من الأمن القومي الياباني- أن وكالة المخابرات الأمريكية كانت قد بدأت مشروعًا مماثلا لفكرة مشروعك منذ سنوات، وأنهم قد انتهوا بالفعل من الوصول إلى منتج مشابه للساعة التي أنتجناها للتحكم في الوقت تمامًا كما فعلنا نحن عن طريق أشعة محددة تولدها مولدات دقيقة تبرمج بأكواد بناءً عليها يبحر الإنسان في الزمن الذي يرغبه وبالطريقة التي يحددها بشرط الرجوع مرة أخرى لنقطة الحاضر بدون أي تأثير يذكر.

هذه هي نتائج المشروع الذي توصلنا إليها أستاذي في خلال ستة أشهر كيف يكون هذا التطابق؟ وحتى لو كان فلماذا لم يتم تسجيل ذلك كبراءة اختراع أو ينشر في الدوريات العلمية حتى يعلم الباحثون من قبل خوض التجارب فيه وصرف الأموال ناهيك عن الوقت خاصة وأننا بحثنا في كل مكان ولم نجد أي دراسات مسبقة في هذا المجال لدرجة أن الجلسة السرية

للمؤتمـر الأخـير أوصـت بالعمـل للوصـول لدراسـات جديـدة تضيـف إلى هـذا المجـال المهـم. وهـا نحـن قـد فعلنـا، والمؤتمـر تـم تنظيمـه مـن قبـل الجمعيـة الأمريكيـة فكيـف أن الجمعيـة لم تعلـم؟ ولمـاذا لم تنـوه عـن الدراسـات التـي تجريهـا الوكالـة؟ ثـم مـا يدرينـا أن هـذه الدراسـات تمـت بالفعـل وأن هـذا ليسـت مـن أمـور القرصنـة العلميـة؟ أضـاف ذلـك خالـد وهـو منفعـل ويـكاد يـضرب الهـواء الـذي يتنفسـه بكلتـا يديـه.

لا يـا خالـد، هـذه ليسـت قرصنـة علميـة مـن هيئـة كبـيرة مثـل الوكالـة الأمريكيـة للمخابـرات، ولكـن هـي الحقيقـة بعينهـا، والدليـل أرسـلوه لي مـن خـلال الأمـن القومـي اليابـاني عبـارة عـن بعـض المسـتندات والنمـوذج الـذي تـم تصنيعـه. وفيـما يسـتخدمون هـذا الآلـة التـي قامـوا بتصنيعهـا وعـلى مـن يطبقـون. كان رد د. تانـاكا مدويًّـا وصاعقًـا لخالـد عندمـا أخـبره أنهم يسـتخدمونه في معرفـة سـجل والأفـكار والخطـط المسـتقبلية للمشـتبه فيهـم والجواسـيس والأسرى مـن أي مـكان في العـالم وخاصـة مـن الـشرق الأوسـط لمحاربـة الإرهـاب والعنـف الـدولي. أنـا لا أصـدق ذلـك يـا أسـتاذي كيـف يتـم اسـتخدامه لخـرق أفـكار وخصوصيـات النـاس هكـذا؟ نحـن عندمـا فكرنـا في التحكـم في الوقـت كان للنـاس وبعـدم التدخـل في حياتهـم بـل لإعطائهـم الفرصـة لزيـارة أوقـات قـد يجـدون فيهـا السـعادة. هـذا أنـا وأنـت يـا خالـد، أمـا أمـن الـدول يسـتخدم فيـه كل شيء للحفـاظ عـلى الأمـن القومـي. تقبـل الأمـر الواقـع يـا خالـد فالمناقشـة بيننـا الآن هـي لإقناعـك بأسـباب مـا حـدث وليـس لإيجـاد طريقـة لمنـع مـا حـدث؛ فالأمـن القومـي للـدول لا تقـف أمامـه أسـباب.

أصيـب خالـد بصدمـة كبـيرة كصدمتـه فـراق همسـة لـه وأحزنتـه حزنًـا أعمـق مـن حزنـه عـلى فـراق أمـه لـه, وغضـب أشـد مـن غضبـه عندمـا فقـد تعيينـه معيـدًا بالجامعـة، إنـه الآن كمـن فقـد هويتـه أو كمـن احتـسى مـاء المحيـط المالـح كلـه فأصبـح عطشـان لميـاه الأنهـار كلهـا .

لا مفـر مـن الرضـوخ طالمـا أن د. تانـاكا يعلـم الأمـر برمتـه وتفاصيلـه، ولكـن مـاذا أنـا بفاعـل برسـالة الدكتـوراه وبأحلامـي العلميـة والاجتماعيـة؟ ومـاذا أخـبر والـدي وصديقـي محمـود؟ سـوف تكـون صدمـة قاسـية لهـم بنفـس وقعهـا عـلى أو أشـد وقعًـا.

وماذا أقول في نفسي لهمسة؟ أعرف أنها لا تسمعني ولن تقابلني ولكني عاهدت نفسي أن أكون شيئًا كبيرًا عندما أعود لمصر فتعلم منهم أني حافظت على عهدي لها حتى ولو بعد رحيلها عن حياتي. لماذا تتزين لي الحياة هكذا وتلبسني أثواب السعادة التي ملؤها الطيب، ثم يأتي من يقتلعها عني بحجة أنها أثوابه هو وليست لي؟ تحسر خالد على ما هو فيه من سقم نفسي وصراع داخلي فهاجت نفسه بتلك الكلمات مخاطبًا اللا شيء.

أبحث عن سكن بين السحاب

لأبكي دمعًا حتى تفيض سحابتي

فيصبح جسدي مطر السماء

يتساقط فتمتلأ كئوس شقوتي

فلعل مقلتيا يهجرها الشقاء

ولعل البسمات تشارك وحدتي

سبح خالد بقارب أحلامه في بحور أحزانه بلا مجاديف, لا تحزن يا خالد، هكذا قدرك، وهكذا الله أراد لك فلتبدأ من جديد، وليكن الله معك. ولتبدأ بعيدًا عن قمم الآخرين حتى لا تدوسك أقدامهم عنوة ولتبدأ بعيدًا بعيدًا، وأبحث في شيء لا يعني الآخرين المسيطرين الذين ملكوا الأشياء ومن صنعوا الأشياء، الذين ظنوا أنهم يقولون: اعمل ولا تعمل فنحن هاهنا المسيطرون.

لم يستطع خالد أن يبقى طويلًا مع د. تاناكا لما أدرك أن الأمر قد قضي فاستأذن منه والذي ألح عليه أن يبقى لمناقشة المستقبل فلم يستطع خالد واستأذن وعيناه ترغرغ ببكاء حبسه في مقلتيه إلى أن يعود إلى غرفته لينعي حظه وحده بعيدًا عن العيون. خرج خالد من مكتب أستاذه وكأنه خارج لتوه من معركة حربية كان قد أوشك فيها على الانتصار، ثم فوجئ بقرار الانسحاب من قادته، وها هو يخرج ليعلن قرار الانسحاب على كل من حوله، ولكنه فجأة تذكر أنه لا يستطيع حتى إعلان قرار الانسحاب، فالانسحاب هو الآخر يجب أن يكون سرًّا.

إنـه حـرم حتـى مـن إعـلان الانسـحاب، مـا كل هـذا الـذل العلمـي الـذي يعصـف بي هكـذا؟ إنـه كالـبرق والرعـد الـذي هاجمنـي مـن شرفـة حجـرتي في الليلـة التـي لـن أنسـاها، الليلـة التـي أوصلتنـي إلى مـا أنـا عليـه الآن.

كنـت قبلهـا أحلـم بالأمجـاد العلميـة، وأصبحـت بعدهـا أتحقـق مـن الأحـلام وأتمنـى تحقيقهـا، ثـم تمكنـت بعدهـا أن أحقـق تلـك الأحـلام، وهـا أنـذا الآن أحطـم الأحـلام في نفـسي بنفـسي وكأنهـا أصنـام كنـت أعبدهـا.

أصبحـت أشـك في كل شيء وكل مـن حـولي، حتـى أني أشـك في الرعـد والـبرق الـذي هاجمنـي مـن شرفتـي، فلـماذا أنـا الـذي هاجمنـي؟ ولمـاذا هجـم في الوقـت الـذي رجعـت فيـه إلى غرفتـي؟ أكان ينتظـرني في السـماء حتـى ينقـض عـلى فأمـوت مـن أشـعته أو أروضهـا كـما فعلـت بأغطيـة الأواني الزجاجيـة؟ أتـرى أن الوكالـة هـي التـي بعثـت لي بهـذا الـبرق والرعـد الشـديد لـكي تعلـم مـا بي داخـلي ومـا أنـا بصانـع؟ أكان برقًـا ورعـدًا صناعيًّـا وأشـعة موجهـة تـم توليدهـا مسـبقًا بوظائـف محـددة.

أهـذه هـي الأشـعة التـي توصلـت إليهـا الوكالـة قبـلي بسـنين فأرسـلتها تهاجـم كل مـن يعمـل في مـشروع د. تانـاكا لـكي تبحـر في أفـكاره وتعلـم مـا يفكر في المسـتقبل فتقـوم بتنفيـذه عـلى الفـور والانقضـاض عـلى صاحـب الفكـرة بعـد تنفيذهـا حتـى تكـون قـد تأكـدت مـن تحقيـق الفكـرة عـلى أرض الواقـع دون أي نفقـات؟ نعـم، كل هـذا جائـز يـا دكتـور خالـد, اللقـب والـذي منحـه لـك د. تانـاكا سـتفقده بـلا رجعـة، لكـم كنـت سـعيدًا بهـذا اللقـب ليـس لأن النـاس تنـادي عـلى بلقـب دكتـور ولكـن لأنـه فخـر لي مـن أسـتاذي، وللأسـباب التـي منحهـا بسـببه لي. لم تعـد هنـاك فرحـة بالألقـاب .

قـد يكـون كل مـا يـدور في ذهنـي عـن إرسـال الرعـد والـبرق صحيحًـا ولم لا فهـو يفـسر الحالـة النفسـية التـي نقلتنـي في دقائـق معـدودة إلى عـالم آخـر، قـد يكـون هـذا العـالم هـو الـذي كانـت تريـده الوكالـة لتعلـم مـا بذهنـي كـما فعلتـه بالتأكيـد مـع باقـي فريـق العمـل. ومـن يـدري يجـوز أن ذلـك حـدث مـع د. تانـاكا نفسـه إلا إذا كان هـو الآخـر عـلى علـم بـكل شيء مـما يفـسر كل الكـرم العلمـي الـذي منحـه إيـاي وفي وقـت قصـير. نعـم يـا خالـد كل ذلـك قـد

يكـون صحيحًـا. لـو كان كذلـك فـكل مـا يـدور في ذهنـي الآن مؤكـد يسـجل، فهـم أصبحـوا داخـل عقـلي. آه مـن هـذا اللغـط والوسوسـة الفكريـة, أجننـت يـا خالـد؟ اثبـت وتـوكل عـلى اللـه وليفعـل اللـه مـا يشـاء.

أنـا لا أسـتبعد أن أمـيركا قـد سـجلت وعلى بيـاض كل حقـوق الملكيـة الفكرية مـدى الحيـاة للعـالم أجمـع للانتفـاع مـن منتجاتهـا، علمـوا أصحابهـا أو لم يعلمـوا رضـوا أم لم يرضـوا. وهـا أنـذا انطبـق عـلى قانـون القـوة هـذا. اصمـت يـا خالـد ولا تتكلـم، فمـن يـدري لعـل المخابـرات الأمريكيـة وضعـت الجهـاز في مخـك وأنـت نائـم لتسـجل مـا يـدور في عقلـك مـن أفـكار. اصمـت وإلا قـد يأخذونـك عهـدة مـن ضمـن نواتـج المـشروع. نعـم، مـن الآن لـن أفكـر، بـل سـوف أنفـذ مـا يمـلي عـليّ حتـى لا أكـون عرضـة لهـذا الذبـح العلمـي بسـكين صدئـة وبيـد مـن فـولاذ تـرى شرايـين وأوردة الـرأس التـي تذبحهـا مجـرد أسـياخ مـن الحديـد .

سـوف أغـير مسـار بحثـي، سـوف أغـير معمـلي، سـوف أغـير أسـتاذي، ولكـن هـل أغـير نفـسي؟! إنهـا إذن لحـيرة كـبرى! لا أظـن أنهـم بتـاركيّ، فـلا يعقـل أن أكـون وراء كل هـذه الاكتشـافات العلميـة التـي جعلـت الأمـن القومـي في دولتـين كبيرتـين يتخاطبـا في شـأن مـن صنـع فكـري، ثـم يقـررا إنهـاء المـشروع دون علمـي ثـم يطلبـا منـي التنفيـذ وكأنـه أمـر منتـهٍ. أظـن أنهـم ليسـوا بتـاركي بعـد ذلـك، ولا أسـتبعد أن يكـون اسـمي الآن عـلى قائمـة المطلوبـين دوليًّـا بمـا فيهـا مـصر الحبيبـة، لا أسـتبعد أبـدًا أني سـوف أسـتقبل في مطـار مـصر عنـد عـودتي اسـتقبالًا خاصًّـا وليـس انتصـار العلـماء الـذي كنـت أحلـم بـه هنـاك قبـل مجيئي. اسـتقبال المشـبوهين والمطلوبـين. آه يـا خالـد، هكـذا دارت الدائـرة عليـك وأصبحـت الآن في خـبر كان. إنـه القـدر الـذي لا أملـك إلا أن نتقبلـه بقلـب المؤمـن الـذي فعـل كل مـا لديـه وبـكل مـا أعطـاه اللـه مـن إمكانـات لخدمـة البشريـة فانقلبـت عليـه أكـبر قـوة في البشريـة إذا كانـت بالفعـل بشريـة.

وصـل خالـد إلى مكتبـه ليلملـم حاجياتـه قبـل أن يعـود لسـكنه لعلـه يشـعر ببعـض الراحـة هنـاك بعيـدًا عـن المعمـل والنتائـج التـي توصـل إليهـا والمعلقـة عـلى جـدران المعمـل أمامـه عـلى هيئـة معلقـات. وصـل خالـد إلى مكتبـه منهـكًا وكأنـه مـشى آلاف الأميـال داخـل دهاليـز عقلـه. ارتمـى عـلى مقعـد مكتبـه وكأنـه شـيخ في التسـعين، وقبـل أن يضـع رأسـه بـين يديـه ليريـح فكـره قليـلا قبـل أن

يذهـب وقبـل أن تنفجـر رأسـه أو يفقـد عقلـه إذ بالسـيد يقـف وراءه مبتسـمًا ابتسـامة تنفجـر منهـا بالشـماتة، ابتسـامة لا يـدري كيـف يصنعهـا هـذا السـيد بعضـلات وجهـه وشـفاه، ابتسـامة تلفـظ شرر النفـوس فتحـرق القلـوب الطيبـة المخلصـة والمتعبـة.

-أيـه يـا خالـد، مالـك حزيـن هكـذا؟ أفقـدت شـيئًا أو شـخصًا أو مشروعًـا عزيـزًا عليـك؟ مـا بـك يـا أخـي؟ احـكي لي فنحـن أصدقـاء ومـن يـدري لعـلي أسـتطيع مسـاعدتك.

-أنا ليس بي شيء يا صديقي العزيز، أنا فقط مجهد من كثرة العمل.

-أعانـك اللـه عـلى مشروعـك الكبـير الـذي سـوف تتخطـى بـه كبـار العلـماء وأنـت مـا زلـت شـابًّا يافعًـا وسـوف تسـعد وتفخـر بـك مـصر ويسـتقبلونك عندمـا تعـود اسـتقبال الأبطـال في المطـار. هنيئًـا لـك يـا صاحبـي يـا مـن تفوقـت عـلى الجميـع.

ابتسـم السـيد ابتسـامة ملآنـة بنشـوة الانتصـار عـلى خالـد. أتـرى السـيد هـو مـن وراء مـا حـدث وأنـه هـو الـذي أوشى بي انتقامًـا منـي وحقـدًا عـلي؟ قـد يكـون فأنـا أشـم رائحـة الشـماتة في أنفاسـه وأراهـا في عينيـه وأشـعر بهـا في ابتسـامته الصفـراء والسـوداء تلـك. فليكـن مـا يكـون وليفعـل اللـه مـا يشـاء طالمـا أن هنـاك ربًّـا فـلا داعـي للقلـق ولنتقبـل المكتـوب.

أخـذ خالـد شـنطته، ومـشى تـاركا المعمـل قاصـدًا البوابـة ومـارًّا بصفـوف السـاعات عـلى الجانبـين وهـي تخـرج عقاربهـا كأنهـا السـنة تلـوح لـه بـاستهزاء. نظـر خالـد عاليًـا وتحـدى هـذه السـاعات وخـرج مـن البوابـة إلى المـترو وصـوت عـالٍ ينـادي عليـه: انتظـر يـا خالـد، انتظـر أريـدك في الحـال، أريـد أن أتحـدث إليـك قبـل أن تذهـب باللـه عليـك أجبنـي، ولكـن كان خالـد لا يسـمع أي صـوت في الوجـود إلا صـوت أزيـز أفـكاره التـي تتصـارع في ذهنـه، وتخطـى البوابـة وركـب المـترو ونـام حتـى أيقظتـه يـد عجـوز: أفـق يـا بنـي إنهـا المحطـة الأخـيرة. لحسـن حـظ خالـد أنـه يسـكن في المحطـة الأخـيرة وكأنـه مقـدر لـه أن يكـون في النهايـة وليكـون آخـر مـن في الطريـق. نـزل خالـد منهـكًا وكأنـه كان يحمـل القطـار بالـركاب مـن فـوق القضبـان عـلى كتفيـه، ورمـى بجسـده عـلى السريـر

وأجهـش بالبـكاء كأنــه فقـد أمـه الآن وفقـد أبـاه وفقـد نفســه، ولم يـدرِ إلا والشـمس تلسـع وجهـه فقـد توسـطت الشـمس سـماء النهـار.

أفـاق خالـد عـلى عجـل ليجـد أكـثر مـن رسـالة عـلى التليفـون منهـا ثـلاث رسـائل مـن د. تانـاكا يريـد أن يتحـدث إليـه في أمـر عاجـل ولا يجـده، فاسـتجاب بـلا مبـالاة، وقـرر أن يبقـى في غرفتـه لينعـم بـدفء أشـعة الشـمس هـذه التـي لم يرهـا منـذ شـهور. ألقـى خالـد بجسـده مـرة أخـرى عـلى سريـره ناظـرًا إلى أشـعة الشـمس القادمـة مـن شرفتـه مخاطبًـا إياهـا: يـا تـرى يـا شـمس الصبـاح أأنـت معـي أم عـليّ؟ أراكِ قادمـة مـن السـماء مـن عنـد ربي وأنـا أثـق أنـكِ أنـتِ أشـعة الشـمس الطبيعيـة التـي أعرفهـا جيـدًا منـذ أن كنـت أبيـع الجرائـد في شـوارع مدينتـي وكنـت تحلقـين فـوق رأسي وأنـا لا أبـالي, والآن أيضًـا لا ولـن أبـالي. ونـام خالـد وكأنـه يأخـذ كل الـدفء مـن الشـمس، فنـام نومـة لم ينـم مثلهـا مـن قبـل.

خالد بين شبابيك الأمل وأبواب أمنيات الحياة

«كتعاقب وتنافس الليل والنهار في أعمار حياة الناس، فهكذا يكون التنافس الشريف بين العقول هو سر استمرار بهجة الحياة وإبداعات العقول ونجاحاتها».

استيقظ خالد وسط الليل ليجد الشمس قد ولت وحل مكانها الليل بظلمته التي أضفت على جو الغرفة سكونًا وشعورًا بالوحدة لم يشعر به خالد من قبل، شعر وكأنه في زنزانة في الدور العشرين في مدينة طوكيو ولا يوجد هناك أحد يعلم عن سجنه شيئًا، وأنه سيظل يصارع الوحدة والعزلة هكذا إلى أن تخر قواه ويفنى. شعور غريب هذا الذي انتاب خالد عكس ما كان يشعر به ليلة أمس من البهاء والنور في الغرفة وكأنه ملك هذه المدينة حتى إنه انتابه الشعور يومًا أنه لو نزل إلى الشارع لعرفه الناس جميعًا وتمنوا أن يلتقطوا صورة تذكارية معه، ولم لا وهو الشاب الأجنبي الذي توصل إلى ما لم يتوصل إليه اليابانيون؟ هو الذي اخترع الساعة التي سوف يرتديها كل ياباني ليبحر في ماضيه أو مستقبله وكأنه يشاهد عرضًا سينمائيًّا بما يتمنى من أحداث في أي زمن يريد أن يبهر في ساعته وأيامه. ليس هذا فحسب ولكن ليسرع من وقت الماثل بين يديه ليهرب من لحظة يعيشها في الحاضر إذا كانت مؤلمة أو يبطئ الوقت ليبقى في الحاضر فترة أطول ليستمتع بعد أن كانت اللحظة ممتعة.

أما الآن فيشعر خالد أنه متهم، ولو نزل إلى الشارع فسوف تشير إليه البنان بأنه الذي يهدد الأمن القومي الياباني والأمريكي. وهكذا الناس ينظرون للأشياء ويقيمون الناس حسب ما يملي عليهم، ومعهم العذر فهم يعلمون فقط عن طريق ما ينقل إليهم، وما الحياة إلا متناقضات، ولذلك سميت بالدنيا لعدم استقرار أحوالها بين يدي الناس. وها أنذا قبل كل الناس تتقلب الدنيا علي وتنقلب وأتقلب فيها وكأننا تعاهدنا ألا نتفق أبدًا، فلك ما تريدين دنيتي ولي ما أريد، نتفق أو نختلف لا يهم، فالدنيا ليست هي

نهاية المطاف هي لحظة تحيا وتفنى كذكريات. أما أنا فمطاف نهايتي هي الآخرة التي هي الحياة البرزخية وهي التي أعمل لها مهما كانت العقبات. وليفعل الله ما يشاء، أسجن أو أحرر، أفشل أو أنجح، أشقى أو أسعد، أفتقر أو أغتني، لا يهم كل الأمور عندي سواء ما دمت أتوكل على الله.

شعر خالد برغبة شديدة للمشي في أرجاء المدينة لعله يخرج من هذه الأحاسيس التي تملأ عقله وتشتته لعله يرتاح ويهدأ، وكانت الجولة عبر المدينة رائعة حيث تتميز مدينة طوكيو بعناق البنايات القديمة والجديدة وكأن عظمة الزمن القديم للمدينة يتعلق بتلابيب بهاء عصرية العهد الجديد. وشوارع المدينة تتعامد وتتقابل وتفترق كشرايين الجسد الواحد بلا أي عراك أو فوضى زحام، وتصعد وتهبط بأنحاء المدينة التي تتراقص فيها الأضواء وتتمايل في نشوة حالمة وكأنها ترقص السامبا على الجدران وكأنها تزينها بأحلى العقود فيبدو الليل وكأنه مصباح يهدي السائرين والنائمين شعلة الأمان. ورذاذ المطر يتساقط على مهل واستحياء وهو يعانق الهواء فيبلله بلطف ليزيح عنه عناء أنفاس النهار.

ومع أن طوكيو تختلف كثيرًا عن القاهرة والإسكندرية إلا أنه تذكر الإسكندرية والتي لم يرها إلا مرات معدودة من خلال رحلات الجامعة .تذكر الإسكندرية المدينة التي تضحك طوال العام, تعانقها الشواطئ الدافئة وكأنها تحرسها من كل جانب لتحيا باسمة وباعثة للأمل لساكنيها. تلك المدينة التي تعشق المحيط فقررت أن ترتمي في أحضانه لتنعم بصيف منعش وشتاء دافئ تحسدها عليه كل مدن شواطئ العالم.

وهو يتمشي كسائح في بلاد العجائب وكأنه يرى المدينة والناس أول مرة, غاص خالد في محيط ذكرياته ليتذكر الحي الذي يعيش فيه بالقاهرة حين كان يتجول فيها ويسامر أصدقاء العمل، وتعلو الضحكات. آه يا قاهرة المعز, آه يا أهل الحي كم أشتاق إليكم, سوف تكون عودتي إلى محبوبتي مفعمة بمشاعر الاشتياق إلى كل ما بها من بنايات وأقارب وأصدقاء، مدينتي التي أفتقدها كلما فارقتها ففيها سر وعبق الحياة. القاهرة التي لا أملك إلا أن أعشقها وأشتاق إلى الصباح المشرق وأنا أخترق الزحام وأنا ذاهب أو عائد من العمل. أشتاق إلى رؤية الأمل في عيون الطلاب، أشتاق إلى مواجهة التحدي في

العمـل، اشـتقت إلى كل شيء حتـى وصـل اشـتياقي لبيـع الجرائـد والمجـلات ومسـح زجـاج العربـات . حقًّـا السـفر خـارج الوطـن يجعلـك تشـعر بنبضـات وطنـك في كل خليـة بجسـدك... إن كل شيء مـن مـصر ويعـود إلى مـصر ولـو بعـد حـين . ولكـن هـل سـتكون عـودتي لمـصر محمـودة أم مذمومـة, اللـه وحـده أعلـم.

عـاد خالـد إلى غرفتـه بعـد أن ترجـل في الشـوارع المحيطـة بسـكنه, وارتمـى عـلى سريـره مـرة أخـرى بعـد أن نفـض بعـض تـراب صدمـة د. تنـاكا أمـس .نظـر مـن الشـباك لعلـه يـرى المدينة-بعيـون أخـرى فوجـد الليـل يغـشى المدينـة وكل في شـأن يغنيـه وهـو هنـا لوحـده بمفـرده يتحـسر عـلى شـأنه، ولا أحـد يواسـيه، فـما كان منـه إلا أن يخاطـب الليـل بهـذه الكلـمات لعلهـا تهدهـد لوعتـه التـي أصابتـه مـن بعـد أن نبتـت شـجرة أحلامـه كل الأمنيـات .

أقبلت يا ليل ولكني لا أراك

أين تختبئ هل في ظلمتك

نيران النفوس فيك تشتعل

وأنت مت وأغلقت شرفتك

لا تهرب ففيـك السر محمل

وأقمارك كاشفة فعد لحلتك

غشـت خالـد لحظـات روحانيـة مفاجئـة نقلتـه إلى عـالم آخـر فأمـضى ليلتـه يقـرأ القـرآن في النسـخة الجميلـة التـي أهداهـا لـه والـده قبـل سـفره العـام المـاضي في مثـل هـذه الأيـام. حلـت عليـه حالـة سـكون روحانيـه وهـدوء نفـسي كبـير عندمـا بـدأ يتلـو القـرآن الـذي هجـره منـذ شـهور منـذ بـدء المـشروع. سـعد خالـد سـعادة بالغـة وهـو يقـرأ القـرآن وانتـشى نشـوة جعلتـه يتلـو الكلـمات تـلاوة كلهـا حـلاوة بصـوت يجهـش بالبـكاء. قـرأ خالـد القـرآن ليسـمع كلام اللـه وتهـدأ نفسـه، وقـد كان، فقـد غمرتـه راحـة ليـس بعدهـا راحـة، واطـمأن قلبـه ونظـر مـن الشرفـة إلى الكـون المترامـي والمتلألئـة أنـواره في مدينـة طوكيـو الصاخبـة، فابتسـم ابتسـامته الحانيـة، وحمـد اللـه أنـه وسـط تلـك الملايـين

يجلـس هنـا في غرفـة صغـيرة في الـدور العشريـن ليذكـر اللـه ويتحـدث إليـه، إنـه ضمـن القليلـين الذيـن يعلمهـم اللـه وحـده في هـذه المدينـة ممـن يوحـدون اللـه ويذكرونـه، للـه الحمـد مـن قبـل ومـن بعـد. فـماذا بعـد ذلـك مـن نعيـم وهدايـة؟ كيـف أحـدث اللـه وأنتـشي بكلماتـه التـي أنزلهـا عـلى الرسـول مـن خـلال ملـك كريـم ثـم أحـزن؟! فـلا مـكان للحـزن.

شـعر خالـد وكأنـه في شـهر رمضـان الكريـم، يقـرأ القـرآن في الثلـث الأخـير مـن الليـل كـما تعـود أن يفعـل في شـهر رمضـان في حـضرة أبيـه. إنـه الآن يشـعر وكأن شـهر رمضـان يـزوره في هـذه الغرفـة الصغـيرة في الـدور العـاشر بروحانياتـه ليكـون بجانبـه, زيـارة خاصـة تجلـب عليـه الاطمئنـان والهـدوء، مـا أجملـك يـا شـهر رمضـان! يكفينـي تفكـيري فيـك لأهـدأ، مـا أعـذب قـراءة القـرآن! حقًّـا إن فيـه شـفاءً للنفـوس المتعبـة، فمنـذ دقائـق كانـت نفـسي تتقطـع إربـا بـين الأفـكار والتخيـلات والحقائـق، والآن وبعـد قـراءة كلام اللـه عـادت قطـع نفـسي إلى نفسـها واتحـدت وتناغمـت وكأنهـا لم تتخاصـم أبـدًا. إنـه القـرآن وبركـة كلماتـه، إنـه كلام اللـه، ومـا أدراك مـا كلام اللـه.

وبعـد أن قـرأ القـرآن توضـأ خالـد مـرة أخـرى وصـلى صـلاة التهجـد ونـام نومـة العـروس إلى الصبـاح. تـواردت الأحـلام تباعًـا في نـوم خالـد، فكانـت الليلـة ليلـة الأحـلام، أحـلام الفتـى الطائـر المعلـق بـين السـماء والأرض عـلى سريـر في غرفـة في الـدور العشريـن في مدينـة الواقـع.

فـذاك حلـم وكأنـه كان في سـجن حـربي ضيـق مظلـم في مـكان مجهـول في أطـراف الصحـراء، ولا يوجـد في هـذا السـجن المظلـم سـواه، ولا يسـمع إلا أصـوات نبـاح الـكلاب، وذاك حلـم آخـر وكأنـه سـيق بـه إلى أنبـوب ضيـق حجمـه حجـم جسـده النحيـل ضيـق لدرجـة أنـه لا يسـتطيع أن يديـر رأسـه لينظـر خلفـه، أنبـوب كنفـق مظلـم يزحـف فيـه وليـس لـه نهايـة، ويظـل يزحـف ويزحـف فـلا يجـد إلا ظلمـة وهـواء يزكـم الأنفـس وكائنـات لم يعرفهـا قبـل اليـوم تتصـارع لتنهـش لحمـه حيًّـا فتسـيل منـه الدمـاء فيبـكي حالـه وينـادي ألا مـن منقـذ لي مـن هـذا الظلمـة.

وفي نهايـة كل حلـم كانـت تظهـر لخالـد يـد بيضـاء تـأتي فتفتـح لـه كـوة

مـن السـجن أو الأنبـوب فـيرى منهـا سـماء تتـلألأ بنجـوم سـاطعة يتوسـطها قمـر مـضيء كالمشـكاة ووجـوه مبتسـمة ضاحكـة تهـش لـه ملوحـة بأيـادي يتنـاثـر منهـا ورود وعقـود تتسـاقط مـن السـماء لتهبـط عـلى عنقـه لتزينـه بأحـلى الألـوان. ويـرى وسـط هـذه الوجـوه وجـه أمـه بابتسـامتها الحنـون وضحكتهـا الصافيـة وعيونهـا الطيبـة وهـي رافعـة يديهـا التـي تفـترش السـماء كجناحـين كبيريـن داعيـة لـه دعـاء جميـلا وكأنـه تكبـيرات كالتـي يرددهـا المسـلمون في الأعيـاد، تدعـو لخالـد والوجـوه المبتسـمة الأخـرى تـردد وراء أمـه الدعـاء فتشـع السـماء نـورًا هادئـًا جميـلا يتراقـص عـلى الوجـوه الداعيـة بـكل ألـوان الطيـف التـي يعرفها وألـوان أخـرى تشـع أشـعة طيفهـا لم يعهـده مـن قبـل، أشـعة تنـير قلبـه ليصـير شـفافًا وكأنـه المـرآة، ثـم تتـدلى يـد أمـه بثوبهـا، نفـس الثـوب الـذي كانـت تلبسـه وهـي تنتظـره كل يـوم بعـد عودتـه مـن العمـل أو المدرسـة، تتـدلى يدهـا وكأنهـا غصـن زيتـون يترنـح بهـوادة ليتحسـس جسـد خالـد المنهـك فتلقـي عليـه بأطيـب المسـك، ثـم ترفعـه إليهـا لتقبلـه قبلـة عذبـة قبلـة ذابـت فيهـا كل قبـلات الحيـاة.

يتـذوق خالـد قبلـة أمـه ويسـعد بحنـان حضنهـا الدافـئ، ثـم تهبـط يدهـا بـه إلى الأرض ليقـف عـلى رجليـه قويـًّا منتشـيًا باسـمًا في أحـلى الأثـواب ليجـد والـده منتظـره مبتسـمًا وأحمـد بجانبـه ملوحـًا، ود. توفيـق عازفـًا عـلى عـوده بألحانـه الجميلـة التـي كان دومـًا يلحنهـا ويسـمعها لخالـد وبجـوار د. توفيـق وجـه مشـع منـير مبتسـم مـشرق مهلـل، وجـه كـم اشـتاق إليـه، وجـه همسـة وهـي تغنـي أغنيتهـا التـي لم تغنيهـا لخالـد سـواه، أغنيـة عنوانهـا «إزيـك يـا خالـد» والتـي أضافـت إليهـا: «وحشـتنا كتـير يـا خالـد».

أفـاق خالـد ليجـد وجهـًا مبتسـمًا وروحـه منشرحـة ولديـه حـب للحيـاة ليـس بعـده حـب، وسـلام نفـسي ليـس بعـده سـلام، وأشـعة تمـلأ عينيـه فتنـير لـه الطريـق وتجعلـه يـرى حقيقـة الأشـياء، إنهـا كانـت ليلـة جميلـة، ليلـة مليئـة بالمفاجـآت والمتناقضـات، ولكنهـا انتهـت بأحـلى الذكريـات. يكفـي أني رأيـت أمـي بحنانهـا الصـافي الضاحـك المسـتبشر دائمـًا، وتلمسـت حنـين يديهـا التـي دعـت لي وكأنهـا كانـت تزفنـي لحيـاة حلـوة جديـدة، ويكفـي أن رأيـت والـدي وهـو في أبهـة لم أره فيهـا مـن قبـل، في هيئـة جميلـة وكأنـه لم يعـرف يومـًا قلـة حيلـة أو فقـرًا أو شـقاء، ويكفـي أني رأيـت صديـق عمـري ورفيـق الكفـاح أحمـد الـذي

عندما أراه أرى نفسي في ثوبي ووجهي. ويكفي أنني رأيت أستاذي ومعلمي وأخي الأكبر ووالدي ومرشدي د. توفيق بنظرته الحانية وألحانه الرقيقة التي تقطر صدقًا وحبًّا وأملًا في الحياة، وكيف لا يضحك وجهي وتسر عيني ويبتهج قلبي وتنتشي مهجتي وتفيض عيني بدمع الحب وأنا أرى حبيبة القلب التي خطفت عقلي قبل قلبي أيقونة الحب وعصفور الغرام، كيف لا أحيا لأعيش مرات ومرات ضعف عمري وأنا أرى شفاها تتحرك لتنطق باسمي وتغنيه كأحلى سيمفونيات الحياة.

يكفيني أن أراها واقفة ملوحة بيديها الجميلتين إليّ وهي تغني باسمي، آه من ذاك الحلم, لكم أتمنى أن أعيشه مرات ومرات, وكم أتمنى الآن أن أعاني وأعاني لأعود لذاك الحلم وأفوز بهذا الشعاع الذي يطل من عيون حبيبتي في ظل والديّ وأستاذي وصديق عمري. إنه حلم اللقاء، ويكفيني الحلم بعد الشقاء والعناء. نور أشعتك في حلمي يا همسة عوضني عن الظلام الذي أحاطني من أشعة البرق والرعد وعن ظلام الوكالة الأمريكية التي حكمت على اكتشافي العلمي بالإعدام. من يدري لعل هذا الحلم يعيش في داخلي للأبد لأحيا به عوضًا عن حرمان واقع الحياة. حقًّا الأحلام شبابيك الأمل نطل منها لنرى الأمنيات التي قد لا تولد في واقع الحياة.

هذا الصباح يبدو جميلًا، الشمس مشرقة بأشعة ضاحكة وقلب خالد دقاته هي أيضًا ضاحكة وشعوره بالحياة جميل وقناعته بالعيش والكفاح من جديد أجمل، لقد هان عليه كل شيء ولم يعد يفكر في الأمس، وأصبح حال أفكاره هو اليوم وليس الأمس. قام فتوضأ وصلى وقرأ القرآن ثانية وفكر ألا يذهب إلى المعمل اليوم وليكن اليوم راحة من كل شيء وليكن فاصل بين الماضي والمستقبل. إنه يوم سوف أسجله في تاريخي الخاص لا يعلم به أحد وكأنه يوم ميلادي الجديد. اليوم الذي تغلبت فيه على الأحزان وعلى الحرمان من إنتاجي واكتشافاتي العلمية، اليوم الذي تغلبت فيه على وساوس نفسي، واليوم الذي كنت أقرب فيه إلى الله فزادني الله قوة بقوته فأصبحت لا أبالي بالمخاطر ولا الإخفاقات. فليكن ذهابي إلى المعهد اليوم كنزهة، لن أقوم بأي عمل هناك بل للحديث مع د. تاناكا ومع الزملاء وخاصة محمود الذي نادى عليَّ كثيرًا أمس ولم أردّ عليه خاصة

وأنـه تـرك لي رسـالة عـلى التليفـون ليطمـئن عـلى حـالي.

نعـم، سـوف أذهـب للاسـتمتاع بشـعور التغلـب عـلى تحديـات الحيـاة بـين عشـية وضحاهـا. سـأذهب لأتصفـح رسـائل البريـد الإلكـتروني وأكتـب لصديقـي أحمـد في مـصر ولوالـدي عـن طريـق أحمـد ولأسـتاذي د. توفيق. وسـأكتب رسـالة إلى همسـة عـلى بريدهـا الإلكـتروني القديـم حتـى وإن كانـت لا تسـتخدمه الآن فقـط لـكي أريـح مشـاعري، لـن أقـول لهـا أكـثر مـن أني بخـير، ومـا زلـت أسـعد بتلاطـم الحيـاة حتـى وأنـا في اليابـان، وتمنيـاتي أن تكـوني موفقـة وسـعيدة في حياتـك الزوجيـة. سـأذهب لـيراني السـيد حتـى لا يظـن أني انكـسرت وانهزمـت شر هزيمـة، سـأذهب لأجـدد عهـودي بالحيـاة وبالمعمـل لأقـول أني هنـا عـلى قيـد الحيـاة أسـعد وأقبـل بـكل المعطيـات أيًّـا كانـت أسـباب المعطيـات وبراهينهـا. سـأذهب لأقـول أنـا خالـد ولسـت د. خالـد، أنـا خالـد الـذي تعلـم مـن كل شيء خاضـه في العـام المـاضي، وأن المـصري لا ييـأس بـل تثقـل هممـه تحديـات الحيـاة. سـوف أذهـب لأتحـدث إلى أسـتاذي د. تانـاكا عـن المسـتقبل الـذي أراد أمـس أن يتحـدث عنـه في مكتبـه، ولكنـي اسـتأذنت وصممـت عـلى الانـصراف وأنـا مملـوء بالغضـب. سـوف أذهـب لأثبـت لنفـسي أن مشـاعري التـي اكتسـبتها مـن حلـو أحلامـي ليلـة أمـس هـي قابلـة للتطبيـق وليـس مجـرد أحـلام لعـل أمـي تشـعر بي وتـرضى عنـي مـا فعلـت في الحلـم ودعـت لي مـن فـوق السـماء.

تنـاول خالـد الإفطـار عـلى مهـل وكأنـه يحتفـل بمناسـبة لا يـدري مـا هـي غـير احتفالـه بتفوقـه عـلى أحزانـه وتحديـات الحيـاة، فـكان يتلـذذ بالوقـت محبًّـا لـه ولا يريـد أي سـاعة تتحكـم فيـه كـما كان يريـد في مشروعـه، فقـد أحـب الحـاضر بـكل مـا فيـه.

أنهـى إفطـاره وفكـر في أن يطلـب والـده عـلى التليفـون ليطمـئن عليـه ولـكي يتحـدث إلى محمـود ودكتـور توفيـق ويقـص لهـما ذلـك الحلـم الجميـل الـذي جمعهـما سـويًّا، ولكنـه اكتشـف أن السـاعة مـا زالـت العـاشرة صباحًـا وهنـاك في مـصر هـي سـاعة مـا قبـل الفجـر. عـدل خالـد عـن رأيـه عـلى أن يتحـدث إليهـم في المسـاء كعادتـه، قـرر أن يذهـب للمعهـد الآن دون أن يأخـذ معـه أي متعلقات وليكـن اليـوم يـوم الراحـة والاسـتجمام والهـدوء العلمـي الـذي لم يعهـده مـن

قبـل فلـن يـترك لعقلـه أي فرصـة لجذبـه إلى التفكـير في أي معضلات علميـة كـما كان ينشـغل دائمًـا وهـو في طريقـه إلى المعهـد.

رن جـرس التليفـون ورد خالـد هـذه المـرة فاليـوم غـير الأمـس فشـهيته مفتوحـة لعمـل أي شيء اليـوم وللتحـدث إلى مـن يريـد فاليـوم ليـس ككل يـوم، كان محمـود عـلى التليفـون يطمـئن عـلى خالـد معاتبًـا عليـه تركـه أمـس عندمـا كان ينـادي عليـه. آسـف يـا محمـود, لم أنتبـه لنداءاتـك لانشـغالي أمـس بـشيء فـاق قـدراتي النفسـية مـما جعلنـي أتـرك المعهـد مبكـرًا دون أن أشـعر بمـن حولي. أنـا لم أتصـل بـك يـا عزيـزي لـكي أعاتبـك أنـا أتصـل لأطمـئن عليـك؛ لأنـك لم تـأتِ اليـوم في الصبـاح الباكـر كعادتـك، والـكل يسـأل ويريـد الاطمئنـان عليـك، فكلنـا لاحظنـا أنـك كنـت مهمومًـا ولم تكـن كعادتـك.

أنـا بخـير واللـه يـا محمـود، أنـا فعـلًا كنـت عـلى غـير عـادتي أمـس، أمـا اليـوم فأنـا في أحسـن حـالاتي، وسـوف أقـص عليـك الأحـلام الجميلـة التـي تـواردت عـلى عقـلي أمـس، وكـم أسـعدتني وغسـلت الهمـوم مـن قلبـي والوسـاوس مـن عقـلي. أفهـم مـن ذلـك أنـك قـادم اليـوم بالتأكيـد.

نعـم، يـا محمـود، سـوف آتي ولكـن ليـس لعمـل شيء محـدد بـل لأسـتجم علميًّـا واجتماعيًّـا معكـم، شيء مـا يـا محمـود يلـح عـلي أن آتي اليـوم ولا أدري مـا هـو، ولكنـي أشـعر أنـه إحسـاس جميـل لم أعهـده مـن قبـل اليـوم منـذ مجيئـي لليابـان. حسـن يـا عزيـزي كفـى كلامًـا وتعـالَ الآن فأنـا متشـوق للحديـث معـك، سـأغادر حـالًا يـا صديقـي وأنـا أدعـوك اليـوم عـلى الغـذاء فكـن جاهـزًا لكرمـي الـذي لا يـأتي إلا نـادرًا فانتهـز الفرصـة وهـي لـك سـانحة. ضحـكا الاثنـان بصفـاء وأنهـى المكالمـة عـلى أمـل اللقـاء بعـد سـاعة أو سـاعتين.

ركـب خالـد القطـار وكأنـه ذاهـب إلى حفلـة دعـي إليهـا غـير عابـئ بمواعيـد القطـارات ولا بالزحـام تـاركًا لنفسـه العنـان لـكي يسـتمتع ولا ينافـس، فاليـوم هـو يـوم الاسـتمتاع بـكل الأحـداث التـي كان يفعلهـا كل يـوم عـلى عجالـة، فاليـوم هـي فرصتـه لـيرى الأحـداث بعيـون جديـدة، عيـون المترقـب وليـس بعيـون المتلهـف، إحسـاس رائـع ولا يحـدث كثـيرًا خاصـة أن اليـوم يـوم عمـل

وليس عطلة أسبوعية، فالناس متلهفون ويتسابقون في كل شيء أمامه إلا هو فلا يهمه أي شيء إلا الوصول إلى المعهد أيًّا كان الوقت.

وصل خالد المعهد ودلف من البوابة الرئيسية ولكن على مهل غير كل مرة حين كان يسابق الزمن، ثم أخذ طريقه بين صفوف الساعات مبتسمًا ملقيًا عليها التحية والسلامات وكأنه يؤكد لكل الساعات المصفوفة أن شعوره اليوم مختلف فهو لا يريد منهم إلا دقات الوقت الحاضر فلم يعد يهمه أن تفكر معه في الماضي أو المستقبل ولم يعد له رغبة في التحكم في عقاربهم من الآن. فخيل له أن الساعات تبتسم له وتشكره على هذا الكرم والاستقرار الوقتي في حياتها.

وصل خالد منتشيًا إلى بوابة المعهد الداخلية ملقيًا التحية المغلفة بابتسامته الصافية على كل من يقابله حتى وصل إلى مكتبه في المعمل وقد قاربت الساعة على الثانية عشرة وهو موعد الغذاء. رائع لقد وصلت في الوقت المناسب يا خالد، فلتذهب الآن لتأخذ محمود وتدعوه للغذاء وتقضي معه أحلى الأوقات التي حرمت منها منذ انشغالك بالمشروع. بحث خالد عن محمود فوجده على مكتبه في المعمل الآخر فسلم عليه وطلب منه أن ينتظره حتى يذهب ليخبر د. تاناكا إنه موجود اليوم ويتأسف له على مغادرته المبكرة أمس وعدم الحديث معه عن المستقبل وعن تأخره اليوم. لم يجد خالد د. تاناكا في مكتبه، فهذا وقت الغذاء المقدس له، فترك له ورقة صغيرة على الباب حتى عودته.

ذهب خالد ومحمود سويًّا إلى الكافتيريا للغذاء ولقد سعد محمود كثيرًا لاطمئنانه على خالد نفسيًّا وصحيًّا. اطلب ما تريد ياصديقي فأنت اليوم في كرم ضيافتي فلك ما شئت، ضحك محمود قائلًا وماذا أطلب لو كنت في مصر لقضيت على ميزانيتك فلديكم ما طاب ولذ، أما هنا في كافتيريا المطعم فلا فرق، عمومًا الشعور بالأكل على نفقة الآخر يفتح النفس وسآكل حتى تطلب مني التوقف. ضحكا كثيرًا على دعابات محمود والتي حرم منها خالد منذ فترة. انتهى وقت الغذاء وانصرف محمود على عجل، فقد قاربت الساعة الواحدة وعليه أن يذهب فورًا لإجراء تجربة مهمة

للغاية. استغرب خالد من تصرف محمود المفاجئ فقد كان يريد أن يقضي معه وقتًا أطول، ولكن مشى محمود وطلب من خالد أن يدفع الفاتورة، ثم يقابله بعد نصف ساعة في غرفة القهوة بالمعمل بعد أن يكون أنهى التجربة. سلم خالد أمره لله وإن كان قد تضايق بعض الشيء فلم يتعود من محمود على ذلك فدائمًا ما كان محمود هو الذي يطلب من خالد البقاء معه بعد الغذاء لمزيد من الحديث ولو في أي شيء.

ظل خالد في هدوء ينظر لمن حوله وهم يتحاورون أثناء تناول الغذاء وكأن الكلام يحلو وينتشي على أنغام المضغ وامتلاء المعدة. وبقي قليلا بعد أن مشى معظم من في الكافتيريا فوجد نفسه وحيدًا والساعة تقارب على الواحدة والنصف. دفع الحساب وذهب ليرى د. تاناكا مرة أخرى قبل أن يذهب لمحمود كما وعده، ولكنه لم يجد هذه المرة أيضًا في مكتبه فاستغرب كثيرًا لذلك. لماذا أشعر أن شيئًا ما غريبًا يحدث؟ على أية حال لم أعد أهتم أنا أتيت للاستجمام وليكن ما يكون كما عاهدت نفسي.

ذهب خالد إلى معمل محمود فلم يجده ولم يجد أي أحد آخر سوى السيد الذي يجلس هناك على مكتبه ولا يأبه بدخول خالد وكأنه لا يعرفه، إزيك يا سيد، لعلك تكون بخير، لم أرك منذ أمس وأنت تهنيني على المشروع، أشكرك يا عزيزي السيد ومن يدري لعلك تهنئني أمام الناس قريبًا وسوف تكون سعيدًا جدًّا بما سوف تعرفه، ولكن ليس مني بل من د. تاناكا. على أية حال أين محمود؟ لقد أخبرني أن أنتظره هنا. رد السيد باقتضاب: أنا لا علم لي بأمورك وأمور محمود, اذهب لتجده بنفسك. لم يتأثر خالد على الإطلاق بعبوس السيد بل أشفق عليه وابتسم ليبحث عن محمود وباقي فريق المشروع وكذلك د. تاناكا.

أين ذهب الجميع؟ إنه ليس وقت الاجتماعات. ذهب إلى حجرة القهوة ليتفقد إذا كان محمود هناك ولكنه لم يجد أحدًا سوى سكرتارية د. تاناكا تصنع لنفسها كوبًا من القهوة. فحياها مبتسمًا، وسألها أين الرفاق وأين الأستاذ الكبير؟ أهرب الجميع لما أتيت؟ أهكذا سريعًا يهربون مني؟ ضحك وضحكت معه السكرتيرة وأخبرته أنها لا تعلم ولكن اذهب إلى حجرة

الاجتماعات من يدري لعلهم في اجتماع طارئ هناك. استغرب أكثر وسأل نفسه: وإن كان اجتماعا فلماذا الكل هناك إلا السيد؟

ذهب إلى حجرة الاجتماعات فوجد الباب مغلقًا والذي لا يقفل أبدًا حتى ولو أثناء أي اجتماع، ولم يسمع أي أصوات آتية من وراء الباب فالسكون يهيمن على الحجرة. كاد أن يذهب ليبحث في مكان آخر لولا أن سمع غطاء زجاجة ينفتح، فدق الباب عليهم في الداخل، فسمع صوت محمود آتيًا من وراء الباب قادمًا ليفتح له، وفتح محمود الباب وخالد كله شغف أن يعرف ماذا يحدث بالداخل في غيابه، وفوجئ خالد بالغرفة مظلمة تمامًا ولم يتبين أحدًا من الموجودين فدخل بحرص لظنه أنهم في وسط عرض علمي مهم وعليه أن يلزم السكون مثل الجميع.

فجأة وجد الأنوار تضيء مرة واحدة ومحمود يمسك بيده ويرفعها إلى أعلى وبجانبه د. تاناكا وباقي فريق العمل ومحمود يصيح بأعلى صوته وبلكنته اللبنانية التي يملؤها الدلال: كل سنة وأنت طيب يا خالد، عيد ميلاد سعيد، الآن وقت الاحتفال وإطفاء الشموع الثمانية والعشرين. لم يتمالك خالد نفسه من المفاجأة السعيدة التي أذابت قلبه فرحًا وحولته إلى شعاع ينعكس نوره في قلوب كل من في الحجرة. تابع محمود الحديث قائلًا: هذه فكرة د. تاناكا وما كان على إلا التنفيذ. صاح الجميع مصفقين ومهللين للمسة أستاذهم الجميلة ولخالد مهنئينه، واحتفل الجميع في أحلى وألذ اجتماع على أطيب التورتات وعلى أنغام موسيقى عربية لوليد توفيق وهو يغني بالعربية تارة والإنجليزية تارة أخرى أغنية عيد الميلاد لخالد.

الآن فقط أدرك خالد لماذا كان يشعر أن اليوم عنده مختلف وأن بداخله إحساس بالاحتفال بشيء ما ولكنه لا يدري ما هو، والآن فقط أدرك لماذا تركه محمود على عجل، والآن فقط أدرك لماذا اتصل به هذا الصباح، والآن فقط أدرك لماذا وجد السيد هناك بمفرده، والآن فقط أدرك قيمة دعاء والديه في أحلام المساء، والآن فقط أدرك أن الله أراد أن يختم على قلبه بشعور السعادة والاطمئنان، والآن فقط أحب الله وأحب والديه، وأحب أستاذه، وأحب الناس أكثر من أي وقت مضى.

أمسـك د. تانـاكا بيـد خالـد وقطعـا التورتـة سـويًّا وصـاح الجميـع مهللـين وانهمـرت عـلى آذان خالـد عبـارات مـن كل لغـة تهنئـه بعيـد ميـلاده متمنـين لـه التوفيـق وأن يصـل إلى مـا يتمنـاه، ثـم التقطـوا صـورة تذكاريـة معـه ليضعوهـا عـلى الفيسـبوك بتعليقاتهـم المازحـة والنـكات المعـبرة.

وقـف د. تانـاكا عـلى صـدر المنضـدة بـلا حـراك ولا كلام، فسـكت الجميـع فقـد توقعـوا أن يقـول شـيئًا، وبالفعـل توجـه د. تانـاكا إلى خالـد وسـأله: الآن نريد أن نسـمع منـك كلـمات عـن أمانيـك في العـام القـادم والـذي سـوف يبـدأ مـن غـد. فوجـئ خالـد بـالطلب واحمـر وجهـه مـن الخجـل فلـم يكـن مسـتعدًّا عـلى الإطـلاق لهـذا السـؤال المفاجـئ، فلـو كان قـد سـئل نفـس السـؤال منـذ يومـين لكانـت الإجابـة يسـيرة ومحـددة لتبـين مـدى تطلعـه لتصنيـع المنتـج النهـائي مـن سـاعة التحكـم في الوقـت وكذلـك نـشر النتائـج في المؤتمـرات والدوريـات العالميـة لـكي تتنفـس النتائـج نسـيم الحريـة بعـد تعمـد حبسـها أكـثر مـن سـتة أشـهر كـما تتطلـب قوانـين الملكيـة الفكريـة. أمـا الآن وبعـد أن علـم بتدخـل الوكالـة الأمريكيـة ومعهـا الوكالـة اليابانيـة للأمـن القومـي مـن وقـف كل شيء لـه صلـة بالمـشروع فالإجابـة عـن هـذا السـؤال عسـيرة، وسـوف تكـون إنشـائية وليـس لهـا محـل مـن الإعـراب.

لاحـظ د. تانـاكا أن خالـدًا قـد هـام بعيـدًا عـن الحاضريـن وكأنـه قـد انتقـل إلى عـالم آخـر؛ ولأنـه يعلـم السـبب في سرحـان خالـد الآن فكـرر نفـس السـؤال ولكـن بلطـف أكـثر والابتسـامة تعلـو شـفتيه وكأنـه يداعـب خالـدًا ويريـد مصالحتـه، تجمـدت ابتسـامة خالـد عـلى شـفتيه وأطلـق نظـرة لسـقف الحجـرة، ثـم علـق عينيـه عـلى سـاعة مـن السـاعات المعلقـة عـلى الحائـط ويديـه في وسـطه وكأنـه يتأمـل لوحـة سرياليـة أعيـت تفكـير كل مـن ينظـر إليهـا، فـأراد هـو أن يفـك طلاسـمها بتعبـيرات بسـيطة، أمعـن خالـد النظـر في السـاعة وكأنهـا هـي التـي ألقـت عليـه السـؤال وليـس د. تانـاكا.

قـال خالـد بصـوت أجـش ملـؤه الحكمـة وكأنـه واعـظ محنـك، أمنيـاتي في العـام القـادم أن أحقـق أمـالي المتواضعـة ومنهـا نـشر بحـث أو اثنـين في مجـال تخصـصي حتـى أسـتطيع التأهـل للحصـول عـلى الدكتـوراه، وأن أعـود بعـد ذلـك

لمصر وأجد عملًا يليق بالذي تعلمته في اليابان، وأن أحقق تقدمًا في عملي يرضيني، وفوق كل ذلك أتمنى أن يسن قانونًا يحمي الملكية الفكرية على مستوى العالم المدني والعسكري أيًّا كانت أطرافه.

أدرك د. تاناكا ما يقصده خالد من الجزء الأخير وهو يعلم تمامًا أن الأجزاء الأولى من أمنياته ما هي إلا برواز يخفي وراءه الأمنية الأخيرة وهي التي تعنيه. معظم أمنياتك يا خالد متواضعة وسهل تحقيقها ما عدا الأمنية الأخيرة، فهي ليست في يد أشخاص بل هي -وكما تعلم- في حكم دول ونظم سياسية تتحكم فيها المصالح التي تعود عليها وتحمي البلاد خاصة القوية. بالطبع كان خالد ودكتور تاناكا يعلمان ماذا يتحدثان عنه، أما باقي الحاضرين لم يدركوا ماذا يجري وظنوا أنها مجرد دعابة سياسية من كل منهما غير مقصودة بالطبع. بلهجة يغلفها المرح هذه المرة سأل د. تاناكا خالدًا: وماذا عن أمانيك المتعلقة بالتحكم في الوقت خاصة وأنك أبليت بلاءًا حسنًا وحصلت على نتائج رائعة في أقل من عام؟ وماذا عن أمانيك العاطفية وخاصة حبيبة قلبك شعاع؟ أهجرتها بهذه السرعة والسهولة؟ وماذا أيضًا عن أحلامك المالية؟ ألا تريد أن تجني مالًا وفيرًا وأنت في مقتبل الحياة؟ مالا يجعلك تحقق استقرارًا اجتماعيًّا وعلميًّا حتى يخلو بالك من المنغصات التي يحدثها عدم توفر الأمان المالي.

لم يفهم خالد هل يريد د. تاناكا اختباره ليعلم مدى قوته في حفظ السر، أم أن هذا أسلوب استنكاري يقترب أن يكون تهكميًّ؟ ولكن لم يعهد خالد على د. تاناكا أيًّا من الطريقتين في الحوار. وقد يريد د. تاناكا أن يتأكد أن خالدًا لم يتأثر كثيرًا بما حدث أمس من غرار الفاكس المرسل من الوكالة الأمريكية. وكعادة خالد الدبلوماسية في ردوده في مثل هذه المواقف رد بهدوء أكثر هذه المرة قائلًا: أما بالنسبة لأمنياتي المتعلقة بالمشروع والنتائج الكبيرة التي حصلت عليها فهي هدية مني للشعب الياباني يوم عيد ميلادي، فيكفيني كرم الحكومة اليابانية في منحها إياي الدعم المالي لدراسة الدكتوراه في أكثر المعاهد البحثية المتقدمة في العالم ومع أستاذ نابغة، أما بالنسبة للسؤال عن حبيبة القلب فأنا لست بقادر على توفير البيئة والسكن المناسب لحماية شعاع، فيكفيني أني أحبها وسأظل أحبها ولا

يهمنـي أن أتزوجهـا فشـعاع ليسـت ككل الأشـعة فهـي رمـز لجـمال الطبيعـة، ولذلـك فهـي لا تتـزوج جسـد أفـراد بـل قـوة الجماعـات وأنـا لا أمثـل إلا فـردًا يهـوى شـعاعًا. أمـا عـن أمنيـاتي المالية، فأنـا لسـت مـن طالبـي المـال ولكنـي لا أرفضـه إذا طلبنـي فأهـلًا بـه وسـهلا وسـوف أهـش لـه جيـوبي بالطبـع فأنـا يكفينـي القليـل، وأنـا لا أبـدع إلا إذا كنـت فقـيرًا، إلا في طلـب العلـم أتطلـع دائمًـا أن أكـون غنيًّـا.

أعجـب د. تانـاكا بـردود خالـد والتـي جـاءت طبيعيـة ومنطقيـة ودبلوماسـية وكلهـا ذكاء يـدل عـلى قـدرة خالـد التلقائيـة في الإبـداع في فـن مهـارات التواصـل الاجتماعـي. أثنـى د. تانـاكا عـلى ردود خالـد أمـام الجميـع وتمنـى لـه أن يحقـق كل مـا يتمنـاه وكل مـا يحلـم بـه في سـلام، ولـكي يكـسر السـكون الـذي أطبـق على باقـي الحاضريـن والذيـن بـدءوا يظنـون أنهـم مجـرد مسـتمعون ومتفرجـون عـلى مقابلـة بـين اثنـين في برنامـج تليفـزوني، توجـه د. تانـاكا بعينيـه للحاضريـن سـائلًا: ومـاذا عنكـم أيهـا الأصدقـاء؟ مـاذا عـن أمانيكـم وأحلامكـم في العـام القـادم؟

أسرع محمـود للـرد مازحًـا: أنـا لا أبـدأ عامـي يـا أسـتاذي إلا بعـد الاحتفـال بعيـد ميـلادي، ولسـوف أؤجـل الإجابـة عنـه إلى أن تحتفلـوا بي قريبًـا كـما فعلتـم مـع خالـد. ضحـك الجميـع وصدقـوا عـلى الفكـرة التـي اهتـدى إليهـا محمـود لإخراجهـم مـن هـذا المـأزق. ولأن د. تانـاكا طـرح هـذا السـؤال فقـط ليـشرك الجميـع في المناقشـة ولأنـه لم يكـن حريـصً للحصـول عـلى إجابـة لأنـه يعلـم فيـما يفكـر كل مـن طلابـه، فوافـق عـلى مـزاح محمـود قائـلا: لـك مـا قلـت يـا محمـود فلننتظـر عيـد ميـلاد كل منكـم ولكـن فلتأتـوني بالأمنيـات محققـة جاهـزة. ضحـك الجميـع مردديـن في صـوت واحـد: البركـة فيـك يـا أسـتاذنا، فـكل أمنياتنـا متوقفـة عـلى رضـاء هـذا المعمـل عنـا.

انفـض الحفـل والجميـع سـعداء بنشـوة اللقـاء والاحتفـال غـير المعهـود عـلى المعمـل. صحيـح أن عـادة الاحتفـال بالمناسـبات وخاصـة أعيـاد الميـلاد متبعـة في معمـل د. تانـاكا إلا أن هـذه كانـت أول حفـل يحـضره د. تانـاكا متعمـدًا ومـن أول الاحتفـال إلى آخـره حتـى إنـه هـو الـذي اقـترح لمحمـود فكرة مفاجـأة خالـد بالحفل، واقـترح إقامتـه في غرفـة الاجتماعـات وليـس في غرفـة القهـوة كـما كان متبعًـا مـع

الآخرين مما يدل على أهمية خالد عند د. تاناكا كما ظن الحاضرون، وقبل أن يمضي إلى مكتبه طلب د. تاناكا من خالد أن يزوره في مكتبه للحديث عن المستقبل. وافق خالد بعد أن ينهي بعض الحديث مع زملائه.

أما زلت يا أستاذي تريد الحديث عن المستقبل؟ أبعد كل ما حدث ما زلت متعلقًا بالمستقبل؟ ماذا لو حدث مثل ما حدث؟ هل نستمر في سلسلة من النجاحات ثم فقدانها بهذا الشكل المهين؟ لست أدري فيما تفكر يا أستاذي، سوف آتي إليك مع عدم رغبتي في الحديث عن المستقبل، تحدث خالد في نفسه بهذه الكلمات وهو ذاهب مع محمود إلى الكافتيريا لاحتساء النسكافيه.

شعر خالد بنشوة ممتلئة بالثقة في النفس والطمأنينة وهو مع محمود يتحدثان حديث الأصدقاء وكأنه أزال عن صدره كابوسًا ثقيلًا منذ مساء الأمس والذي أكد عليه اليوم أثناء الاحتفال بعيد ميلاده مع د. تاناكا. امتد الحديث ليشمل أخبار الأهل والعواطف، ولكن لم يتطرق إلى العمل حسبما تعمد خالد. حاول محمود أن يناقش خالد في مغزى مناقشة الأمنيات اليوم حيث إنها كانت أول مرة يتحدث د. تاناكا عن هذه الأمور بهذه الاستفاضة. لم يرد خالد أن يجر النقاش إلى هذا الأمر واصفًا ما حدث أنه مجرد حوار لم يكن مخططًا له بل أثاره د. تاناكا شيء لزوم الشيء ليختتم به الاحتفال. أنهيا اللقاء وذهب خالد إلى مكتب د. تاناكا ومحمود إلى معمله على وعد بأن يتقابلا في القريب.

ومن الظنون ما يهدي العقل الحيران

«حقًّا الأحلام شبابيك الأمل نطل منها لنرى الأمنيات التي قد لا يولد في واقع الحياة».

لا يدري خالد ما هو المستقبل الذي يريد د. تاناكا أن يتحدث عنه معه، فقد تحدثا أمس عن كل شيء وأنه لا يمكن حتى التعليق على خطاب الوكالة الأمريكية والأمن القومي الياباني، هل يفكر في مشروع آخر جديد بفكرة جديدة، أم أنه يريد أن يعرف مني خطتي الشخصية خاصة وأنني لن أستطيع نشر معظم النتائج التي حصلت عليها من المشروع، أو من المحتمل أنه لا يريدني في معمله بناءً على توصية من الوكالة الأمريكية والأمن القومي مما دعاه أن يوجه لي هذه النوعية من الأسئلة اليوم أثناء الاحتفال بعيد ميلادي، وكأنه احتفال بآخر يوم لي في معمله، من المؤكد أن د. تاناكا يحبني، ولذلك لم يشأ أن يخبرني بهذا الخبر بنفسه فأراد أن أتخذ أنا هذا القرار لأعفيه من الحرج، أيًّا كان نوع الحديث عن المستقبل فأنا لدي استعداد نفسي لقبول أي من هذه الاحتمالات أو غيرها فلن يحدث لي أكثر مما حدث أخيرًا وليفعل الله ما يشاء.

أما إذا كان الاحتمال الأول فلن أتحدث معه عن أي فكرة جديدة، وسأترك الأمر كله له مع طلبي بأن يكون الموضوع الجديد لا يعتمد على أفكار مجردة، بل على نتائج مسبقة ولا تتعرض من قريب أو من بعيد بالأمن القومي حتى لا يتكرر ما حدث حتى لو كانت الفكرة الجديدة مجرد أبحاث أساسية لا يرجى منها تطبيقات على أرض الواقع.

أما إذا كان الاحتمال الثاني فليس لدي خطة واضحة للمستقبل العلمي سوى أني أتمنى أن أتعاون مع د. توفيق في نشر الجزء من النتائج التي حصل عليها ليس باستخدام الأشعة التي اكتشفتها أنا ولكن عن دور الجينات الجديدة التي توصل إليها وأطلق عليها جينات المستقبل والتي

وجـد لهـا دورًا كبـيرًا في التحكـم في الوقـت. هـذه النتائـج مهمـة للغايـة وتعتـبر في حـد ذاتهـا اكتشـافًا علميًـا كبـيرًا والـذي يتمنـى ألا يكـون لـه علاقـة بالأمـن القومـي لأي دولـة تخـاف عـلى مسـتقبلها أو ماضيهـا.

أمـا إذا كان الاحتـمال الثالـث فسـوف أفتـح معـه الحديـث لأعفيـه مـن حـرج اتخـاذ القـرار بإنهـاء وجـودي لديـه ولكنـي سـوف أطلـب منـه أن يعطـي لي فرصـة لإيجـاد أسـتاذ آخـر يقبـل أن أنضـم إلى فريقـه البحثـي ونقـل منحتـي مـن الحكومـة اليابانيـة التـي لا أظـن أبـدًا أنهـا سـوف تقطـع عنـي المنحـة حتـى لا تضطـر إلى ذكـر الأسـباب إلا إذا ذكـرت أسـبابًا أخـرى غـير حقيقيـة، مثـل عـدم التقـدم العلمـي أو إثـارة الشـغب أو عـدم احـترام القانـون أو الأعـراف اليابانيـة، وهـي الحـالات التـي يوقـع عليهـا كل مبعـوث قبـل القيـام بتنفيـذ البعثـة. حتـى وإن كانـت الأخـيرة والتـي معناهـا تدمـير مسـتقبلي العلمـي بالكامـل فلـن أحـزن فقـد فعلـت مـا اسـتطعت ولم أقـصّر فيـما قمـت بـه.

الآن جـاء وقـت التحـدث عـن المسـتقبل مـع د. تانـاكا في مكتبـه، والـذي أظهـر ودًّا ملحوظًـا مـن لحظـة دخـول خالـد، فقـد تـرك مقعـده وجلـس بجـواره عـلى الأريكـة وقـام بعمـل كركديـه لهـما مـن الكيـس الـذي أهـداه خالـد لـه ليسـتمتع بــفوائده العديـدة في الحفـاظ عـلى هـدوء الأعصـاب وخفـض الضغـط المرتفـع.

لمـاذا الكركديـه الآن؟ لم يفعلهـا د. تانـاكا مـن قبـل وخاصـة أنـه يعلـم أني أصبحـت مدمنًـا للنسـكافيه. أتـرى أنـه يظـن أني تحـت تأثـير ضغـط نفـسي شـديد بسـبب مـا حـدث ويريـد تخفيـف هـذا الضغـط عـن رأسي قبـل أن يبـدأ الحديـث معـي، أم أنـه قـادم عـلى تفجـير قنابـل كلاميـة موقوتـة سـوف تـؤدي إلى ارتفـاع الضغـط عنـدي فـأراد أن يقينـي منـه باحتسـاء الكركديـه؟ لمـاذا لا أقـوم أنـا بـإدارة الحـوار بـدلًا عنـه دون أن يعلـم بـأني تعمـدت ذلـك حتـى لا أؤذي مشـاعره.

نهـض خالـد ليسـاعد أسـتاذه في عمـل الكركديـه، فحـاول د. تانـاكا إثنـاءه عـن ذلـك إلا أنـه خالـد أصر احترامًـا وتقديـرًا، وفي نفـس الوقـت ليجـد الفرصـة لبـدء الحـوار، هـذا هـو المـشروب المفضـل للكثـير مـن المصريـين لمذاقـه الحلـو؛ لأن لـه فعـل السـحر في تخفيـف الضغـط، ابتسـم د. تانـاكا وهـو يقـول: أعلـم ذلـك يـا خالـد، بالفعـل لـه تأثـير السـحر، فقـد قمـت باحتسـائه مـرات سـابقة وأنـا تحـت

توتـر نفـسي مـن كـثرة أعبـاء العمـل، وقـد كان لـه تأثـير السـحر، أفهـم مـن ذلـك يـا أسـتاذي أنـك تحـت تأثـير نفـسي حاليًـا مـن ضغـوط العمـل أو أي ضغـوط أخـرى.

ابتسـم د. تانـاكا عـلى لمحـة خالـد الذكيـة وأردف قائـلًا: نحـن دائمًـا تحـت ضغـوط نفسـية ولكـن مـا حـدث أمـس كان لـه التأثـير الأكـبر. أفهـم مـن ذلـك أنـك لم تعلـم عـن هـذا الأمـر إلا أمـس فقـط يـا أسـتاذي. بالتأكيـد يـا خالـد، ولذلـك أخبرتـك عـلى الفـور ونقلـت لـك الأمـر كـما جـاءني. ألهـذا طلبـت منـي الحديـث عـن المسـتقبل؟ نعـم يـا خالـد فالأمـر في غايـة الأهميـة لي ولـك وخاصـة أنـت. أنـا أتوقـع الضغـوط النفسـية التـي قـد تحـدث لـك جـراء هـذا الأمـر فهـو متعلـق بمسـتقبلك العلمـي والوظيفـي. نعـم, وبالفعـل كنـت تحـت ضغـط نفسي كبـير أمـس ولكنـي الآن معـافى تمامًـا، فقـد آمنـت بـأن أتوقـع وأقبـل أي شيء قـد يحـدث وبـنفس راضيـة طالمـا أني فعلـت مـا أسـتطيع فعلـه كـما أوصـاني بـه دينـي، فأنـا لسـت قلقًـا عـلى الإطـلاق مـن أي عواقـب حتـى وإن كنـت أود أن أطلـب منـك أن تسـاعدني في إيجـاد معمـل آخـر أسـتطيع أن أبـدأ فيـه مشروعًـا بسـيطًا حتـى لا أتسـبب في أي إحـراج نفـسي ووظيفـي لـك خاصـة أن الأمـن القومـي اليابـاني قـد لا يرتـاح لوجـودي الآن في معملـك. حتـى لـو اضطـررت أن أعـود لمـصر مـرة أخـرى يـا أسـتاذي قبـل أن أنهـي المنحـة وأحصـل عـلى الدكتـوراه، فلـن أحـزن فقـد أخـذت خـبرة كبـيرة في مجـال عمـلي بفضـل وجـودي في معملـك طيلـة السـنة الماضيـة. أراد خالـد أن يلقـي بهـذه الاحتـمالات جملـة واحـدة حتـى يوفـر عـلى أسـتاذه العنـاء النفـسي.

-أهكذا تفكر يا خالد في مستقبلك الآن؟ هل ستكون سعيدًا بذلك؟

-لـن أكـون سـعيدًا، ولكـن سـوف أكـون راضيًـا؛ لأنهـا مشـيئة اللـه، ولعـل فيهـا خـيرًا لي في المسـتقبل. ابتسـم د. تانـاكا ابتسـامة عريضـة لم يفهـم خالـد مغزاهـا، فـما قـال يتطلـب نظـرة إشـفاق وليـس ابتسـام. أخـذ د. تانـاكا خالـدًا مـن يـده وجلسـا لاحتسـاء الكركديـه وخالـد يقـول: هـل في كلـماتي شيء مـا غـير عقـلاني يـا أسـتاذي؟ ابتسـم د. تانـاكا مـرة أخـرى مازحًـا: يـا عزيـزي، أنـا أسـتمتع بـكل مـا تقولـه لأنـه عقـلاني وابتسـامتي ابتسـامة إعجـاب أسـتاذ بتلميـذه، الأمـر يـا عزيـزي ليـس بهـذا السـوء فلـن يحـدث أي مـن هـذه الاحتـمالات التـي

ذكرتها. إذا كان الأمر كذلك فسوف أوافقك على أي اقتراحات منك ولكن أتمنى أن تكون بعيدة تمامًا عن الأمن القومي حتى لا أتعرض لمثل ما تعرضت له أمس من مفاجآت من العيار الثقيل. ولم لا يا عزيزي فلديك عرض للاستمرار في المشروع وإنجازه وتطويره بتقنية عالية ولكن بالتعاون مع الوكالة الأمريكية والأمن القومي الياباني؟ اندهش خالد وفوجئ مفاجأة مدوية بالفعل من العيار الثقيل جدًّا، فقد فاجأه د. تاناكا باحتمال لم يكن على البال نهائيًّا.

ماذا تقول يا أستاذي؟ مؤكد أنك تمزح معي، أنا أعتقد أن الكركديه ليس له أي تأثير مخدر أو مسكر على الإطلاق. ضحك د. تاناكا ضحكة عالية على هذا التعليق المرح، ثم أعقب يقول: لا يا عزيزي، أنا في كامل قواي العقلية وهذا العرض معي من أمس وأردت أن أحدثك فيه، ولكنك تركتني وذهبت لسكنك فلم أشأ أن أثقل عليك. ولقد تأكد لي ذلك اليوم من الوكالة الأمريكية والأمن القومي الياباني تقديرًا لمواهبك العلمية الفذة ولما أبليت به من إدارة لهذا المشروع مع سنك الصغير، وخاصة أن هناك شيئًا توصلت أنت إليه بفكر عالٍ، ولم يستطع علماء معامل الوكالة الأمريكية التوصل إليه حتى الآن. ولذلك فهم يقدرون مجهودك العلمي وخطابهم بوقف المشروع هو لعدم حدوث أي تطابقات في النواتج الصناعية خاصة وأن الوكالة في خطتها لطرح منتج في الأسواق يتشابه مع ما كنا نخطط له. وحسب قوانين الوكالة فإن لها الحق في طرح منتجاتها السرية للأسواق بشرط مرور عامين، وها قد مر عامان على اكتشافهم وتطبيقه في الأمور المخابراتية. إذن أنت جاد فيما تقول يا أستاذي.

-بالطبع يا خالد تمامًا كما كنت جادًّا معك أمس.

لم يعرف خالد ماذا يجيب على د. تاناكا فهو قد نسي الأمر برمته وبدأ يفكر في البدائل، ولكن العرض مغرٍ ولكنه محفوف بالمخاطر، فلا يدري هل قبوله معناه أنه سوف يتبع الوكالة الأمريكية أو الأمن القومي الياباني وبالتالي ممكن اعتباره جاسوسًا أو متواطئًا الأمر الذي لا يمكن أن يوافق عليه مهما كانت الإغراءات.

إن لم يكـن هـو الـذي اكتشـف الأشـعة وأكوادهـا بنفسـه لظـن أن الأمـر كلـه لعبـة مدبـرة مـن الوكالـة الأمريكيـة ليعمـل لصالحهـا، لكنـه هـو الـذي اكتشـف وحلـل وتوصـل للنتائـج، ثـم إنهـم بالفعـل لم يقومـوا بـأي إجـراءات إلا بعـد أن تـم الإعـلان المبـدئي عـن النمـوذج الأول للتصنيـع وإلا لـكان أحـرى بهـم أن يتدخلـوا قبـل هـذه المرحلـة. ثـم إنهـم أقـروا بأنهـم لم يتوصلـوا لبعـض النتائـج التـي توصلـت أنـا إليهـا وأعتقـد أنهـم يقصـدون بـدون شـك الكـود الخـاص بـكل شـعاع حسـب الجـدول الجديـد الـذي توصلـت إليـه، وأعتقـد أنهـم علمـوا بذلـك مـن د. تانـاكا نفسـه في الأيـام التـي تحـروا فيهـا عـن ماهيـة الإعلانـات عـن المنتـج الأولي. ثـم لـو كان الأمـر مدبـرًا منـذ بدايتـه، فلـماذا تـركاني أنـا ودكتـور تانـاكا في التعـاون مـع د. توفيـق في مـصر الأمـر الـذي يجعـل الأمـور أكـثر تعقيـدًا لهـم. إذن الأمـر ليـس مدبـرًا لانضمامـي إليهـم ولكـن قـد يكونـون دبـروا ذلـك بعـد أن أدركـوا أهميـة دوري في هـذا المـشروع فـأرادوا أن يوقفـوه بالأمـر إلى أن يتـم التفكـير فيـما يجـب عملـه مـع كل طـرف.

أيه يا خالد أين تركتني وذهبت؟

أبـدًا يـا أسـتاذي عرضـك أذهـل عقـلي وجعلنـي أفكـر فيـه مـن جميـع الزوايـا، فأنـا أريـد أن أشـتغل بالعلـم بعيـدًا عـن السياسـة.

ليس هناك سياسة، أنا أضمن لك ذلك.

عمومًـا أسـتاذي سـوف أفكـر في الأمـر جيـدًا وأعـود إليـك غـدًا بـرأي في هـذا الأمر.

حسـنًا يـا خالـد، لـك مـا قلـت، ولكـن يجـب أن تصـل إلى قـرار وتخـبرني بـه غـدًا؛ لأن الأمـر مهـم، مؤكـد يـا أسـتاذي غـدًا في الصبـاح أكـون أمامـك هنـا بقـراري ومعطيـات وأسـباب القـرار.. مـع السـلامة يـا صديقـي وتمنيـاتي لـك دومًـا بالتوفيـق وأنـا أثـق في قراراتـك وأفـكارك وحصافتـك. شـكرًا يـا أسـتاذي وإلى اللقـاء غـدًا.

اسـتدار خالـد لدكتـور تانـاكا قبـل أن يـترك المكتـب وكأنـه نـسي شـيئًا مهـمًّا للغايـة فقـال: هـل مـن الممكـن أن أستشـير أحـدًا ممـن أعرفهـم في هـذا الأمـر

سـواء في اليابـان أو مـصر، وكأن خالـدًا أراد أن يستشـف بطريقـة غـير مبـاشرة إذا كان الأمـر بالفعـل سريًّـا للغايـة وبالتـالي يتبـع المخابـرات وفي نفـس الوقـت ليخفـف العـبء النفـسي مـن خـلال الحديـث مـع أحـد مـا. ابتسـم د. تانـاكا ابتسـامة كلهـا ثقـة وفي نفـس الوقـت ازدادت ثقتـه في خالـد؛ لأن هـذا معنـاه أن خالـد لم يقـص أمـر الأحـداث الأخـيرة لأي مـن زملائـه اليابانيـين أو أقاربـه في مـصر. ولـكي يتأكـد مـن ثقتـه في خالـد قـال لـه مازحًـا: وهـل لم تنقـل أي مـن هـذه الأخبـار يـا دكتـور لأي ممـن تعرفهـم؟ بالطبـع لا أسـتاذي أنـت تعرفنـي تمامًـا فأنـا لا يمكـن أن أبـوح بـسر إلا إذا سـمح لي بالبـوح عنـه مـن صاحـب الـسر سـواء كان سرًّا شـخصيًّا أو خاصًّـا بالعمـل.

أعلـم يـا خالـد، أعلـم فثقتـي بـك كبـيرة وأنـا لاحظـت فعـلًا أن زمـلاءك الذيـن حـضروا حفلـة عيـد ميـلادك ليـس عندهـم علـم بالموضـوع كـما تبـين مـن ردود أفعالهـم النفسـية عـلى الأسـئلة التـي وجهتهـا إليـك، وكذلـك مـن إجابتـك عليهـا، أمـا السـيد فمؤكـد أنـك لم تقـل لـه شـيئًا فأنـت لا تصاحبـه كثـيرًا إن لم أقـل إنكـم عـلى خـلاف بـين في الطبائـع والطمـوح، ولذلـك لم يـأتِ الحفـل مـع باقـي الحاضريـن، ولكنـي لم أشـأ أن أضغـط عليـه للمجـيء؛ لأنهـا أمـور خاصـة وإن كنـت تمنيـت أن يـأتي، ابتسـم خالـد مازحًـا هـو الآخـر معنـى ذلـك يـا أسـتاذي العزيـز أنـك لم تكـن تثـق في حتـى أمـس، ولذلـك أمطرتنـي بوابـل الأسـئلة المفاجئـة ليتبـين لـك مـن إجابتـي موقفـي مـما حـدث وإذا مـا كنـت قـد نقلـت الأحـداث إلى بعـض الزمـلاء.

بالطبـع لا, فأنـت تعلـم أن أسـاليبي في الحـوار مبـاشرة وليسـت إخباريـة، أمـا عـن موقفـك فكنـت عـلى يقـين أنـك سـوف تنقلـه إلي بصـدق عندمـا نتقابـل، وأمـا عـن أسـئلتي فكانـت بالفعـل وليـدة اللحظـة، ولم تكـن معـدة مـن قبـل ولكنهـا كانـت مرتبطـة بشـكل غـير مبـاشر بالأحـداث خاصـة أني لاحظـت عليـك شـعور صفـاء وثقـة بالنفـس وانتعاشًـا والـذي لم أكـن أتوقعـه بسـبب هـول المفاجـأة التـي هـوت عليـك أمـس فوجـدت اللحظـة مناسـبة تمامًـا لطـرح هـذه الأسـئلة؛ لأني توقعـت أن تكـون إجاباتـك شـفافة في هـذه اللحظـات النفسـية الصافيـة والتـي لا تتـأتى للإنسـان كثـيرًا. أعلـم يـا أسـتاذي أنـا فقـط أمـزح لأني

مـا زلـت أعيـش لحظـات النفـس الصافيـة هـذه بفضـل قناعـاتي التـي أؤمـن بهـا.

ومـاذا عـن سـؤالي يـا أسـتاذي العزيـز؟ ضحـك د. تانـاكا وهـو مـا زال ممسـكًا بكـوب الكركديـه لـك مـا تشـاء يـا عزيـزي، ولكـن إذا كنـت تحتـاج بالفعـل للتحـدث مـع أحـد فتحـدث إلى نفسـك، فأنـت أدرى بمـن يقاسـمك نفسـك. يـا اللـه يـا أسـتاذي دائمًـا تحملنـي المسـئولية وتتركنـي لوحـدي، ومـع أنـه شـعور رائـع بمـدى ثقتـك في إلا أنـه يجعلنـي دائـم التفكـير.

يـا عزيـزي، التفكـير الدائـم سـمة العلـماء؛ ولأني أعـرف أنـك لـن تتوقـف عـن التفكـير في أي شيء نظـرًا لطبيعتـك فأنـا أحـب دائمًـا أن أوفـر لـك فرصًـا مجانيـة للحـث عـلى التفكـير. واليـوم هـو يـوم التفكـير، ولكـن عليـك أن تفكـر وتقـرر في نفـس الوقـت يـا عزيـزي، قلبـي معـك يـا باشـا. ضحـك خالـد كثـيرًا عـلى كلمـة باشـا التـي خرجـت مـن بـين شـفاه د. تانـاكا بلكنتـه اليابانيـة؛ ولأنـه يعلـم أن هـذه الكلمـة تعجـب أسـتاذه كثـيرًا والتـي لا يسـتخدمها إلا إذا كان منتشـيًا وفي قمـة الهـدوء النفـسي.

رد خالـد مازحًـا قبـل أن يذهـب: واضـح أن تأثـير الكركديـه أظهـر مفعولـه عليـك أسـتاذي، هنيئًـا لـك. تمنيـاتي لـك بوقـت ممتـع إلى أن نتقابـل غـدًا، وأعـدك أن أحـضر لـك المزيـد مـن الكركديـه في زيـارتي القريبـة لمـصر.

رد . تانـاكا بسرعـة وانتفـض معتـدلًا في جلسـته وكأن خالـدًا قـد ألقـى عـلى رأسـه مـاءً بـاردًا لـكي يفيـق مـن التأثـير المهـدئ للكركديـه، أتفكـر في النـزول إلى مـصر في القريـب يـا خالـد؟ لم تخـبرني أبـدًا بذلـك. كنـت قـد فكـرت في ذلـك أمـس لرؤيـة والـدي الـذي زارني في أحـلام المسـاء، ولكنـي لم أفكـر جديًّـا بعـد في هـذا الأمـر، ولم أتخـذ القـرار بعـد. إذن هـذا بالفعـل يـوم التفكـير والقـرارات العالمـي لـك يـا خالـد. اذهـب الآن لتجـد وقتًـا لتفكـر فيـه، فواجبـك المنـزلي اليـوم بالفعـل ثقيـل، وأراك في الصبـاح عـلى كـوب آخـر مـن الكركديـه. ضحـك خالـد وانـصرف وهـو يقـول لا تقلـق أسـتاذي فسـوف أنجـز الواجـب المنـزلي بالكامـل.. إلى اللقـاء.

السـاعة الرابعـة والنصـف تقريبًـا, فضـل خالـد أن يعـود إلى سـكنه لـكي يفكـر عـلى مهـل في العـرض المفاجـئ لدكتـور تانـاكا ولكنـه ذهـب لـيرى محمـود

ليمضي معه بعض الوقت قبل أن يعود لسكنه.

صحب خالد محمودًا وذهبا لاحتساء النسكافيه ولكن هذه المرة مشيا سويًّا في الحديقة الخارجية للمعهد وسط الساعات وجلسا حول النافورة التي تلقي بمائها في الهواء على هيئة ساعة كبيرة فتذكر خالد عرض د. تاناكا مع أنه جاء إلى هنا ليبعد تفكيره عن هذه الأمور ليعيش لحظات صفاء مع صديقه محمود، فما كان من خالد إلا أن فتح الحديث عن المشروع قائلًا: كل شيء في الحديقة يذكرني يا محمود بالمشروع. إنه لمشروع العصر، أتشاركني الرأي في ذلك؟ ضحك محمود قائلًا: أتيت بي إلى هنا لنتحدث عن المشروع، كفاك يا عزيزي ودعنا نتحدث عن أي شيء آخر ولنؤجل ذلك إلى وقت آخر. يا محمود، هذا ما كنت أقصده فعلًا، ولذلك طلبت منك أن نأتي هنا بعيدًا عن مناخ العمل، ولكن إيقاع هذه الساعات وشكل الماء المنطلق من النافورة على هيئة ساعة وتنظيم الأشجار على هيئة ساعة أكبر أخذني دون أن أدري إلى المشروع وهمومه وأنت تعلم كم أرتاح أن أتحدث إليك عن همومي.

ألديك هموم عن المشروع يا خالد؟ لم تخبرني عن ذلك من قبل وإن كنت أشم منذ أمس شيئًا غير عادي سواء منك أو من د. تاناكا ولكن إحساسي تبدد عندما حضرت حفلة اليوم ورأيت كيف يهتم بك د. تاناكا وإن كانت أسئلته لك غير متوقعة.

كل مسئولية في الدنيا يا محمود لها همومها حتى ولو نجحت في إنجاز مهامها. وما نوع الهموم التي لديك يا صديقي. احكي لي لكي أساعدك، الأمر شرحه يطول يا محمود وأنا لا أريد أن أصدعك بهذه الأمور الآن، ولكن غدًا سوف أخبرك كما تريد يا صديقي، وسوف تجدني بجانبك دائمًا، وسوف أساعدك حتى ولو بالإنصات إليك، ولكن قل لي ما هي نوعية الهموم؟

إنها يا محمود ليست سرًّا، ولكني بدأت أشعر بالضيق من العمل في هذا المشروع وأخاف من عواقبه، ولماذا تخاف من عواقبه فهو مشروع ممتاز وسوف يخدم البشرية جمعاء؟ فمم تخاف؟

أخـاف أن يسـاء اسـتخدامه مـن قبـل بعـض الأفـراد أو الحكومـات تمامًـا مثلـما أسـيئ اسـتخدام البـارود الـذي اكتشـفه نوبـل والـذي مـن أجـل ذلـك نظـم جائـزة نوبـل للسـلام، وإن كان العـالم يسـتخدم الآن مـا هـو الأسـوأ مـن البـارود. ضحـك محمـود ضحكـة كبـيرة كادت أن تتوقـف عقـارب السـاعات مـن صوتهـا، إذا كان الأمـر كذلـك فـلا تخـف وقـم بعمـل جائـزة خالـد للسـلام لـكي تمنـع سـوء اسـتخدام جهـاز التحكـم في الوقـت. إن مـا تقولـه يذكـرني بفيلـم (طاقيـة الإخفـاء) الـذي يمثـل إحـدى روائـع السـينما المصريـة لتعرضـه لفكـرة الاسـتحواذ وسـوء الاسـتعمال.

أنـا أفكـر يـا محمـود بجديـة في أن أتـرك المـشروع كليـة وأعمـل في مـشروع جديـد حتـى لـو اضطـرني ذلـك إلى الانتقـال إلى معمـل آخـر. أجننـت؟ أتـترك مشروعًـا بنيتـه ببنـات أفـكارك ومجهـودك ثـم تتركـه بعـد أن نجـح نجاحًـا سـاحقًا في زمـن قيـاسي؟ أذكـرت ذلـك إلى د. تانـاكا يـا خالـد. لا لم أخـبره بعـد ولكنـي سـوف أفكـر جديًّـا اليـوم لأتخـذ القـرار. قـرار مـاذا يـا صاحبـي؟ إيـاك أن تتخـلى عـن المـشروع إيـاك أن تفعـل ذلـك يـا خالـد. هـذه هـي فرصتـك في الحيـاة العلميـة والماليـة والاجتماعيـة والفـرص لا تـأتي للنـاس إلا مـرة واحـدة فـلا تكـن مجنونًـا وتلفـظ الفرصـة لمجـرد أوهـام والتـي وإن خفـت أن تكـون حقيقـة فـما عليـك إلا أن تأخـذ شروطـك، وأعتقـد أنـه لـن يكـون هنـاك مشـكلة في قبـول الـشروط؛ لأن الـكل يحتـاج للمـشروع عـلى كل المسـتويات.

نعـم، يـا محمـود فكـرة هائلـة أن تكـون هنـاك شروط واحددهـا بنفـسي لـكي يرتـاح عقـلي. شـكرًا لـك يـا عزيـزي فقـد أرحتنـي بفكرتـك هـذه، هيـا بنـا لنعـود إلى السـكن.

لا اذهـب أنـت يـا خالـد وأنـا سـوف أمكـث سـاعة أخـرى لعمـل بعـض التجـارب التـي طلبـت منـي إجراءهـا الأسـبوع المـاضي، ولم أنهيهـا بعـد. مـا هـي هـذه التجربـة يـا محمـود. ضحـك محمـود وتـرك خالـد ومـشى وهـو يقـول: نعـم يجـب أن تـترك هـذا المـشروع فـورًا، فواضـح أنـك نسـيت عنـه كل شيء في خـلال يـوم وليلـة فأنـت الـذي طلبـت منـي إجراءهـا. عمومًـا قـم واذهـب الآن وسـوف أخـبرك عـن التجربـة صبـاح غـد. سـلام يـا صاحبـي، وإلى اللقـاء.

استخرج الهم من جيبه ليمضغه ولا يستطيع تذوقه

«المحن منشور زجاجي تنكسر عليه ألوان طيف السعادة والأحزان لنرى كيف تشكلها العلاقات الإنسانية بكل ألوانها وتداخلاتها من الأبيض إلى الأسود... فمحن الحياة شباك تلقى في نهر التحديات فتصيد الغث والسمين، فيذهب الغث ويبقى السمين».

قبل أن يترك خالد المعهد تذكر أنه يحتاج إلى إرسال إيميلات لوالده من خلال صديقه محمود بمصر ولأحمد وأستاذه د. توفيق. وقد اعتاد خالد أن يتواصل مع والده بالتليفون، ولكن نظرًا لتكلفة المكالمات فكان يستعين بإرسال رسائل عن طريق البريد الإلكتروني لأحمد الذي يأخذها ليقرأها بنفسه لعم صابر الذي كان ينتظرها على أحر من الجمر، وذلك ليرى أحمد الذي كان يحبه كثيرًا فيعوضه عن غياب خالد.

كتب خالد رسائل مطولة إلى كل من والده وأحمد ليطمئنهم فيها على أحواله وعلى دراسته وعلى سكنه وعلاقته بأستاذه د. تاناكا وحرص على أن يؤكد بأن كل أمور حياته في الغربة بخير ولا ينقصه إلا رؤياهم. ولم يشأ خالد أن يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى ما حدث منذ أمس من خطاب الوكالة الأمريكية ومن العرض الذي قدمه إليه أستاذه اليوم. لم يشأ أن يقلق والده خاصة أن مجرد ذكر اسم وكالة المخابرات في الخطاب سوف يجعل والده لا ينام ليلًا أو نهارًا مما قد يعرضه لأزمات قلبية ولو حدث لترك خالد كل شيء وراء ظهره مهما كانت قيمته ومضى ليرتمي في أحضان والده ليرعاه.

وما يقوى خالد على الصبر لفراق والده الذي ليس لديه سواه في شيخوخته هو وجود صديقه أحمد بجانبه، فقد أوصاه قبل أن يترك مصر بأن يكون بدلًا عنه يزوره على الأقل كل يومين، ويذهب معه كل جمعة للصلاة وشراء ما يلزم تمامًا كما كان يفعل خالد. وبالفعل يقوم أحمد بكل ما أوصاه به خالد، بل كان يبيت أحيانًا عند عم صابر ويقضي معه الساعات في الحكايات عن الذكريات الحلوة وعن خالد وطيبته وإخلاصه

وحبـه لعملـه وتفوقـه في الدراسـة، ومـا ينتظـره مـن مسـتقبل باهـر باليابـان ومِـصر عندمـا يعـود ليعمـل في أحسـن الجامعـات ليفتخـر بـه عـم صابـر ويسـعد. وكـم يسـعد عـم صابـر بأحمـد وبالأمـل الـذي يبعثـه في قلبـه فيقـوى صـبره عـلى فـراق وغربـة خالـد إلا أن أحمـد كثـيرًا مـا أحـس بدمـوع عـم صابـر تذرفهـا عينـاه دون أن يـدري أينـما يغـوص الحديـث في الذكريـات. حينئـذٍ يقـوم أحمـد بمهارتـه وخفـة دمـه إلى جلـب الفكاهـة إلى قلـب عـم صابـر والـذي كان يبتسـم وعينـاه ضاحكتـان وكأنـه يحـرص أن ينقـل أحمـد ابتسـاماته وضحكاتـه لخالـد حتـى لا يهتـم ويحـزن، وأحمـد يعشـق عـم صابـر عشـقًا بـلا حـدود فهـو يذكـره بوالـده الـذي رحـل منـذ أربـع سـنوات بعـد أن قـضى عمـره كلـه صديقًـا لعـم صابـر فأصبـح لأحمـد والـد خالـد ووالـده.

كتـب خالـد لدكتـور توفيـق إيميـل بطريقـة أخـرى تمامًـا وكأنـه وجـد فيـه مـلاذه العلمـي الـذي يسـتطيع أن يفـرغ فيـه كل همومـه ونجاحاتـه العلميـة، فحـكى لـه عـن نتائـج آخـر التجـارب بشـكل عـام دون أن يخـوض في التفاصيـل وكيـف أن المـشروع أصبـح قـاب قوسـين أو أدنى مـن تحقيـق الهـدف الرئيـسي منـه، ومـدى نجـاح الإعلانـات الأوليـة عـن المنتـج الأولي للمـشروع، وكيـف أن الـشركات والمصانـع في غايـة الاهتـمام بـشراء واحتـكار المنتـج بـأرقام عاليـة لم يكـن يتخيلهـا مـن قبـل. بـدت كلـمات خالـد مشـجعة جـدًّا، وكأنـه أراد أن ينقـل لدكتـور توفيـق مـدى النجـاح الـذي وصـل إليـه المـشروع ليـس علميًّـا فقـط، ولكـن مهنيًّـا وتقنيًّـا وماليًّـا، وذلـك قبـل أن يبـدأ أن يقـص عليـه الجـزء الحزيـن مـن المـشروع ومـا أعقبـه مـن أحـداث. ومـن شـدة احتياجـه إلى أن يسـمعه ويأخـذ برأيـه في كل صغـيرة وكبـيرة شـعر خالـد وهـو يكتـب أن د. توفيـق أمامـه يطـل عليـه وجـه مـن شاشـة الكمبيوتـر يحدثـه مبديًـا إعجابـه بخالـد وبالنتائـج التـي حصـل عليهـا. وسـعد خالـد أيمـا سـعادة بهـذا الشـعور حتـى ولـو كان سرابًـا.

استرسـل خالـد في رسـالته للدكتـور توفيـق فأبـدى خالـد قلقـه الشـديد عـن قلقـه مـن الاسـتخدام السـيئ للتكنولوجيـا التـي توصـل إليهـا سـواء مـن خـلال الأفـراد أو الجماعـات أو الحكومـات، وكيـف أن ذلـك قـد يكـون لـه أثـر سـلبي عـلى خالـد ليـس فقـط علميًّـا، ولكـن اجتماعيًّـا وقـد يقحمـه في معـادلات سياسـية هـو غـير راغـب فيهـا. لم يشـأ خالـد أن يقـص لأسـتاذه مـا حـدث أمـس

ولا العـرض المقـدم لـه اليـوم مـن د. تانـاكا مـع أنـه تمنـى أن يقـص لـه كل شيء إلا أنـه قـرر ألا يبـوح عـن هـذه الأسرار خوفًـا في حالـة إذا كان هنـاك تجسـس عـلى رسـائله الإلكترونيـة، وبهـذا يكـون قـد حافـظ عـلى سريـة الموضـوع لأهميتـه وفي نفـس الوقـت أبـدى قلقـه مـن نفـس الأمـور التـي قابلتـه، ولكـن بطريقـة غـير مبـاشرة وهـو يعلـم أن د. توفيـق قـد يتفهـم مخـاوف خالـد وقـد يبـدي رأيـه ونصائحـه التـي قـد تبددهـا.

انتقـل خالـد إلى إمكانيـة نـشر النتائـج التـي حصـل عليهـا د. توفيـق مـن الأبحـاث التـي أجراهـا في مـصر لحسـاب المـشروع بحيـث يكـون خالـد هـو الاسـم الأول في ترتيـب المؤلفـين حتـى يضمـن أبحاثًـا تمكنـه مـن الحصـول عـلى الدكتـوراه في حالـة تخليـه عـن المـشروع نتيجـة مخاوفـه. ومـع أن خالـدًا هـو الباحـث الرئيـسي للمـشروع وبالتـالي لـه الحـق في أن يقـرر ترتيـب المؤلفـين إلا أنـه آثـر أن يسـتأذن أسـتاذه حتـى لـو أصبـح الطالـب هـو صاحـب القـرار. تنفس خالـد الصعـداء، وشـعر أنـه أزاح آلاف الأشـعة مـن عـلى صـدره بمجـرد أنـه حـكى لدكتـور توفيـق مـا لديـه مـن بعـض المخـاوف. أنهـى خالـد رسـالته بأنـه يفكـر جيـدًا في زيـارة مـصر، ولكنـه لم يقـرر بعـد، وإذا حـدث فسـوف تكـون فرصـة كبـيرة للحديـث في كل الأمـور، شـعر خالـد بـأنه انتـصر عـلى نفسـه بعـدم قـص الأمـور عـلى أهلـه في مـصر وبالطريقـة التـي تنـاول بهـا الأمـر مـع د. توفيـق فقـد أشركـه معـه في التفكـير ولكـن بطريقـة غـير مبـاشرة.

شـعر خالـد بحنـين زائـد إلى حديـث مختلـف، حديـث يمـلأ قلبـه بنبـع الحياة الرقيقـة والحانيـة، فهـو في حاجـة إلى كلـمات كلهـا عذوبـة حتـى ولـو كان هـو كاتبهـا وليـس بسـامعها، رسـائل يفـرغ فيهـا همومـه وأحزانـه، ولكـن بطريقـة مختلفـة، رسـائل يبـث فيهـا أنفاسـه الملتهبـة إلى حبيبتـه لعـل هـذه الأنفـاس تذيـب همومـه حالمـا تشـعر بهـا حبيبتـه. ودار بخلـده خيـال همسـة، وكـم كان يتمنـى أن تكـون هنـاك تنتظـر رسـائله بفـارغ مـن الصـبر كوالـده وصديقـه أحمـد. آه يـا همسـة لكـم كنـت أتمنـاكِ الآن حبيبـة وليـس أختًـا أو صديقـة، أنـتِ الوحيـدة التـي ينبـض لهـا قلبـي بالحـب وكأن القلـوب تعلمـت أن تكـون دقاتهـا أنواعًـا؛ دقـات للحـب والحيـاة ودقـات ليبقـى الجسـد عـلى قيـد الحيـاة.

ولكـن أيـن لي مـن تلـك الدقـات، دقـات الحـب التـي توقفـت منـذ أن

توقفت همسة عن مرمى سمعي وبصري؟ وبعد تفكير في همسة والغوص في الذكريات شعر خالد بحنين جارف لكتابة رسالة إلى همسة ولم يستطع أن يثني نفسه عن الكتابة إليها فكتابة رسالة هي أقل ما يمكن أن يفعله ليخفف نار الاشتياق إلى الحديث إليها، فهو يحتاج بشدة إلى أن تسمعه ولو من بعيد؛ ولأنه يعلم أنها لم تعد له لم يستطع خالد أن يخط كلمة واحدة ليرسلها إلى همسة. زاغت عيناه وهده اللوع والشوق الذي ليس له حق فيه، فذرفت عيناه دمعات لم تستطع أن تبقيها مقلتاه. دمعات ساخنة جرت على خديه دون أن يشعر، دمعات تساقطت دون استئذان. وبعد أن هدأت نفسه من هذا اللوع لاحت إلى قلبه فكرة شعر بأنها قد تشفي غليل اشتياقه. قرر أن يكتب إليها ما يريد وكأنها حبيبته التي لم تفرقهما ظروف الحياة، وباعدت بينهما منذ عام قبل مجيئه لليابان. يكتب إليها وكأنها ما زالت هناك تنتظره تحمل له عنفوان الحب الذي لا يتكلم ولكن كله بسمات وهمسات. انصهر قلب خالد اشتياقًا لحديث همسة، اشتاق إلى أن يراه شفاها تتحدث، اشتاق إلى بريق عينيها يتأمل كلماته .

يا أثير الصبح تمهل وتوقف بين يديا

واحمل صهد الشوق وسلامات الأشجان

احملها عني إلى باب هوى به الأحباب

فقلبي هناك معلق مزقه لظى الحرمان

ويا نسيم الليل تهادي وخذ بيديا برقة

لعلني أخرج حيًّا من شرنقة الأحزان

ويا صبح ويا ليل على مهلكما إني قادم

ففيكما أودعت العهود والأمنيات أفنان

ولا ترحلا حتى أسترد حقائب الهموم

وألقيها في حطب الهوى تأكلها النيران

وابقيا حتى استرد سعادة تولت عني

ومزق ثوبها وعلق رمزًا على الجدران

لا ترحلا حتى استرد أمتعة حب هارب

أطلقت عليه شظايا من الهوى السكران

فتناثر قطعًا على الثرى وتحت الأقدام

فسوف الململمة واصنع منه عقد وعقدان

وسوف أظل على عهدي محبًّا وعاشقًا

لوطن يسكنني وأسكنه أحيا فيه إنسان

فالحب يحسبه الناس الهوى والعشاق

وأنا الحب لدى عشق هوى الأوطان

قرر خالد أن يكتب ويكتب حتى تفيض نفسه ببحور مشاعره التي يحويها قلبه هناك حبيسة في حجراته تمنعها صمامات قلبه عن الخروج من قلبه. قرر أن يفرج عن مشاعره ولو للحظات ولو فقط إلى نفسه، قرر أن يريح صدره ويلين قلبه ويسعد بحبه، ولو للحظات، قرر خالد أن يكتب ويكتب ثم يمسح كل ما كتب ما عدا «إزيك يا همسة ... لعلك تكوني بخير دائمًا ... وددت فقط أن أطمئن عليكِ ... والسلام».

تلك هي الكلمات التي قرر أن يكتبها في أول الرسالة لتكون هي كل ما سوف يبقيه في رسالته بعد أن يمسح كل الكلمات الأخرى وكذلك أشعاره التي تعبر عن مكنون حبه وتعلقه بأثواب عبق حبها الذي لا يفارقه منذ أن افترقا، وبالفعل كتب خالد وهام في الكتابة، فوجد نفسه وقد كتب أشعارًا وكنايات ونثر بكلمات تذوب عذوبة وتفوح حبًّا واشتياقًا وحنينًا

حتى أبكته الكلمات عندما قرأها وكأنه رأى حبه الوليد ناضجًا أمامه، ولكن للأسف حنين مجرد على هيئة كلمات لن يقرأها إلا هو فلن تراها همسة أو تسمع بها. شعر خالد أن يديه أصبحت جزءًا من قلبه وكأن أصابعه امتدت لتنبع من حجرات قلبه التي يسكنها حب همسة الحبيس فأصبح مداد كلماته هو حبه الذي يسكن قلبه والحنين إلى عينيها وضحكة شفتيها. ولما تملكه كل هذا الحنين زاد خالد في الكتابة، وراقت له مشاعره وطاف به الخيال وكأنه يحدث همسة وكأنه يرتدي آلة التحكم في الوقت التي اخترعها فأخذته بعيدًا إليها.

نسي خالد نفسه وعاش لحظات العمر وهو يكتب ويكتب، وانفعل عاطفيًّا، وزاد في وصف حبه وكأنه يدافع عن حرمانه من حبها فتحول وكأنه هو رمز الحب في كل زمان ومكان، وانتشى وأصبح عاشقًا ولهان يريد أن يقفز في قلب محبوبته ليتحسس حبها. ولما انتشى وهاج حبه ضغط على الزر دون قصد وأرسل الرسالة وهو نشوان.

ولما أفاق بعد ذلك بثوانٍ لم يصدق نفسه كاد قلبه أن يتوقف وابيضت عيناه وزاغت، وكاد أن يفقد بصره حزنًا وهو الذي كان يرقص قلبه فرحًا منذ ثوانٍ. لم يدرِ ماذا يفعل وماذا يقول، فقد كانت لحظة اختزلت فيها سنوات عمره، بكت عيناه حزنًا على قهر مشاعره التي أبت أن تقهر وأصرَّت أن تصل لهمسة بمجرد أن أصبحت حرة طليقة من أسوار قلبه، كيف تكون مشاعري أقوى مني؟ كيف لها أن تختار طريقها بمجرد أن أخرجها وأنا صاحبها لم أجرؤ أن أدافع عنها قبل أن أحبسها في قلبي؟ لماذا فعلت ذلك بنفسك وبهمسة يا خالد؟ كان يجب عليك ألا ترسل أبدًا هذه الرسالة بطريق الخطأ, لن أغفر لك أبدًا يا قلبي فعلتك هذه. أرجو ألا يحدث ما لا يحمد عقباه جراء هذه الرسالة لي همسة خاصة إذا كان زوجها يطلع على رسائلها غيرة أو اطمئنانًا.

لملم خالد حاجياته وقصد المترو إلى سكنه وكله قلق من وقع رسالته إلى همسة، الرسالة التي تأخرت عامين ولما كتبها ليرضي غرور حبه قررت أن تذهب، ولكن في الوقت غير المناسب على الإطلاق. فليرحمني الله، وأن

يخفـف العواقـب عـلي، وعـلى همسـة في وضعهـا الحـالي الـذي لا أعـرف عنـه شـيئًا منـذ فراقنـا، ومـا خفـف عـن خالـد هـو احتماليـة أن تكـون همسـة لم تعـد تسـتخدم هـذا العنـوان أو عـلى الأقـل لا تعلـم بـه أحـدًا حتـى لا يصيبهـا أي مكـروه، مـشى وهـو يملـؤه الألم عـلى أمـل أن يرسـل رسـالة أخـرى مـن مسـكنه إلى همسـة ليعتـذر عـن رسـالته التـي تفلتـت مـن بـين أصابعـه وأصرت أن تذهـب إليهـا إذا كانـت مـا زالـت هنـاك.

مـر خالـد بـين السـاعات المصفوفـة في حديقـة المعهـد مسرعًـا دون أن ينظـر إليهـا حتـى لا يهيـم في أجـواء المـشروع مـرة أخـرى فيكفـي جملـة الأحـداث التـي مـرت عليـه اليـوم بحلوهـا ومرّهـا، وخاصـة الموقـف الصعـب الـذي وضـع نفسـه فيـه مـع همسـة. زلـق خالـد جسـده في القطـار بـين الواقفـين، ولم يبحـث عـن كـرسي ليجلـس وكأنـه أراد أن يأخـذه زحـام النـاس بعيـدًا عـن أفـكاره، أو لعلـه أراد أن يحتمـي بأجسـاد النـاس مـن مشـاعره التـي تسـيطر عليـه الآن مـرة بالراحـة بمـا فعلـه بـدون قصـد ومـرة يؤنـب نفسـه كيـف فعـل هـذا.

شـعر خالـد بنفسـه محشـورًا بـين النـاس عنـد بـاب القطـار وكأنـه لـوح مـن الثلـج بـين أجسـاد تتصاعـد منهـا أعبـاء النهـار، فخـاف عـلى نفسـه مـن الانصهـار بـين هـذه الأنفـاس فأخـذ لنفسـه مكانًـا قصيًّـا، وانـزوى عـلى نفسـه وكأنـه فعـل جرمًـا كبـيرًا أو فاحشـة عظيمـة، وكيـف لا وحبـه العـذري لهمسـة يفـوق عـذاب العـالم مجتمعًـا، فهـو يقبـل أن يعـذب مـرات ومـرات ولا يـؤذي مشـاعر همسـة عـلى الإطـلاق. لم تمـضِ بضـع دقائـق حتـى أعلـن القطـار عـن الوصـول آخـر محطـة وهـي سـكن خالـد، وتمنـى أن تكـون محطـة أفـكاره التـي تتصـارع أيضًـا قـد حانـت الليلـة في حجرتـه في الطابـق العشريـن في هـذه المدينـة الصاخبـة.

ارتمـى خالـد بجسـده عـلى السريـر لعلـه يمتـص منـه غضبـه ولومـه لنفسـه، ولعـل بالـه يهـدأ ويسـتقر قبـل أن يبـدأ التفكـير، ودون أن يـدري غلبـه النـوم، ورأى نفـس الأحـلام التـي رآهـا ليلـة أمـس، فقـام وقـد هـدأ بالـه واسـتبشر خـيرًا كـما اسـتبشر مـن قبـل وصدقـت أحلامـه. والأحـلام عنـد خالـد تمثـل المتنفـس الاجتماعـي لـه، ففيهـا يـرى والـده مـع أن آلاف الأميـال تفصلهـم والتـي يـرى فيهـا والدتـه ويستشـف رضاهـم عنـه فيسـعد ويهنـأ، ولصفـاء نفـس خالـد فـإن أحلامـه

دائمًا رؤى، فهي مثل آلة التحكم في الوقت الذي توصل إليها.. آلة تحكم في الوقت طبيعية تعمل بأشعة القلب والتي يبرمجها العقل وتباركها الروح.

صحا خالد من نومه وعلى شفتاه ابتسامة كلها رضا وطمأنينة رغم اشتياقه الشديد لوالديه وصديقه أحمد وأستاذه د. توفيق . اليوم لديه حفلة اشتياق عامة تجوب قلبه وكأنها مظاهرة في الاشتياق إلى كل ما هو في مصر، وإن كانت مصر بالنسبة لخالد هي الحارة التي يسكن فيها، مصر عنده هي أهل الحارة ومحلاتها وبناياتها. اليوم كان أكثر الأيام التي اشتاق خالد فيها إلى الحارة بكل من فيها، اشتاق أن تدوس قدماه أرض الحارة حتى وهي تغوص في الطين والماء، اشتاق إلى زمن الجهاد في بيع الجرائد ومسح زجاج العربات، اشتاق للشمس الحارقة، اشتاق لنهار يودعه مع غروب شمسه عندما كان يعود إلى أبيه ليرتمي بجانبه وتبدأ حكايات المساء، اشتاق إلى عيون همسة ورقتها وعذوبتها وصوتها الحنون ونظراتها التي تهدهد الأم النفس وتذيب أحزان الحياة. اليوم تنهال على خالد أمواج كل بحور الاشتياق تعصف بأركان قلبه وكأنه خلق ليشتاق، ما أحلى الماضي حين ينتفض على صوت دفوف دقات القلب بأحلى الذكريات.

خالد بين الحنين إلى همسة وخطأ الإيميل

«وكأن القلوب تعلمت أن تكون دقاتها أنواعا.. دقات للحب والحياة ودقات ليبقى الجسد على قيد الحياة».

من شدة الشوق لحياته في مصر تمنى خالد أن يسمع صوت والده وأحمد و د. توفيق الآن، ولكنه تذكر أن عليه واجبًا منزليًّا اليوم في التفكير وأخذ القرارات، فلم يشأ أن يتصل بمصر اليوم حتى ينتهي من حفلة التفكير الليلة، واكتفى بأن يقرأ ردود الإيميلات إذا كانت هناك فرصة للرد عليهم اليوم، قام خالد ليتوضأ ويتحدث إلى الله في صلاته، ثم يأكل شيئًا خفيفًا، ثم يبدأ في التفكير ليأخذ قراره في عرض د. تاناكا، ولأن القرار مهم ومع أن خالدًا يميل في طيات نفسه إلى قبول عرض د. تاناكا إلا أنه يخشى دائمًا من وسوسة النفس، فلجأ إلى الورقة والقلم ليكتب كل الإيجابيات والسلبيات على مستوى الحاضر والمستقبل وعلى المستوى العلمي والاجتماعي والمادي. هذه هي الطريقة يلجأ إليها خالد عندما يكون في حاجة إلى اتخاذ قرارات مهمة تعلمها من والده، ولكنه حولها إلى طريقة منظمة لأفكاره.

تعلم حديثًا أن طريقته الكتابية في تحليل الأمور قبل اتخاذ القرار تشبه تمامًا ما تم تعلمه في السنة التحضيرية للدكتوراه في اليابان من طرق التفكير العلمي لتحليل واقع الأمور والتي يتم فيها تحديد العناصر الإيجابية للموضوع تحت قائمة نقاط القوة وتحديد العناصر السلبية تحت قائمة نقاط الضعف، ثم يقوم بتحديد أسباب القوة والضعف، ثم تحديد الطرق الممكنة لزيادة عناصر القوة والتغلب على نقاط الضعف، ثم تحديد المخاطر التي قد تواجه تحقيق هذه الأهداف، وفي النهاية اتخاذ القرار نحو الموضوع الذي تم تحليله بهذه الصورة، علمه والده دون أن يدري هذه الطريقة في اتخاذ القرارات، ولكنه زاد عليها أن علمه صلاة الاستخارة لتكون بعد كل التحليلات. ابتسم خالد ابتسامة كلها اشتياق لوالده فهو مصدر إلهامه في كل شيء بما فيها

الإلهـام العلمـي، بالفعـل قـام خالـد برسـم جـدول، وقـام بكتابـة العـرض المقـدم مـن د. تانـاكا في عمـود وبدائـل العـرض في عمـود آخـر، ثـم قـام بـسرد السـلبيات والإيجابيـات والمخاطـر تحـت كل عمـود لتسـهل عليـه المقارنـة.

فجـأة وقبـل أن ينتهـي مـن كتابـة العمـود الأول تذكـر الإيميـل الـذي أرسـله خطـأ إلى همسـة حينـما هـم بكتابـة الإيجابيـات المتعلقـة بعنـصر الاجتماعيـات.. تغـير مـزاج خالـد تمامًـا وتوقـف عـن الكتابـة وبـدا وكأنـه اسـتخرج الهـم مـن جيبـه ليمضغـه ولكنـه لا يسـتطيع حتـى تذوقـه، ولـكي يريـح ضمـيره قـرر خالـد أن ينهـض ويكتـب إيميـلا إلى همسـة موضحًـا فيـه خطـأه ويقـدم اعتذاراتـه، هـذا إذا كان مـا زال لديهـا هـذا الإيميـل، أمـا إذا كانـت قـد توقفـت عـن اسـتخدامه فلـن يخـسر شـيئًا.

فتـح خالـد الكمبيوتـر وبـدأ يكتـب رده بــتوضيح واعتـذار لهمسـة، ولكنـه قـرر أن يكتـب هـذه المـرة في ملـف خارجـي وليـس في الإيميـل مبـاشرة حتـى يتسـنى لـه التدقيـق فيـما سـوف يرسـله إليهـا حتـى لا يقـع في ارتـكاب خطـأ مـرة أخـرى اليـوم. انتهـى خالـد مـن كتابـة الاعتـذار، ثـم قـرأه عـلى نفسـه ليتأكـد مـن كل كلمـة قبـل أن ينقلهـا إلى الإيميـل والضغـط عـلى زر الإرسـال إلى همسـة. لم يشـعر خالـد بمعـاني الكلـمات إلا وهـو يقرؤهـا عـلى نفسـه ولم يندهـش عندمـا وجـد أن كلماتـه كانـت رقيقـة ورقراقـة في البـوح بالاعتـذار، وكأن كل كلمـة كتبهـا تقـول: أحبـك ولا أعتـذر عـن حبـك، ولكـن أعتـذر عـن الإرسـال. وجـد الكلـمات وكأنهـا قصيـدة شـعر مملـوءة بالشـوق إلى الحبيـب بحالـة مـن النشـوة والحنـين.
لم يشـعر خالـد مـن فحـوى الكلـمات أنـه قـدم اعتـذارًا مبـاشرًا، ولكـن الكلـمات كانـت أسـلوبًا آخـر في التعبـير عـن حبـه الدفـين. إذن مـاذا أفعـل؟ لقـد تركـت قلمـي أن يكتـب اعتـذارًا، ولكنـه كتـب قصيـدة حـب لم يكتبهـا مـن قبـل. إذن لقـد تآمـر عليـه قلبـه وقلمـه، فقـرر أن يتصـل تليفونيًـا بهـا فـما زال يحتفـظ بأرقـام تليفوناتهـا، ولكنـه لم يسـتطع أن يكمـل الاتصـال بعـد أربـع محـاولات.

قـرر خالـد أن يكـون الاعتـذار كبرقيـة بريديـة فكتـب: مـن خالـد إلى همسـة/ آسـف عـلى الرسـالة التـي أرسـلتها منـذ سـاعتين عـن طريـق الخطـأ، والسـلام. ومـع أنـه لم يرتـح عـلى الإطـلاق لهـذه الكلـمات المقتضبـة التـي لا تليـق أبـدًا

بهمسة إلا أنه وجد أنها أفضل طريقة للاعتذار السلمي. ولكنه تردد أن يرسل هذه الرسالة إلى همسة وقرر أن يرجئها حتى يرى إذا كانت قد وصلته أي رسالة من د. توفيق أو محمود أو والده.

تفقد خالد قائمة الرسائل الجديدة فلم يجد إلا رسالة من د. توفيق والتي انشرح قلبه لها كثيرًا فقرأها على مهل وكأنه يقرأ خطابًا عاطفيًّا من محبوبته، وذلك لشغفه بالاستماع إلى أحد المقربين إليه ليشاركه أفكاره.. كانت كلمات د. توفيق كلها مشجعة لخالد بأن يمضي في طريقه ولا يلقي بالًا للهواجس التي تملأ ذهنه من أن أفرادًا أو جماعات أو دول قد تستخدم التكنولوجيا التي توصل إليها بطريقة خاطئة. فما أكثر الذين استخدموا التكنولوجيا بطريقة سلمية فلا يجب أن نحرم العالم من الاكتشافات الجديدة من أجل حفنة قليلة من الممكن التحكم في استخداماتهم عن طريق وضع شروط لمن يستخدم هذه التكنولوجيا. جاء رأي د. توفيق متوافقًا تمامًا مع محمود وهو ما زاد اقتناع خالد بأن المخاطر ممكن احتواؤها بفرض الشروط الملائمة.

زاد انشراح خالد أكثر عندما قرأ موافقة د. توفيق غير المشروطة لخالد بنشر أي نتائج تم الوصول إليها في معمله بمصر سواء كانت متعلقة بتأثير الأشعة في عمل الجينات مباشرة أو غير مباشرة فكلها له فهو صاحب المشروع والفكرة وما النتائج الجديدة والتي تولدت على هامش المشروع من اكتشاف جينات المستقبل إلا بسبب المشروع. شعر خالد بسعادة عالية وانشراح ونشوة لكلام أستاذه الذي يقف بجانبه على طول خطوط عرض الزمان والمكان.

وفجأة وصل لخالد رسالة جديدة وهو يقرأ نهاية خطاب د. توفيق، تقول: وصلك إيميل جديد من همسة. لم يصدق خالد نفسه ونهض واقفًا طائرًا من الفرح وأخذ يدور في الغرفة غير مصدق نفسه: هل هذا حقيقة؟ هل هذه رسالة من همسة نفسها أم من خطيبها أو زوجها لو كان قد تم الزواج بالفعل؟ دق قلبه قلقًا وطربًا، وامتزجت مخاوفه مع آماله بأن تكون الرسالة منها هي وله هو. آه لو كانت لي منها فسوف تكون لحظة العمر حتى ولو كانت رسالة بها سطور قليلة لتطمئن عليه، وحتى لو كانت رسالة منها تعنفه عن فعلته، وحتى لو كانت رسالة فارغة، كل ما

يتمنـاه أن تكـون الرسـالة منها هـي ولـه هـو، إنهـا أمنيـة الحيـاة.

نـسي خالـد أمـر العـرض والتفكـير فيـه والقـرار الـذي يجـب أن يتوصـل إليـه، نـسي العـالم كلـه ونـسي نفسـه فقلبـه الآن معلـق بهـذه الرسـالة التـي بهـا تتعلـق آمالـه وتعيـده إلى نشـوة وحـب وحنـين السـنين التـي كان يرتفـع بـه إلى عنـان السـماء بمجـرد أن يسـمع مـن همسـة أغنيـة « إزيـك يـا خالـد». آه لـو تكتـب همسـة مطلـع الأغنيـة هـذا في الرسـالة فلسـوف أطبعهـا وأعلقهـا في كل مـكان أذهـب إليـه وأعيـش فيـه. لا أريـد مـن همسـة سـوى هاتـين الكلمتـين «إزيـك يـا خالـد» . كلمتـين لهـما فعـل السـحر عـلى عقـلي قبـل قلبـي.

لم يسـتطع خالـد أن يفتـح الرسـالة وجلـس أمـام الشاشـة ويـده لا تقـدر عـلى فتحهـا، فكلـما هـم لفتحهـا ارتـدت أصابعـه إليـه مخافـة أن تكـون مـن أحـد غيرهـا وحتـى إن كانـت منهـا فعقلـه الباطـن يريـد أن يسـتمتع بهـذه اللحظـة إلى أقـصى مـدى، لحظـة انتظـار فتحهـا, اللحظـة التـي وصلتـه مـن همسـة رسـالة، إنهـا أجمـل اللحظـات، أخـيرًا: تهيـأ خالـد وتشـجع ونقـر الرسـالة ليفتحهـا وقلبـه يـدق عاليًـا، وكاد أن ينفجـر مـن شـدة الدقـات، شـعر وكأن أيـدي العـالم أجمـع هـي التـي تـدق عـلى قلبـه مناشـدة إيـاه أن يفتـح الرسـالة ليقرأهـا كل العـالم معـه، وكأن العـالم أجمـع يشـاهد خالـدًا الآن عـلى الهـواء مبـاشرة ليعـرف همـس الحـب بـين القلـوب التـي كانـت يومًـا عاشـقة وحالمـة، ثـم افترقـت بـدون ذنـب حتـى ذابـت القلـوب مـن الحرمـان.

نقـر خالـد الرسـالة ولمـا وفتحهـا شـعر أن قلبـه هـو الآخـر قـد انفتـح، وسـالت منـه دمـاء الحـب المخزنـة في قلبـه منـذ سـنتين، شـعر وكأن أبـواب العـالم قـد فتحـت لـه، وأن آذان عشـاق العـالم تتسـمع أنفاسـه وتبـارك نظراتـه عـلى أول كلمـة في الإيميـل وهمسـة تناديـه «إزيـك يـا خالـد».

بـكى خالـد كالطفـل غـير مصـدق عينيـه فقرأهـا مـرات ومـرات، ومـن فـرط فرحتـه لم يصـدق نفسـه بعـد كل هـذه المـرات فقفـل جهـاز الكمبيوتـر وأعـاد تشـغيله ليتأكـد أن مـا يـراه حقيقـة، وأن «إزيـك يـا خالـد» منهـا هـي مـن همسـة وإليـه هـو خالـد. عـاد لقـراءة رسـالة همسـة كلمـة كلمـة وحرفًـا حرفًـا ليسـتمتع بهـذه النشـوة العارمـة التـي سـيطرت عليـه، نشـوة بوصـول الرسـالة

ونشـوة بقـراءة كلـمات كانـت وراءهـا أنامـل همسـة.

لم يفكـر خالـد في مـا تحويـه الكلـمات بقـدر مـا أحـب الكلـمات نفسـها، فوجـئ خالـد أن الرسـالة ليسـت بقصـيرة، ولكنهـا كافيـة لـشرح حـال همسـة الآن فقصـت لـه كيـف أن خطوبتهـا دامـت حـوالي العـام بـين الشـد والجـذب مـع خطيبهـا الـذي لم تختـره، بـل كان اختيـار والدهـا عنـوة عنهـا وعـن والدتهـا.

تمـت الخطوبـة بعـد أن انتقلنـا للسـكن الجديـد في أطـراف المدينـة، ثـم تـم عقـد القـران بعـد إصرار والـدي، ولكـن لم يصلـح الأمـر العلاقـة بينهـا وبـين خطيبهـا، وكـثرت المشـاكل وحزنـت حزنًـا شـديدًا عـلى حـالي، وحزنـت والـدتي وأصبحـت الكآبـة هـي عنـواني، ولم تعـد هنـاك أي فرحـة تـزور مـكاني، وفجـأة مـرض والـدي مرضًـا شـديدًا لم نكـن نتوقعـه أو لم نكـن نعلـم بـه منـه، فـكان قضـاء اللـه وقـدره فتـوفي والـدي، وأنهيـت خطوبتـي التـي دامـت حـوالي العـام والنصـف. وهنـا قـررت أن أبـدأ حيـاة جديـدة بتسـجيل الماجسـتير لعلي أستنشـق عبقًـا جديـدًا للحيـاة، ولعـلي أسـتطيع السـفر إلى اليابـان كـما فعلـت مـن خـلال منحـة، وبالفعـل تقدمـت بأوراقـي إلى السـفارة اليابانيـة، ومـا زلـت أنتظـر النتيجـة وأشـك في الحصـول عـلى منحـة لعـدم حصـولي عـلى تقديـر كبـير مثلـك.

وبـدون تفكـير قـررت أن أعـود أنـا وأمـي إلى مسـكننا القديـم, إلى الحـارة, حيـث الجـيران الذيـن أحبونـا بصـدق وقـد قررنـا أمـس فقـط الانتقـال إليـه في خـلال يـوم أو اثنـين. وفجـأة، وبـدون أن أتوقـع وصلتنـي رسـالتك والتـي ظننـت أنهـا جاءتنـي عـن عمـد بعـد أن وصلتـك أخبـاري واحتماليـة انتقـالي إلى بيتنـا القديـم لأكـون جارتـك مـرة أخـرى. ولا تعلـم يـا خالـد كـم مـلأت رسـالتك عـلى حيـاتي وقلبـي الـذي نـسي الأفـراح مـن آخـر زيـارة لـك لبيتنـا والتـي مـا زالـت مطبوعـة في قلبـي حتـى الآن، وكأنهـا لوحـة كلاسـيكية لم يرسـمها فنـان مـن قبـل لوحـة ألوانهـا مـن زيـت وألـوان قلبـي، هـذه هـي بسـمة الآن يـا خالـد، تقبـل تحيـاتي وأمنيـاتي لـك بالنجـاح والتوفيـق ولـك سـلامات مامـي ودعواتهـا وهـي تجلـس الآن بـجانبي وتقـرأ كلـماتي ويدهـا تربـت عـلى كتفـي. طمئنّـي عليـك مـن وقـت لآخـر. تحيـاتي .

لم يصدق خالد نفسه وهو يقرأ هذه الكلمات فهي فوق ما كان يتمنى، فلقد أراد القدر أن يعطيه من بعد حرمان فها هي همسة تحملت الكثير من أجله وهو لا يعلم وها هو الذي احتفظ بحبها في قلبه طوال العامين دون أن يحاول الاتصال بها مخافة أن يؤذيها وها هي الآن همسة عادت له بلا شريك يهدده, وها هو الآن بمقدوره أن يتقدم لهمسة مرة أخرى في نفس البيت وبصحبة والده وعلى كتفيه تعليمه وبعض الإمكانات المادية التي تسمح له بالارتباط. إنها حقًّا الحياة التي قد تذهب وتأتي كأمواج البحر. ما أحلى الحياة عندما تأتي من بعد فراق.

أحبك يا همسة، هكذا بدأ خالد رده الذي حكى فيه لها كل الحكايات وأخبرها أنه سوف يقبل عرض د. تاناكا ويتمنى أن تقبل هي عرضه في الزواج. بعد أن ملأت الأخبار السعيدة قلب خالد من ناحية د. توفيق ومن ناحية همسة شعر أن هذه الأخبار فأل خير له لكي يقبل بعرض د. تاناكا، وبأن يستمر في المشروع، اطمأن خالد لقراره وقضى ليلة من أجمل لياليه، فكان الواجب المنزلي من جرعة التفكير أقل مما كان يتوقعه، ولم تكن هناك ضغوط نفسية بل انشراحات قلبية.

قضى الليلة في كتابة الأشعار التي يفرزها من غدد الحب بقلبه عندما يكون في قمة النشوة العلمية أو العاطفية أو في قمة اليأس، وها هو الآن في قمة الفرح فكأن عقله سكن قلبه وبدأ في نظم أشعار جميلة في حب الحياة وحب العمل, وحب همسة هو عبق كل هذه الأشعار، غنت كل خلية في جسد خالد أغنية الحياة لهمسة فانسابت من شفتيه كلمات يناجيها أن تقع على صدر همسة ليرتشفها قلبها الأخضر الغض البريء:

ينابيع الحياة تملأ مهجتي وتروي قلبي بكوثر السماء

عندما رأيت نور شمسك صرت أمسي بلا أخطاء

شمسًا أذابت سكرة وحدتي وملأت وحشتي حبًّا وضياء

حين أسمع تغريد همسك تضحك الدنيا يهجرني الشقاء

وعندما أتلمس بسم شفاك	أحلق طائرًا تحويني السماء
فأي عصفور تملكني أنت	تغريدك لحن يقبر الفناء
بشارة تفوح حنانًا وحبًا	دوحة ثمارها نغم الشعراء
تنبت من كفيك آمال الصبا	ومن وجنتيك أحلام المساء

وصل خالد أمام مكتب د. تاناكا الساعة التاسعة تمامًا كما وعده ورحب به د. تاناكا بابتسامة توحي بأنه قد تنبأ بما يجول في ذهن خالد وبالقرار الذي اتخذه أمس. أراك يا خالد قد اتخذت قرارًا إيجابيًا لصالح المشروع. نعم، بالتأكيد أكيد قرأت ذلك في عيوني التي تفضحني دائمًا. نعم، قرأته في عيونك وأيضًا في عقلك فأنت يا خالد قلبك وعقلك متصلين بعيونك بقنوات ليست عند كل الناس. ضحك خالد قائلًا: أخشى أن يكون ذلك بفعل الأشعة التي تعرضت إليها وجعلتني شفافًا أمام كل الناس، لقد فكرت كثيرًا في الأمر وقد اهتديت أن أستمر في العمل بالمشروع، ولكن لي بعض الشروط البسيطة ليطمئن قلبي. وهل البحث العلمي له شروط يا خالد. أعرف يا أستاذي ولكن المشروع تخطى البحث العلمي، الآن هناك جهات لم أفكر فيها يوما ما أصبحت لها علاقة وطيدة بالمشروع. أعرف يا خالد ولكن لا تقلق من هذه الجهات فقد طمأنوني تمامًا أن الأمر لم يعدو سوى التأكد من عدم وجود تضارب بين مشروعنا ومشروع الوكالة، وأكدوا أنهم لم يكونوا على علم بطبيعة مشروعنا ولم يعلموا به إلا من خلال الإعلانات التجريبية الأخيرة التي قامت بها الشركات التي تنوي التعاقد معنا. ثم وهو الأهم أنهم في حاجة ماسة لنوعية نتائج معينة حصلت أنت عليها ولم يتمكنوا من الحصول عليها بعد والتي تتعلق بالجدول الجديد الذي وصلت أنت إليه بالإضافة إلى توليفة الأشعة المحكمة التي عندما تتولد سويًا في آنٍ واحد تحدث تغيرات دماغية محددة لتأخذك للماضي أو تبقيك في الحاضر أو إلى المستقبل، وليس هذا فحسب بل من الممكن أن يكون التحكم في الوقت هذا على مستوى حدث أو أكثر حسب ما يحدده المستخدم، وذلك ببرمجة الجهاز بحيث يولد أشعة محددة، كل هذه الصفات هي ملك لنا

في مشروعنـا ولا توجـد لديهـم, بمعنـى أنهـم يحتاجـون إلى علمنـا وبشـدة لـكي يسـتطيعوا توظيـف هـذه الاكتشـافات، هـذا بالضبـط مـا يقلقنـي يـا أسـتاذي.

إذن قل لي ما بذهنك يا خالد ودعنا نناقشه.

اسـترجع خالـد اقتراحـات صديقـه محمـود وأسـتاذه د. توفيـق بـضرورة وجـود شروط لحمايـة اسـتخدام الجهـاز ولكـن الـذي يهـم خالـد أيضًـا هـو عـدم الانتـماء إلى أي جهـة مخابرتيـة أو حكوميـة أو سياسـية. هـي ليسـت شروطًـا بمعنـى الكلمـة يـا أسـتاذي، ولكـن تخوفـات أريـد التغلـب عليهـا حتـى لا ينشـغل بـالي بهـا وأركـز في عمـلي. ومـا هـي هـذه المخـاوف؟

أنـت تعلـم أني مـن مـصر مثلهـا مثـل أي دولـة مـن دول الـشرق الأوسـط خاصـة العربيـة والإسـلامية يجعـل مـن وكالـة المخابـرات الأمريكيـة، ومـن المحتمـل أيضًـا الأمـن القومـي اليابـاني النظـر بعـين الريبـة والشـك مـن ضلوعـي في مشروعنـا الاسـتراتيجي هـذا.

أولا: لو حدث أي خطأ فقد يلقى على عاتقي.

ثانيًـا: مـن الممكـن أن يقـال عنـي أني أنتمـي أو أعمـل لصالـح هـذه الجهـات، كـما أني أتخـوف مـن الاسـتخدام غـير الأخلاقـي لهـذا الجهـاز.

مـاذا تقصـد بذلـك يـا خالـد؟ نحـن لـن نسـمح بذلـك عـلى الإطـلاق. ولكـن هـل نسـتطيع أن نرفـض يـا أسـتاذي إذا تـم اسـتخدامه مـن قبـل المخابـرات في اقتحـام الحيـاة الخاصـة للنـاس سـواء كان في المـاضي أو الحـاضر أو المسـتقبل؟
أعتقد أن ذلك لن يحدث يا خالد.

لا يـا أسـتاذي مـن الممكـن ألا يحـدث لمواطنـين دول معينـة، ولكـن مـن السـهولة بمـكان أن يتـم تطبيقـه عـلى مواطنـي الـدول الفقـيرة والضعيفـة بحجـة مكافحـة الإرهـاب، وأنـا لا أرضى بذلـك أبـدًا خاصـة أنـه مـن المحتمـل أن يكـون مـن ضمـن هـؤلاء النـاس مواطنـين مـصر، فكيـف أصنـع مـا يضيـق عـلى أبنـاء وطنـي؟

معـك حـق يـا خالـد، ولكـن كيـف لنـا أن نتحكـم في هـذه الأمـور فنحـن لا نمتلـك القـوه لمنـع ذلـك؟

نعـم، لا نمتلـك القـوة الماديـة، ولكـن نمتلـك حـق تقنـين ذلـك الآن وليـس بعد الآن؛ لأننـا نمتلـك أيضًـا القـوة العلميـة وأسرار تقـدم هـذا المـشروع، والـذي مـن الممكـن أن يتـم العمـل عليـه في المسـتقبل لـكي تسـتخدم الأشـعة الجديـدة التـي وصلنـا إليهـا في التحكـم في أمـور أخـرى غـير الوقـت؛ ولذلـك فأنـا توصلـت لبعـض الـشروط أو الاتفاقـات التـي اقترحتهـا لتقنـين اسـتخدام هـذه التكنولوجيـا..

وما هي هذه الشروط يا خالد؟

هـي كـما قلت ليسـت بـشروط، ولكـن اتفاقـات أهمهـا اسـتخدام التكنولوجيا بطريقـة أخلاقيـة وسـلمية، فـلا يتـم اسـتخدامها في غـزو أفـكار النـاس، وأن يتـم تعيـين د. توفيـق مستشـارًا للمـشروع، وأن تخصـص ثـلاث منـح سـنوية؛ واحـدة للماجسـتير واثنـان للدكتـوراه لطـلاب مـن مـصر أختارهـم أنـا ودكتـور توفيـق، وأن تنقـل التكنولوجيـا إلى مـصر فـور الانتهـاء منهـا في اليابـان وأمريـكا. هـذه هـي الـشروط التـي قـد تزيـل المخـاوف مـن عنـدي لـكي أتمكـن مـن العمـل في أجـواء هادئـة.

ابتسـم د. تانـاكا: أنـت ماهـر يـا خالـد، وواضـح أنـك اسـتشرت محاميًـا ممتـازًا لتصـل إلى هـذه المسـودة مـن الـشروط.

أبـدًا يـا أسـتاذي، هـذه الـشروط مـن بنـات أفـكاري، وأتمنـى أن تنقلهـا إلى الجهـات المسـئولة للموافقـة قبـل البـدء في أي أبحـاث كـما تحـب يـا خالـد وإن كنـت أشـعر أن هنـاك مزايـدة في هـذه الطلبـات، ولكـن سـوف أنقلهـا كـما هـي وأنـت المسـئول عنهـا.

نعـم، أنـا المسـئول، وأشـكرك عـلى كل مـا قدمتـه مـن مسـاندة لي في هـذا المـشروع.

بـل أنـا الـذي يجـب أن أشـكرك يـا خالـد، فأنـت الـذي جعلـت للمعمـل ليـس فقـط سـمعة عالميـة، بـل أيضًـا سياسـية.

ابتسـم خالـد: نعـم سياسـية، وهـذا مـا جعلنـي أكتـب هـذه الطلبـات يـا أسـتاذي لحمايـة نفـسي مـن نفـسي والآخريـن.

لا تقلـق يـا عزيـزي، سـوف أنقـل طلباتـك كـما هـي، وسـوف أزيـد عليهـا طلبًـا آخـر لـو راق لـك، وهـو أن تقـوم الجامعـة في اليابـان والتابـع لهـا المعهـد في تعيينـك فيهـا أسـتاذًا بعـد حصولـك عـلى الدكتـوراه.

هـذه شـهادة كبـيرة أعتـز بهـا يـا أسـتاذي وشرف كبـير لي أتمنـى أن أكـون عـلى قـدره.

حسـنًا يـا دكتـور أرسـل لي هـذه الطلبـات عـلى إيميـلي وأنـا سـوف أزيـد عليهـا طلبـي قبـل أن أرسـلها وتمنيـاتي لـك بالتوفيـق، وإلى اللقـاء مـرة أخـرى لمعرفـة الـرد بعـد أسـبوع تقريبًـا. إذا كان الأمـر كذلـك فهـل تمانـع يـا أسـتاذي أن أقـوم بزيـارة لمـصر خـلال هـذا الأسـبوع لأني اشـتقت إلى والـدي وأصدقـائي وأسـتاذي د. توفيـق؟ ألا تشـتاق لأحـد آخـر يـا خالـد؟ أليـس لـك محبوبـة هنـاك تشـتاق إليهـا الاشـتياق الـذي يـروي ويعطـش؟

كان لي وارتويـت منـه ثـم عطشـت ثـم هنـاك احتـمال أن أرتـوي منـه مـن بعـد حرمـان.

ابتسـم د. تانـاكا وهـو يقـول: إذا كان الأمـر هكـذا وأظنـه السـبب الأول وراء زيارتـك فأنـا ليـس لـدي مانـع، ولكـن عـلى ألا تتأخـر عـن أسـبوع يـا عزيـزي.

لا تقلـق يـا أسـتاذي، فسـوف أعـود في الميعـاد سـواء كان رد الوكالـة إيجابيًّـا أو سـلبيًّا.

سـعد خالـد جـدًّا بموافقـة د. تانـاكا عـلى سـفره لمـصر وقـام عـلى الفـور بإخبـار محمـود وباقـي الزمـلاء بقـرار سـفره، ثـم قـام بحجـز التذاكـر وترتيـب كل شيء دون أن يخـبر أحـدًا في مـصر سـوى د. توفيـق ليسـأله إذا كان يريـد أي شيء مـن اليابـان.

أراد خالـد أن تكـون زيارتـه مفاجئـة لوالـده وصديقـه أحمـد وفـوق الـكل همسـة، فهـي الآن سـوف تنقـل سـكنها إلى الحـارة.

الأمن القومي للدول لا تقف أمامه عقبات

«قد تجف الأرض تحت قدميك حتى تكاد تبلع قامتك ثم يأتي الأمر إلى السماء فجأة بأن تغازل ثرى الأرض بقبلات من أمطار الحياة فتنمو البساتين عالية ... وقد تشعر أنك وحيد في نفسك، ولكن في أنفس الآخرين أنت كل العالم».

امتلأ قلب خالد بكوكتيل من السعادة وهو على متن الطائرة إلى القاهرة، لم يشعر باشتياقه لمصر كاليوم ولم يشعر بجمال مصر الخفي مثل اليوم فكأنه كالطائر الذي هاجر باحثًا عن موطن يحميه من برد الشتاء، ثم عاد إلى موطنه وكله حنين إلى العش القديم. يبدو السحاب رائعًا والطائرة تخترقه متحدية كتل الماء المعلقة به وكأنها تتحدث معه بلغة الجماد بأنها قادرة على التحكم في الهواء والسحاب لتصل إلى موطنها أينما تشاء، تمنى خالد أن تتحقق كل أحلامه لمصر دفعة واحدة وحاجة مشاعره في صدره فنظم في هواء نفسه تلك الكلمات:

أبحث في كل الكواكب والمجرات وأسأل أين تسكن أحلام بلادي

هل تجمدت من صقيع أوجاع أم تبخرت من غليان أوطاني

سوف أظل أبحث عنها كطفل وتتجمد أنفاسي وتنفك أوصالي

وحتى تتبخر حبات عمري الندي وتتساقط عقدًا على نحرك الباكي

فأنا الابن الذي عرقه من ثراها وأنا الذي علقت ببابها أحلامي

سوف أظل أبحث وأبحث عنك وتتجمد أنفاسي وتنفك أوصالي

السفر بالطائرة إلى الوطن الأم يشبه عند خالد الإبحار في الماضي تمامًا كما أراد من اختراعه في التحكم في الوقت للإبحار في لحظات معينة.

ابتسم خالد محدِّثًا نفسه، وها أنذا أيضًا استطعت التحكم في الوقت

والـذي يبنـى عليـه كل شيء، فبمقـدوري الآن أن أجعـل النـاس تبحـر في عوالمهـا الخاصـة وهـي لا تـبرح مكانهـا دون أن تسـافر آلاف الأميـال، ولكـن ليـت جهـازي يسـتطيع أيضًـا أن يتحكـم في هـذه الطائـرة. لم لا فقـد أسـتطيع تطويـره للتحكـم أيضًـا في الآلات بمـا فيهـا الطائـرة؟ أصبحـت فكـرة التحكـم في الوقـت وكيفيـة تطوعهـا للاسـتفادة منهـا وتطبيقهـا في كل المجـالات تسـيطر عـلى فكـر خالـد. ولم لا وهـو سـوف يتعـاون مـع أكـثر المعامـل تقدمًـا في العـالم؟ التعـاون الـذي فتـح شـهيته العلميـة إلى أبعـد حـد ممكـن. ضحـك خالـد في نفسـه وسـخر مـن سـؤاله: ألم يكفنـي عنـاء المـشروع الأول حتـى أنتقـل إلى مـشروع آخـر؟ حقًّـا إنـه العلـم الـذي يـسرق العقـل ويجعلـه مفتونًـا بأسـباب الوجـود ومعرفـة أسـباب العيـش والارتقـاء بهـا, إنـه جنـون وشـهوة العلـم التـي لا تنتهـي .

تذكـر خالـد شروطـه وقفـزت بعقلـه المخـاوف أن كل هـذه الطموحـات العلميـة سـوف تنتهـي بمجـرد رفـض شروطـه مـن قبـل الوكالـة الأمريكيـة، وتخيل كيـف أن ذلـك سـوف تكـون بدايـة مرحلـة جديـدة لا يعلـم بقسـوتها إلا اللـه، ولكنـه عـاد إلى حالـة التفـاؤل التـي انتابتـه منـذ أن أقلعـت الطائـرة بـأن الوكالـة سـوف تقبـل شروطـه، وأن طموحـه العلمـي سـوف يتخطـى اختراعـه ليـس فقـط بـأن يجعـل الشـخص قـادرًا عـلى التحكـم في الوقت، ويعـود إلى أحـداث معينة في المـاضي ويسـتمتع بأحـلى لحظاتهـا، ولكـن أيضًـا سـوف يكـون قـادرًا عـلى جعـل الشـخص يغـير بعـض قراراتـه التـي اتخذهـا في المـاضي ويسـتبدلها بأفضـل منهـا قبـل أن يعـود للحـاضر.

خفـق قلـب خالـد واضطـرب عندمـا أعلـن قائـد الطائـرة عـن الوصـول إلى أرض المطـار ودق قلبـه دقاتـه التـي يعرفهـا جيـدًا عندمـا يشـعر بالقلـق المفـرط أو السـعادة المفرطـة. هـو لا يـدري الآن أهـذا شـعور القلـق أم شـعور السـعادة، وكـم تمنـى في هـذه اللحظـة أن تكـون همسـة في انتظـاره في المطـار، وليتـه أخبرهـا.

كانـت أجمـل لحظـات حياتـه وهـو يمـشي قاصـدًا سـلم الطائـرة لـيرى أرض مـصر ويشـم الهـواء الـذي حـرم منـه طيلـة العـام، مـا أطيـب وأجمـل المـصري! يتذمـر مـن أسـباب البيروقراطيـة في مـصر ولكنـه لا يقـوى عـلى فراقهـا، بـل يـزداد اشـتياقًا إلى ثراهـا بعـد فراقهـا. تبسـم خالـد وهـو يهبـط سـلم الطائـرة وسـط الزحـام.

«دكتـور خالـد» أهـلًا بـك في مـصر بلـدك التـي تفتخـر بـك وحمـد اللـه عـلى السلامة.

تخيـل خالـد أن هـذا النـداء لأحـد الدكاتـره الآخريـن عـلى مـتن الطائـرة، فهـو لم يخـبر أحـدًا بمجيئـه سـوى د. توفيـق، ولا أحـد يعـرف أنـه في اليابـان سـوى والـده وأحمـد وهمسـة، فلـم يلقـي بـالًا بهـذا النـداء، وسـار في طريقـه يبحـث عـن بـاب الخـروج إلى طريـق الجـوازات، ولكـن تكـرر النـداء وعـلا وفوجـئ بالعديـد مـن الأشـخاص حولـه، ومنهـم مـن يحمـل ميكروفونـات التلفـاز والإذاعـة وآخـر يحمـل يافطـة ترحـاب باسـمه «دكتـور خالـد» فاندهـش ولم يـدرِ مـاذا يفعـل إلا أن قـال: هـل تقصدوننـي أنـا أم تقصـدون أحـدًا آخـر؟

نعـم، نقصـدك أنـت يـا دكتـور خالـد، وأتينـا هنـا لعمـل سـبق صحفـي معـك قبـل القنـوات والصحـف الأخـرى، فالـكل في انتظـارك عـلى أحـرّ مـن الجمـر خاصـة أن زيارتـك لمـصر قصـيرة.

مـا الـذي يحـدث هنـا؟ مؤكـد أن هنـاك لغطًـا كبـيرًا في الأمـر، مؤكـد أنهـم يتحدثـون عـن دكتـور آخـر اسـمه خالـد عـلى مـتن نفـس الطائـرة، فأنـا لسـت دكتـورًا بعـد، فأنـا مـا زلـت أدرس الدكتـوراه، مـا هـذا الـذي أراه؟ أنـا لم أخـبر أحـدًا مخافـة مـن لحظـة نـزولي للمطـار بسـبب مشروعـي وخـوفي أن تكـون المخابـرات المصريـة قـد علمـت باتصـال الوكالـة الأمريكيـة بأسـتاذي وبسـببي، ومـن احتماليه الاعتقـال. مؤكـد هنـاك خطـأ أو أن مـا يحـدث بسـبب الاعتقـال ويريـدون أن يأخـذوا سـبقًا صحفيًـا ليعرفـوا سـبب الاعتقـال. آه مـن كل هـذه الاحتقانـات التـي تهاجمنـي في كل مـكان! لسـت أدري لمـاذا جننـت وقـررت أن أزور بلـدي الآن، كان قـرارًا مجنونًـا، دارت الأرض بـرأس خالـد وكاد ينهـار ولكنـه تماسـك.

إذا كنـت أنـا د. خالـد المعنـي، فـماذا تريـدون منـي؟ أنـا متعـب وأريـد أن أخـرج إلى أقـرب مـكان لأرتـاح.

فجـأة وجـد الزحـام حولـه ينشـق عـن ثلاثـة أشـخاص؛ د. توفيـق، وأحمـد، وهمسـة. لم يصـدق نفسـه وجـرى مسرعًـا كالطفـل الـذي تـاه ثـم وجـد أمـه وسـط الزحـام، اختلطـت مشـاعره بـين مشـاعر التلميـذ تجـاه د. توفيـق ومشـاعر الصداقـة تجـاه صديقـه أحمـد ومشـاعر الحـب تجـاه محبوبتـه العائـدة همسـة

ومشاعر الخوف من القبض عليه واعتقاله. كيف لقلب غض ما زال في نهاية العشرينيات أن يتحمل كل هذه المشاعر في لحظة واحدة؟ آه يا خالد ماذا يجري هنا؟ كنت أتمنى أن أبحر في كل شعور من هذه المشاعر على حدة. لماذا هذا التجمع الكبير؟ أجاءوا ليودعوني قبل الزج بي إلى اللا مكان بعد الاعتقال؟ لما رأى خالد همسة وسط الحشود لم يصدق عينيه لولا وجود د. توفيق وأحمد بجانبها.

كانت رؤية خالد لهمسة كمن رأى الجنة في حلمه أو كمن لمست شفتاه حافتا نهر عذب بعد عطش السنين، لما رأى همسة أراد أن يتخطى كل الأجساد ويحملها بين يديه ويطير بها إلى السوبر ماركت الذي ولد فيه حبه ليقف هناك وينظر إليها ليسمع من شفتيها: «إزيك يا خالد» وهي تنظر إليه بدلال يذيب قلبه من عذوبة الحب. لحظة لا يشعر بحلاوة مذاقها إلا همسه التي شاركته نظرات اللقاء وكأنها لا ترى إلا خالدًا وكأن العالم كله هو خالد. تماسك خالد نفسه ولم يستطع إلا أن يقول: «إزيك يا همسة، وحشتيني» بعد أن قال د. توفيق وأحمد: وأنت أكثر يا خالد، لقد كانت أمنيتي أن أسمع صوتك ولا أصدق أني أراك بعد كل هذا الفراق، ما أحلى الفراق إذا كانت نهايته عذبة اللقاء كعذوبة اليوم! أمسك يدها وأمسكت يده وأصبحت الأيدي تدق نبضات القلوب.

شعر خالد في هذه اللحظات وكأنها الدهر، وبدا عليه التوتر فكيف لهمسة أن تراه وهو رهن الاعتقال ... في عز اللقاء. وتمثل أمام عينه والده وشعوره لو علم باعتقال ابنه الوحيد الذي ذهب إلى اليابان ليعود دكتورًا، فعاد رهن الاعتقال السياسي الذي هو أسوأ أنواع الاعتقال، وهكذا سوف ينقطع دعمه لوالده وتنتهي آماله في مصر بلا عودة. أطبق خالد على شفتيه في حسرة ولم يدرِ بنفسه إلا ودكتور توفيق يربت على كتفه قائلًا: نورت بلدك يا خالد. رد خالد مسرعًا: وهل أبي يعلم بذلك؟

مؤكد يا خالد، ولكن لم يستطع أن يأتي معنا، وفضل أن يبقى في البيت ليلقاك هناك.

وهل من الممكن أن ألقاه قبل أن يأخذونني من هنا؟

مؤكـد يـا خالـد، إنهـا سـاعة أو سـاعتين مـن التحقيقـات، وسـوف تعـود لبيتـك وتـرى والـدك وأهـل الحـارة.

ومـا أدراك أنهـا سـاعة أو سـاعتين، أنـا أعلـم أن هـذه الأمـور تأخـذ وقتًـا طويـلًا.

ردت همسـة وأحمـد سـويًّا وكأنهـم اتفقـا عـلى الـرد: لا تقلـق يـا خالـد، إنهـا سـاعة أو سـاعتان وتـأتي معنـا ونحـن لـن نـتركك.

وهنـا جـاءت الفرصـة لخالـد أن يسـمع ويتحـدث مـع همسـة في هـذا الزحـام الفكـري والجسـدي الـذي يحيـط بـه مـن كل جانـب ولا يسـتطيع حتـى أن يتنفـس.

ازداد الحشـد حولـه رافعـين صوتهـم أن يفيـق ويتهيـأ لهـم، ولكنـه لا يسـمع إلا صـوت أفـكاره الجامحـة الآن، ولا يسـتمع إلا إلى صـوت همسـة وأحمـد ود. توفيـق، صرخـت همسـة في الحشـد بصوتهـا الرقيـق بـأن يبتعـدوا قليـلًا عـن خالد حتـى يسـترد أنفاسـه، وطلبـت مـن الجميـع بـذكاء وسـاعدها في ذلـك أحمـد ودكتـور توفيـق أن يـتركا خالـدًا في اسـتراحة المطـار حتـى يتهيـأ لكـم، وبالفعـل أحاطـوا بخالـد وأخـذوه مـن يـده إلى الاسـتراحة، ومـا زال الجميـع يتعقـب خالـدًا منتظريـن أن يخـرج إليهـم.

جـاء أحـد السـعاة ليلبـي طلبـات خالـد ومرافقيـه وكأنـه ينفـذ تعليـمات ألقيـت عليـه بصرامـة، مـاذا تـود أن تـشرب يـا دكتـور خالـد؟ سـأله د. توفيـق.

نسكافيه طبعًا يا أستاذي. وأنتِ يا همسة؟

أجابت همسة بابتسامة كلها حياء ودلال: أكيد نيسكافيه زي خالد.

منـذ متـى يـا خالـد وأنـت أبدلـت الشـاي الـذي كان مشروبـك المفضـل بـالنسكافيه؟

أحببتـه يـا همسـة منـذ أول لقـاء لنـا والـذي عزمتينـي فيـه عـلى نسـكافيه في كافتيريـا كليـة الفنـون الجميلـة. معقـول, أنـا كـده أسـعد بنـت في العـالم وسـوف أشرب النسـكافيه بـدل المـاء مـن الآن. آه يـا همسـة، لكـم تمنيـت أن أقابلـك في ظـروف أفضـل مـن ذلـك، ولكنهـا مشـيئة اللـه. ليـس هنـاك أجمـل مـن هـذه

اللحظـات يـا خالـد الـذي أبلغنـي بهـا د. توفيـق أنـا و أحمـد وسـعدنا جـدًّا أن نشـاركك هـذه اللحظـات التاريخيـة.

إنهـا فعـلًا تاريخيـة، ولكـن ربنـا يسـتر. إن شـاء اللـه يسـتر وأنـت قدهـا وقـدود، ولكـن هـذه تجربـة جديـدة عـليّ، ولم أعهدهـا مـن قبـل. رد أحمـد والـذي مـن أول مـا رأى خالـد وهـو لا يتكلـم كثـيرًا، بـل يطيـل النظـر إلى عينيـه وكأنـه يـراه لأول مـرة، لا تقلـق يـا خالـد فأنـت لهـا، أنسـيت يـا صديقـي أيامنـا في المـدارس والألعـاب التـي كنـا نلعبهـا سـويًّا، وكنـت دائمًـا تقـوم بـدور المحامـي والمتحـدث الرسـمي لفريقـك؟ إنهـا نفـس الحالـة فـلا تقلـق يـا عزيـزي.

نهـض د. توفيـق ليحيـي أحـد القـدوم والـذي تظهـر عليـه المهابـة مـن المظهـر، ومـن طريقـة معاملـة مـن حولـه لـه باحـترام بالـغ، أهـلًا يـا سـعادة الباشـا، نحـن سـعداء باهتـمام حضرتـك ومسـاعدة د. خالـد. نظـر د. توفيـق لخالـد لينهـض ليسـلم عـلى هـذا الباشـا فقدمـه د. توفيـق: د. خالـد صابـر لسـه راجـع مـن اليابـان حـالًا.

أهـلًا د. خالـد، تشرفنـا وإن شـاء اللـه لـن نأخـذ مـن وقتـك طويـلًا. شـكره د. توفيـق وخالـد أيضًـا.

الآن يـا خالـد جـاء وقـت التحقيقـات أرجـو أن تكـون هادئًـا بطبعـك، وأن تختـصر الإجابـات، وأن تبتسـم أثنـاء الحـوار، وأن تركـز عـلى أهميـة مشروعـك في خدمـة النـاس عامـة وفي مـصر خاصـة. أكيـد يـا أسـتاذي فأنـا لسـت في مؤتمـر صحفـي، أنـا في تحقيـق وربنـا يسـتر، وأرجـوك ألا تبتعـد عنـي وكـن بجانبـي. ضحـك د. توفيـق ضحكـة عاليـة لم يسـمعها خالـد منـه مـن قبـل، قائـلًا: إنهـا تحقيقـات إذاعيـة وتليفزيونيـة وصحفيـة يـا دكتـور خالـد، أتظـن أنهـا تحقيقـات بوليسـية؟ واسـتمر في نوبـة الضحـك وهـو يربـت عـلى كتـف خالـد.

نعـم أسـتاذي ظننـت ذلـك مـن أول وهلـة هبطـت مـن سـلم الطائـرة لأنك لا تعـرف تفاصيـل سـوف أحكيهـا لـك في وقـت آخـر. هنـا تدخلـت همسـة ضاحكـة ضحكـة هادئـة وهـي تنظـر إلى عيـون خالـد بـدلال وحـب، إن كل مـن في الخـارج يـا خالـد ينتظـرون مجيئـك قبـل وصـول الطائـرة بأربـع سـاعات ليفـوزوا بسـبق صحفـي وإعلامـي معـك قبـل الآخريـن، ثـم أمسـكت يـده وضغطـت عليهـا

لتعطيـه مـن حنانهـا وتشـد مـن أزره لـكي يـذوب العبـوس الـذي بـدأ يذهـب عـن وجهـه بالفعـل.

أحمـد، قـل لصديقـك يـا عزيـزي مـا نحـن بصـدده الآن؟ أخـذ أحمـد خالـدًا مـن يـده ونظـر في عينيـه نظـرة عميقـة وكأنـه يبحـث عـن نفسـه داخـل خالـد، يـا خالـد، أخبـار مشروعـك الآن كلهـا عـلى لسـان كل النـاس في مـصر ويعتبرونـك بطـلا قوميًّـا تمامًـا أو أكـثر مـن البطـل محمـد رشـوان الـذي حصـل عـلى الميداليـة الذهبيـة في الجـودو أكـثر مـن مـرة مـن اليابـان لصالـح مـصر. الـكل يريـد أن يجـري معـك أحاديـث صحفيـة لأهميـة اكتشـافاتك التـي حققتهـا في اليابـان. ولكـن مـن نقـل هـذه الأخبـار إلى مـصر فـلا أحـد يعلـم بهـا سـوى د. توفيـق. رد د. توفيـق - والـذي كان يسـتمع للحـوار.

أنـا يـا خالـد الـذي أخـبرت أحمـد وهمسـة أن يأتـوا معـي ليحتفلـوا بـك في هـذه اللحظـة التاريخيـة، ولكننـا لم نتفـق عـلى ذلـك د. توفيـق. أعلـم ذلـك وأنـا لم أقـم بذلـك مـن نفـسي ولكـن بنـاءً عـلى اتصـال مـن وزارة البحـث العلمـي والتـي كلفتنـي أن أكـون أنـا المتحـدث الرسـمي والمرافـق لـك أثنـاء وجـودك في مـصر، وأن أرتـب لقاءاتـك.

ولكـن مـن أيـن جـاءت الـوزارة بهـذه المعلومـات؟ لقـد سـألت وتأكـدت بالدليـل القاطـع أن هنـاك مراسـلات أتـت إليهـم مـن اليابـان تخـص هـذا المـشروع ومـدى الإنجـازات التـي تمـت مـن خلالـك ومـدى أهميتـك لاسـتكمال المـشروع ومـدى أهميـة المـشروع للعـالم ولمـصر ليـس فقـط علميًّـا، ولكـن اجتماعيًّـا وسياسـيًّا. الآن وفقـط الآن أدرك خالـد أن د. تانـاكا وراء هـذه الأحـداث إمـا طواعيـة مـن تلقـاء نفسـه تكريمًـا لإنجـازاتي في المـشروع بغـض النظـر إلى قرار الوكالـة الأمريكيـة أو بعـد أن وافقـت الوكالـة عـلى شروطـي.

إنهـا الأسـتاذية بـكل معانيهـا عندمـا تتجـلى في أصعـب اللحظـات فتظهـر كمشـكاة تنـير الطرقـات المظلمـة، ولـو عـلى بعـد آلاف الأميـال. ابتسـم خالـد ابتسـامة كبـيرة تناثـرت منهـا ابتسـامات مـلأت وجـوه كل مـن حولـه، ونظـر إلى همسـة وأمسـك يديهـا قائـلًا: الآن اسـمحي لي أن أتقـدم إليـك حبيبتـي.

ركـض خالـد بركبتيـه عـلى أرض الغرفـة التـي يحيطهـا الزجـاج مـن كل جانـب، وأمسـك بيـدي همسـة وهـو ينظـر إلى عينيهـا اللتـين سـكنهما جـمال كل نسـاء العـالم قائـلًا: أرجـو أن تقبلينـي عروسًـا لـك حبيبتـي. فوجئـت همسـة وكل الحاضريـن بهـذا التـصرف المفاجـئ لخالـد ولم يسـع الجميـع إلا أن صفقـوا بحـماس وصـور المراسـلين تلتقـط ابتسـامات خالـد وهمسـة في هـذا الوضـع الرومانـسي وهـو يتأبـط ذراعهـا بحنـان بالـغ وكأنـه يريـد أن يعطيهـا حـب الحبيـب وحنـان الأب الـذي رحـل. خـرج خالـد وفي يـد همسـة واليـد الأخـرى د. توفيـق وبجانبـه صديـق العمـر أحمـد، وبـدأت اللقـاءات تتـوالى وخالـد ينتـشي ويقـص المعلومـات عـن المـشروع، وفي يـوم وليلـة أصبـح خالـد حديـث المدينـة وميـنـاء كل مـن يتطلـع إلى شـهرة صحفيـة أو علميـة.

مـا أن وصـل خالـد إلى بيتـه في الحـارة حتـى ارتمـى في حضـن والـده وبـكى حتـى تشـنج مـن لـوع الحنـين بعـد غيـاب عـام بالكامـل، أخـذ عـم صابـر خالـدًا بجانبـه ممسـكًا بيـده وكأنـه لا يريـده أن يرحـل مـرة أخـرى إلى أي مـكان: مالـك يـا خالـد؟ لمـاذا أنـت خاسـس هكـذا؟ أنـت مـش بتـاكل هنـاك يـا بنـي؟

أبـدًا واللـه يـا والـدي، ولكـن الفـترة الأخـيرة كنـت أعمـل كثـيرًا ومشـغول جـدًا، لقـد وحشـتني جـدًّا يـا خالـد، وأعـد الأيـام حتـى تنهـي دراسـتك وتعـود إلى وإلى أهلـك ووطنـك.

دعنـا مـن كل ذلـك الآن يـا والـدي، ودعنـا نطلـب شـيئًا نأكلـه سـويًّا مـع د. توفيـق وأحمـد وهمسـة أو أدخـل أنـا وأطبـخ فقـد تعلمـت طبخـات جديـدة سـوف تعجبـك كـما كانـت تعجبـك أكلاتي، ولا نسـيتها يـا عـم صابـر؟

كيـف أنـسى يـا خالـد وأحمـد يطهيهـا لي تمامًـا كـما كنـت أنـت تطهيهـا؟ فهـو نعـم الصديـق والابـن، هـو يحبـك يـا خالـد ويفتخـر بـك أمـام النـاس وكأنـك هـو. ابتسـم خالـد وهـو ينظـر إلى أحمـد ولكنـه الظاهـر لم يعرفنـي يـا عـم صابـر فمنـذ أن رآني وهـو يتمحـص وجهـي. ضحـك أحمـد وهـو يقـول يـا خالـد اشـتقت إليـك وكلي فرحـة بـك ولم أصـدق أنـك أمامـي بشـحمك ولحمـك، فمجيئـك كان مفاجـأة كبـيرة لنـا، ثـم أنـا كنـت بتأكـد أن ملامحـك مـا زالـت مصريـة، ولم يبهـت عليـك اليابانيـون، ضحـك الجميـع والتلفـاز مـا زال يبـث اللقـاءات المسـجلة مـع خالـد

ووالـده منتشـيًا بهـذا اليـوم التاريخـي في حيـاة ابنـه الوحيـد خالـد. ينظـر عـم صابـر إلى خالـد نظـرات حانيـة متمنيًـا أن يأخـذه مـن يـده في الصبـاح، ويـدور عـلى نفـس الأماكـن التـي كان يعمـل بهـا خالـد في بيـع الجرائـد والمجـلات ومسـح زجـاج العربـات ليعلـم النـاس ويتعلمـوا كيـف أصبـح خالـد وكيـف صنـع وربي عم صابـر. شـعر خالـد بمـا يـدور في ذهـن والـده فابتسـم لـه وضمـه إلى صـدره بحنـان الابـن، سـنذهب غـدًا يـا أبي إلى أي مـكان تريـده أنـا معـك أينـما وكيفـما تريـد.

آه يـا خالـد تقـرأ أفـكاري وكأننـا تـوأم! نحـن كنـا ثلاثـة توائـم يـا أبي، أنـا وأنـت وأمـي الحبيبـة التـي تمنيـت أن تكـون هـي الأخـرى معنـا اليـوم، ولكنهـا كانـت معـي دائمًـا في الـرؤى والأحـلام، ودعـت لي كثـيرًا وأنـت تـردد دعاءهـا بـين السـماء والأرض، نحـن ندعـو لـك يـا خالـد إلى يـوم القيامـة.

قطـع أحمـد الحديـث صائحًـا: هيـا بنـا لنـأكل سـويًّا ونحتفـل بنجـاح الدكتور الكبـير خالد.

هيـا إلى طعـام أهـل البيـت الـذي صنعتـه همسـة بأيديهـا خصيصًـا لـك ومـا أحـضره د. توفيـق مـن أشـهر مطاعـم القاهـرة، ومـا أحضرتـه أنـا مـن عصائـر مـن أشـيك محـلات الحـارة، المحـل الـذي كنـت تواعـد فيـه همسـة يـا صديقـي.
ضحـك الجميـع عـلى لفتـة أحمـد الصافيـة والمرحـة، وذهبـوا لتنـاول العشـاء. فجـأة توقـف خالـد قبـل أن يبـدءوا، وسـأل عـن أم همسـة فأخبرتـه أنهـا في البيـت هنـا في الحـارة، فهـي تعلـم أني هنـا معـك. اسـتأذن خالـد مـن والـده والجميـع ليذهـب ليحـضر أم همسـة للاحتفـال سـويًّا. سـعدت همسـة جـدًّا بلمسـة خالـد التـي كانـت تتمناهـا.

حـضرت أم همسـة بصحبـة خالـد وهـي في قمـة السـعادة والفـرح لـه، وتنـاول الجميـع أحـلى وألـذ عشـاء منـذ سـنين.

أوصـل خالـد وأحمـد همسـة وأمهـا للبيـت واسـتأذن مـن أمهـا أن يـأتي هـو ووالـده وأحمـد ودكتـور توفيـق لخطبـة همسـة غـدًا بعـد أن حـكى لهـا عـن الموقـف العفـوي في المطـار أمـام الجميـع دون أن يـدري. ابتسـمت أم همسـة وهـي تقـول: لقـد علمـت بمـا حـدث يـا دكتـور والبلـد كلهـا علمـت بذلـك وأنـا آخـر مـن يعلـم فجميـع الصحـف نـشرت هـذه اللحظـة الخالـدة بينكـما وأنـا

سـعيدة لكـما يـا خالـد، وسـوف أنتظـرك ونحتفـل بالنجـاح والخطوبـة في آنٍ واحـد. قبـل خالـد وجنتـي أم همسـة وشـكرها ولم يتوقـف عـن الشـكر والتلويـح إلا بعـد أن اصطـدم ظهـره بالبـاب، فضحـك الجميـع ورجـع إلى عـم صابـر ودكتور توفيـق وهـو متأبـط ذراع أحمـد وهـما يجريـان في الحـارة كالأطفـال مـن شـدة الفـرح والسـعادة كـما تعـودا وهـم صغـار.

في رحاب جامعة القاهرة

«الديـار بالوطـن قبلـة القلـوب، ولذلـك تتسـاقط حبـات المطـر لتعـود إلى أوطانهـا وإن كانـت قـد تبخـرت منهـا».

أصبـح جـدول خالـد في اليـوم الأول والثـاني والـذي يـشرف عليـه د. توفيـق مزدحـمًا جـدًّا لدرجـة أنـه أصبـح لا يسـتطيع رؤيـة والـده إلا صباحًـا ومسـاءً بعـد عودتـه. أخـبر خالـد د. توفيـق برغبتـه في تقليـل اللقـاءات حتـى يسـتطيع أن يبقى مـع والـده أطـول فـترة ممكنـه، وأن تقتـصر اللقـاءات عـلى مـن لهـم رؤيـة واضحة في الاسـتفادة مـن المـشروع، فهـو لا يهمـه الانبهـار العلمـي وشـهرته العلميـة بقـدر مـا يهمـه اسـتفادة أصحـاب القـرار مـن المـشروع سـواء في الوقـت الحـاضر أو المسـتقبل. وأصبحـت همسـة هـي منظـم اللقـاءات تحـت إشراف د. توفيـق والـذي هـو أيضًـا المتحـدث الرسـمي لخالـد طواعيـة لخبرتـه ودرايتـه بالوسـط الإعلامـي والسـياسي حتـى لا يتـورط خالـد بخبرتـه البسـيطة في هـذا المجـال في أي تصريحـات قـد تدينـه. ونتيجـة لهـذه السياسـة الجديـدة في تنظيـم لقـاءات خالـد انهالـت الطلبـات بمـا فيهـا طلـب دعـوة لنـدوة علميـة بجامعـة القاهـرة.

طـار خالـد مـن الفـرح بهـذه الدعـوة التـي لم يفكـر فيهـا ولم يتوقعهـا، فـالآن هـو مدعـو إلى بيتـه الأم ليعـرض نتائـج مشروعـه أمـام أصدقائـه الذيـن حالفهـم الحـظ وتـم تعيينهـم معيديـن، وأمـام أسـاتذته الذيـن تعلـم تحـت أيديهـم لعـل وعـسى تكـون كليتـه هـي أول المسـتفيدين. وكانـت الدعـوة بإمضـاء عميـد كليـة العلـوم ورئيـس الجامعـة فكانـت كل كلمـة في الدعـوة تكفـير عـن إحسـاس خالـد مـن جـراء حرمانـه مـن التعيـين كمعيـد والـذي كان يسـتحقه عـن جـدارة. وتمتـم في نفسـه: الحمـد للـه أنـه حرمنـي مـن هـذه الوظيفـة وأبدلنـي خـيرًا منهـا أسـتطيع أن أخـرج فيهـا طاقـاتي العلميـة وإلا لم أكـن أنـا صاحـب هـذه الدعـوة، ولكنـت هنـاك الآن في إحـدى المعامـل في كليتـي أبحـث عـن جهـاز أو سـلك كهربـاء ولا أحـد يشـعر بي، صـدق اللـه العظيـم في قولـه: {وعـسى أن تكرهـوا شـيئًا وهـو خـير لكـم}.

كانت الندوة فرصة رائعة لتقديم خالد للوسط العلمي في هذا العمر الصغير. احتشدت القاعة بطلاب البكالوريوس والدراسات العليا الذين جاءوا من كل الكليات بالجامعة وخرجوا ليروا مثالا منهم في التقدم العلمي يتباهون به أمام أساتذتهم وكأنهم يريدون أن يصرخوا بأعلى صوتهم ومن خلال صوت خالد وهو يتحدث بانسياب وثقة أن العيب ليس فينا، فابحثوا عن الأسباب بعيدًا عنا، وإلا فانظروا إلى خالد. ازدحمت القاعة أيضًا بالأساتذة من جميع الأعمار ليروا من هذا الشاب الصغير الذي وصل صيته العلمي وشهرته إلى هذا المدى بعد عام واحد في اليابان وهو الذي لا يحمل إلا شهادة واحدة وهي الماجستير.

قرأ خالد هذه الأفكار في عيون الأساتذة الكبار الذين ملئوا الصفوف الأولى أمامه خاصة، وأنه يعرف معظم هذه الوجوه التي كانت تنظر إليه ما بين إعجاب وامتعاض وتململ وتجاهل. وهو يعلم أن من بين هذه العيون أساتذة أجلّاء بنفس الفكر والروح العلمية لأستاذه د. توفيق ومنهم من يراه صبيًّا لا يرقى أبدًا أن يكون جالسًا على هذه المنصة بجانب العميد ورئيس الجامعة، وهم أمامه كالتلاميذ، ولكن خالد لم يأتِ ليفسر أو يشغل باله بمثل هذه النظرات فعقله مشغول وهو على هذه المنصة بقرار الوكالة الأمريكية ونتائج مشروعه التي قد تفيد البشرية، ولكنها أيضًا قد تدمرها نفسيًّا فهو في أشد الحاجة للمناقشات الذكية التي تنظر إلى الكلمات وقدرها ولا تنظر إلى مصدر وعمر الكلمات.

امتلأت القاعة عن آخرها وكانت أحلى اللحظات لخالد وهو ينظر إلى الصفوف الأولى ليجد والده أمامه بين أساتذته بنفس هندامه البسيط والذي أصر ألا يغيره، وعلى يمينه همسة تربت على يده وعلى يساره صديق العمر أحمد مبتسمًا وكأنه هو خالد الذي يجلس على المنصة وعلى جانب المنصة، وقريبًا من خالد يقف د. توفيق بشياكته المعروفة وابتسامته النقية جاهزًا لتقديم الحفل بتواضعه الجم وثقته الكبيرة بما يحمله من علم غزير.

وبدأت أحداث الندوة بترحيب د. توفيق ثم ذكر السبب وراء عقد هذه الندوة وهو التعريف بأحدث الاكتشافات العلمية في مجال الفيزياء الحيوية

وأهميـة هـذا الاكتشـاف لـكل العلـوم الأخـرى، ومـا ينتظـر لـه مـن تطبيقـات واسـعة قـد يتمناهـا كل مـن في هـذه القاعـة. ثـم قـدم د. توفيـق خالـد بـأنه كان طالبًـا بكليـة العلـوم هنـا وتفوقـه الكبـير، ثـم إنهائـه للماجسـتير، ثـم سـفره لليابـان بعـد حصولـه عـلى منحـة مـن الحكومـة اليابانيـة، ثـم انضمامـه للمشروع بمعهـد العلـوم المتقدمـة بطوكيـو، ثـم عـرض بعـض الصـور والمعلومـات عـن هـذا المعهـد وعـن إدارتـه العلميـة تحـت قيـادة د. تانـاكا ونـوع المعامـل هنـاك والباحثـين بمـا فيهـم الطـلاب مـن مـصر، ثـم قـدم د. تانـاكا وأبحاثـه وسـمعته العلميـة المعروفـة عالميًّـا.

انتقـل د. توفيـق إلى الحيـاة الخاصـة لخالـد وفوجـئ الجميـع بصـور لخالـد وهـو في شـوارع القاهـرة بـين السـيارات يمسـك بإحـدى يـده الجرائـد والمجـلات لبيعهـا وباليـد الأخـرى فوطـة يمسـح بهـا زجـاج السـيارات، وصـور أخـرى لوالـده وهـما يمشـيان سـويًّا، ثـم أنهاهـا بصـورة لعـم صابـر وهـو يدعـو لخالـد، وهنـا علـت في القاعـة همهـمات اختلـط فيهـا الإعجـاب والنشـوز وكأن د. توفيـق أراد أن يضـع الحاضريـن في لحظـة اختبـار لأفكارهـم ونضجهـم وكأنـه قـرأ أفـكار خالـد ونفذهـا فامتـلأت شـفتا خالـد بابتسـامة تمنـى أن يفرقهـا عـلى جميـع الحاضريـن. ولمعـت عينـا خالـد مـن التأثـر بشـياكة د. توفيـق الفكريـة، ولمعـت عـين والـده وعـين أحمـد وهمسـة، وأظهـر خالـد امتنانـه لأسـتاذه د. توفيـق عـلى هـذه اللمسـة الجميلـة حتـى وإن لم تُعجـب بعـض الحاضريـن.

ثـم عـرض د. توفيـق بعـض المعلومـات عـن المـشروع وصـورة للفريـق البحثي وبينهـم خالـد، ثـم قـدم لكلمـة العميـد، ثـم كلمـة رئيـس الجامعـة واللذيـن أظهـرا إعجابهـما وسـعادتهما بـأن يكـون ضيـف النـدوة اليـوم هـو ابـن مـن أبنـاء الكليـة. وقـدم د. توفيـق د. خالـد شـارحًا بخفـة ظلـه وروحـه البسـيطة سر إعطاء هـذا اللقـب لخالـد مـع أنـه لم يحصـل عـلى الدكتـوراه بعـد.

شـكر خالـد أسـتاذه د. توفيـق عـلى هـذا التقديـم، وشـكر العميـد ورئيـس الجامعـة وأسـاتذته والحضـور، ثـم بـدا يتحـدث عـن مشروعـه مـن الناحيـة العلميـة والتطبيقيـة، ولكنـه بـدأ بالنهايـة، وذلـك بإلقـاء سـؤال للحضـور: هـل هنـاك في القاعـة مـن يرغـب في الإبحـار في المـاضي ليعيـش لحظـة محـددة؟

ثـم توقـف ليسـمع الإجابـة التـي جـاءت بصـوت عـالٍ مـن معظـم الحاضريـن وبهمهمـة مـن الصفـوف الأولى. ثـم أعقـب هـذا السـؤال بآخـر عـن مـن يريـد أن يبقـى في الحـاضر ليعيـش حدثًـا معينًـا أحبـه، ثـم بسـؤال آخـر عـن الإبحـار في المسـتقبل، ثـم العـودة للحـاضر بـدون تغيـير، تعالـت أصـوات الطـلاب بالإيجـاب وبتسـاؤل: ولكـن كيـف يكـون ذلـك؟ إنـه فقـط في أفـلام الخيـال العلمـي.

ابتسـم خالـد وانتـشى بهـذا السـؤال ورد قائـلا: هـذا هـو مـا توصلـت إليـه في اليابـان مـن خـلال المـشروع الـذي يـشرف عليـه أسـتاذي د. تانـاكا. بـدت عيـون الحاضريـن تشـوقًا إلى سـماع خالـد ومعرفـة مـا هـذا السـحر العلمـي الـذي توصـل إليـه خالـد.

هـذا مـا أراد خالـد أن يحركـه في عقـول الحاضريـن حتـى يتـم تفاعلهـم معـه. عندمـا شـعر خالـد بهـذا التشـوق بـدأ بـشرح الطريقـة التـي توصـل بهـا لهـذه النتائـج مـن خـلال الصدفـة، ثـم أهميـة هـذه النتائـج مـن الناحيـة العلميـة البحتـة، ثـم التطبيقـات المنتظـرة لهـذه النتائـج في مظاهـر الحيـاة المختلفـة، ثـم النتائـج الثانويـة التـي تـم الكشـف عنهـا بـدون قصـد أثنـاء المـشروع خاصـة النتائـج التـي توصـل إليهـا د. توفيـق في معملـه في جامعـة القاهـرة مـن وجـود جينـات للمسـتقبل والحـاضر وأخـرى للـماضي وإمكانيـة التحكـم في زيـادة أو نقصـان فعـل هـذه الجينـات بطـرق بسـيطة.

عـرض خالـد بعـض اللقطـات لجهـاز «التحكـم في الوقـت» في صورتـه الأولى والـذي ظهـر عـلى هيئـة سـاعة يـد صغـيرة ممكـن برمجتهـا ببسـاطة لتحقيـق رغبـة مـن يرتديهـا ليتمكـن مـن الإبحـار في المـاضي أو المسـتقبل أو البقـاء في الحـاضر. لاحـظ خالـد علامـات الاسـتهجان في عيـون الكثـير مـن الحاضريـن والتـي ظهـرت في صـوت الهمهـمات المتعاليـة في آنٍ واحـد وكأن الجميـع يـرى أن ذلـك مـا هـو إلا مجـرد خيـال علمـي يبيعـه عقـل خالـد، ولكـن خالـد بـادر معلقًـا أن هـذا واقـع علمـي وليـس خيـالا مثلـه تمامًـا مثـل آلاف الموبيـلات الموجـودة في هـذه القاعـة، وإليكـم بعـض لقطـات الفيديـو للمتطوعـين الذيـن جربـوا هـذا الجهـاز.

تملكـت السـعادة والـد خالـد وهـو يـرى ابنـه الوحيـد يصـول ويجـول محاضرًا الجميـع بلغـة علميـه تملؤهـا الثقـة، وخاصـة عندمـا قـدم لـه عميـد الكليـة

ورئيـس الجامعـة درع الكليـة والجامعـة فسـعد أيمـا سـعادة بهـذا التقديـر لابنـه. وكانــت همســة بجــوار عــم صابــر ســعيدة ومبتســمة طــوال الوقــت، وتمنــت أن تــترك مكانهـا وتقــف بجانبــه وهــو يتحــدث ليعلــم الجميــع أنهـا حبيبتـه الوحيـدة، وتمنـت أن ترسـم لـه لوحـة بحجـم هـذا العـالم وهـو في هـذا الحفـل الكبـير، ولسـوف تفعـل بعـد أن ينتهـي الحفـل وتذهـب لحجرتهـا وتسـترجع كل هـذه اللحظـات مـن ذهنهـا لتقـدم لخالـد أول لوحـة هديـة منهـا عنوانًـا للحـب والإخـلاص وعنوانًـا لفرحتهـا بنجاحـه وفخرهـا بـه.

الأيــام الماضيــة كانــت حافلــة بالنجاحــات الإعلاميــة والعلميــة وخاصــة إمكانيـة عمـل اتفاقيـة علميـة مـع جامعـة القاهـرة بعـد عودتـه لليابـان. قـرر خالـد أن يرسـل تقريـرًا لأسـتاذه د. تانـاكا عـن فعاليـات الزيـارة للقاهـرة، وإن كانـت لم تكـن إجـازة، بـل رحلـة عمـل، ولكـن مـا أحلاهـا مـن رحلـة! لم يمكـن يتوقـع كل أحداثهـا التـي بـدأت مـن المطـار إلى التلفـاز والصحـف. وتسـاءل خالـد د. تانـاكا في الرسـالة أنـه يشـعر بـأن كل مـا حـدث هـو بترتيـب مسـبق منـه، ولكـن لا يـدري أهـذا بنـاء عـلى موافقـة مـن الوكالـة الأمريكيـة عـلى الـشروط التـي قدمهـا خالـد لـه أم هـي مجـرد تحفيـز وتشـجيع منـه؟

لم يمــضِ وقــت طويــل حتــى رد د. تانــاكا ومرفــق بــه رد الوكالــة والأمــن القومـي بالموافقـة واسـتعدادهم للتعـاون بالكامـل مـع اعتبـار كل البنـود التـي ذكرهـا خالـد أمـرًا منتهيًـا. كان الخـبر رائعًـا ومطمئنًـا لخالـد ومتوجًـا لـكل جهوده خاصـة وأنـه كان يفكـر جديًّـا بخطبـة همسـة، ولكـن كان يريـد أن يتأكـد مـن اسـتقرار موقفـه العلمـي خاصـة بعـد هـذا التجهيـز الإعلامـي في مـصر والـذي زاد المسـئولية عليـه بـكل المقاييـس.

رد خالـد عـلى د. تانـاكا ليشـكره عـلى كل مـا فعلـه لـه سـواء في اليابـان أو في مـصر، فلـولا ترتيبـه مـع د. توفيـق مـا كان أحـد يعلـم بـه وبإنجازاتـه سـوى أهلـه ودكتـور توفيـق.

ففــي مــصر لا يهتــم أحــد بالعلــم والعلــماء إلا إذا اهتــم بهــم العــالم أولًا، وأكـد خالـد أنـه يشـعر الآن بمسـئولية وبرغبـة أكـبر في العـودة لليابـان للعمـل عـلى تحقيـق كل أهـداف المـشروع وتفعيلهـا عـلى أعـلى مسـتوى.

الآن جـاء الوقـت يـا خالـد بـأن نذهـب إلى والـدة همسـة لـكي نخطبهـا

لـك قبـل أن تعـود إلى اليابـان بعـد يومـين. قـال عـم صابـر ذلـك لخالـد وعينـاه تلمعـان مـن جـراء التفكـير في فـراق خالـد مـرة أخـرى، ولكنـه يريـد لخالـد كل السـعادة خاصـة أنـه يعلـم كـم يحـب همسـة وكـم يريدهـا. ما أحـلاك يـا والدي! لكـم كنـت مـترددًا أن أفاتحـك في رغبتـي هـذه ولكنـك يـسرت عـليّ الأمـر.

هـذه هـي الأصـول يـا خالـد فليـس معنـى مـا حـدث مـن والدهـا يرحمـه اللـه أني مـا زلـت متأثـرًا، بالعكـس إني أرى مـا حـدث كلـه خـير لـكل منكـما، تحـدث مـع والدتهـا لنذهـب مسـاء اليـوم، ولكـن أليـس اليـوم ميعـادًا سريعًـا لهـم. لا أعتقـد فالموضـوع لا يحتـاج إلى تجهيـزات بقـدر مـا يحتـاج إلى نيـات، حـاضر يـا عـم صابـر سـوف أخـبر والدتهـا وأحمـد ودكتـور توفيـق ليأتـوا معنـا.

كانـت ليلـة مـن أحـلى الليـالي، وهمسـة تجلـس بجـواره وباقـي العائلـة والأصحـاب والجميـع يحتفلـون بقـراءة الفاتحـة وتلبيـس دبـل الخطوبـة، وكتـب الكتـاب عـلى أنغـام الزغاريـد والأغـاني ودقـات قلـوب همسـة وخالـد وهـما غـير مصدقـين كل هـذه السـعادة التـي ترفـرف عليهـما مـن كل القلـوب. بعـد أن انتهـى الحفـل أخـذ د. توفيـق خالـد وهمسـة بسـيارته إلى نفـس القاعـة التـي كان قـد دعـا خالـد لهـا في خطوبـة ابنتـه والتـي انبهـر بهـا خالـد مـن قبـل. كـم كانـت لمسـة راقيـة مـن د. توفيـق لخالـد، فكانـت مفاجـأة كبـيرة وجميلـة بـكل المقاييـس وليلـة مـن ليـال العمـر تعاهـد فيهـا خالـد وهمسـة عـلى أن يكونـا دائمًـا قلبًـا واحـدًا يفكـر بعقلـين يكمـل فكرهـما الآخـر وللأبـد.

تنصيب الأمنيات بين القاهرة و طوكيو

«الوطن المكان الذي وُلِدتَ فيه وتراكمت فيه الذكريات، ولو ضاق بك فيه عيش الحياة، والسكن المكان الذي يرتاح فيه عيشك، ولو كنت لست فيه مواطنًا فيكفي فيه شرف الحياة».

ودع خالد والده وأم همسة وأحمد وأستاذه د. توفيق الذي تعلم منه في هذه الإجازة من الذوق العام والرقي الأخلاقي، ومساعدة الغير وحب الناس والكرم بلا حدود ما لم يتعلمه من قبل، ودع خالد همسة وأوصاها بوالده بأن ترعاه مع أحمد إلى أن يعود، فهو الآن لديه بدل خالد ابن آخر وبنتا أخرى. أهدت همسة خالدًا لوحة رسمتها له بريشة من قلبها وبأحبار من أحاسيسها وهو يحاضر الناس كالطاوس، وفرح خالد بها وقبل اللوحة، وضمها إلى صدره لتكون عونًا له على فراق همسة حتى يتقابلا في طوكيو بعد أن تكون قد حصلت على المنحة من الحكومة اليابانية.

لم يشأ خالد أن يذهب أحد معه المطار غير د. توفيق وسرًّا حتى لا يطارده الإعلام مرة أخرى في المطار، وكانت الرحلة إلى المطار فرصة كبيرة لخالد أن يشارك د. توفيق طموحاته وتخوفاته وأحلامه وقد كانت فرصة لدكتور توفيق أن يطمئن خالد، وأن يدفعه إلى الأمام ليحقق المزيد من الاكتشافات العلمية، فباب العلم قد فتح له وما عليه إلا أن يفتح باقي الأبواب .

كما كانت رحلة خالد من طوكيو إلى القاهرة رحلة من المستقبل إلى الماضي كانت الرحلة من القاهرة إلى طوكيو كرحلة من الحاضر للمستقبل وليس من الماضي للمستقبل كما كان يتوقع خالد. فقد لمس خالد تجاه معظم الباحثين والإعلام أن مصر عطشى للعلم ولأهل العلم ولكن الماء شحيح والأرض غير خصبة ولا يوجد سماد، فأصبح لديه أمل كبير أن تقفز مصر إذا توفرت تلك العناصر، فمن الممكن أن ينمو النبات ويترعرع ويزدهر ليملأ الأرض خضرة وغذاءً. نعم سوف أكون أنا الماء والسماد، لم يتوقف

تفكـير خالـد أثنـاء الرحلـة عـن المـشروع وكيفيـة تطويـره والاسـتفادة مـن كل نتيجـة حصـل عليهـا مـن مـصر أو اليابـان. لقـد امتـلأ خالـد حماسًـا يسـتطيع بـه أن يمطـر العـالم أفـكارًا ونتائـج، ولكـن سـيطرت عـلى عقلـه همسـة وتمنـى أن تكـون بجانبـه ليصنـع المعجـزات.

أهـلًا بـك يـا دكتـور خالـد، لقـد أعـددت لـك لقـاءً بعـد يومـين مـع كل الباحثـين بالمعهـد وليـس معملنـا فقـط لمناقشـة كل الأمـور المتعلقـة بالمـشروع قبـل أن نجتمـع مـع ممثلـين عـن الوكالـة الأمريكيـة والأمـن القومـي اليابـاني.

أنـا جاهـز أسـتاذي العزيـز ولسـوف أعـرض عليهـم لـو وافقـت نتيجـة زيـارتي للقاهرة.

لـك مـا شـئت، ولكـن مـا يهمنـا الآن هـو الآراء العلميـة المتخصصـة لـكي نعتبرهـا قبـل اجتماعنـا الرسـمي مـع الوكالـة، وقبـل أن نبـدأ في نـشر نتائـج المـشروع في مؤتمـرات ودوريـات عالميـة، سـوف أفعـل كل شيء يخـدم المـشروع د. تانـاكا فأنـا تملـؤني حماسـة منقطعـة النظـير لهـذا المـشروع ولكـن أصبـح ينقصنـي إحسـاس كبـير ويشـعرني بفـراغ هائـل.

أعلـم يـا خالـد مـا تريـد. أحقًـا تعلـم؟! بالطبـع يـا خالـد فالأسـتاذ يحمـل ترمومـتر العلـم والمشـاعر والاحتياجـات لطلابـه لـكي يحققهـا إن اسـتطاع، وأنـا لـدي هـذا الترمومـتر يـا عزيـزي، وقـد وجـدت درجـة احتياجاتـك عاليـة وأعلاهـا هـي الحاجـة للحـب ولمحبوبتـك همسـة.

وكيـف علمـت بذلـك أسـتاذي وباسـم محبوبتـي فأنـا لم أذكـره لـك مـن قبـل، أنـا كنـت عـلى اتصـال بأسـتاذك العزيـز د. توفيـق والـذي يحبـك أكـثر مـن حبـي لـك والـذي همـس لي بأنـك واقـع في شـباك الحـب مـع همسـة، وأنـك تحتـاج إلى مـاء خلاياهـا لتحيـا خلايـاك. وهـا أنـذا أقـول لـك اجعلهـا تـأتي لتكـون بجانبـك، وسـوف نسـاعدها لتحصـل عـلى منحـة في تخصصهـا. ضحـك د. تانـاكا وهـو يقـول: ومـن يـدري لعـل اليابـان تكشـف عـن أشـعة أخـرى ترسـم اللوحـات بـلا أنامـل ولتكـن همسـة هـي تلـك الأنامـل كـما أنـت الأنامـل التـي ولـدت أشـعة التحكـم في الوقـت.

أهذا ما كنت تريد أن تخبرني به يا خالد؟

نعـم أسـتاذي وأنـا مديـن لـك بـكل هـذا المعـروف، فأنـا كنـت مـترددًا أن أعـبر لـك عـن رغبتـي هـذه. لا تقلـق يـا خالـد، أضفهـا إلى قائمـة شروطـك التـي تشـبه شروط النـصر في الحـرب العالميـة الثانيـة. إنهـا ليسـت شروط نـصر يـا أسـتاذي، هـي فقـط بنـود للاطمئنـان، لا يهـم التسـمية يـا عزيـزي، فقـد وافقـت الوكالـة والأمـن القومـي عليهـا فـما يهـم هـو النتائـج وتطبيقاتهـا والإبـداع الـذي لا يقـف عنـد حـد وأنـت لديـك مـا نتطلـع إليـه، ومـا علينـا إلا أن نحافـظ عـلى هـذا العقـل الـذي يحلـل أكـثر مـما يعمـل والـذي يبـدع أكـثر مـما يجـادل.

نحــن فريـق عمـل واحـد ونسـتطيع بعـد هـذا التعـاون مـع الوكالـة ومـا تمتلكـه مـن إمكانـات وعقليـات أن نحقـق طفـرة في العلـم لا تقـل عـن طفـرة نيوتـن وباسـتير. ومــن يـدري فقـد تكـون أنـت عـلى مسـتوى هـذه العقـول. ومـع أني أتمنـى ذلـك يـا أسـتاذي إلا أني أعمـل ولا أطمـح إلا في نتائـج تجيـب عـن أسـئلة أو تفجـر أسـئلة في وجـه العلـم والعلـماء.

حسنًا يا خالد غدًا الاجتماع، وأراك هناك في تمام التاسعة صباحًا.

«هاي يازلمة»، وحشتنا جدًّا، وتركت فراغًا كبيرًا ما هي آخر الأخبار؟

أهـلًا يـا محمـود، أنـا الحمـد للـه، حـضرت مـن مـصر أمـس فقـط، ولذلـك جئـت لأراك الآن، فقـد جئـت إليـك بأجمـل سـيدة في مـصر. أتمـزح يـا خالـد؟ كيـف تـأتي بسـيدة معـك؟ أتتلاعـب بأعصـابي لأنـك تعـرف أني أحـب النسـاء وسـيرة النسـاء وأني معجـب بالمصريـات؟ أرني هـذه السـيدة، هـل تزوجـت وأحـضرت زوجتـك معـك؟

هـا هـي يـا عزيـزي نفرتـاري أحـلى سـيدة مـن مـصر، وأحـلى رقبـة، وأحـلى عيـون، وأحـلى ابتسـامة، مـا رأيـك يـا عزيـزي في هـذه السـيدة؟ طبعًـا أحبهـا وأعشـقها ولكـن لـن أتزوجهـا.

ضحـك خالـد ومحمـود وذهبـا لاحتسـاء النسـكافيه سـويًّا ليخـبره عـن شـعاع حبيبتـه همسـة التـي قابلهـا مـن بعـد طـول حرمـان.

هـذا خـبر جميـل يـا خالـد، ولكـن لمـاذا لم تحـكي لي هـذه الحكايـة الطويلـة مـن قبـل؟ أنـا تخيلـت أنـك راهـب لا تهتـم بالنسـاء.

كل منا يا صديقي له سيدة يعشقها ولو في الخيال، وأنا عشقت همسة ولكني جمدت العشق في قلبي بعد أن تمت خطبتها، ولكن حبها الذي كان قد تجمد ينساب الآن في قلبي وكل خلايا جسدي محملًا ببروتينات العشق والاشتياق والإخلاص، ألف مبروك يا خالد ولك مني حفلة كبيرة نحتفل بهذا الخبر الجميل.

شكرًا يا محمود، ولكن لتؤجلها يا صديقي حتى تأتي همسة لنكون سويًّا، ومتى تأتي يا عزيزي؟ أنا أرتب لذلك وأتمنى بعد أسبوعين بغض النظر عن نتيجة المنحة، إنه لخبر جميل وأنا سوف أبحث عن نصفي الآخر لنكون عائلتين في هذا البلد الكبير. ضحك خالد: يجب أن تجد نصفك أنت أولًا قبل أن تبحث عن النصف الآخر، لا تقلق يا عزيزي، نصفي أنا في الحفظ والصون جاهز عندما يجد ما يكمله. أتمنى لك التوفيق يا محمود، ولكن افتح قلبك للحب وابعد عن الشهوات، وسوف تجد نصفك الآخر بفضل الحب خاليًا من الشهوات. أنا سوف أزور لبنان في خلال شهرين، وسوف أبحث عن حبي الأول لعلها ما زالت هناك فأقابلها كما قابلت أنت همسة. بالتوفيق يا زملة وإن شاء الله تجد حبيبة القلب الشقي هذا.

بالنسبة لدكتور تاناكا فقد كان الاجتماع مع الباحثين بالمعهد مهما للغاية خاصة أن بعض الحاضرين طرحوا أسئلة مهمة للتصنيع والتصميم والتطبيق أفرزت عن العديد من الأفكار لتحسين المنتج النهائي. وقررت اللجنة العليا للمعهد أن تدعم المشروع على أن تكون طرفًا في هذا المشروع حتى يتسنى تبنيه ودعمه لوجستيًّا إذا لزم الأمر؛ ولأن النتائج المشروع لها حساسية في تطبيقها بما فيها الأمن القومي، فقد أوصت اللجنة - والتي يمثل فيها د. تاناكا عضوًا - بتعيين خالد ليكون أحد الباحثين المعينين في المعهد حتى تكون له الصلاحية في مراسلة الجهات المحلية والخارجية وتمثيل المعهد إذا لزم الأمر. لقد كان اجتماعًا مهمًّا جدًّا يا أستاذي، ولم أفكر أبدًا في مثل هذا الاجتماع، نحن عقدنا أكثر من اجتماع يا خالد، ولكن لم ندعو لاجتماع يضم الجميع حتى الآن.

كان اليـوم فرصـة لتنظيـم أفكارنـا قبـل أن نعقـد الاجتـماع الأهـم مـع ممثـلي الوكالـة والأمـن القومـي الأسـبوع القـادم والـذي بنـاءً عليـه سـوف نحـدد خريطة العمـل التـي سـوف نسـير عليهـا حتـى إنهـاء المـشروع ومـا بعـد ذلـك. أريـدك يـا خالـد أن تعـد تقريـرًا عـن اجتـماع اليـوم وتحـدد فيـه النقـاط الرئيسـية التـي أضيفـت لمعلوماتنـا، ثـم النقـاط الأساسـية التـي سـوف نناقشـها مـن جانبنـا مـع الوكالـة والأمـن القومـي اليابـاني. عـلى الفـور سـأعمل عـلى ذلـك ليكـون جاهـزًا غـدًا أو بعـد غـد. حسـنًا إلى اللقـاء عـلى هامـش التقريـر، وبالفعـل عكـف خالـد عـلى كتابـة تقريـر مفصـل واقـترح فيـه مسـودة الاجتـماع المهـم المزمـع بعـد أسـبوع مـع الوكالـة الأمريكيـة والأمـن القومـي .

حانــت اللحظــة الحاســمة للاجتــماع الخــماسي بــين د. تانــاكا ود. خالــد ووكالــة المخابــرات الأمريكيــة والأمــن القومــي اليابــاني وممثــلا عــن المعهــد. تـرأس الاجتـماع د. تانـاكا وبجانبـه خالـد وثلاثـة علـماء ممثـلي وكالـة المخابـرات الأمريكيـة وخمسـة علـماء ممثلـين للأمـن القومـي اليابـاني بالإضافـة إلى رؤسـاء الأقسـام العلميـة بالمعهـد. وحسـب رغبـة خالـد كان الاجتـماع مسـجلًا صوتًـا وصـورة .افتتـح د. تانـاكا الاجتـماع بإعطـاء نبـذة عـن أهـداف المـشروع منـذ نشـأته ومـا تـم مـن إنجـازات حتـى مجـيء خالـد، ثـم أعطـى الفرصـة لخالـد لإعطـاء نبـذة عـن النتائـج التـي حصـل عليهـا حديثًـا مـن خـلال الأبحـاث التـي أجراهـا في خـلال السـتة أشـهر الماضيـة.

نظـر د. تانـاكا لخالـد مبتسـمًا ومشـجعًا إيـاه بأصبـع الإبهـام. أرجـو المعـذرة، فهـذه أول مـرة أعـرض أمـام كوكبـة مـن العلـماء الأفـذاذ وأرجـو أن تكـون لغتـي الإنجليزيـة الركيكـة مفهومـة لديكـم. بـدأ خالـد حديثـه بذلـك ليزيـل عـن نفسـه الحـرج أمـام علـماء الوكالـة في حالـة تخبطـه في الإنجليزيـة.

لا تشـغل بالـك كثـيرًا يـا دكتـور خالـد باللغـة فلغتـك الإنجليزيـة مفهومـة, ونشـكرك عـلى التنويـه، كل مـا نحتاجـه منـك هـو شرح أصـل الفكـرة وكيـف تولـدت ثـم تطـورت مـن مفهـوم إلى تجـارب ثـم إلى صناعـة.

حسـنًا, هكـذا تولـدت الفكـرة، وهكـذا قمـت بتحليلهـا، وهكـذا قمـت بربطهـا بالأحـداث وبأهـداف المـشروع، وهكـذا وجـدت طريقـة علميـة لإثباتهـا

في المعمـل. وهـذه هـي النتائـج التـي حصلـت عليهـا حتـى الآن عـلى مسـتوى المتبرعـين وحيوانـات التجـارب والتـي تفيـد جميعًـا بـأن الأشـعة الجديـدة التـي توصلنـا إليهـا لهـا تأثـيرات بيولوجيـة متعلقـة بالوقـت والتحكـم فيـه سـواء عـلى مسـتوى سرعتـه أو عـلى زمـن أحداثـه في الحـاضر والمـاضي والمسـتقبل، ثـم عـرض خالـد النمـوذج الـذي تـم تصنيعهـا وتجربتـه والإعلانـات التـي تـم تنفيذهـا عنـه هـذا.. الآن وقـت الأسـئلة والتـي أعتقـد أنهـا كثـيرة كـما يتبـين من كـم الملاحظات المدونـة وأنـا أعـرض، فأرجـو الرفـق بي؛ لأن إجابـاتي ليسـت بهـذا الكـم، ضحـك الجميـع مـما هـدأ مـن توتـر خالـد مـن الـرد عـلى الأسـئلة.

بقـدر مـا سـعد عـم صابـر بوجـود خالـد ونجاحـه الرائـع والمـدوي في مـصر بقـدر مـا حـزن لسـفر خالـد أكـثر مـن المـرة الأولى. لكـم كان يتمنـى عـم صابـر مـن أعماقـه أن يبقـى خالـد ويكمـل مشـواره العلمـي في مـصر خاصـة بعـد هـذا النجـاح ليسـعد بوجـوده وليسـتقر خالـد بعـد أن يجـد مكانًـا للعمـل في إحـدى الجامعـات الحكوميـة أو الجامعـات الخاصـة والتـي عرضـت بالفعـل إحداهـا على خالـد التعيـين فيهـا كمـدرس مسـاعد، ثـم مـدرس بعـد حصولـه عـلى الدكتـوراه في أقـرب وقـت ممكـن، وذلـك باسـتخدام جـزء بسـيط مـن المـشروع إلا أن خالـدًا اعتـذر بلباقـة بحجـة أنـه قـد أعطـى تعهـد للمعهـد الـذي يعمـل بـه في اليابـان.

عـبر عـم صابـر لدكتـور توفيـق عـن رغبتـه في أن يعيـد خالـد النظـر في قـرار اعتـذاره، وأن يقبـل العمـل في هـذه الجامعـة خاصـة أن أقـصى مـا كان يتطلـع إليـه خالـد هـو تحقيـق هـذا الحلـم الوظيفـي إلا أن د. توفيـق شرح لعـم صابـر المسـتقبل الكبـير الـذي ينتظـر خالـد بعـد أن يحقـق أحلامـه العلميـة كلهـا في اليابـان والتـي قـد بـدأت تتحقـق بالفعـل وبقـوة وسرعـة يحسـده عليهـا الجميع.

أنـا أتفهـم تمامًـا شـعورك يـا عـم صابـر واحتياجـك لخالـد ابنـك الوحيـد وأن يكـون بجانبـك هـو وهمسـة، وأن تفتخـر بـه أسـتاذًا كبـيرًا في الجامعـة. نعـم، يـا دكتـور توفيـق خاصـة أن هـذه فرصـة كبـيرة لـه، وأنـا منتهـى أمـلي في اسـتقراره. ولكـن يـا عـم صابـر خالـد مـا زال في منتصـف الطريـق، ومـا سـوف يعـود عليـه علميًّـا ووظيفيًّـا وماديًّـا وإعلاميًّـا بعـد الحصـول عـلى الدكتـوراه مـن اليابـان أكـثر بكثـير مـما سـوف يحصـل عيـه الآن خاصـة أنـه لـن يسـتطيع أن يتقـدم علميًّـا

قيـد أنملـة إذا عـاد لمـصر الآن. فـادعُ لـه يـا عـم صابـر بـأن ينهـي الدكتـوراه ومهمتـه وأحلامـه في أسرع وقـت ليعـود إليـك محمـلا بسـلة مملـوءة بــأمنيات المـاضي والحـاضر والمسـتقبل. حينئـذٍ لا تقلـق فسـوف يجـد بـدلًا مـن الوظيفـة وظيفتـين سـواء في مـصر أو أي مـكان في العـالم وأنـا معـك وأحمـد وهمسـة أسرة واحـدة فـلا تقلـق وانتظـر الخـير لخالـد إن شـاء اللـه.

أنـا أشـعر بمـا تقـول يـا دكتـور توفيـق، ولكنـه شـعور الأبـوة عمومًـا يـا عـم صابـر همسـة وأمهـا بجانبـك وليتـك تكـون عـلى اتصـال دائـم بهـما لإسـعاد خالد.

أخـذ عـم صابـر أحمـد وذهـب لزيـارة همسـة وأمهـا للاطمئنـان. فوجئـت همسـة وهـو يسـألها: مـا رأيـك يـا همسـة أن نبـدأ في البحـث عـن عـش الزوجيـة لـكِ وخالـد في حـي قريـب مـن هنـا.

فكـرة رائعـة يـا عـم صابـر، ولكـن أنـا أعلـم أن الأسـعار في الأماكـن المجـاورة عاليـة، ولسـت أدري أيضًـا إذا كان خالـد يريـد أن نسـكن معـك أو في نفـس الحـي أو حـي آخـر. إذا كان عـلى خالـد فهـو لا يريـد أن يـترك المـكان الـذي تـربى فيـه؛ ولذلـك فهـي فرصـة أن أجـد لـه مكانًـا آخـر يناسـب مكانتـه الآن.

كـما تشـاء يـا عـم صابـر فأنـا وخالـد لم نتحـدث في هـذا الأمـر عـلى الإطـلاق، فـكل مـا يهمنـا أن نكـون جميعًـا سـويًّا، نتـوكل عـلى اللـه ونبحـث عـن مـكان معقـول خاصـة أن خالـدًا قـد أعطـاني مبلغًـا مـن المـال وأنـا أريـد اسـتثماره حتـى يعـود وقبـل أن تسـافري لـه. بالفعـل تفكـير أكـثر مـن رائـع يـا أبـا خالـد وأنـا معـك مـن الغـد لنجـد سـكنًا يليـق بأجمـل وأرق عروسـين في مـصر القديمـة والحديثـة.

بوركت يا أم همسة وبوركت كل خطواتنا للم شمل همسة وخالد .

غمـرت السـعادة عـم صابـر وأدار عينيـه صـوب أحمـد: هنـا يبـدأ دورك يـا أسـتاذ بــأن تبحـث عـن عـدة اختيـارات، ثـم نـأتي لنراهـا معـك.

وأنـا لهـا يـا عـم صابـر، ولا تقلـق فأنـا أعـرف مـن يسـتطيع أن يجـد لنـا مـا يناسـب جميـع الإمكانـات. ومـن يـدري يـا أسـتاذ فلعلـك تجـد عروسـك وشـقتك سـويًّا وأنـت تبحـث لأخيـك، فمـن سـهل لأخيـه المؤمـن سـهل اللـه عليـه، فـما

بالـك أن هـذا المؤمـن خالـد أخـوك؟! ضحـك الجميـع وقضـوا ليلـة عائلية سـعيدة كـم كان يتمناهـا عـم صابـر، فقـد أصبـح لـه دور محـوري في مسـاعدة خالـد في الاسـتقرار في الحيـاة بالإضافـة إلى الدعـاء الـذي لا ينقطـع.

شـعر خالـد أن الأسـئلة أنـارت لـه الطريـق، ليـس فقـط لمزيـد مـن البحـوث ولتحسـين المنتـج النهـائي ليمتلـك المواصفـات العالميـة، بـل شـعر أيضًـا أن الوكالـة الأمريكيـة والأمـن القومـي يتطلعـان إلى منتـج عـالي التخصصيـة في التحكـم في الوقـت لمنـع احتماليـة أي تشـابه أو تماثـل أو تأثـير عـلى أشـخاص أخـرى غـير مسـتعملي الجهـاز. حسـنًا، لقـد وصلنـا إلى نقطـة التوصيـات مـن جانبنـا وجانبكـم، فـما هـي وصاياكـم لـكي يتـم صياغتهـا مـع توصياتنـا التـي لا تزيـد عـلى طلبـات خالـد والتـي بالفعـل تمـت الموافقـة عليهـا مـن جانبكـم بالإضافـة إلى طلـب دعـم مـالي مـن الوكالـة الأمريكيـة والأمـن القومـي اليابـاني، وكذلـك تصنيـع المنتـج في مصانـع يابانيـة ليأخـذ الصبغـة اليابانيـة خاصـة أنـه قـد تـم بالفعـل التعاقـد مـع بعـض المسـتثمرين.

رد رئيـس وفـد الأمـن القومـي اليابـاني بأنـه موافـق عـلى دعـم المـشروع، وأنـه سـوف يرفـع هـذه التوصيـة إلى المسـئولين، وأنـه واثـق تمامًـا بالإيجـاب لهـذا الطلـب كـما تـم في الطلبـات السـابقة، فـما يهمنـا هـو نجـاح المـشروع.

أظهـر رئيـس وفـد الوكالـة الأمريكيـة الترحيـب والموافقـة عـلى كل توصيات د. تانـاكا مـع إضافـة خمـس توصيـات: أولًا: أن يتـم إرجـاء التعاقـد مـع المسـتثمرين حتـى يتـم الإجابـة عـن الأسـئلة المطروحـة ليكـون المنتـج في أحسـن صـورة. ثانيًـا: أن يشـارك أحـد المصانـع الأمريكيـة في مرحلـة التصنـع والتسـويق. ثالثًـا: أن يمثـل المنتـج النهـائي جيـلا جديـدًا مـن المنتـج الحـالي المشـابه والـذي تـم تصنيعـه مـن قبـل الوكالـة. رابعًـا: ألا يتـم طـرح المنتـج النهـائي قبـل أن يتـم طـرح بيـع المنتـج الحـالي للوكالـة، والـذي تـم بالفعـل التصريـح ببيعـه في الأسـواق حيـث إنـه قـد مـر عليـه ثـلاث سـنوات. وأن يتـم اعتبـار المنتـج النهـائي الجديـد جيـلا متقدمًـا مـن منتـج الوكالـة عـلى أن يظهـر ذلـك واضحًـا في الإعلانـات.

خامسًـا: أن يتـم تعيـين خالـد سـفيرًا للنوايـا الحسـنة للأمـم المتحـدة ممثـلًا مـن مـصر، وذلـك فـور الانتهـاء مـن الوصـول إلى النمـوذج الأول مـن المنتـج

النهـائي أو فـور حصـول خالـد عـلى الدكتـوراه، وذلـك حتـى لا يتأثـر المـشروع بانشـغال خالـد في مهامـه كسـفير للنوايـا الحسـنة.

تهلـل وجـه خالـد ولم يصـدق نفسـه أنـه سـمع التوصيـة الأخـيرة والتـي لم تـأتِ عـلى بالـه عـلى الإطـلاق، وتعجـب كيـف يفكـر هـؤلاء النـاس لتقديـم كل شيء في مقابـل نجـاح خططهـم العلميـة كانـت أم السياسـية.
وتمنـى خالـد في نفسـه أن يـوصي بمـا هـو قابـع في قلبـه الآن حتـى تكـون أحلى التوصيـات وهـي أن يسـاعدوا همسـة على الحصـول عـلى منحـة ماجسـتير في اليابـان لتكـون معـه، وتهبـط عـلى قلبـه حلـو الحيـاة، ولكنـه لم يسـتطع، فكفـى مـا قـدم مـن توصيـات وكان أغلبهـا لصالـح خالـد.

قطـع تفكـير خالـد في همسـة صـوت رئيـس وفـد الأمـن القومـي اليابـاني مـرددًا الموافقـة مـن حيـث المبـدأ عـلى توصيـات وفـد الوكالـة جميعًـا عـلى أن تضـاف توصيـة أخـرى، وهـي ألا يتـم بيـع المنتـج النهـائي للعامـة في مرحلتـه الأولى، بـل يتـم تطبيقـه واسـتخدامه مـن قبـل مؤسسـات تابعـة للدولـة والأمـن القومـي اليابـاني والأمريـكي، وذلـك للحفـاظ عـلى خصوصيـة المعلومـات المسـجلة أثنـاء التحكـم في الوقـت.
فـض الاجتـماع د. تانـاكا وهـو يؤكـد عـلى سريـة هـذا الاجتـماع بـكل تفاصيلـه، ودعـا الجميـع إلى الغـذاء الـذي لم يـأكل فيـه خالـد كثـيرًا لانشـغاله بهمسـة والمـشروع والتحـدث مـع هـذا الحشـد مـن المسـئولين الكبـار الـذي لم يتخيـل أبـدًا أن يكـون وسـطهم في يـوم مـن الأيـام.

نظـر خالـد إلى السـاعات المرصوصـة في الحديقـة الخارجيـة للمعهـد وهـو في طريـق عودتـه إلى السـكن ضاحـكًا لهـا ومباركًا لهـا عـلى التوصيـات التـي سـوف تسـاعد المـشروع عـلى النجـاح لينتـج مـا يسـتطيع التحكـم في هـذه العقـارب التـي لم يحـدث أبـدًا أن رآهـا تتقـدم أو تتأخـر عـن دقاتهـا.

من العدو اللدود إلى الصديق الودود

«الاختلاف مثله مثل الأواني المستطرقة, فسياسة الاختلاف هي أن ترى أفكار الآخر بوتقة تصهر فيها عناصر فكرك, وأن تقدم أفكارك قربانًا لمن يغازل أو يقاضي فكرك, والاختلاف هو ارتداء عباءة أفكار الآخر لتزين بها جسد فكرك».

وحشتني يا خالد أخبارك أيه؟ لقد قمت أنا وهمسة وأحمد بالتعاقد على شقة لك تمليك وبالقسط قريبة للحارة، ولكنها راقية وجميلة. تمنياتي لك بالتوفيق يا ابني العزيز وأن تنهي رسالتك في اليابان على خير وتعود لمصر وتتزوج همسة ونعيش أسرة سعيدة.

عندما قرأ خالد هذه الكلمات في الإيميل الذي وصله من أحمد شعر بالاشتياق لعم صابر الذي لا يعيش ولا يفكر إلا لخالد ولمستقبل خالد، وسعد جدًّا بفكرة شراء الشقة حتى تشغل عم صابر وتملأ وحدته خاصة أنه يكره الجلوس في البيت بلا عمل، وخاصة أنه ألح على خالد في البقاء لمصر. أكرمك الله يا والدي الحبيب، وإن شاء الله سوف أحقق أحلامك، ولك مني مفاجأة جميلة في القريب العاجل، هكذا رد خالد ولم تكن هناك فكرة محددة في رأسه لنوع هذه المفاجأة، ولكنه آثر أن يقولها لوالده لكي يعيش على أمل شيء يتحقق لنفسه ولو لمرة واحدة ولكي يلتزم خالد أمام نفسه بهذه المفاجأة.

أطل خالد بعينيه من شباك شرفته بالطابق العشرين على الشوارع المضيئة متسائلًا: ماذا فيكِ لأقدمه هدية لوالدي لتكون مفاجأة جميلة تشرح قلبه ويتذكرني دائمًا بها ويدعو لي. ابتسم خالد متمتمًا في نفسه: لا يوجد هنا ما يروق لوالدي، فهو لا يريد من متاع الدنيا شيئًا، فكل ما يتمناه هو السلام النفسي، وليس هناك أفضل وأحلى من السلام النفسي بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم وفي حوض سيدنا إبراهيم في بيت الله الكعبة المشرفة. تعجب خالد كم كانت هذه الفكرة غائبة عن ذهنه فهي

أجمـل الهدايـا والتـي سـوف تسـعد والـده كثـيرًا، فكـم تمنـى وهـو يعمـل مـع خالـد في شـوارع المدينـة إلى الذهـاب عمـرة أو حجـة لبيـت اللـه، وكـم كانـا يضحـكا سـويًّا وخالـد يـردد: مـن يـدري يـا والـدي العزيـز لعـل اللـه يكتبهـا لـك وأن أكـون أنـا هاديهـا إليـك. وكان يضحـك عـم صابـر عاليًـا وهـو يمسـح عرقـه وعـرق خالـد الغزيـر مـن شـدة الشـمس: اللـه كبـير يـا خالـد، وهـو عـلى كل شيء قديـر، إذا أراد تكـون إرادتـه ولـو بعـد حـين.

لم يسـتطع خالـد التفكـير ولا الانتظـار للصبـاح حتـى يتأكـد إن كانـت الميزانية التـي لديـه تكفـي أم لا، فقـد هـرع كالطفـل وهـو في قمـة سـعادته يطلـب أحمد أن يرتـب وينهـي الإجـراءات اللازمـة لعمـل عمـرة لوالـده في أسرع وقـت ممكـن عـلى ألا يخـبر والـده بـأي شيء عـن هـذه العمـرة إلا بعـد أن يحصـل عـلى تذكـرة السـفر. ولكـن يـا خالـد هـذه الإجـراءات تتطلـب جـواز سـفر، ووالـدك ليـس معـه، تـصرّف يـا أحمـد، قـل لـه إن خالـدًا محتـاج صـورة مـن جـواز سـفرك يـا عـم صابـر لـزوم بعـض الأمـور هنـاك في اليابـان التـي تحتـاج ضامنًـا درجـة أولى.

وماذا عن همسة يا خالد أأخبرها بالأمر؟

نعـم يـا أحمـد، ولكـن ليـس مـن قبـل أن أخبرهـا أنـا، وسـوف أخبرهـا الآن، ولـك أن تخبرهـا غـدًا لترتبـا الأمـر سـويًّا.

وبالفعـل أخـبر خالـد همسـة بالأمـر والتـي سـعدت جـدًّا بهـذا الفكـر الجميـل وتحمسـت هـي الأخـرى للفكـرة لتكـون هديـة منهـا أيضًـا لوالدتهـا. تمـت الإجـراءات لوالـد خالـد ليكـون السـفر بالباخـرة نظـرًا لأن ميزانيـة خالـد لم تسـمح، وتمـت الإجـراءات لأم همسـة بالطائـرة. وكانـت فرحـه كبـيرة لـلأب والأم وفرحـة أكـبر لخالـد وهمسـة أن يبـدءا حياتهـما سـويًّا بهـذا التناغـم الفكـري الرائـع لإسـعاد الآبـاء. تحققـت أمنيـة والـدي الحبيـب وهـي أحـلى الأمنيـات، لكـم كنـت أتمنـى أن أكـون معـه في هـذه الرحلـة الروحانيـة أو عـلى الأقـل في انتظـاره وهـو عائـد وأشـاركه لحظـة قـدوم النـاس لتبـارك لـه، ولكـن يكفـي أحمـد وهمسـة ودكتـور توفيـق فقـد قامـوا باللازم وكأني هنـاك.

مبارك يا والدي العزيز، وإن شاء الله تكتب لك حجة في القريب.

نـام خالـد وكأنـه مـلاك بـلا ذنـوب في هـذه الليلـة المباركـة التـي عـاد فيهـا والـده مـن السـعودية محمـلًا بـكل الروحانيـات، ولم لا؟ فيكفـي أن والـده قـد رضي عنـه إلى يـوم الديـن.

أهـلًا حبيبـي خالـد، أيـن كنـت طيلـة أمـس يـا عزيـزي؟ بحثـت عليـك ولم أجـدك فقـد اشـتقت للحديـث معـك ومعرفـة أخبـارك. أنـا كنـت في المعهـد يـا محمـود ولكـن في اجتماعـات مطولـة مـع د. تانـاكا وأسـاتذة زائريـن لمناقشـة أمـور مهمـة في المـشروع. إذا أنـت لـن تتركـه يـا عزيـزي، لكـم أنـا سـعيد أن أسـمع منـك هـذا الـكلام بعـد تفكـير طويـل قـررت الاسـتمرار في المـشروع بعـد الموافقـة عـلى الـشروط التـي وضعتهـا، وأشرت أنـت عليـا بهـا مـن قبـل، ولكـن أيـن العـروس يـا خالـد؟ أيـن همسـة؟ يجـب أن تحضرهـا يـا أخـي لـكي تسـعد بحياتـك هنـا. إن شـاء اللـه دعواتـك يـا محمـود، لا تنـسَ أن لدينـا اجتماعًـا غـدًا لمناقشـة الأمـور التـي اسـتجدت في المـشروع وتوزيـع الأعـمال.

أهـلًا يـا خالـد، مـبروك لوالـدك العمـرة، فقـد كان سـعيدًا إلى أبعـد حـد، ودعا لـك بـكل أنـواع الدعـوات، لقـد أحسـنت صنعًـا يـا خالـد، وكـم كنـت أتمنـى أن يكـون والـدي عـلى قيـد الحيـاة لأفعـل لـه كـما فعلـت أنـت لوالـدك، ولكنـي سـوف أحـج عنـه هـذا العـام. شـكرًا لـك يـا خالـد، فقـد تعلمـت منـك درسًـا لـبر الوالديـن لـن أنسـاه.

أنـا قـادم لليابـان لإعطـاء محـاضرة في القريـب، ولكـن لا أدري متـى التاريـخ بالتحديـد، ولكنـي سـوف أحـضر لـك مفاجـأة كبـيرة وجميلـة لـن تنسـاها طـوال حياتـك، تحيـاتي إليـك خالـد ودعـواتي لـك بالتوفيـق يـا أعـز الطـلاب، والسـلام, د. توفيـق.

كانـت كلـمات د. توفيـق في رسـالة الإيميـل قصـيرة، ولكنهـا تركـت خالـدًا يفكـر ليـل نهـار عـن كينونـة هـذه المفاجـأة، وكيـف أنهـا سـتكون كبـيرة وجميلة، فهـل يتحـدث عـن النتائـج أم الإعـلام، أم الشـقة التـي أخـبره والـده عليهـا مـن قبـل؟ لقـد أعيـا التفكـير خالـد فقـرر أن يـترك الإجابـة للحظـة التـي يـرى فيهـا المفاجـأة. رد خالـد عـلى رسـالة د. توفيـق ردًّا مطـولًا، شرح فيهـا كل المسـتجدات، لكـن بصـورة عامـة جـدًّا ووصـف لـه شـعوره الآن مقارنـة بشـعوره مـن عـام

مـضى وبشـعوره منـذ أسـابيع عندمـا كان في القاهـرة، لقـد أخـذت الحيـاة لونًـا آخـر مـع د. تانـاكا، وهمسـة، ووالـده، ومـع حتـى نفسـه، ولكنـه سـعيد بالحيـاة الجديـدة ومتشـوق جـدًّا لمعرفـة المفاجـأة الكبـيرة وكيـف أنهـا جميلـة.

بـدأ د. تانـاكا الاجتـماع في موعـده منوهًـا أن اليـوم غـير عـادي للمعمـل نظـرًا لوجـود بعـض المسـتجدات التـي حلـت بالمـشروع، فأرجـو أن يهتـم الجميـع بالتفاصيـل، وسـوف أتـرك خالـدًا لـيرأس هـذا الاجتـماع؛ لأنـه سـوف يشـاركني المسـئولية كاملـة امتـدادًا لمـا قـام بـه مـن قبـل.

بـدأ خالـد بعـرض آخـر أنشـطة المـشروع حتـى توقفـه مـن قبـل، ثـم عـرض الخطـط المسـتقبلية ودور كل باحـث في الخطـة، ولم يبـدِ أحـد اعتراضًـا على الخطة مـا عـدا السـيد الـذي أبـدى امتعاضـه وعـدم رغبتـه في الالتحـاق بالمـشروع كـما ذكـر ذلـك مـن قبـل بـنبرة حازمـة: دورك واضـح يـا دكتـور سـيد في المـشروع وليـس لـك أن ترفضـه وتعمـل بمعـزل عـن الجميـع إلا إذا أردت أن تنتقـل إلى معمـل آخـر لتبـدأ مـن جديـد. شـعر خالـد أنـه تخطـى مسـئولية د. تانـاكا، فنظـر إليـه نظـرة اعتـذار إلا أن د. تانـاكا رد بحـزم هـو الآخـر بـأن د. خالـد هـو المسـئول وهـو الـذي يقـرر وأنـا سـوف أعتمـد مـا يقـرره، فأنـا سـوف أدعـم أي قـرار لصالـح المـشروع.

ما رأيك يا سيد، أريد أن أسمعه الآن منك؟

كـما تـرى يـا دكتـور خالـد، سـوف أنضـم للمـشروع حسـب الخطـة التـي رسـمتها.

حسـنًا يـا سـيد، ولكـن دورك سـوف أحـدده كل أسـبوع وبنـاءً عـلى تقييمـي لأدائـك، كـما تـرى يـا دكتـور خالـد، سـوف أنفـذ مـا تـراه تمامًـا، حسـنًا أسـتطيع الآن أن أطمئنـك أنـك مـن الممكـن أن تحصـل عـلى نتائـج في شـهور قليلـة تكفـي للحصـول عـلى الدكتـوراه.

تحـول المعمـل الكبـير والمعامـل المجـاورة لـه إلى خليـة نحـل ليـل نهـار، وجميـع التخصصـات وخالـد وسـط الجميـع، وجعـل الجمعـة مـن نهايـة كل

أسـبوع يـوم الغـذاء المجمـع الأسـبوعي في الصالـة الكبـيرة المتصلـة بالمعامـل بعـد أن شـيد فيهـا سـاعات كبـيرة بعـدد الفـرق البحثيـة بحيـث تشـير عقاربهـا إلى أسـابيع وشـهور بـدلًا مـن دقائـق وسـاعات. وفي كل أسـبوع يقـوم كل فريـق بتحريـك عقـرب الأسـابيع حركـة واحـدة في حالـة مـا إذا قـد انتهـى الفريـق مـن المهـام الأسـبوع الموكلـة إليـه بنجـاح. وأشـارت عقـارب أول وثـاني أسـبوع مـن الخطـة إلى أن المـشروع يتقـدم بصـوره أكـثر مـن المتوقـع.

في وسـط الأسـبوع الثالـث لاحـظ خالـد غيـاب السـيد مـن ضمـن أفـراد الفريـق البحثـي، فبحـث عنـه في كل مـكان فوجـده في معمـل العـدادات بمفـرده وظهـره لبـاب المعمـل مسـتغرقًا في التفكـير. دخـل خالـد بهـدوء حتـى لا يقطـع عليـه حبـل أفـكاره ويطمـئن عليـه، وعندمـا اقـترب منـه وجـده متصـلا بالنمـوذج الأولي لجهـاز التحكـم بالوقـت، فتركـه حتـى ينهـي فـترة الثـلاث دقائـق وهـو يسـجله بالكامـيرا، فقـد كانـت فرصـة ليعـرف خالـد التغـيرات الجسـدية التـي تحـدث عـلى المتصـل بالجهـاز قبـل أن يفيـق.

كان خالـد قـد أمـر بـألا تزيـد برمجـة العـدادات لأكـثر مـن ثـلاث دقائـق، ولكـن انتهـت المـدة ولم يفـق السـيد، فلـم يشـأ خالـد أن يشـعره بوجـوده لـيرى مـاذا يحـدث بعـد زيـادة الوقـت، ولأن الوقـت زاد عـن الخمـس دقائـق فقـد قـرر خالـد أن يقـف السـيد عمـدًا لـيرى مـا حـدث.

فوجـئ خالـد بالسـيد وهـو يبـكي دموعًـا سـاخنة تسـيل عـلى خديـه. فنـزع خالـد الجهـاز مـن رسـغ السـيد، ثـم أخـذه في صـدره وربـت عـلى كتفـه طالبًـا منـه أن يحـكي لـه عـما حـدث أثنـاء الخمـس دقائـق. آه يـا خالـد، لقـد برمجـت الجهـاز لـكي يعـود بي إلى المـاضي القريـب، ثـم مـرة أخـرى إلى المسـتقبل القريـب، وتركـت نفـسي إلى الجهـاز لـكي أعـرف نفـسي، مـن أنـا ومـن أكـون ومـن سـوف أكـون. ومـاذا رأيـت يـا سـيد. مـا رأيتـه يـا خالـد يجعلنـي أحترمـك وأثـق بـك، بـل وأحبـك لإخلاصـك حتـى ولـو كنـت قاسـيًا عـليّ، فقـد رأيـت في المسـتقبل القريـب كيـف أني سـوف أحصـل عـلى الدكتـوراه بعـد العمـل الجـاد في المـشروع وكيـف أنـك فعلـت مـا فعلـت مـن غلظـة وقسـوة مـن أجـلي. وأبحـرت في المـاضي القريـب فـما وجـدت إلا أصدقـاء حـولي يحبوننـي ويخافـون عـليّ وأنـا لا أهتـم،

فشكرًا لاختراعك الذي أؤمن به الآن يا صديقي، وسوف أعمل جاهدًا لمزيد من تطوير الجهاز. أنا سعيد بكلامك يا سيد لأسباب كثيرة منها أنك تثق في وتثق في صدقي لك، وأنك أيقنت باختراعي وصدقت به، كما أني سعيد بأن الجهاز يعمل بكفاءة وتخصصية بين الماضي والمستقبل، وأنه من الممكن أن أزيد فترة برمجة الجهاز لفترة خمس دقائق، والذي أعتبره إنجازًا كبيرًا لم أخطط له في المرحلة الحالية. وكل هذا بفضل تجربتك هذه على نفسك يا سيد، أصدقك القول يا سيد أني كنت غاضبًا منك جدًّا لقيامك بهذه التجربة دون الرجوع إليّ؛ لأنها تعتبر مخالفة لسير العمل وتوقيته خاصة أنها ضمن مرحلة التطبيقات التي كان مقررًا إجراؤها بعد ثلاثة أشهر من الآن. ولكني أشكرك الآن وسوف أجعلها ضمن التجارب الاستباقية على أن نعرضها في الاجتماع القادم لو أحببت كأحد نتائجك المتميزة، أنا ممتن على تفهمك يا خالد لموقفي وأنا آسف، ولكني كنت في حالة نفسية سيئة بالإضافة أني كنت أريد أن أتأكد من عمل الجهاز، وأنه ليس بأكذوبة كما أني كنت في حاجة للتأكد من طريقي الذي قررته معك وشعوري الذي نسجته عنك في الماضي. لا تعتذر يا عزيزي فقد اكتشفنا أبعادًا جديدة للجهاز في وقت قياسي لم نكن نتوقعه، مبروك هذه النتيجة وتعالَ نخبر بها د. تاناكا والذي سوف يسعد بها كثيرًا. وهل سوف يصدق ما رأيت وشعرت وخاصة فتره التعرض للجهاز هي خمس دقائق؟

بالتأكيد فهو يثق فينا، ثم إني قمت بتصوير اللحظة بالفيديو يا أستاذ، فلا تقلق، هيا بنا إلى مكتبه.

بعد أن عاد إلى سكنه وجد خالد نفسه مشدودًا إلى شباك حجرته لينظر إلى سماء المدينة المتلألئة بالأنوار المترامية والساطعة على أطراف المدينة. أصبح هذا الشباك هو منفذ خالد ورئته التي يأخذ شهيقه ويخرج زفيره منه، وإلى المدينة بعد عناء كل يوم، فقد أصبحت عادة عنده منذ أن اكتشف فيه أمواج أشعته الجديدة المنبعثة من البرق والرعد، فعند الشباك أيضًا تصفو نفسه للأفكار الرائعة فهنا جاءت له فكرة العمرة هدية لوالده والتي كانت مفاجأة كبيرة ملأت حياة والده بكل أمنيات الماضي والحاضر والمستقبل وكأن هذا الشباك أصبح مصدر إلهام خالد، وكأن بقايا الأشعة ما

زالـت هنـاك تغـازل عقلـه ليبحـر ويتحكـم في الوقـت، بـل أيضًـا في الأفـكار، وهـا هـو الآن يفكـر فيـما حـدث اليـوم مـع السـيد مـن أحـداث لم يكـن أبـدًا يتوقعهـا. فهـا هـو السـيد الـذي ذهـب بمفـرده بشـكوكه في فكـرة المـشروع للمعمـل، فخـرج منهـا بمعـادلات ومشـاعر جديـدة قلبـت علاقتـه مـع المـشروع ومـع خالـد رأسًـا عـلى عقـب. فقـد أصبحـا أصدقـاء، وقفـز المـشروع إلى مرحلـة أسرع لم يكـن يتوقعهـا، ثـم أصبـح السـيد أكـثر ثقـة في نفسـه مـن قبـل. هـذه ليسـت تأثـيرات الأشـعة فهـي موجـودة عـبر آلاف السـنين، لكـن هـو تأثـير النفـس التـي لا تصـدق المشـاعر أحيانًـا إلا إذا كان هنـاك دليـل مـادي، الأمـر الـذي لا يحـدث إلا نـادرًا وبالصدفـة البحتـة، كـما حـدث اليـوم مـع السـيد.

نظـر خالـد إلى السـماء البعيـدة الصافيـة يناديهـا مخاطبًـا إياهـا وكأنهـا صديـق جديـد انضـم لعائلـة أصدقائـه القليلـين:

«يـا سـماء الخيـال والواقـع، يـا سـماء النفـس, أراكِ بعيـدة عـن قلبـي ولكنـك بعقـلي قريبـة، أراكِ متلألئـة بالنـور والشـمس في رحمـك نائمـة حتـى تولـد في الصبـاح مشرقـة، ومـا أنـار قمـرك وكواكبـك إلا أشـعة شمسـك، نؤمـن بـك زرقـاء ولا نعلـم أسـباب زرقتـك، نؤمـن أنـك هنـاك ولا نعلـم كينونتـك، أنـت سـماء واحـدة وإن ذابـت المـدن فيـكِ، أنـتِ مصـدر إلهامـي وإيمـاني مـلء اتسـاعك، كـم تمنيـت أن أصنـع لعقـلي شراعًـا إليـك لألمـس آيـات اللـه التـي سـكنت وجنتيـك، أعيرينـي ضيـاءك وصفـاءك لأنـير قلبـي، آهٍ مـن رعـدك وبرقـك الذي فيـه إمضاؤك، هالنـي ثورتهـما ولكنـي أخـذت منهـما قـوتي، أم حنـون أنـت تحـوي كل الغرائـب، ألقـي إليـكِ بالهمـوم فتبتسـم إليّ كواكبـك، مـا أنـا بصغـرى وأنـتِ بعظمتـك إلا خلـق اللـه وعجائبـه، ومـا أنـا منـك إلا نقطـة في ثـرى الكواكـب».

مـاذا لـو فعلـت مثـل السـيد لأبحـر في المسـتقبل القريـب لعـلي أقابـل همسـة هنـاك لأعـرف بميعـاد مجيئهـا إلى اليابـان فقـد اشـتقت إليهـا وإلى وجودهـا إلى جانبـي كل يـوم لنقـف سـويًّا في هـذا الشـباك نلقـي بأفكارنـا إلى السـماء ونناجـي الكواكـب لتـزداد ضيـاءً. أيـن أنـت يـا همسـة مـن كل مـا يحـدث لي مـن أخبـار سـعيدة؟ أريـدك أن تتقاسـمي معـي كل أفراحـي، أريـد أن أرى الفرحـة وهـي تتراقـص في عينيـك انعكاسًـا لفرحـك وفرحـي. سـوف أجـرب الجهـاز يـا همسـة

لأراكِ .إنها لفكرة رائعة فلسوف أجرب هذا الجهاز لمدة خمس دقائق على نفسي فقط للإبحار في المستقبل مرة واحدة بدلًا من تقسيمها على الماضي والمستقبل كما فعل السيد. لقد أثار السيد فضولي، ولم لا وأنا صاحب الاختراع، أيعقل أن يكون صاحب الاختراع آخر من يجرب اختراعه؟ إنها المسئولية التي تحتم عليّ أن أجربه في هذه المرحلة لأتأكد بنفسي من آلية عمله وتأثيره وفي نفس الوقت من أمور ما زالت معلقه لعلي أعرف شيئًا عنها.

ألا تعتبر يا خالد استخدام الجهاز للإبحار في المستقبل نوعًا من التجرؤ على الله لمعرفة أحداث المستقبل؟ حدث خالد بذلك نفسه وهو ما زال ينظر إلى السماء الصافية من الشباك. أعتقد يا نفسي أنه ليس بذلك لأن التجرؤ على الله هو الادعاء بالغيب بدون علم أو أدلة، فقد أعطانا الله القدرة في القرن العشرين أن نتنبأ بدرجات الحرارة والتغيرات الجوية ووقوع الزلازل والبراكين، وذلك بأسباب علمية كشف الله إياها لنا لمساعدتنا في الحياة، ويكشف الله عن المزيد من الأسباب كلما زادت تعقيدات الحياة حتى ييسر الله الحياة على عباده، فهناك الآن معادلات وبرامج حسابية نستطيع من خلالها التنبؤ بتأثير بعض المواد على الجسم من قبل أن نتعاطى هذه المواد. يعطي الله العلم لعباده ليعلموا قدرات وآيات الله عن واقع، وهذا ما حدث مع الأشعة التي اكتشفتها، فهي علم واقع كان موجودًا، ويؤثر فينا كل يوم دون أن ندري، والذي قد يفسر أسباب تقلب أمزجتنا وإحساسنا بالوقت في كثير من الأحيان دون أن نعلم الأسباب.

فالتنبؤ كلمة إذا كانت ادعاءً وعلمًا.. إذا كانت تعتمد على أدلة. فاهدئي يا نفس ولا تلومي، وإذا كان التحكم في الوقت ادعاءً فلن يؤكده الله بأي أسباب، ولكني أؤمن بأن أحد الدروس المستفادة من معجزات الله لأنبيائه كما حدث مع الرسول الكريم في حادثة الإسراء والمعراج هو البحث عن أسباب المعجزات إلى أن يكشف الله عنها ولو بمقدار قطرة في المحيط، وإذا كان الأمر كذلك يا نفس فسوف أجرب هذا الجهاز على نفسي غدًا ولا غضاضة في ذلك. استلقى خالد على سريره بعد الصلاة وقراءة بعض الآيات من القرآن، واستغرق في نومه حالما بما سوف يجده في الصباح عندما يجرب

الجهـاز، وأخذتـه أحلامـه في كل اتجـاه في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل واختلطـت الأحـداث، ولكنهـا كانـت تشـير إلى حـدوث شيء هـام.

عندمـا صحـا خالـد مـن النـوم حـاول تذكـر الأحـداث جليًّـا وربطهـا ببعضهـا لعلـه يسـتطيع أن يفـسر أو يفهـم شـيئًا، ولكـن هيهـات فقـد كان صعبًـا جـدًّا نظـرًا لكـثرة الأحـداث مـع سرعـة وقوعهـا في الحلـم. ابتسـم خالـد محدثًـا نفسـه ومـا اخترعـت جهـازي إلا لترتيـب هـذه الأحـداث، فـما الجهـاز إلا وسـيلة لفـض اشـتباك أحـداث الأحـلام فيفصلهـا إلا مـاضٍ وحـاضر وآتٍ. ولسـوف أفعـل ذلـك اليـوم وأبحـر بـشراع جهـازي إلى أمـواج الأحـداث لأرى عـلى أي شـاطئ سـوف أرسـو.

شعور انتظار الأخبار الحلوة جزء من حلاوة الخبر

«قالوا: بماذا تقص للقمر إن جالسته؟ قلت: سأخبره أنه يولد من جبين الحب الذي يرسم هلاله واكتماله بريشة المحبين».

صباح الخير يا سيد، أتمنى أن تكون في أحسن حال اليوم بعد حالة الهدوء النفسي التي عشتها أمس. فعلًا يا خالد كانت خمس دقائق تاريخية وفاصلة في حياتي هنا باليابان، ومنذ أمس وهي ليست بحالة، وانتهت ولكن هي واقعي الآن بعد أن ملأتني السكينة والاطمئنان. لقد استهوتني الفكرة يا سيد ولدي رغبة شديدة بأن أجرب الجهاز على نفسي كما فعلت أنت بالأمس. ضحك السيد ضحكة عالية وهو يربت على كتف خالد: أنت يا خالد لا تحتاج أن تبحر في ساعات أو أيام مستقبلك، فأنت والحمد لله مستقبلك رائع بفضل حاضرك، ولكن إذا كنت تريد أن تطمئن أكثر فافعل، ولكن ستجد كل خير إن شاء الله.

أنا أريد أن اطمئن على شيء واحد يا عزيزي، وأعتقد أنه لم يأتِ ببالك وهو اشتياقي لهمسة خطيبتي فأنا في أشد الحاجة إلى وجودها بجانبي. نعم، يا خالد، أشعر بك، فكلما ازدادت طموحات ومشاغل الناس كلما اشتد الاحتياج إلى رفيق ويا حبذا عندما يكون الرفيق حبيبًا.

اتحبها يا خالد إلى هذا الحد؟

نعم يا صديقي، أنا أحببت كل الأشياء لحبي لها وحبها لي جمّل العالم لي. إنه حب من نوع خاص، حب يجمع بين الصداقة والأبوة والأمومة والأخوة والرومانسية، إنه حب متفرد أجد فيه كل المشاعر التي تسكن بكل القلوب، حبي لهمسة جعلني أتنصت لهمس الأشياء، جعلني أعيش في همس وأفكر في همس وأتنفس في همس وأضحك في همس لأكون أنا الهمس الذي منه يأتي اسم همسة.

ما شاء الله يا خالد، أنت شاعر كبير، لم أعرف عنك ذلك من قبل يا عزيزي، هنيئًا بهمسة بحبك وأسعدكما الله. الآن أتركك مع جهازك الرائع وأخبرني عن النتيجة لما تنتهي.

أوصل خالد الجهاز برسغه، ثم بدا يبرمجه على الإبحار في المستقبل، ولكن خطرت على باله فكرة الإبحار في الماضي أولًا حتى يهنأ بحاضره، فالماضي كان صعب المراس سواء كان في مصر أو قبل أو أثناء البحث عن كينونة الأشعة أو عندما جاءه الخبر بأن يوقف البحث تمامًا حتى إشعار آخر. فما أجمل من الإبحار في ماضٍ مؤلم وأنت في حاضر سعيد! تلك هي قمة السعادة؛ لأنك ببساطة تعلم أنك في أحسن حال وما الماضي إلا مجرد عبر وذكريات مما يفسر قول الناس «ما أجمل أيام زمان!» مع أن أحيانًا تكون أيام الماضي أشد وأصعب من الحاضر. إنه فعلًا إحساس رائع بأن أبحر في الماضي أولًا وأستمتع بنشوة التغيير، ثم أعود لأبحر في المستقبل لعلي أرى ما يزيد انبساطي.

استرخى خالد وبرمج الجهاز وألقى برأسه على وسادة الكرسي المعد للاسترخاء، وقرر أو يوصل كاميرا الفيديو بالجهاز لكي يرى التغيير في ملامح وجهه عندما يعود من الإبحار. برمج خالد الجهاز لفترة ثلاث دقائق ليعيش لحظات الماضي القريب بأنواعها من لحظة وصوله لليابان إلى انضمامه للمشروع، إلى محاولاته اليائسة في إيجاد شيء مفيد للمشروع، إلى لحظة تفاعله مع الرعد والبرق بشرفة حجرته، إلى تحليله النتائج، إلى البحث عن أصل الأشعة، إلى اللحظة التي توصل فيها إلى فك الشفرة وكتابة جدول الأشعة الجديد، إلى فرحة أستاذه به في الاجتماع الأول الذي عرض فيه نتائجه، إلى لحظة الوصول إلى منتج أولي للجهاز، إلى اللحظة القاتلة التي جاءته فيها رسالة الوكالة الأمريكية، ثم إلى لحظة موافقة الوكالة وهو في مصر وما كان فيها من تناقض بين الخوف من الاعتقال، ثم نشوة الانتصار والإعلام والشهرة في عقر داره، الكلية التي لم تنصفه، ثم همسة وجمال حبها الذي ظهر له في الأفق على غفلة وكأنه القمر في ليلة مظلمة، ثم أجمل اللحظات الجميلة وهو يخطب همسة كشمس النهار، ثم آخر

اجتماع مع الوكالة والأمن القومي وكأنه سفير مصر باليابان؛ إنها أحداث الحياة بحلوها ومرها كنبضات قلب تعلو وتهبط في انتظام.

توقف الجهاز بعد ثلاث دقائق تمامًا كما أراد خالد الذي أفاق وكأنه كان في حلم يقظة جميل، ولكنه مرتب الأحداث. ابتسم خالد في همس منتشيًا كالطاووس أمام أحاسيسه التي أكدت له كفاءة الجهاز العالية في الإبحار، وبدون أي مشاكل وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًّا تسجيليًّا. تمنى خالد لو استطاع أن يتم توصيل كاميرا فيديو تستطيع تسجيل أحداث الإبحار ليراها صاحبها بنفسه محدثًا نفسه، ولم لا فليكن مشروع الجيل الثاني من الجهاز؟

والآن جاء وقت الإبحار في المستقبل ولو لثوانٍ لعلي أصل إلى أمر همسة وحصولها على المنحة من الحكومة اليابانية، تحمس خالد جدًّا إلى الإبحار إلى المستقبل فأخذ دقيقتين من الراحة، ثم أوصل الجهاز بيده الأخرى واستلقى على الكرسي وبرمج الجهاز على دقيقتين، وقبل الضغط على ذر التشغيل توقف خالد محدثًا نفسه: لماذا أفعل ذلك؟ أنا أستمتع بالمفاجآت خاصة المتعلقة بهمسة، فلماذا أحرم نفسي وقلبي وعقلي من مفاجآت حبي الوحيد؟ فليحدث ما يحدث ولكن سأبقى على طبيعتي مع همس العيون أشتاق إلى أي خبر منها ولها، إن ترقبي لأخبارها جزء من حبي لها ولن ألقيه على عاتق جهاز.

نزع خالد الجهاز من يده ليكون حرًّا من كل قيد يبعده عن حبه الذي لا يعرف مستقبلا ولا ماضيًا ولا حاضرًا، فهو حب يعيش في كل الأزمنة، ولا يعترف بساعات الأزمنة وأيامها المتقلبة، فإذا جاءت همسة ستكون السعادة كلها معها هنا، وإن لم تأتِ همسة فسوف أذهب إليها، فالأمر محسوم بحبي لها، ولا حاجة إلى جهاز مع الحب فالحب فوق كل الأجهزة. شعر خالد براحة نفسية كبيرة بعد أن قرر أن يتخلى عن الإبحار في المستقبل من أجل عيون همسة، فقد أثبت لنفسه أنه قادر على كبح رغباته، وأنه قوي الإرادة, تمامًا كما قرر من قبل عندما حبس كل أخبار المشروع عن كل ما حوله في الوقت الذي كان يحتاج إلى كل نصيحة. قرر خالد أن يحتفل بهذا الإحساس مع صديقه محمود بمصاحبة السيد وأن يدعوهما على العشاء اليوم في أحد ضواحي المدينة.

ما كل هذا الترف يا خالد لتدعوني على العشاء، وما كل هذا التحول مع السيد؟ أتظنه يقبل دعوتك ويأتي؟ أنا أحتفل يا أستاذ بقوة إرادتي في حبي وعملي وأحتفل بالعلاقة الحميمة مع السيد، فكما تعلم علاقتي معه كانت نارية من جانبه.

كما تشاء يا عزيزي أنا على أية حال مستفيد، هيا بنا لنأخذ السيد فطوكيو تنادينا.

ولماذا هذه العجلة يا محمود فما زال الوقت عصرًا؟

أعلم يا عزيزي، ولكن اليوم الجمعة وغدًا نهاية الأسبوع، فدعنا نستمتع بطوكيو قبل العشاء.

نعم يا محمود، لديك حق فنحن قلما نخرج في عطلة نهاية الأسبوع، فلنذهب ونمرح بعض الوقت قبل أن نتحكم فيه.

ماذا تفعل يا زملة؟ لدينا مفاجأة كبيرة، أتشعر بالجوع يا صاحبي؟

نعم يا محمود، فقد شعرت بالجوع اليوم أكثر من أي يوم مضى، ألديك طعام جاهز؟ إذا كان كذلك فأنا جاهز. لست أنا يا سيد، إنه صاحبك الجديد خالد، إنه قد جن اليوم ليحتفل بنفسه وبك وأنا شاهد على الاحتفال، فهل أنت قادم؟

طبعًا قادم، فهذا يوم التحول العالمي على مستوى الأشعة والنفوس. جاهزين يا شباب، هيا بنا إلى طوكيو لنترك أنفسنا ووقتنا ليتحكم فينا قبل أن نتحكم نحن فيه.

إنها طوكيو التي بهرتني بأضوائها وبالتكنولوجيا المتقدمة وبتواضع أهلها.

هيا يا خالد، هيا بنا يا دكاترة إلى سيارتي التي لا أستخدمها إلا في عطلة الأسبوع إذا لزم الأمر. ما أحلى ركوب العربة بجوارك يا محمود وأنت تدندن! اشتقت إلى دندنتك اللبنانية الجميلة وخاصة الهوارة.

سوف أغني لك الهوارة يا حبيبي طالما ستغني أنت بجيوبك لمعدتي.

آه منك يا محمود، لا تفكر إلا في معدتك وقلبك الذي سكنته كل القلوب فأصبح كالمساكن الشعبية أو مساكن الإيواء!

وماذا عنك أنت يا سيد؟ ماذا سوف تقدم اليوم لنا أم ليس لديك إلا المشاهدة؟

لا يا صديقي اللدود محمود أنا لها، فلسوف أدعوكم إلى آيس كريم في هذا البرد عقابًا لكم على دعوتي لصحبتكم. ضحك الجميع وانطلقت السيارة تردد بأزيزها ألحان الهوارة وراء محمود وخالد منتشٍ بهذا الصوت الذي يأتي من جنوب لبنان الجميل والسيد في حالة تفكير في شراء الآيس كريم.

قضى الأصحاب أمسية جميلة وسط المدينة، فكانت عرسًا جميلًا لتصافي القلوب والخروج عن المألوف والغوص في أعماق المدينة التي لا تنام. الشعب الياباني يعشق شرب الكحوليات خاصة في عطلة الأسبوع، فكانت الشوارع والحانات تعج بالزبائن والكل منتشٍ أو مقبل على أن ينتشي، أما خالد ومحمود والسيد فقد انتشيا بالآيس كريم في هذا الجو البارد بعد أن أصر السيد على رأيه لتكون ذكرى لا تنسى في كل شيء.
عاد خالد إلى سكنه وأطل من شباكه الذي أصبح من أحد الطقوس التي يمارسها فور عودته للبيت، وكأنه يبحث من خلاله على ما يفتقده من شريك يحتاج إلى حبه رؤى العين والقلب والعقل. ولأنه لم يتفقد الإيميل اليوم منذ العصر، وهو وقت طويل بالنسبة لخالد الذي عادة ما يتفقده كل ساعة أو ساعتين، فقد بدا خالد ثاني طقوس عودته بتفقد رسائله لعله يجد رسالة من همسة أو أحمد ووالده. لم يجد أي رسائل سوى من د. توفيق الذي لم يحكِ فيها كثيرًا سوى أنه قادم بعد أسبوع ومعه المفاجأة الكبيرة والجميلة.

قد نسي خالد أمر هذه المفاجأة، ولكن معنى أن يذكرها د. توفيق مرة أخرى أنها بالفعل كبيرة وجميلة، ولكن ما هي يا ترى؟ لكم أتمنى أن أتعرف على هذه المفاجأة ولكن عليّ الانتظار أسبوعًا كاملا، ولكن لن أستخدم الجهاز للكشف عن طبيعة المفاجأة، لا بأس أنتظر فشعور انتظار الأخبار الحلوة جزء من حلاوة الخبر. أنهى خالد طقوسه ونام على أحلام المفاجأة التي تدغدغ مشاعره.

يعزف الإنسان تعبيراته النفسية بالنقر على جزيئاته البيولوجية

أمور الحياة مثل مياه النهر الواقفة لا تتحرك وتسير إلا إذا ضربتها ذراع سباح أو مجاديف قارب أو محرك لانش، فتجري المياه بقدر قوة وسرعة الضربات.

;مر الأسبوع على خالد كلمح البصر من كثرة الأعمال وكتابة التقرير ومناقشة النتائج مع الفرق البحثية المختلفة واجتماعات مع د. تاناكا لاضطلاعه على النتائج أولًا بأول والقفزات التي حققها المشروع للإجابة عن أسئلة معينة من تساؤلات وفد الوكالة والإخفاقات في الحصول على نتائج أخرى للإجابة الشافية عن تساؤلات أخرى. أرسل خالد تقريرًا إلى د. توفيق ليطلعه على ملخص النتائج وليأخذ مشورته في بعض الأمور العلمية.

احتفظ بأسئلتك يا دكتور خالد ولا تتعجل، فأنا قادم بعد غد وأريدك أن تنتظرني في المطار لتتلقى هديتك الكبيرة والجميلة. تذكر خالد الهدية من رسالة د. توفيق وابتسم لعلها طبخة مصريه أحبها أو لعلها هدية من همسة لي أرسلتها معه.

ذهب خالد إلى المطار بسيارة صديقه محمود متشوقًا إلى رؤية د. توفيق ومناقشته في العديد من الأمور الخاصة بالمشروع بصورة عامة ولتبليغه بأنه أصبح رسميًّا مستشارًا للمشروع بعد الاجتماع الأخير مع الوكالة الأمريكية والأمن القومي الياباني. خالد كله شوق أيضًا ليرى الهدية الجميلة فقد أصبح يشتاق إلى مصر وأي شيء من مصر خاصة بعد خطوبته لهمسة. أعلنت الإذاعة الداخلية للمطار عن وصول الطائرة التي تقل د. توفيق ولم تمر الربع ساعة حتى بدأ ركاب الطائرة والطائرات الأخرى التي وصلت في نفس التوقيت من التوافد إلى صالة الوصول.

يترقب خالد ومعه محمود القادمين ليحي د. توفيق ويأخذ عنه حقائب السفر. وفجأة صاح محمود: هذا د. توفيق قادم من بعيد في أحد الصفوف

يـا خالـد، ولكنـي أرى بجانبـه آنسـة يحدثهـا وهـي تنصـت إليـه باهتـمام. حـول خالـد عينيـه إلى الصـف الـذي يشـير إليـه محمـود وبالفعـل رأى د. توفيـق، ولكنـه كاد أن يغمـى عليـه مـن روعـة المفاجـأة الكبـيرة والجميلـة، فقـد كانـت همسـة بهمسـاتها وأنفاسـها.

شـعر خالـد وأنـه يعيـش حلـمًا في ثـوانٍ معـدودات، أو كأن جهـاز التحكـم في الوقـت قـد تـم توصيلـه بيديـه ليبحـر في المسـتقبل كـما كان يرغـب، ثـم أعـرض عـن رغبتـه حبًّـا في المفاجـآت، ولكنـه ليـس متصـلا لا بالجهـاز ولا هـو يحلـم فمحمـود يدفعـه أن يتجـه ناحيـة د. توفيـق. أفـاق مـن عبـث الأحـلام عندمـا رأى همسـة تلـوح لـه راقصـة ضاحكـة كالطفلـة. ومـع أن المفاجـأة مـا زالـت تهـز كيانـه الجسـدي والنفـسي والعاطفـي إلا أن قلبـه رقـص مـن شـدة الفرحـة، وجـرى ناحيتهـا فوقـف الطابـور اليابـاني وراء همسـة حتـى سـلم خالـد عـلى همسـة بعينيـه وقلبـه وهـو يقـول: فعـلًا د. خالـد إنهـا مفاجـأة كبـيرة وجميلـة بـل أجمـل الجميـلات. شـكرًا أسـتاذي العزيـز عـلى أجمـل هديـة، وحمـدًا للـه عـلى السـلامة جميعًـا.

يـا خالـد، هيـا نأخـذ الحقائـب وننطلـق فالطابـور متوقـف بسـببكما، وإن كان الجميـع يسـتمتع بمشـاهدة هـذا الفيلـم السـينمائي ويبتسـم منتشـيًا بهـذه اللحظـة التاريخيـة. حـاضر يـا محمـود ولكـن اصـبر يـا أخـي، فـما أجمـل لحظـات اللقـاء، ومـا أحـلى لحظاتهـا مـن بعـد فـراق! سـبقهما محمـود بـالحقائب إلى سـيارته ووراءه خالـد وهـو يتوسـط د. توفيـق وهمسـة وهـو مـا زال يعيـش لحظـات المفاجـأة.

الوقـت مـا زال العـاشرة صباحًـا ومدينـة طوكيـو شـاهقة بناطحـات سـحابها بـين السـماء والأرض والشـمس مشرقـة هـذا الصبـاح لتجعـل الكـون دافئًـا كـما هـي القلـوب الآن دافئـة، والهـواء نقـي والـذي أصبـح أكـثر نقـاءً بذوبـان أنفـاس همسـة بـين ذراتـه معطـرة الجـو بأريـج أنفاسـها. اليـوم رائـع رائـع وكأن كل شيء يعلـم بمجـيء همسـة فـأراد أن يسـتقبلها بـكل جميـل.

شـعر خالـد بـكل هـذا الجـمال وهـو ينظـر مـن نافـذة السـيارة جالسًـا بجوار همسـة ودكتـور توفيـق يجلـس بجـوار محمـود وهـو يقـود السـيارة إلى الفندق.

أيـن أنـت يـا خالـد؟ قالـت همسـة والابتسـامة تمـلأ وجههـا وعينيهـا، أتذهـب بفكـرك بعيـدًا هنـا وأنـا بجانبـك في طوكيـو بعـد هـذه الرحلـة الطويلـة والترتيبـات والمفاجـآت؟

أنـا لم أذهـب بعيـدًا يـا همسـة، بـل أنـا أنظـر مـن النافـذة غـير مصـدق أن يكـون كل شيء أصبـح أكـثر جـمالًا اليـوم بقدومـك وكأن طوكيـو كلهـا تحتفـي بأنفاسـك. حمـدًا للـه عـلى السـلامة يـا أعـز النـاس.

إيه رأيك في المفاجأة يا خالد؟

مـا أروعهـا مـن مفاجـأة، ولكـن كيـف حـدث هـذا يـا أسـتاذي العزيـز؟ فلـم تخـبرني همسـة ولا أنـت بـأي تجهيـزات ولا حتـى الدكتـور تانـاكا.

كل شيء كان مرتبًـا يـا عزيـزي حتـى تكـون مفاجـأة كبـيرة وجميلـة لـك، فقـد حصلـت همسـة عـلى المنحـة مـن الحكومـة اليابانيـة منـذ أسـبوعين فقـط، وطلبنـا مـن د. تانـاكا ألا يخـبرك ليتوفـر عنـصر المفاجـأة حتـى إنـه حجـز لهـا غرفـة في سـكن الطالبـات المغتربـات، وكل شيء يسـير عـلى قـدم وسـاق يـا عزيزي. سـوف أقـص عليـك كل شيء يـا خالـد فأنـا وامـا اتفقنـا مـع أحمـد ووالـدك عـلى أن يبقـى خـبر حصـولي عـلى المنحـة سرًّا بيننـا لنفاجئـك.

إنهـا فعـلًا أكـبر وأجمـل مفاجـأة، فقـد كنـت أتمنـى كل يـوم أن تكـوني بجانبـي وكنـت سـوف أفعـل عـلى أيـه حـال، ولكنـي كنـت منتظـرًا نتيجـة المنحـة. ومـن شـدة رغبتـي أردت أن أسـتخدم جهـاز التحكـم في الوقـت لعـلي أرى وصولـك في المسـتقبل، ولكنـي أبيـت حتـى أنتـشي بالمفاجـأة، وحسـنًا فعلـت فلـم يطـول الوقـت وهـا أنـتِ أمامـي بـكل همسـاتك وابتسـاماتك وضحكاتـك وحنـين أنفاسـك.

أيـه يـا زلمـة، أجّـل هـذا الحـب حتـى أترككـم، ارحـم أعصـاب قلـب يتيـم مثـل قلبـي! اهـدأ واسـمع أحـلى أنغـام الأغـاني اللبنانيـة الهـوارة. ضحـك الجميـع وقالـت همسـة: أكيـد أنـت محمـود أعـز أصدقـاء خالـد هنـا, فكـم حـكى لي عنـك كل الحكايـات الجميلـة وبأثـر رجعـي.

أهـلًا بـك يـا نفرتيتـي مـصر، وفقـك اللـه في دراسـتك وفي علاقتكـم التـي يعيـش خالـد عليهـا طـوال الوقـت.

متشـوق أن أرى خالـد غـدًا في المعمـل بعـد أول يـوم مـن قـدوم همسـة إلى مدينـة المدائـن طوكيـو. فوجـئ خالـد بمكالمـة مـن د. تانـاكا ليطمـئن عـلى وصـول همسـة ويبـارك لـه حصولهـا عـلى المنحـة ومبـاركًا لقلبـه عـلى وصـول حبـه بـين يديـه.

كان كل شيء معـدًّا مسـبقًا، فقـد تـم حجـز غرفتـين في فنـدق بوسـط المدينـة لـكل مـن د. توفيـق وهمسـة عـلى أن تنتقـل همسـة صباحًـا إلى بيـت الطلبـة الأجانـب، ثـم تذهـب إلى الجامعـة لإنهـاء إجـراءات المنحـة، ولـكي تسـجل في كورسـات تدريـس اللغـة اليابانيـة بالإضافـة إلى بعـض الكورسـات الأخـرى في التفكـير العلمـي وكتابـة الأبحـاث العلميـة وأخلاقيـات البحـث العلمـي وغيرهـا.

قـرر خالـد أن يكـون اليـوم إجـازة، وتـرك د. توفيـق ليسـتريح حتـى موعـد الغـذاء، ثـم أخـذ همسـة إلى حجرتهـا بالفنـدق. ومـا خليـا هنـاك إلا أن سـلما بنشـوة بتشـابك الأيـدي، وتعانقـت الرمـوش عناقًـا أسـال دمـع فرحـة اللقـاء مـن العيـون، وتقاربـت الأنفـاس اللاهثـة لـكل مشـاعر الحـب الحانيـة، وذابـا للحظـات في هـواء الغرفـة دون أن يتلامسـا، وتبعـثرت أنفاسـهما في أنحـاء وثنايـا المـكان وكأن أحاسـيس كل المحبـين حلـت بـهذه الغرفـة مـن الفنـدق في مدينـة طوكيـو لتبـارك قـدوم همسـة وتـزاوج همسـاتها بهمسـات خالـد.

لحظـات جعلـت مـن خالـد تمثـالًا مـن الحـب يضـخ حنانًـا وشـوقًا، فهـا هـو لا يقـدر عـلى تحريـك قدميـه مـن أمـام همسـة، وهـا هـو يديـه تعلقـت بيديهـا وقـد تركـت لـه همسـة أوعيـة دمائهـا بكفيهـا لتغـوص في كفيـه، وتسـمرت عينـاه عـلى عينـي همسـة وذابـت همسـة في شـوق نظـرات خالـد، وأصبحـت أجـواء الغرفـة وكأنهـا مـن حكايـات ألـف ليلـة وليلـة بـكل لحظـات العشـق والرومانسـية الصامتـة.

فعـلًا، مـا أحـلى الحـب الصامـت عندمـا لا تسـتطيع أي كلـمات أن تعـبر عنـه، إنـه أسـمى معـاني الحـب. آه يـا همسـة لكـم وددت أن أعيـش هـذه اللحظـة التـي كانـت ضرب خيـال، ولكـم أشـتاق إلى اللحظـة التـي أسـتطيع أن أضمـك فيهـا إلى صـدري لتغـوصي بداخـلي وأحتويـكِ مليكـة عـلى عـرش قلبـي.

آه يـا خالـد لكـم حلمـت مـرارًا أن أكـون بجانبـك أشـم رائحـة أنفاسـك الحانيـة والصادقـة، وأتسـمع لدقـات قلبـك وهـي تنـادي بحـروف اسـمي،

وأنظـر إلى عينيـك لأرى نفـسي، وآخـذك مـن يديـك ليهـدأ قلبـي ويحتويـك إلى مـا لا نهايـة مليـكًا عـلى عـرشي. إنهـا طوكيـو يـا خالـد التـي جئتها مـن أجلـك وسـأعيش فيهـا مـن أجلـك ولأحيـا بجانبـك، إنهـا طوكيـو يـا خالـد، في هـذه الغرفـة مـن هـذا الفنـدق في وسـط المدينـة، وفي منتصـف النهـار أشـهدها عـلى حبـي لـك وإخـلاصي لـك، أشـهدها أنـك حبـي الوحيـد، وأنـك قابـع داخـلي في كل أنحـائي، فلتكـن طوكيـو في أقـصى الـشرق هـي مدينـة أول لقـاء يبـارك أول اندمـاج لحبنـا في محـل البيـع في حارتنـا، وفي بيـت أبي وأمـي أثنـاء خطوبتنـا، أنـت يـا خالـد أبي وأمـي وكلي.

كلماتــك يــا همســة أذابــت أوصــالي وأشــعر أني مــا زلــت في حلــم كبــير وجميـل، ولكنـي أراه واقعًـا أمامـي، أنـا هنـا منـك ولـك وإليـك، وسـنقضي أحـلى الأيـام ونحقـق أغـلى الأمنيـات. اسـتريحي مـن عنـاء الرحلـة وسـوف آتي إليـكِ عـصرًا لنذهـب أنـا وأنـتِ ودكتـور توفيـق للغـذاء في الفنـدق. أوك يـا خالـد سـوف أنتظـرك حتـى وأنـا نائمـة، إلى اللقـاء.

بعـد صـبر أربـع سـاعات كانـت كالدهـر في انتظـار لقـاء همسـة، رجـع خالـد إلى الفنـدق وقلبـه محمـل بالفرحـة التـي يتمنـى أن يسـكبها تحـت أقدام همسـة أينـما تجـيء وتـروح لـكي تغمرهـا السـعادة دومًـا، فهـذه أول غربـة لهـا بعيـدًا عـن الوطـن وبعيـدًا عـن الأم والأهـل والأصحـاب واللغـة والديـن.

وجـد خالـد د. توفيـق في بهـو الفنـدق منتظـرًا وملوحًـا وهـو في أبهتـه وأناقته وبسـاطته المعـروف بهـا: مسـاء الخـير د. توفيـق لعلـك تكـون قـد أخـذت قسـطًا وافيًـا مـن الراحـة.

أنـا كلي انتعـاش يـا خالـد، أريـد فقـط أن أطمـئن عليـك وعـلى المـشروع ودوري فيـه كمستشـار كـما أخبرتنـي، ثـم كيـف ستسـير الأمـور مـع همسـة ووالـدك.

علـت وجـه د. توفيـق ابتسـامة واسـعة وهـو يدخـن البايـب: أشـعر يـا خالـد أني أصبحــت مستشــارك ليــس فقــط العلمــي، ولكــن العاطفــي، والاجتماعــي، والإعلامـي، وأيضًـا المـالي.

هــذا شرف لي وســعادة كبــيره تجعــل قلبــي وعقــلي ينعــم بالهــدوء وأنــا أسـتقي الحكمـة والعلـم والأخـلاق والرقـي مـن قبولـك مستشـارًا لي يـا أسـتاذي.

كـما تشـاء يـا عزيـزي، ولكـن أتعـابي مكلفـة جـدًّا، ولكـن عـلى أيـة حـال لا تخـف فأنـا واثـق كل الثقـة أنـك قـادر عـلى تغطيـة تكلفتـي، فهـي الحـب والإخــلاص والاجتهــاد.

مؤكـد يـا معلمـي فـكلي سـعادة واطمئنـان، وإذا كان الأمـر كذلـك فهـل لي أن أذهـب لأحـضر همسـة مـن غرفتها؟

ابتسـم د. توفيـق: لـك هـذا يـا بنـي، ولكـن عـلى أن تتصـل بهـا أولا لتكـون جاهـزة لـك ولا تتأخـر؛ فالغـذاء ينتظرنـا والأمعـاء تشـكو الانتظـار.

فوجـئ خالـد بهمسـة قادمـة مـن ناحيـة المصعـد إلى البهـو وهـي ترتـدي نفـس الثـوب الـذي رآهـا بـه عنـد أول لقـاء في السـوبر ماركـت في الحـارة. معقـول، أهـذا هـو الفسـتان بعينـه أم أنهـا خاطـت واحـدًا يشـبهه حتـى تعـود بي إلى أجمـل اللحظـات في المـاضي؟ لحظـة إعطـائي لهـا الورقـة التـي كانـت بمثابـة شرارة الحـب التـي أشـعلت نـيران الشـوق في قلبـي. لـن أسـألها إذا كان هـو نفـس الفسـتان أم فسـتان آخـر خاطتـه, آيًّـا كان فهـي لمسـة رائعـة مـن همسـة لتأخذني إلى مـاضي الذكريـات. كـم أنـتِ رائعـة حقًّـا يـا همسـة فحبـك كلـه عاطفـة وذكاء .

جـرى إليهـا ممسـكًا بيدهـا، مـا كل هـذا الجـمال يـا آنسـتي؟! إنـه يـوم المفاجـآت، ومـا أحـلى المفاجـآت، أرجـوكِ أزيدينـي منهـا فقلبـي يرقـص عـلى الذكريـات التـي تتبخـتر في حجراتـه وتتمايـل عـلى أنغـام دقاتـه.

ابتسـمت همسـة في خجـل وأشـارت إليـه أن يضـع يـده في جيـب ثوبهـا لعلـه يجـد مزيـدًا مـن المفاجـآت. تـردد خالـد ولكنـه وضـع يـده ليجـد ورقتـه التـي دسـها في أول محاولـة لـه في السـوبر ماركـت في الحـارة ليتحـدث إليهـا والتـي كتـب فيهـا: «أحبـك يـا همسـة وليتنـي أقولهـا أمـام النـاس». قلبـي لا يقـوى عـلى كل هـذه المفاجـآت يـا همسـة، فقـد رق قلبـي ورق حتـى أصبـح كعيونـك التـي أرى فيهـا المـاضي والحـاضر والآتي. تعـالي يـا أغـلى النـاس.

وقـف د. توفيـق مرحبًـا وأخذهـما إلى صالـة الغـذاء، فقـد تعـود النـزول في هـذا الفنـدق كلـما جـاء إلى طوكيـو. أخذهـما النـادل إلى طاولـة في مـكان مرتفـع

قليلًا عن باقي الطاولات والتي كتب عليها: مع تحيات د. تاناكا للعروسين والباحثين والأستاذين. كانت لمسة رائعة بكل المقاييس، أضافت نوعًا آخر من السعادة إلى يوم المفاجآت، يوم العمر الذي لن ينساه خالد ولا همسة.

طلب خالد من النادل أن يحضر كاميرا ليلتقط صورًا لهما لتسجل أحلى وأجمل أيام العمر هذه في طوكيو. وقبل أن ينهي النادل تصويره فوجئ بدكتور تاناكا وبين يديه صحبة ورود يهديها إلى همسة، فكانت في الصور رمزًا للفرحة وصفاء اللقاء. أهلًا يا همسة، أتمنى أن تكون طوكيو مدينتك الثانية بعد القاهرة وأنا هنا لست فقط أستاذًا لخالد، ولكن أبًا لك دائمًا، وعلى استعداد لتذليل أي عقبات.

ملأت الفرحة قلب همسة واغرورقت عيناها بدمعات السعادة والحب وهي تشكره وعيناها تتواصل مع عيون خالد بنظرات لا يستطيع فك شفرتها إلا الأحباء.

امتد الغذاء وامتد الحديث وكانت همسة هي محور الكلمات، فقد كانت المفاجأة الكبيرة والجميلة التي جعلت شهية خالد مفتوحة للتلذذ من الأكلات اليابانية للمشهورة مثل السوشي والتنبورا والساشيمي التي كان دائمًا يتجنبها ويضطر في معظم الأحوال أن يطهو بنفسه. حقًّا إن الحب واللقاء مع أنفاس المحبين تعيد تشكيل ليس فقط الحواس ولكن أيضًا كيمياء وفيزياء المشاعر والجسد.

غادر د. تاناكا الجمع متمنيًا للجميع عطلة نهاية أسبوع جميلة، فاليوم الجمعة، وهناك متسع للتجوال في المدينة السبت والأحد. أما د. توفيق فكان منتشيًا جدًّا بصحبة خالد وهمسة، وكأنه مأذون طوكيو أو فيلسوف الحب أو كاتب أساطير العشق في سالف العصر والأوان.

انتقل الثلاثة إلى صالة أخرى لاحتساء المشروبات الساخنة، وقد أخذ د. توفيق كرسيا مناظرًا لكرسي خالد وهمسة ليستطيع أن ينظر إليهما وهو يحتسي شرابه الساخن متلذذًا بغليونه ودوائر الدخان المتصاعدة منه والتي ينظر إليها وكأنه يستحضر أحداث العمر في هذه الدوائر لتأخذه وتعلو به إلى السماء ولسان وأفكار حاله تكاد تقول أرى فيكما مثلًا لمشاعر

الحب التي ما زالت تروي جنبات الحياة كجسر تعبر عليه مشاعر الحب والإخلاص بين قلبي وقلب زوجتي الحنونة.

لكم أنا سعيد بكما يا خالد فأنتما عندي مثل البروتونات والنيترونات في الذرة، قابعة هناك تحتضن بعضها البعض فتتماسك الذرة، ويستقر قلبها، ونصيحتي لكما أن تهتموا دائمًا بالإلكترونات السالبة التي تدور حولكما، فمع أنها ليس لها وزن إلا أنها تحول الذرة إلى كيان هائج غير مستقر بمجرد أن تترك مدارها وتهرب.

أنا سعيد بكما لأنكما تمثلان لي الفطرة البيولوجية الصافية، وتمثلان لي التفاعلات الكيميائية التي تسير في اتجاهين، فلا هناك فارق بين النواتج والمدخلات، فكل يستطيع أن يتحول إلى الآخر وبدون تضحيات.

أنتما الكيمياء والفيزياء والبيولوجيا في أجمل صورها، بل إن تزاوج أرواحكما هو الفيزياء الحيوية نفسها التي تتزاوج فيها الفيزياء بالبيولوجيا لتمتعنا بأجمل وأخلص تزاوجات المواد.

ما كل هذا يا د. توفيق؟! أأكل السوشي والساشيمي له كل هذا السحر في البيان وتزاوج كلمات العلم بالأدب؟! إنه لكلام رائع حقًّا وأثار في نفسي الشوق والرغبة أن أرسم أفكارك الجميلة هذه لأجسد هذا التزاوج الفريد. إنها حقًّا لفكرة أكثر من رائعة يا همسة فلم يتطرق إليها أحد من قبل على الإطلاق.

إذن فلتكن هذه هي مشروع بحثك في الماجستير «التعبير الرمزي لتزاوج الثوابت العلمية والتعبيرات النفسية لدى الإنسان». ما رأيك يا خالد في هذا التفكير الانسيابي اللحظي الذي لا يتأتى إلا بوجود الحب المتطلع إلى أنوار الطموحات الذكية؟

أنا لا أقدر على فلسفتك هذه يا أستاذنا، فأنت لست فقط عالم فيزياء حيوية ولكن عالم فلسفة حيوية. د. توفيق يا همسة يعشق الفلسفة ولكن الآن وفي هذه اللحظات أصبحت تعشقه الفلسفة، وتتمنى أن يرضى عنها بل ويتزوجها إذا رضي.

ضحك د. توفيق على تعبيرات خالد عاليًا وكأن الضحكات تسكن شفاه وتتناثر من بين ملامح وجه الرائق: شكرًا يا خالد على فلسفتك التنكرية هذه، أنا فعلًا كنت أتمنى يا همسة أن أدرس الفلسفة وأتخصص فيها، ولكني تعلمت من دراستي للعلوم عمومًا وعلوم الفيزياء الحيوية خصوصًا كيف أفلسف الأمور وكيف أستنبط الفلسفة من مهدها، وتلك هي قمة الفلسفة العملية وليس فقط اللغوية. ولا تنسي يا همسة أننا في حقل العلوم نتخصص بناءً على دراسة دكتوراه الفلسفة في العلوم. صحيح د. توفيق أنا درست فعلًا فلسفة العلوم في محاضرات تمهيدي الدكتوراه والتي كنت أعشقها لأنها تجعلني أرى العلم بعيون الفلاسفة.

والآن ما قولك يا همسة في هذه الفكرة الطائشة لرسالة الماجستير؟ إنها ليست طائشة د. توفيق، بل إنها عبقرية لا يستطيع أن يصل إليها حتى المتخصصين، إنها فكرة تنبت منها بذور خيال الفن الذي قد يطرح ألف فكرة وفكرة.

حسنًا فلتحتفظي بها في دولاب أفكارك حتى لا تتبعثر أو تفقد بفعل زحمة الأفكار.

كلماتك تحثني أن أدونها الآن أستاذي، وأنا بالفعل أحببت الفكرة، ولسوف أجعلها مثل الإسفنجة تمتص عصارات الأفكار لتبقى ممتلئة ولا تتغير.

ما كل هذه الفلسفة يا همسة؟! لم أكن أدري أنك فيلسوفة وعاشقة لرمزية الكلمات!

كيف لا تعلم يا خالد وأنا أحبك أنت، وأنت لي رمز كل الكلمات، اسمك حمل كل الأسماء واحتواها فأصبح خالدًا في قلبي، وحبك رمزًا لفلسفة العشق الذي لا يهزم، أهيم عشقًا في همساتك وأبحر في نظراتك، وأذوب في حنين كلماتك، وحبك ولد من حبي فلسفة الكلمات.

ابتسم خالد: ما كل هذا الكلام الجميل يا همسة، إنه لحديث المساء الذي تمطره القلوب لتخفف عنا عناء لهيب الحب ولوعة اللقاء.

ضحك خالد قائلًا: أشربنا دون قصد مشروبًا بمنقوع الفلسفة الذائب في مياه الحب؟

أعتقد أنه مشروب جديد على قائمة المشروبات في هذا الفندق.

ضحك د. توفيق وهمسة: واضح يا خالد أنك أصبحت تنظر إلى كل شيء بعيون المحلل والمدقق والمفسر باحثًا عن الجديد الكامن في لب الأشياء حتى التي لا نعلم عنها شيئًا، تمامًا كما فعلت في تحليلك لظاهرة البرق والرعد حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من أشعة جديدة تتحكم في الوقت على أمل أن تبيعه للناس.

ضحك خالد وهو ينظر إلى همسة، نعم د. توفيق، كنت أبحث عن كل ظاهرة تأخذني إلى التفكير بعيدًا وأنا أتشوق إلى حب ولقاء همسة، ولكن نفس الأشياء هي التي أراد الله أن تأخذني قريبًا من همسة حتى وضعتني بين يديها لأكون هناك طوال العمر.

آه منك يا خالد، تربط كل شيء بحبك لهمسة، هنيئًا لكِ يا همسة على هذا العقل الذي كله قلب وحنو.

إذا كان الأمر كذلك يا عزيزي، ماذا تقول فيما عرضت على همسة من فكرة لرسالتها؟ إنها فعلًا فكرة رائعة وقد تفيد مشروعنا جدًّا.

وكيف ذلك يا خالد؟ أهناك ربط بين الفن والتخيل والتحكم في الوقت، أفدنا وأرنا يا فيلسوف الأشعة غير المرئية؟

نعم، فالتغيرات النفسية ما هي إلا تغيرات في جزيئات الخلية والتي تحدث في تناغم عالٍ وكأنها سيمفونية من التفاعلات البيوكيميائية التي تحدث في مسارات محددة صعودًا وهبوطًا على أرض سيتوبلازم الخلية من خلال تسلسل حفظته الخلية عن ظهر قلب، فالفرحة ما هي إلا انعكاس لمجموعه من التفاعلات بين نوع محدد من الجزيئات في خلايا المخ والتي بدورها تتصل بخلايا الوجه لتؤثر في جزيئاتها التي تتفاعل هي الأخرى فيما بينها فيظهر التأثير في هيئة ابتسامات أو ضحكات حسب شدة التفاعل وطوله أو قصره، وما الجزيئات هذه إلا خليط من البروتينات والدهون

والسـكريات ولكـن بنسـب محكمـة، وقـس عـلى ذلـك الحـزن والغضـب والانزعـاج والتعجـب والانبهـار والتعبـير عـن المفاجـآت. فـما ردود فعـل الإنسـان إلا جزيئـات عبئـت في الخلايـا للتفاعـل بطـرق مختلفـة لتعطـي التفاعـل النفـسي حسـب الحاجـة، وقـد أشـبه ذلـك بالبيانـو، فـما الألحـان السـعيدة والحزينـة والأنغـام العاليـة والمنخفضـة والسريعـة والبطيئـة إلا نتيجـة تفاعـل الأصـوات الصـادرة مـن مجموعـة أصابـع البيانـو بعـد النقـر عليهـا بأصابـع العـازف. وهكـذا الإنسـان يعـزف تعبيراتـه النفسـية بالنقـر عـلى جزيئاتـه البيولوجيـة.

أحسـنت يـا خالـد، مـا أروع تحليلاتـك وتشـبيهاتك، فعـلًا مـا أنـا وأنـت وهمسـة إلا عـزف منفـرد لنفـس البيانـو، ولكـن بأصابـع وأمزجـة مختلفـة. ولذلـك يـا دكتـوري العزيـز فـإن همسـة بحسـها العـالي تسـتطيع أن ترسـم بريشـتها وأقلامهـا التغـيرات النفسـية وتربطهـا بالتغـيرات البيولوجيـة في الخليـة أثنـاء الإبحـار في الأزمنـة. ولكـن كيـف لهـا أن تـرى هـذه التغـيرات يـا خالـد؟ سـهل أن نوصـل بـرأس المتـبرع أسـلاكًا تسـتطيع تسـجيل التغـيرات الجزيئيـة سـواء عـلى مسـتوى سـطح الخليـة كـما يحـدث في رسـم القلـب أو داخـل الخليـة، كـما يحـدث تحـت الميكروسـكوب الإليكـتروني. أمـا التغـيرات النفسـية فسـوف تنعكـس مـن دمـاغ المتـبرع عـلى الكامـيرا مبـاشرة، وهنـا تتأمـل همسـة تلـك التغـيرات النفسـية والبيولوجيـة لتخـرج برسـومات واقعيـة بريشـه الفنـان. فعـلًا يـا خالـد، الفكـرة سـهلة التنفيـذ حقًّـا، ومـا عليـك إلا أن تناقـش د. تانـاكا فيهـا، وإن أردت نناقشـها نحـن الثلاثـة معـه لـشرح الزوايـا المختلفـة للموضـوع.

ولكن د. تاناكا ليس المشرف على رسالة الماجستير.

لا تقلقـي يـا همسـة فالنظـام هنـا يسـمح للطالـب أن يختـار المشرفـين عـلى أبحاثـه وأنـتِ تسـتطيعين أن تطلبـي د. تانـاكا مـن ضمـن هيئـة الإشراف عـلى رسـالتك وليـس بالـضرورة أن يكـون هـو المـشرف الرئيـسي، ولكنـه قـد يسـاعد في تحديـد مـن لـه درايـة واهتـمام بمثـل هـذه الفكـرة الجديـدة والجريئـة.

رائـع يـا خالـد، واضـح أن الأمـور تسـير سريعًـا مـن أول يـوم ولم أكـن أتصـور ذلـك أبـدًا.

نعـم يـا همسـة، ولكـن أمـور الحيـاة مثـل ميـاه النهـر الواقفـة لا تتحـرك وتسـير إلا إذا ضربتهـا ذراع سـباح أو مجاديـف قـارب أو محـرك لانـش، فتجـري المياه بقـدر قـوة وسرعـة الضربـات، وهـا نحـن نـضرب في أمسـيتنا ميـاه أفكارنـا لتجـري في أدمغتنـا أنهـارًا وروافـد تـروي عطـش العلـم.

جميـل يـا د. توفيـق سـوف ألخـص مـا ناقشـناه اليـوم وأنظـم الأفـكار وأرتبهـا وأحللهـا لتكـون جاهـزة في أول لقـاء مـع د. تانـاكا. ومصداقًـا لتشـبيهاتك يـا د. توفيق فسـوف أهديكـم الآن أنغامًـا مـن ألحـاني عـلى البيانـو الرابـض في ركـن القاعـة هناك.

مـا أروعـك يـا همسـة، كلي شـوق أن أسـمع ألحانـك عـلى الهـواء فطالمـا تمنيـت ذلـك، البيانـو لـكِ فهـو هنـا لمـن يريـد فاعـزفي عليـه كـما تشـائين.

مـا وضعـت همسـة أناملهـا الرقيقـة عـلى مفاتيـح البيانـو إلا وقـد انسـابت ألحـان رقيقـة سـعيدة منتشـية تراقصـت عليهـا عيـون الحاضريـن وقلـب خالـد وعقـل د. توفيـق، وكأن أنامـل همسـة مسـتودع يبعـث الألحـان ويوزعهـا لتؤثـر في العـين أو العقـل أو القلـب حسـب مـا يريـده قلبهـا، فـكان نصيـب خالـد دون الحاضريـن الألحـان التـي تدغـدغ القلـب وتملـؤه بأحـلى المشـاعر. صفـق الحاضريـن لعـزف همسـة الرائـع فوقـف خالـد منتشـيًا وفخـورًا وسـعيدًا ممسـكًا بيدهـا مخاطبًـا الحاضريـن وبـكل سـعادة، إنهـا خطيبتـي، إنهـا حبيبتـي، إنهـا ألحـاني وأنـا نوتتهـا الموسـيقية.

زاد إعجـاب الحاضريـن بهذيـن الحبيبـين وصفقـا لهـما كثـيرًا وكأن الجميـع أراد أن يحتفـل بلقائهـما دون أن يـدروا أن هـذا هـو اليـوم الأول لعشـاق الحـب في طوكيـو.

الآن جـاء وقـت النـوم يـا أصدقـاء، فسـوف أترككـم لأذهب إلى غرفتـي لأمارس طقوسًـا مـا قبـل النـوم مـن قـراءة واسـترخاء وتأمـل حتـى تتفاعـل جزيئـات النوم بــخلايا دماغـي وترسـل إشـاراتها إلى خلايـا العـين لتتفاعـل جزيئاتهـا هـي الأخـرى فيغلبنـي النـوم. ضحـكا خالـد وهمسـة: تصبـح عـلى كل خـير يـا أسـتاذ ونـراك صباحًـا إن شـاء اللـه متمنيـين لـك تفاعـلات هادئـة لجزيئـات نومـك. تصبحـون عـلى خـير، وأنـت يـا خالـد لا تتأخـر كثـيرًا حتـى تجـد مواصـلات إلى سـكنك، وكفـى لـك اليـوم مـن مفاجـآت مـع همسـة، ولا تخـف فسـوف أتركهـا لـك في

طوكيـو ولا آخذهـا معـي.

ضحكـت همسـة قائلـة: لقـد نفـذت مفاجـآت اليـوم، فـلا تقلـق يـا د. توفيـق فأنـا أيضًـا جزيئـات النـوم عنـدي عـلى أهبـة الاسـتعداد للتفاعـل، ولكـن جزيئـات الاشـتياق للحديـث مـع خالـد تتغلـب عليها.

حسـنًا يـا أولاد ولكـن فلتكونـوا رحيمـين وعادلـين مـع كل الجزيئـات، فـكل لـه حقـه. نعـم نعـم أكيـد ولسـوف نفعـل، تصبـح عـلى كل خـير.

لـو علمتـم الغيـب لاخترتـم الواقـع، مـا أحـلى وقـع هـذه الكلـمات يا همسـة، فالواقـع وإن كان أليـمًا أحيانًـا إلا أنـه قـد يجلـب لنـا السـعادة فيـما بعـد. فـلا أحـد يعلـم مـا الـذي سـوف يحـدث غـدًا، اللـه وحـده يعلـم.

فعـلًا يـا خالـد، فـما علينـا إلا نبـذل قصـارى جهدنـا ونـترك الأمـر كلـه للـه، وهـا نحـن خـير مثـال عـلى ذلـك، افترقنـا في مـصر والتقينـا في اليابـان، ولم نكـن نفكـر أبـدًا في ذلـك ولكنهـا مشـيئة اللـه الـذي أوجـب الفـراق واللقـاء.

نعـم يـا همسـة، ولذلـك يجـب أن نختـار ونسـعد بواقعنـا الآن أيمـا سـعادة. أنـا سـعيدة بـه طالمـا أنـا معـك يـا خالـد، فالسـعادة إحسـاس وأنـا كلي يملـؤني هـذا الإحسـاس.

فلنقم الآن يا همسة ونتصل بوالدتك لتطمئن عليكِ حتى يهدأ بالها.

فعلًا يا خالد، لقد كنت أنوي ذلك بعد أن تتركني.

الأفضل أن نتصل بها ونحن سويًّا لكي أطمئنها أنا بنفسي من تليفوني.

كانـت فرحـة الأم عارمـة أن سـمعت خالـد وهـو يطمئنهـا عـلى ابنـة العمـر كلـه والـذي لم تتمالـك وبكـت وهـي تحـدث همسـة.

الآن جـاء وقـت هبـوط طائـرتي المحلقـة في سـمائك وإلا سـوف تبقـى طائـرة تـدور حـول محيـاكِ. ضحكـت همسـة كالطفلـة البريئـة التـي تتمنـاه أن يبقـى، ولكـن هـو أيضًـا في حاجـة للراحـة ووقـت للعـودة: لا يـا أسـتاذ، أريـدك أن تهبـط بطائرتـك حتـى لا ينفـذ وقـودك وأنـا أحتـاج إلى كل نقطـة منـه، اذهـب الآن حبيبـي وأراك صباحًـا أو مسـاءً كـما تشـاء.

سـوف آتي لـكي صباحًـا لـكي آخـذك في جولـة إلى المدينـة الكبـيرة والجميلـة

والتـي ازداد جمالهـا بجمالـك أنـتِ حبيبتـي. تصبحـين عـلى كل خـير، واطلبينـي إذا أردت أي شيء.

عانقت همسة خالدًا بعينيها وهي تنشده: أحبك خالد، مع السلامة.

الاحتفال بلقاء السحاب بين همسة وخالد بطوكيو

«عندما تهتز أفكار العقل على دق طبول القلب تخرج المشاعر في زفة من أفراح رضا النفس فترقص لفرحها العقول الراقية وتغني لها القلوب الصادقة وعندما يتحقق الأمل من بعد ألم تهب النسائم وترقص الزهرات وتغني الحمائم وينام الليل ويصحو النهار ويبتسم الوجود».

السماء ترتدي ثوبها الأزرق الفاتح، وتزين عنقها بعقد من الكواكب المتلألئة، ويتوسط صدرها القمر يشع نوره على جسد الكون الذي يفسح لخالد كل الطرق ويمهدها لحبه الذي ينمو في أنحاء جسده. آه يا سماء الكون، لكم رأيتك مرارًا وتكرارًا، ولكني لم أرَكِ مثل اليوم، كيف يفعل الحب بالعقل والقلب والحواس فعل السحر هكذا؟! الحواس هي الحواس، والناس هي الناس والأمكنة هي الأمكنة والسماء هي السماء ولكن الإحساس غير الإحساس، إنه الحب الذي يشكل الأحاسيس بين عشية وضحاها.

كيف حالك يا خالد وحال همسة ودكتور توفيق؟ أتمنى أن تكونوا قد أمضيتم عشاءً لذيذًا وأمسية رائعة على قدر الحدث وعلى قدر طوكيو الفتية يا عزيزي. أعتقد أننا أمضينا أمسية رائعة حقًّا يا محمود، أمسية مليئة بالمفاجآت الرومانسية والفلسفية والعلمية بفضل حوارات د. توفيق، ليتك كنت معنا يا عزيزي. أنا لست من هواة الفلسفة يا دكتور، أنا رجل واقعي، فالفلسفة هي طريق من يعاند الواقع ليعيش الخيال. خطأ يا عزيزي، ولكن من الصعوبة تصحيحه بمكالمة تليفونية، متى أراك يا عزيزي.

يا خالد، أنا أتصل بك الآن لأدعوك وهمسة لحفل ينظمه بيت الطلبة الأجانب، ولقد علمت به لتوي، وهو فرصة جميلة لهمسة لكي تتعرف على الطلبة الجدد مثلها ولك أيضًا لتقضي وقتًا جميلًا معها وللدكتور توفيق لكي يتعرف على بعض أنشطة الطلبة خاصة، وأن هناك أنواعًا من الطعام

مـن كل دولـة مجانًـا. ولكـن لسـت أدري إذا كانـت همسـة تريـد أن تـأتي لأنهـا مؤكـد متعبـة ولكنـي سـوف أحـاول معهـا.

لا يـا عزيـزي، لا مفـر مـن أن تـأتي معـك وكذلـك د. توفيـق خاصـة أنـه مـن المحتمـل أن يحـضر د. تانـاكا ليكـون بـين طلابـه. إذا كان الأمـر كذلـك فسـوف نـأتي جميعًـا بـلا جـدال.

إذن سوف آتي لكم بسيارتي على العصر لنكون هناك قبل افتتاح الحفل.

أوك يا محمود، في انتظارك.

إنـه يـوم السـبت، أحـلى أيـام الأسـبوع، ففيـه يسـترخي النـاس ويسـتمتعون بالوقـت أيًّـا كانـت طريقـة الاسـتمتاع، وهنـا بيـت الطلبـة الأجانـب الـذي قلـما أن يخلـو مـن نشـاط مرتـين في الشـهر في برنامـج ينظمـه الطلبـة أنفسـهم ويشرف عليـه إدارة البيـت نفسـه.

أهـلًا بـك يـا خالـد، مؤكـد أنـتِ همسـة التـي لا ينقطـع لسـان خالـد عـن ذكـرك، أنـا السـيد زميـل خالـد.

ردت همسـة بابتسـامة هادئـة: أهـلًا يـا دكتـور السـيد، وأنـا همسـة بشـحمها ولحمهـا وثيابهـا، فهـل أبـدو كـما وصفنـي خالـد أم أبـدو إنسـانة أخـرى؟

بالطبع كما وصفك تمامًا، ولذلك كان من السهل التعرف عليكِ.

أهلًا بكم في هذا الاحتفال الذي تملؤه الفرحة بقدومكما.

فجـأة ظهـر محمـود بإطلالتـه المرحـة: تعـالي يـا خالـد لنجلـس سـويًّا هنـا إلى أن يبـدأ الحفـل ودع همسـة تـروح وتجـيء لتتعـرف عـلى الطالبـات لعلهـا تجـد صديقـة. أنـت نعـم الصديـق يـا محمـود، أنـا فخـور بـك وأحببتـك لشـخصيتك الرائعـة الصافيـة المنطلقـة.

شـكرًا د. توفيـق، أنـا أتـصرف بطبيعتـي لأكـون أنـا ولا أشـغل بـالي كثـيرًا بمـن حـولي إلا لـكي أحبهـم أو أغفـر لهـم إذا أهمـوني. رائـع يـا محمـود، فهـذا قمـة الإحسـان في فنـون التواصـل الاجتماعـي.

أنـا أعـرف يـا محمـود مـن الأفـلام أن اللبنانيـين أرقـى الشـعوب وأكثرهـا تقدمًـا بالفطـرة في فـن التواصـل الفـردي والاجتماعـي. ضحـك محمـود. نعـم نعـم، ولذلـك فهـم ماهـرون في فنـون التجـارة.

وهل أنت ماهر في التجارة يا عزيزي؟

ضحـك خالـد ورد عـلى الفـور: مؤكـد يـا دكتـور توفيـق، فهـو ماهـر جـدًّا في تجـارة القلـوب، فقلبـه سـوق كبـير يعـج بـكل أنـواع القلـوب، فمنهـا الأبيـض والأسـود والرمـادي والكاروهـات وغـيره. ولكـن قلبـي دون القلـوب يـا خالـد مـا زال أبيـض شـفافًا، فهـو يبقـى والقلـوب عابـر سـبيل.

لا يـا محمـود، حـاول أن يكـون قلبـك مينـاء واحـدًا ترسـو عليـه سـفينة الحيـاة المحملـة بمشـاعر قلـب واحـد، هـو قلـب الحبيـب، واتـرك باقـي القلـوب لأصحابهـا.

أعـدك كـما وعـدت خالـد مـن قبـل أن يكـون قلبـي مينـاء واحـدًا لحـب واحـد.

الآن جـاء وقـت الحفـل، نـادِ عـلى همسـة يـا خالـد لنذهـب للطابـق العلـوي حيـث الحفـل، فالـكل سـبقنا وقـد تأخرنـا وأري د. تانـاكا قادمًـا هنـاك فلنسـتعد لنصحبـه إلى أعـلى. أخـذ د. تانـاكا خالـد وهمسـة بـين ذراعيـه ووراءهـما د. توفيـق والسـيد وهـم يصعـدا درجـات السـلم فبـدا د. تانـاكا، وكأنـه يقـدم همسـة وخالـد كعروسـين، ولم تشـأ همسـة إلا أن تبتسـم لخالـد عـلى موقـف د. تانـاكا فمؤكـد أنـه سـعيد بهـما، ولكنهـا لا تـدري هـي ولا خالـد لمـاذا يفعـل ذلـك؟ وفي اللحظـة التـي دلـف فيهـا د. تانـاكا الصالـة الكبـيرة التـي بهـا الحفـل دوت زغاريـد الأفـراح المصريـة مـن جوانـب الصالـة.

لاحـظ خالـد وهمسـة كوشـة مهيـأة لعروسـين لم يأتيـا بعـد. همسـت همسـة لخالـد: واضـح أننـا أتينـا في اليـوم المناسـب وذكـرى مناسـبة، جميـل الحفـل وهـو فـأل جميـل لي ولـك يـا خالـد.

من العريس يا محمود؟ أأعرفه أو أسمع عنه؟

نعم يا حبيبي، تعرفه جيدًا وعروسته في الذراع الأخرى لدكتور تاناكا.

ما رأيك في هذه المفاجأة يا دكتور توفيق؟

إنها مفاجأة المفاجآت يا محمود، أنا قلت لك إنك صديق رائع بمعنى الكلمة.

فعلًا يا دكتور توفيق، هي الصداقة بعينها، وقد فاجأني أيضًا من قبل باحتفال رائع في عيد ميلادي والذي كان من أجمل الذكريات في طوكيو، وها هو اليوم يفاجئني أكثر بأحلى وأجمل المفاجآت. إنه ليس لنا يا عزيزي بل هو د. تاناكا الذي يقف وراء كل شيء، وما أنا إلا رأس حربة الأفكار.

لم تصدق همسة ما يحدث، فهو خارج توقعاتها تمامًا، ولم تستوعب أنها وخالد هما أصحاب الاحتفال إلا بعد أن تقدم د. تاناكا، وأخذا بأيديهما إلى الكوشة ووراءه د. توفيق الذي ما زال مشدودًا هو الآخر من جمال المفاجأة، وغنى الجميع ورقص الأصدقاء على أنغام عبد الحليم وأم كلثوم وعمرو دياب، وغنى محمود الهوارة للعروسين، فكان الحفل كألف ليلة وليلة لهمسة وخالد وكأنها في أحلى فنادق القاهرة.

بعد التطور الذي تم على الجهاز وخاصة وقت التعرض الذي استطعنا أن نزيده إلى خمس دقائق وكذلك دقة تأثيره كما حدث معك عندما كنت تقف بجوار السيد وهو مبحر في الزمن دون أن يؤثر فيك، وكذلك دقته في الإبحار في اتجاه واحد تجاه الماضي أو المستقبل، فما رأيك يا خالد بأن نؤكد ذلك على عدد من المتطوعين الذين يرغبون بشدة في استخدام الجهاز؟

فعلًا فكرة ممتازة د. توفيق، فأنا أيضًا جربت استخدام الجهاز للإبحار في الماضي وقد كان رائعًا.

نعم، أتذكر هذا من آخر تقرير قدمته لي، ولكني أفضل أن يكون جميع المتطوعين من الأصحاء والبالغين ومن الرجال. أوافقك الرأي يا خالد، ولكن هناك متطوع واحد مصر على تجربة الجهاز، ولكنه يعاني من سرطان المخ، وقد قابلته وحاولت أن أثنيه عن رغبته إلا أنه أصر إصرارًا غريبًا على تجربة الجهاز ليس هو فقط ولكن زوجته وابنه، ولو كان يتكلم الانجليزية لكنت قد قابلتك به لتتحدث إليه.

ولكن هذا ليس في خطتنا الحالية يا أستاذ، فلماذا نقبل إصراره؟

أعتقـد أني تعاطفـت معـه فهـو في حالـة حرجـة ومتقدمـة مـن المـرض، وعـلى أيـة حـال أنـا تحدثـت مـع طبيبـه الـذي أكـد لي بالمسـتندات عـدم اسـتجابته لأي نـوع مـن أنـواع العـلاج، تسـتطيع أن تقـول أنـه في حالـة ميئـوس منهـا وهـو سـوف يوقـع عـلى أي إقـرارات نريدهـا فكـما قـال: مـاذا تفعـل جرعـة أشـعة ضوئيـة لي لـكي أخـاف وأنـا قـد تعرضـت لجميـع أنـواع الأشـعة الكونيـة؟ ولكـن مـاذا عـن زوجتـه وابنـه؟ هـو أراد أن يطمـئن بعقيدتـه اليابانيـة أن ابنـه سـوف يكـون في مأمـن مـع وزوجتـه بعـد رحيلـه وهـما أيضًـا يرغبـان في التجربـة، وعـلى اسـتعداد لكتابـة أي إقـرارات.

كـما تشـاء أسـتاذي، ولكـن أنـا أقـترح تغيـير خطـوات ومراحـل البروتوكـول رسـميًّا قبـل أن نقبـل عـلى هـذه المرحلـة.

خاصـة أننـا سـوف نجـري التجربـة عـلى ثـلاث حـالات ليسـوا مقيديـن في البروتوكـول الحـالي.

حسـنًا يـا خالـد، جهّـز الأوراق لـكي أقدمهـا في مجلـس أخلاقيـات البحـث العلمـي للمعهـد الـذي سـوف ينعقـد مـن حسـن حظنـا بعـد غـد.

المتـبرع يبـدو واهنًـا مـن شـدة المـرض، ولكنـه مـا زال مصمـمًا عـلى تجربـة الجهـاز.

رحـب خالـد بـه وهـش لـه بالطريقـة اليابانيـة وجلـس بجـواره وهـو يشـاهد فيلـمًا تسـجيليًّا عـن آليـة عمـل الجهـاز، وكيـف أن الأشـعة التـي تتولـد منـه هـي مجـرد أشـعة ضوئيـة عاديـة، ولكـن بـترددات محـددة وتوليفـة معينـة تـسري في عصـب اليـد لتصـل إلى المـخ لتتأثـر مراكـز معينـة والتـي تختـزن خلاياهـا معلومـات العمـر الخاصـة بالمـاضي أو المسـتقبل فتنسـاب تلـك المعلومـات كالحلـم ولكـن بأحـداث مرتبـة ومنظمـة.

ابتسـم الرجـل مبديًـا إعجابـه بالفكـرة وبسـاطتها والتـي يتمنـى أن تكـون حقيقيـة في مخـه الـذي يحمـل كتلـة ورميـة، فهـو لا يـدري إذا كان نفـس التأثـير مـن الممكـن أن يتـم في خلايـا مخـه التـي تعـاني المـرض أم لا. نحـن أيضًـا لا نـدري،

فهـذه أول محاولـة، ولكـن الأمـل موجـود أن تؤثـر الأشـعة ولا يلغـى تأثيرهـا بوجـود الـورم. تـم توصيـل الجهـاز بيـد المتـبرع تحـت رعايـة طبيـب المعهـد، وبرمـج خالـد عـداد الجهـاز عـلى توليفـة الأشـعة التـي تبحـر في المـاضي ولمـدة دقيقتـين، وتـم تشـغيل الجهـاز بعـد التأكـد مـن توصيـل الكامـيرا لتسـجيل أي تغـيرات نفسـية قـد تبـدو عـلى الوجـه أو باقـي الجسـد للمتـبرع. ولتقليـل التأثـير النفـسي لوجـود أشـخاص حـول المتـبرع أثنـاء عمليـة الإبحـار صمـم خالـد غرفـة صغـيرة للمتابعـة لا يعلـم بهـا إلا الباحثـون بمـا فيهـم الطبيـب مـزود بهـا شاشـة عـرض تبـث عليهـا الكامـيرا.

عـلا وجـه الرجـل العبـوس مـع انقباضـات متباينـة لعضـلات الوجـه تـدل على الانزعـاج والحـزن والغضـب والاكتئـاب، ثـم انفرجـت أسـاريره والتـي انعكسـت في موجـات أخـرى مـن انبسـاط عضـلات وجهـه بدرجـات مختلفـة تصـل في بعـض درجاتهـا إلى الابتسـام والرضـا والطمأنينـة وأحيانـا أخـرى إلى الضحـك.

لقـد بـدا الأمـر للجميـع أن الجهـاز يعمـل مـن أول وهلـة كـما يبـدو مـن التغـيرات التـي تنعكـس عـلى وجـه الرجـل فتهلل وجـه د. تانـاكا وخالـد والطبيب لدرجـة جعلـت وجـه خالـد يتجـاوب مـع تغـيرات الرجـل كلـما شـاهد تغـيرًا واضحًـا يعكـس حالتـه النفسـية. وقـد تجاوبـت زوجتـه هـي الأخـرى وكأنهـا تعلـم الأسرار النفسـية والتوقيتـات اللحظيـة التـي كان الرجـل يعلـو فيهـا ويهبـط بموجـات أسـارير وجهـه.

انتهـى الوقـت أوتوماتيكيًّـا بعـد ثـلاث دقائـق، ومـن خـلال غرفـة التحكـم تـم إطفـاء عـداد ومولـد الأشـعة تمامًـا، ولمـدة خمـس دقائـق راحـة للمتـبرع ووقـت فاصـل بـين الأزمنـة التـي يبحـر فيهـا المـخ.

النتائـج المرئيـة مشـجعة يـا أسـتاذي، فقـد سـجلت أعيننـا وأعـين الكامـيرا التغـيرات الواضحـة عـلى وجـه الرجـل والتـي تشـير أن هنـاك أحداثًـا مـا قـد رآهـا وأعتقـد أنهـا في زمـن المـاضي.

أنـا أعتقـد ذلـك أيضًـا يـا خالـد، وسـوف تثبـت التحليـلات النفسـية كل ذلـك، ولكـن علينـا الآن أن نسـتعد للأهـم وهـو الإبحـار في المسـتقبل، وهـو الـذي يهـم الرجـل كثـيرًا نظـرًا لحالتـه المرضيـة.

رد د. توفيـق والـذي كان يراقـب الموقـف عـن كثـب أن أحـداث المـاضي سـهل إدراكهـا وإرجاعهـا؛ لأنهـا قابعـة هنـاك في مخـزون العقـل عـلى هيئـة شريـط مـن الكلـمات في صـورة جزيئـات يتـم تشـغيلها بأوامـر مـن العقـل الباطـن، والتـي تختلـف قـوة إرجاعهـا إلى مـدى قـوة وصفـاء العقـل الباطـن، أمـا أحـداث المسـتقبل والتـي لا يعلمهـا إلا اللـه فمـن الصعـب جـدًّا الإبحـار فيهـا حتـى في العقـول السـليمة؛ لأن وجودهـا فـرضي أو تنبـؤي عـلى خلفيـة أحـداث الحـاضر والمـاضي إلا إذا أراد اللـه أن يهيـئ للمـخ صفـاءً وفريـة خاصـة يسـتطيع بهـا الاسـتدلال عـلى مـا قـد يحـدث في المسـتقبل القريـب والبعيـد. ولذلـك فـإني أقـترح وإن كان ليـس وقتـه الآن أن يكـون وقـت الإبحـار في المسـتقبل أطـول بكثـير مـن الحـاضر والمـاضي، وأن يكـون متصـلًا معهـما وليـس منفصـلًا حتـى يسـتطيع العقـل أن يتنبـأ عـلى أرضيـة واقـع ومـاضٍ. نعـم د. توفيـق، فكرتـك معقولـة ولنناقشـها قبـل أن تعـود إلى مـصر.

انتهـت الخمـس دقائـق د. تانـاكا، ولقـد انتهيـت مـن شرب العصـير وأنـا جاهـز للجولـة الثانيـة. وعـلى عكـس مـا توقعـه د. تانـاكا وخالـد والفريـق البحثـي جـاء الصـوت مـن داخـل الغرفـة الزجاجيـة مملـوءًا بـالحماس للإبحـار في المسـتقبل، وهـذا الحـماس المفاجـئ للمريـض الـذي يعـاني مـن وهـن الأورام يفـسر كيـف أن الحالـة النفسـية للإنسـان تؤثـر وبصـورة مبـاشرة عـلى الصحـة العامـة والتغلـب عـلى المـرض كـما سـجل في حـالات كثـيرة مـما يـدل عـلى أن التطلـع إلى المجهـول بـروح عاليـة يقـوي البـدن ويرفـع الحالـة النفسـية ليـس فقـط للسـليم ولكـن أيضًـا للمريـض.

عندمـا رأى خالـد هـذا الحـماس لـدى المريـض ابتسـم في نفسـه وتمنـى أن تكـون همسـة هنـا لـكي ترسـم هـذا الحـماس بأناملهـا وريشـتها، فـما أجمـل أن تـرى النفـس حـماس الحيـاة في ملامـح وجهـه عـلى وشـك أن تفلـت منـه الحيـاة. إن فكـرة الدكتـور توفيـق لهمسـة هـي فعـلًا فكـرة أكـثر مـن رائعـة، ولم تخطـر عـلى بالـه مـن قبـل وقـد تصلـح لتكـون نوعًـا مـن العـلاج النفـسي للمريـض، فالرسـم هـو أرقـى أنـواع التعبـير، فالعـين تصدقـه، ويؤثـر في القلـب والـروح بـلا وسـيط.

نحـن أيضًـا جاهـزون، فلتهنـأ بالجولـة الثانيـة، ولعلـك تبحـر في المسـتقبل لـترى مـا تسـتطيع أن يطمئنـك ويطمـئن أهلـك.

بـدت ملامـح الرجـل في حالـة سـكينة تامـة وهـو مسـتلقٍ عـلى الكـرسي وذراعـه متصلـة بالجهـاز وكأنـه تحـت تأثـير مخـدر عـام، وفجـأة أخـذ الهـدوء يتـسرب مـن بـين ملامحـه ويهـرب إلى خـارج جسـده بـلا رجعـة. امتـلأ وجهـه بالتـورد تدريجيًّـا وهجـره الشـحوب، وبـدأت عينـاه تتحـرك كأنهـا تبحـث عـن شيء مـا، ثـم بـدت عليـه أحـوال السـكينة مـرة أخـرى فبـدا وكأنـه نائـم عـلى فـراش لـذة الهـدوء، واسـتمرت ملامـح وجهـه في التغيـير مـن السـكينة إلى التـورد والانفعـال تظهـر مـن وقـت لآخـر، ولكـن بدرجـات مختلفـة حتـى انتهـت الخمـس دقائـق عـلى الفريـق البحثـي وكأنهـا خمـس سـنين، ولكنهـا مـرت كخمـس ثـوانٍ عـلى المريـض.

انتظـر الجميـع بفـارغ مـن الصـبر أن يسـمعوا منـه مـاذا رأى أثنـاء الإبحـار؟ ومـاذا كان الإحسـاس ومدتـه وإذا كان أحـس بـأي آلام. كان الرجل مبتسـمًا وكأنه خـارج لتـوه مـن مشـاهدة فيلـم درامـي انتهـت أحداثـه الدراميـة بمـا يـرضي جميـع الأطـراف. أنـا جاهـز يـا د. تانـاكا للإجابـة عـن الأسـئلة التـي أخبرتنـي بهـا قبـل البـدء في تجربـة الجهـاز.

نعـم نعـم، ونحـن أيضًـا جاهـزون تمامًـا، ولكـن سـوف نجـري عليـك نفـس الفحوصـات التـي قمنـا بإجرائهـا قبـل التجربـة.

أنـا جاهـز لأي شيء، وكلي شـغف لمعرفـة نتائـج التحليـلات، فـلا يهمنـي حتـى وإن سـاءت فيكفينـي مـا رأيتـه مـن أحـداث وكأننـي أعيشـها في الحـاضر. كانـت حلـمًا كثـير الأحـداث، ولكنـي أسـتطيع أن أرتـب أحداثـه وكأنهـا قطـع الشـطرنج.

وماذا عن الإبحار في الماضي؟ أكان أيضًا في صفاء وحضور المستقبل؟

نعـم، بالتأكيـد، وكان هنـاك العديـد مـن أبطالـه ممـن نسـيت أسـماءهم ووظائفهـم وعلاقتهـم بي، ولكنـي اسـتمتعت جـدًّا برؤيتهـم، فكنـت قـد اشـتقت إليهـم كثـيرًا، ولكـن بقـدر مـا يسـعدك الإبحـار في المـاضي بقـدر مـا ينتهـي بنغـمات مـن الحـزن بعـد أن تفيـق وتـترك كل مـن كان لـك ذكريـات جميلـة معـه.

وماذا انتهى إليه إبحارك في المستقبل؟

بـدا وكأنـه سـماء ملبـدة بالغيـوم لا أتبـين فيهـا أي شيء، ولكـن رويـدًا رويـدًا بـدأت الملامـح تظهـر حتـى بـدت صافيـة وكأننـي أعيـش حـاضري، ورأيـت الشـمس سـاطعة تملأ الوجـود وتنـير حيـاتي بالأخبـار السـعيدة، ولكنـي لم أتبـين أي أخبـار بالتحديـد. إننـي سـعيد بمـا رأيـت، ويكفينـي الإحسـاس الـذي مـلأني بالحـماس دون أن أتعمـده، ويكفينـي أن أرى نفسـي بـين أحضـان عائلتـي والمـرض تملكنـي وكأنـه سـحابة تلبـدت وامتـلأت بالغيـوم، ثـم انكشـفت عـن بيـاض بـدا يـذوب ويـذوب حتـى تـلاشى لأرى الكـون بجمالـه ينعكـس في نفسـي وأنـا بـين أهـلي، يكفينـي هـذا الشـعور الجميـل، وأنـا أصبحـت والتفـاؤل أصدقـاء، فشـكرًا لكـم أصدقـائي.

د. تانـاكا: الآن وبعـد أن انتهـت تجربتـي بنجـاح عـلى مـا أعتقـد، أود أن نبـدأ مـع زوجتـي وولـدي فأنـا وهـم مشـتاقون أن يبحـرا في أغـوار المسـتقبل كنـوع مـن حـب الاسـتطلاع. ولكنـي أرى أن نلغـي هـذه التجـارب طالما قـد اطمأننـت أنـت وارتحـت إلى مـا رأيـت.

بالعكـس تمامًـا، فـما شـعرت بـه أثنـاء إبحـاري في المسـتقبل جعلنـي أكـثر إصرارًا عـلى أن نـرى مـاذا هنـاك لهـما. إذا كان ولا بـد فسـوف نـتركك خمـس دقائـق تتحـدث إليهـم عـن تجربتـك، ثـم نعـود إليكـم لنعـرف مـا إذا كان القـرار بإجـراء التجربـة أم لا؟

شـاهد الفريـق البحثـي مـن خـلال الغرفـة الزجاجيـة مـا يجـري بـين هـذه العائلـة الصغـيرة والتـي مـن الواضـح أن الأم تمسـك بتلابيـب الحديـث كـما يبـدو مـن طريقـة الحـوار والابـن ينظـر إلى عيونهـما تـارة، ثـم يتحـدث تـارة أخـرى، وكان جليًّـا أن الأب في حالـة شـعورية مختلفـة تمامًـا عـن حالتـه قبـل التجربـة، فهـو الآن أكـثر هـدوءًا وطمأنينـة وتعلـو وجهـه علامـات الانـشراح، والأم واضـح أنهـا متهيئـة تمامًـا للتجربـة كـما يبـدو مـن ابتسـاماتها لزوجهـا وولدهـا ولغـة الجسـد التـي تتحـدث بهـا وكأنهـا في حالـة انتظـار لحـدث رائـع سـوف يقـع في المسـتقبل القريـب.

انتهـى الوقـت بمجـيء الثلاثـة إلى د. تانـاكا والابتسـامة تملأ الشـفاه ملوحـين جميعًـا بالموافقـة كـما يبـدو مـن رفعهـم الإبهـام عاليًـا في ثقـة بالغـة وفرحـة بينـة.

وتكـررت التجربـة مـع الأم أولا ثـم الابـن الـذي لم يتجـاوز العـشر سـنوات، وتكللـت التجربـة بنجـاح ظهـر في حالـة الارتيـاح الكبـير عـلى أسـارير الأم والابـن أثنـاء وبعـد انتهـاء التجربـة.

تنفـس د. تانـاكا وخالـد الصعـداء بعـد انتهـاء الثـلاث تجـارب والتـي لم يكـن مقـررًا لهـما أبـدًا الآن، ولكنهـا أقـدار البحـث العلمـي الـذي يجـري مثـل القطـار، فتـارة يـسرع كالصـاروخ وتـارة أخـرى كالعجلـة، وهـا هـو الآن قـرر فجـأة أن يجـري بالفريـق البحثـي بسرعـة الصـاروخ، ولكـن القيـادة مـا زالـت قـادرة عـلى السـير بـه في أمـان.

مـبروك يـا خالـد أنـت ودكتـور تانـاكا عـلى انتهـاء التجربـة بنجـاح، فالثـلاث حـالات تعتـبر سـبق علمـي في المـشروع، وسـوف تفتـح بابًـا جديـدًا لتطبيقاتـه.

شـكرًا لـك د. توفيـق، وشـكرًا كثـيرًا عـلى اقتراحاتـك التـي أريـد أن نناقشـها معـك غـدًا في اجتـماع رباعـي بينـي وبينـك وخالـد والطبيـب، ولكـن مـاذا تقصـد بـأن هـذه التجـارب سـوف تفتـح مجـالًا جديـدًا، لا أدري مـاذا يـدور في رأسـك مـن أفـكار أخـرى. أنـا أقصـد أنـه مـن الممكـن أن تأخذنـا طبيعـة نتائـج هـذه التجـارب بالجهـاز إلى طريـق جديـد، ولكـن علينـا ألا نتعجـل قبـل أن نعـرف نتائـج التحليـلات الطبيـة لـلأب قبـل وبعـد التجربـة خاصـة المتعلـق منهـا بأشـعة المـخ.

حسـنًا يـا عزيـزي، فسـوف نعـرف ذلـك صبـاح الغـد قبـل الاجتـماع، وإن كنـت قـد أقلقتنـي.

ليس هناك ما يدعو للقلق فقد يكون العكس تمامًا.

ابتسـم خالـد وهـو ينظـر إلى د. توفيـق, أنـا أقـرأ مـا يـدور في ذهنـك د. توفيـق، ولكـن فلنـترك قراءتـه عـلى المـلأ، ثـم كتابتـه بأحـرف مـن نـور غـدًا أثنـاء الاجتـماع.

حسنًا يا دكاترة فلنسلم على العائلة على أن نلقاها بعد غد.

ومن الحب ما يقتل الخلايا الورمية

«حقًّا إن الحب واللقاء مع أنفاس المحبين تعيد تشكيل ليس فقط الحواس ولكن أيضًا كيمياء وفيزياء المشاعر وصحة الجسد»

أنت مدعو اليوم على العشاء عندي في حجرتي المتواضعة يا دكتور توفيق، فأرجو أن تقبل دعوتي، فهي على الأقل فرصة لكي تطمئن على حال معيشتي، فأنت مستشاري في كل شيء حتى معاشي. انطلقت من شفتي د. توفيق ضحكة راقصه تتناثر منها آلاف الابتسامات: مؤكد يا خالد، فكم أنا بالفعل مشتاق لزيارة مسكنك لكي أرى المكان الذي خرجت منه كل هذه الأفكار الرائعة حول الأشعة بعد معركتك الكبرى مع الرعد والبرق وأغطية الزجاج في نافذة الغرفة.

ولدي لك مفاجأة د. توفيق، فهمسة سوف تطهو لنا بيديها طعامًا مصريًّا خالصًا في قلب طوكيو وسوف أدعو السيد ومحمود لتكون أمسية مصرية جميلة.

رائع يا خالد، بالطبع يسعدني أن أكون معكم، سوف يأتي إليك محمود والسيد ليصطحبوك إلى مسكني.

وماذا عن همسة؟ كيف تأتي إلى مسكنك؟

لا تقلق فسوف تكون معي لشراء بعض الاحتياجات قبل أن تأتوا ثم أساعدها في الطهي قبل مجيئكم بقليل، فلا تقلق فهي في أيدي أمينة.

ابتسم د. توفيق ابتسامة يغلفها ذكاؤه الفطري: أنا لست بقلق عليها، فهي مع حارسها الأمين، ولكني فقط أستخدم سلطتي كمستشار وأب لكما حتى لا أتهم بتقصيري في عملي.

يا دكتورنا الكبير، هذه الدعوة هي على شرفك ونحن نسعد بصحبتك ونتعلم منك في كل لحظة نقضيها معك، وكفى بهمسة الفكرة الرائعة التي

استمدتها منك أمس لرسالة الماجستير.

إذا كان الأمر كذلك أعدك بالمزيد من الأفكار، ولكن بشرط أن تقوم همسة برسم لوحة رمزية من الخيال لأفكاري العلمية في الفيزياء الحيوية، أريد أن أرى نفسي بعيون الآخرين، ولكن ليس بأي عيون، بل بعيون فنان، ولن أجد أروع من همسة برسوماتها الرقيقة.

ولكن همسة لا تعلم الكثير عنك يا أستاذي حتى تستطيع تصور أفكارك التي أزعم أنها بقدر بساطتها إلا أنها تتداخل كموجات المد والجذر في ليلة قمرية أو كفيضان النهر في صيف أفريقيا.

إن أفكارك د. توفيق أحيانًا تدوي كالأعاصير، وأحيانًا كرياح الخماسين، وأحيانًا كسيل حط من عل، وأحيانًا كنسمات الربيع، ولذلك فنحن ننهم منك كل الأفكار نهمًا أيًّا كان نوعها فهي قاموس بشرح وافٍ.

حسنًا يا خالد، ولذلك فأنت خير من يغذي همسة بهذه التصورات الرائعة التي منها تستطيع أن ترسم خيالي، ولا تنسَ يا عزيزي أنها تعرفني الآن على المستوى الشخصي جيدًا منذ مجيئك مصر حتى مجيئها معي إلى المطار.

عمومًا نكمل حديثنا فيما بعد يا عزيزي، وأراك مساء اليوم مع الأصحاب***

ماذا عن تجربة اليوم يا خالد مع المتبرع المريض؛ فقد كنت قلقًا من أجله؟

كانت التجربة مثيرة ولكنها مشجعة جدًّا والأخبار جميلة، وهذا طبعًا بتأثير روحك الجميلة.

أنا شغوفة أن أعرف ما حدث وكنت أتمنى أن أكون معكم لقراءة تعبيرات وجهه ورسمها بريشتي. وأنا كذلك يا همسة، ولكن هذا الأمر يحتاج أن أضمك للمشروع أولًا، ثم الحصول على موافقة لجنة أخلاقيات البحث العلمي. معقول، لم أكن أعرف هذا، فأنا في القاهرة كنت أرسم أحيانًا مرضى السرطان كنوع من الاهتمام، ولم أتوقف أبدًا بسبب مثل هذه الإجراءات.

لا يـا همسـة خصوصيـات المريـض هنـا في غايـة الأهميـة وتحميهـا قوانـين صارمـة لا بـد مـن اتباعهـا، فـلا مانـع أبـدًا مـن عمـل أي شيء، ولكـن بعـد أخـذ الموافقـات مـن جهـة الاختصـاص. هيـا بنـا إلى شراء بعـض الاحتياجـات، وسـوف أخـبرك عـلى كل شيء بالتفصيـل فيـما بعـد. مـا يهمنـا الآن يـا حبيبتـي هـو أن نسـابق الوقـت لعمـل العشـاء للأصحـاب وإلا سـوف يأكلونـا إربًـا إربًـا وخاصـة محمـود. لا تقلـق يـا حبيبـي، سـوف يكـون كل شيء جاهـزًا وقبـل الميعـاد، فأيـدي السـيدات وأنفاسـها بهـا سـحر لا يعرفـه الرجـال. ثقتـي في يديـك كثقتـي في قلبـك يـا همـس، هيـا بنـا في أول شراء في طوكيـو سـيدة عواصـم العـالم في الـشراء***

أهـذا هـو الشـباك يـا خالـد الـذي شـهد أحـداث معـاركك مـع انعكاسـات الرعـد والـبرق والزجـاج؟

إنـه هـو يـا دكتـور توفيـق، فـلي معـه ذكريـات لا تنـسى، لكـم كنـت أشـتاق إلى رؤيتـه يـا خالـد.

ولكـن أنـا رسـمته لـكِ يـا همسـة في أحـد رسـائلي لـكي تتعـرفي عليـه كأحـد أفـراد أسرتي.

نعـم، أعلـم، وهـو يبـدو بالفعـل كـما رسـمته، ولكـن رؤيتـه عـلى الطبيعـة شيء آخـر، يبـدو أن الجـماد هـو الآخـر لـه سـحر الحضـور.

عمومًـا يـا خالـد أنـا أنـوي رسـم لوحـة سرياليـة لهـذا الشـباك حتـى لا تحـزن عندمـا تفـارق هـذه الغرفـة. بقـدر مـا أريـد أن أفارقهـا يـا همسـة لنعيـش سـويًّا في بيـت الطلبـة، بقـدر مـا أشـعر بحنـين بالـغ للبقـاء هنـا، ولكـن بـشرط أن تكـوني معـي.

ضحـك محمـود وهـو يطـل برأسـه مـن الشـباك، إذا كان الأمـر كذلـك فلـماذا لا تبقـى هنـا لتـزف إليـك همسـة وتعيشـا سـويًّا زوجـين متحابـين.

ضحـك السـيد قائـلًا: وأنـا بقـدر كرهـي لهـذا الشـباك مـن قبـل لعلمـي أنـه هـو الـذي كان سـببًا في اكتشـاف خالـد، إلا أننـي أحببتـه الآن، وسـوف ألتقـط صـورة بجانبـه للذكـرى. عمومًـا أنـا عـلى الشربـات يـا خالـد، أنـوي ونحـن بجانبك يـا أخـي عـلى الأقـل نضمـن أكلـة مجانيـة كل أسـبوع. آه منـك يـا محمـود، إذا

كان هـذا طلبـك أعـدك يـا عزيـزي.

العشـاء جاهـز يـا دكاتـرة، تفضلـوا وأتمنـى أن يكـون الطعـم عـلى قـدر الحـدث وإلا سـوف تكـون بدايـة غـير موفقـة لي في عـالم الطهـي.

يـا همسـة الـذوق العـام للتقديـم والرائحـة تقـول إننـا لـن نبقـي ذرة واحـدة مـن كل هـذا الأكل، فقـط نريـد أن نعـرف الصنـف الـذي طهـاه خالـد بنفسـه لـكي نبتعـد عنـه نهائيًـا. يـا محمـود أنـت لا يعجبـك طهـي أبـدًا مهـما أحسـنته، أنـا لم أطبـخ اليـوم يـا دكتـور، أنـا فقـط سـاعدت همسـة في التجهيـز, فـلا تقلـق يـا عزيـزي.

يبـدو الأمـر كذلـك يـا عزيـزي فالأصنـاف الموجـودة تبـدو كلهـا رائعـة وتسـلم أيـادي همسـة وأنفاسـها، فكـما تقولـون في مـصر الطهـي نفـس. ومـاذا تقولـون أنتـم في لبنـان يـا محمـود عـن مـذاق الطعـام.

نحـن لا نقـول يـا عزيـزي السـيد، نحـن نـأكل ونتلـذذ، فـما أشـهى الأصنـاف اللبنانيـة، وسـوف أدعوكـم عنـدي المـرة القادمـة لتتذوقـوا مـا تصنعـه يـداي وخاصـة سـلطة التبولـة حبيبـة قلبـي.

عنـدك حـق يـا محمـود، نحـن المصريـين نحـب الـكلام كثـيرًا حتـى ولـو عـن أو عـلى الأكل، ومـع أن الـكلام صفـة يتمتـع بهـا الإنسـان إلا أن الـكلام دون الفعـل يجعـل مـن الـكلام هـراء.

ولكـن يـا دكتـور توفيـق كلام المصريـين رائـع وذو لكنـة يحبهـا ويفهمهـا كل العـرب. ولا تنـسَ أن المصريـين أبدعـوا في ترتيـل أحـلى الـكلام وأعذبـه وهـو القـرآن الكريـم، مثـل الشـيخ محمـد رفعـت، والبنـا، ومصطفـى إسـماعيل، والمنشـاوي، وعبـد الباسـط والطبـلاوي وغيرهـم، وفـسروا كلام القـرآن مثـل العـالم الكبـير الشـيخ الشـعراوي، وأبـدع الزعـماء المصريـون في إلقـاء الـكلام الخطـابي. ولا ننـسَ عظـماء الشـعر الذيـن أدهشـوا العـالم بلغـة الـكلام الراقيـة مثـل أحمـد رامـي، وأحمـد شـوقي وحافـظ إبراهيـم ومحمـود سـامي البـارودي وغيرهـم مـن فحـول الشـعراء، وغنـوا الـكلام في كل صـوره بإبـداع الكلـمات فطـرب العـرب عـلى أغنيـات أم كلثـوم، وعبـد الحليـم وغيرهـم.

اللـه اللـه عليـك يـا محمـود!! مـا كل هـذا الـكلام الرائـع؟! لم أحسـبك تمتلـئ ثقافـة كهـذه، واضـح أن رائحـة الأكل يـا همسـة أسـكرت محمـودًا، فـما بالنـا لـو

أكل منها فسوف يهضم الأكل ويحوله إلى أشعار تغنى.

ضحك الجميع، وبدأت حفلة الأكل اللذيذ والذي جعل د. توفيق يوصف مائدة همسة بلوحة فنان كبير وضع فيها كل أصناف الفنون الناطقة لتتزين بها المعدة وتنبهر بها الأمعاء، ويفتخر بها الكبد فيحملها الدم إلى جميع الخلايا منتشيًا بما بين يديه فتسعد كل الخلايا وتبتسم خلايا الشفاه، وتضحك خلايا القلب الجوعان.

الله على كلامك يا دكتور توفيق وعلى تشبيهاتك، ليتك تستمر في إلقاء المزيد من الوصف ويبقى خالد وهمسة ينظران إليك مستمتعان وأنا والسيد على الأكل نقضيان. ضحك الجميع من القلب على تعليقات محمود حتى جاء وقت المشروبات الساخنة.

أمسية رائعة يا خالد وطعام شهي يا همسه، الآن أستطيع أن أعود إلى مصر وأنا مطمئن البال عليكما، ولذلك فأنا أقترح أن يتم زفافكما هنا في هذه الغرفة التي بها ذكريات خالد في أقرب وقت ممكن بعد استقرار همسة، وبدء الدراسة، ما رأيكم يا دكاترة؟

موافقون موافقون على الزفاف ونحن عليه سنكون شهودًا.

إذن ما رأيك يا همسة؟ فإذا كان على خالد فهو يتمنى الزفاف الأمس قبل اليوم، وأنا كذلك يا دكتوري العزيز فقلبي وعقلي تزاوجا مع خالد منذ أن عرفته وأنا وما يريده خالد فإرادتي من إرادة خالد.
ما تعليقك على هذا الحب المغلف بشيكولاتا الفلسفة يا خالد؟

هذا هو منتهى أمنياتي د. توفيق ولكني أتمنى أن يكون ذلك في مصر بين عم صابر ووالدة همسة وصديقي أحمد وباقي الأهل والجيران.

وماذا عنا يا خالد؟ أليس لنا الحق في حضور فرحك، ألسنا من أهلك وأصدقائك؟ أهكذا تنسانا ونحن مازلنا هنا؟

يا محمود، ومن يغني في فرحنا الهوارة؟

يـا أسـتاذ سـتكون معـي عـلى نفـس الطائـرة أنـا وهمسـة والسـيد معنـا وبـدون اسـتئذان منكـما. سـوف يكـون فرحًـا رائعًـا يـا خالـد وخاصـة في وجـود د. تانـاكا. طبعًـا يـا أسـتاذي هـو وأنـت رمـز سـعادتي.

إذن فليكـن ذلـك بعـد سـتة أشـهر مـن الآن عندمـا تكـون همسـة قـد بـدأت بالفعـل في دراسـة الماجسـتير. مـا رأيـك يـا همسـة؟

الــرأي رأيــك يــا دكتــور توفيــق فأنــت لنــا الأب والمستشــار الاجتماعــي والعاطفــي والمــالي والنفــسي.

أنـا كلي سـعادة بكـم جميعًـا يـا أولاد، وسـوف يكـون يومًـا ولا كل أيـام العمـر***

لقـد وصلتنـا تقاريـر جميـع التحليـلات التـي تـم إجراؤهـا عـلى العائلـة قبـل وبعـد التجربـة.

تفضل يا د. أوكادا بشرح مبسط عن التقارير.

أعتقـد أنـه مـن الأفضـل أن يقـوم د. خالـد أولًا بإعطـاء نبـذة عـن التفاصيـل المعمليـة للتجربـة لتكـون جـزءًا مـن اجتـماع اليـوم ولنربطها بمـا في هـذه التقارير. اقـتراح مهـم فعـلًا د. تانـاكا، هـل تسـتطيع أن تقـوم بذلـك الآن د. خالـد؟

أنـا بالفعـل جلسـت مـع د. توفيـق أمـس، وقمنـا بكتابـة تقريـر يـشرح خطـوة بخطـوة مـا تـم أثنـاء التجربـة، وهـا هـو معنـا سـوف أقـرؤه عليكـم. رائـع هكـذا اكتملـت كل أركان التقريـر العـام لهـذه التجربـة الفريـدة.

بقي جزء واحد وهو الأكثر أهمية والذي قام عليه هدف المشروع.

وما هو يا دكتور توفيق؟ أتقصد الجزء النفسي؟

بالطبـع د. تانـاكا والتـي نريـد أن نعرفهـا مـن الطبيـب النفـسي الـذي لم يكـن موجودًا للأسـف.

نريـد أن نعـرف منـه نتائـج التحليـلات النفسـية للاسـتبيانات التـي تـم إجراؤهـا عـلى العائلـة قبـل وبعـد انتهـاء التجربـة، وكذلـك التحليـلات النفسـية التـي ظهـرت عـلى ملامـح الوجـه أثنـاء الإبحـار في المـاضي أو المسـتقبل خاصـة

أنـه تـم تسـجيلها فيديـو.

ولذلـك فأنـا أقـترح أن يحـضر الطبيـب النفـسي كل تجربـة تتـم عـلى المتطوعـين حتـى ولـو كانـوا أصحـاء، وأن يجـري معهـم مقابلـة لطـرح أسـئلة محـددة قبـل إجـراء التجربـة بيومـين، أسـئلة نسـتطيع مـن إجاباتهـا أن نتبـين إذا كانـت نتيجـة الاسـتبيانات بعـد الإبحـار في الأزمنـة حقيقيـة أم تخيـلات.

لديـك كل الحـق يـا دكتـور توفيـق، وهـل لديـك أي اقتراحـات أخـرى غـير هـذه وغـير التـي اقترحتهـا مـن قبـل بخصـوص بـأن يكـون وقـت الإبحـار في المسـتقبل أطـول بكثـير مـن الحـاضر والمـاضي، وأن يكـون متصـلًا معهـما وليـس منفصـلًا حتـى يسـتطيع العقـل أن يتنبـأ عـلى أرضيـة واقـع ومـاضٍ. بالفعـل د. تانـاكا، فأنـا أقـترح أيضًـا أن ينضـم للطبيـب النفـسي فنـان رسـام ذو حـس عـالٍ له خـبرة في رسـم الأشـياء والتعبـيرات الدقيقـة تمكنـه مـن رسـم التغـيرات النفسـية التـي تطـرأ عـلى وجـه المتـبرع وتسـجيلها كجـزء مهـم يضـاف إلى تسـجيل الكامـيرا والتـي لا تسـتطيع أن تشـعر بالتغيـيرات كـما يشـعر بهـا الفنـان، وأنـا أرشـح همسـة لهـذا الـدور لأنهـا ذات حـس مرهـف عـالٍ؛ ولأن مـشروع تخرجهـا في كليـة الفنـون الجميلـة كان عـن رسـم التعبـيرات الدقيقـة، فقـد جـاءت همسـة في الوقـت المناسـب تمامًـا.

لم أفكـر في هـذا الأمـر مـن قبـل د. توفيـق، ولكنهـا فكـرة بالفعـل رائعـة، وسـوف ترتقـي بالمـشروع رقيًّـا نفسـيًّا عاليًـا، ومـا رأيـك في هـذه الاقتراحـات التـي يمطرنـا بهـا د. توفيـق؟

د. أوكادا: أنـا أوافقـه الـرأي تمامًـا حتـى تكتمـل الصـورة النهائيـة للحالـة النفسـية للمتطـوع، ولـكي نسـتطيع الخـروج بنتيجـة قويـة تشـمل كل الاتجاهات.

إذن فليكـن اجتماعنـا اليـوم لمناقشـة التقريـر العلمـي مـن د. خالـد والتقريـر الطبـي مـن د. أوكادا عـلى أن نجتمـع مـرة أخـرى بعـد ثلاثـة أيـام ليكـون الطبيـب النفـسي قـد انتهـى مـن كتابـة التقريـر النفـسي، وعـلى أن تحـضر الاجتماع همسـة بعـد أن أكـون أجريـت الاتصـالات اللازمـة بالجامعـة لتنضـم رسـميًّا بالمـشروع عـلى أن نتصـل لاحقًـا بأسـتاذ في تخصصهـا، ويقبـل نتائـج دورهـا في المـشروع لتسـجيل رسـالتها للماجسـتير، وأعتقـد أن ذلـك لـن يكـون بالأمـر العسـير.

وأنـا بـدوري سـوف أتحـدث مـع همسـة عـن المـشروع وأهدافـه وتقنياتـه بصـورة مفصلـة لـكي يسـاعدها في إتمـام دورهـا في رسـم التعبـيرات النفسـية للمتطوعـين.

حسنًا والآن فلنبدأ بك يا خالد ثم د. اوكادا.

تعمـد خالـد أن يبـدأ بالطفـل، ثـم الأم ليكـون تقريـر الأب في النهايـة لكونـه مريضًـا بسرطـان المـخ وقـد يحتـاج مناقشـة أطـول، وفي نفـس الوقـت لتكـون نتائـج الابـن والأم وهـما الأصحـاء كمجموعـة ضابطـة لـلأب. بعـد أن شرح خالـد تفاصيـل إجـراء التجربـة في كل مرحلـة قـام د. أوكادا بـشرح التقريـر الطبـي بعـد كل حالـة.

بالهـدوء اليابـاني المعـروف بـدأ د. أوكادا بـعرض نتائـج غـير متوقعـة.. نتائـج مبـهرة تعقـد عليهـا المؤتمـرات العالميـة لأهميتهـا غـير العاديـة.

اندهـش خالـد كيـف تكـون هـذه النتائـج بـين يـدي د. أوكادا منـذ أمـس ولا يقفـز فرحًـا ويتصـل بالجميـع ويقـول وجدتهـا وجدتهـا كـما فعلـت أنـا مـن قبـل مرتـين مـن دون قصـد وكـما فعلهـا وسـوف يفعلهـا آخـرون كثـيرون؟

أيكـون هـذا السـلوك الهـادئ لليابانيـين هـو سر تقدمهـم الهائـل في السـنوات الماضيـة بعـد السـبعينيات ومـا قبـل الحـرب العالميـة الثانيـه؟ فلـو كنـت أنـا لطـرت فرحًـا ولرقـص قلبـي وانتـشى عقـلي، عـلى العمـوم هـي نتائـج المـشروع فليفـرح وينتـشي بهـا كل منـا بطريقتـه.

مـا رأيـك يـا دكتـور توفيـق فـما يقـرؤه لنـا د. أوكادا يفـسر الكلـمات القليلـة التـي أشرت إليهـا ونحـن في غرفـة المراقبـة أثنـاء إجـراء التجربـة عـلى المريـض؟ أنـا سـعيد أنـك مـا زلـت تتذكـر قـولي يـا دكتـور تانـاكا، بالفعـل هـذا مـا قصدتـه وقتهـا تمامًـا، ولقـد صـدق حـدسي، ألـف مـبروك عـلى هـذه النتائـج أنـا سـعيد بهـا جـدًّا.

ومـا تعليقـك يـا خالـد عـلى هـذه النتائـج؟ أنـا مبهـور بهـا يـا أسـتاذي لعـدم توقعـي لهـا كـما كان يتوقـع د. توفيـق، ولذلـك فمـع أن قـرار إجـراء التجربـة عـلى مريـض السرطـان، وخاصـة سرطـان المـخ في حالـة متقدمـة، كان مغامـرة علميـة كبـيرة إلا أنهـا قادتنـا إلى خيـط قـد ينسـج إلى أحبـال كبـيرة تلتـف حـول

عنـق الأورام عامـة وأورام المـخ خاصـة ليقتلهـا في دقائـق معـدودات، إنـه لحلـم لم نحلمـه إن صـح وتكـرر عـلى مزيـد مـن المـرضى.

إنهـا أخبـار رائعـة يـا دكتـور تانـاكا، إنهـا تأخذنـا إلى اتجـاه آخـر يضـاف إلى تطبيقـات الجهـاز، إنـه العلـم الـذي يتبخـتر بنـا حيـث يشـاء. نعـم، يـا خالـد فمـع أن النتائـج واضحـة جـدًّا لوجـود فـارق كبـير بـين حجـم الـورم قبـل وبعـد التجربـة إلا أنـه يجـب أن نجـري التجربـة عـلى مزيـد مـن مـرضى سرطـان المـخ لنتأكـد مـن تأثـيرات الأشـعة هـذه قبـل أن نصـل إلى نتيجـة عامـة.

مـا رأيـك يـا دكتـور أوكادا؟ هـل مـن الممكـن عمـل ذلـك في أقـرب وقـت ممكـن؟ بالتأكيـد د. تانـاكا فلدينـا عـدد كبـير مـن مـرضى سرطـان المـخ، ولكـن في نفـس الوقـت أقـترح أن نعيـد هـذه التجربـة عـلى نفـس المريـض لـكي نتأكـد مـن أن الأشـعة المنطلقـة مـن الجهـاز لهـا القـدرة عـلى قتـل الـورم، ثـم لنتأكـد أيضًا أن نفـس توليفـة الأشـعة قـادرة عـلى قتـل الـورم كل مـرة يتعـرض لهـا. وإذا تأكدنـا مـن ذلـك فسـوف يكـون سـبقًا علميًّـا منقطـع النظـير عـلى مسـتوى العـالم لا يقـل بـل يزيـد عـن أهميـة اسـتخدام الجهـاز في الإبحـار في الأزمنـة المختلفـة، ولذلـك فأنـا أقـترح إجـراء التجربـة بعـد أسـبوع مـن الآن، ولكـن بعـد تعديـل البروتوكـول لكـون الهـدف مختلفًـا هـذه المـرة، وبعـد أن نأخـذ موافقـة لجنـة أخلاقيـات البحـث العلمـي. وعندمـا نحصـل عـلى التجـارب المرجـوة مـن نفـس المريـض حينئـذٍ يجـب علينـا أن ننـشر هـذا البحـث كحالـة فريـدة لنسـجلها في المجـلات العلميـة ليتعـرف عليهـا العـالم.

أنـا أوافقـك تمامًـا د. اوكادا، ولكـن يجـب أن نسـجل هـذه النتائـج اليـوم قبـل الغـد كاخـتراع مـن المـشروع لحمايـة الملكيـة الفكريـة التـي سـاقها اللـه لنـا دون قصد .

معـك حـق يـا خالـد ولتبـدأ في الإجـراءات أنـت غـدًا، وليكـون كل منـا عـلى الأوراق كمخترعـين، ومـاذا عـن وكالـة المخابـرات الأمريكيـة والأمـن القومـي اليابـاني؟

هل يجب أن نخبرهم بهذه النتائج؟

يجـب يـا خالـد، ولكـن سـوف نحتفـظ بحقنـا أن يكـون حـق الاكتشـاف مـن المعهـد فقـط.

مجـرد أن أنهـى خالـد الاجتـماع حتـى طـار ليتصـل تليفونيًّـا بهمسـة ليخبرهـا بـأن لديـه مفاجـأة مـن العيـار الثقيـل، ولسـوف تفـرح لهـا جـدًّا.

تقابـل خالـد وهمسـة ومعهـما د. توفيـق عـلى الغـداء في كافتيريـا الجامعـة التـي تـدرس بهـا همسـة والتـي لا تبعـد كثـيرًا عـن المعهـد الـذي هـو الآخـر جـزء مـن الجامعـة.

طـارت همسـة مـن الفرحـة عندمـا علمـت بأمـر التأثـيرات الكبـيرة المضـادة لـورم المـخ التـي لوحظـت عنـد المتـبرع المريـض وفرحـت أكـثر بقبـول د. تانـاكا باقـتراح د. توفيـق بـأن تنضـم للمـشروع وبدورهـا الـذي لا يقـل عـن دور الطبيـب النفسـاوي.

همسة وتحقيق الحلم الذي كان

«فعـلًا العلـم كلعبـة الدومينـو الإيطاليـة إذا مالـت قطعـة تـوالى وقـوع باقـي القطـع، وهكـذا نحـن تتـوالى أمامنـا الاكتشـافات العلميـة واحـدة تلـو الأخـرى، ولكنـه العلـم الـذي يفعـل مـا يريـد ونحـن العلـماء مـا علينـا إلا أن نمسـك بلجامـه ليرسـو بنـا أينـما يشـاء».

مـبروك يـا همسـة، فقـد حقـق اللـه أمنياتـك، قابلتـك أنـت وخالـد حبيبـين مـن بعـد فـراق مـرة في مـصر والآن في اليابـان، ومـبروك عـلى خطوبتكـما مـرة في مـصر ومـرة في اليابـان، ومـبروك عـلى دورك في المـشروع مـرة في مـصر عندمـا وقفـتِ بجانـب خالـد أثنـاء زيارتـه لمـصر والآن في اليابـان، ومـبروك مقدمًـا لزواجكـما الـذي سـوف نسـعد بـه بعـد سـتة أشـهر مـن الآن والـذي احتفلنـا بـه بمـصر وفي اليابـان.

حقًّـا د. توفيـق لقـد أعطـاني اللـه كثـيرًا، فلقـد أعطـاني حبـي لخالـد وحـب خالـد لي وحـب أمـي والنـاس، وأعطـاني الفرصـة لأكـون بجـوار خالـد دائمًـا في البيـت والعمـل. لكـم كنـت أتمنـى أن يكـون والـدي عـلى قيـد الحيـاة لـكي يسـعد بسـعادتي ويهنـأ بفرحـي، ويتأكـد أن موافقتـي عـلى خالـد أول مـرة كانـت عـلى حـق حتـى ولـو كان ليـس ذا مـال ولا جـاه ولا سـلطان كـما كان يقيـس الأمـور رحمـه اللـه دائمًـا.

يـا همسـة، والـدك كان يقيـس الأمـور هكـذا؛ لأنـه أب والأب دائمًـا يريـد أن يقطـف ورود السـعادة كلهـا، ولكـن بطريقتـه ويلقيهـا بـين أيـدي أولاده ليسـعدوا.

أعلـم ذلـك د. توفيـق إنهـا فقـط أمنيـات تداعـب النفـس عندمـا تتملكنـا الفرحـة، ونريـد أن يكـون بجوارهـا كل المحبـين، وأنـا كـم أحببـت والـدي وكـم كنـت أتمنـى أن يكـون دائمًـا بجانبـي.

يـا همـس قلبـي، أنـت ابنـة رائعـة فأنـت أطعتِـه فيـما أراد حتـى آخـر لحظـة

مـع أن طاعتـك لـه كانـت ضـد رغباتنـا، ولكـن اللـه كتـب لنـا الحيـاة سـويًّا، فهكـذا أطعـتِ والـدك رحمـة اللـه عليـه وهكـذا عوضـك اللـه، وهكـذا نحـن الآن في طوكيـو نتنـاول الغـذاء سـويًّا ونخطـط لحياتنـا واللـه شـاهدنا، وأسـتاذنا د. توفيـق ناصحنـا، فـلا تفكـري إلا بـكل خـير سـواء فيـما مـضى أو فيـما هـو آتٍ.

هـذا مـا يمـلأ عـليّ حيـاتي الآن يـا خالـد، إنهـا فقـط وكـما قلـت أمنيـات تـأتي عنـد الفـرح.

أنـتِ الفرحـة كلهـا يـا أجمـل النسـاء والبنـات، أنـتِ الريشـة والقلـم والألـوان التـي ترسـم البسـمة عـلى وجـوه كلهـا شـغف للحظـة أمـل، فكـوني دائمًـا كعهـدي بـكِ الأمـل الـذي يبـدد الألم.

نصيحتــي يــا خالــد لــك قبــل أن أســتقل الطائــرة وأعــود لمــصر أن تهتــم بالاكتشـاف الجديـد لتوليفـة الأشـعة التـي هاجمـت الـورم ودمرتـه، فـما أحـوج بلدنـا مـصر لهـذا الاكتشـاف أكـثر مـن التحكـم في الوقـت والإبحـار فيـه.

أعـدك يـا أسـتاذي، ولكـن لـن أهمـل أيضًـا التطبيقـات الخاصـة بالتحكـم في الوقـت؛ لأنهـا في غايـة الأهميـة لوطنـي عندمـا أعـود لأنقـل هـذه التكنولوجيـا لاسـتخدامها ليـس فقـط لفانتازيـا الإبحـار في الوقـت ولكـن أيضًـا في المعامـلات السريـة والمخابراتيـة.

وفقـك اللـه يـا خالـد، واجعـل همسـة في عينيـك، واتركهـا تنجـح كـما تشـاء في مشروعـك وفي دراسـتها، دعهـا أن تكـون في العلـم نفسـها لـكي تسـتطيع أن تعضـدك وتضيـف إليـك بـدلًا مـن أن تكـون عالـة عليـك؛ فهـي ذكيـة جـدًّا وطموحـة، فكـن لهـا السـاعد والزنـد.

مؤكد أستاذي فهي في عيني.

وأنـتِ يـا همسـة كـوني الـورود التـي يتنفـس بهـا خالـد، وكـوني السـماء التـي يبحـر فيهـا وينطلـق، وكـوني لـه الجـدران التـي يركـن إليهـا، وكـوني لـه اللوحـة الجميلـة التـي تـسر ناظـره وتدغـدغ مشـاعره.

أخجلتنــي توصياتــك أســتاذي، وأعــدك أن أكــون. وأنــا ســوف أدبــر أمــر

مجيئكـم إلى مـصر وزفافكـم وترتيـب النـدوات واللقـاءات الإعلاميـة مـع خالـد خاصـة بعـد الاكتشـاف الجديـد، ولكنـي لـن أعلـن عنـه في مـصر إلا بعـد أن تـزودني بنتائـج التجربـة الجديـدة عـلى نفـس المريـض.

مؤكـد أسـتاذي وأنـا ممـتن لاهتمامـك بي ومسـاعدتك المخلصـة، فأنـا فخـور بـك كأسـتاذ وأب كريـم. مـع السـلامة وإلى اللقـاء في مـصر عـلى كل خـير إن شـاء اللـه.

نسـتودعك اللـه ولا تنـسَ سـلاماتنا إلى مامـا وعـم صابـر وأحمـد صديـق العمـر***

تسـاءل الرجـل: لمـاذا دعوتمـوني للمجـيء مـرة أخـرى؟ أهنـاك شـك في شيء مـا فيـما قلتـه أو رأيتـه، أم هنـاك شيء مـا ظهـر في مخـي أكـثر مـما كان عليـه مـن سـوء وتـورم؟ فعـلًا هنـاك أخبـار جديـدة، وسـوف نخـبرك بهـا اليـوم بعـد الانتهـاء مـن جلسـة الإبحـار وبعـد عمـل التحليـلات. ولكنكـم أجريتـم جميـع التحليـلات المـرة الماضيـة والتـي لم يمـر عليهـا أكـثر مـن شـهر.

بالفعـل لقـد تعمدنـا الانتظـار شـهرًا والـذي كان مقـررًا لـه أسـبوع فقـط لـكي نعطـي لـك فرصـة للاسـتجمام والاسـتمتاع بالشـعور الـذي انتابـك يومهـا ولنعطـي أنفسـنا فرصـة لقـراءة النتائـج جيـدًا والمنشـور عنهـا دوليًّـا إذا كان هنـاك أي معلومـات بالفعـل.

أنـا لا أدري عـما تتحدثـون ولكنـي تحـت أمركـم في كل التحليـلات، فلقـد شـعرت بانتعـاش وتغيـير للأحسـن منـذ المـرة الماضيـة وأتمنـى أن يتكرر مـا حدث، ولكـن عـلى أن يخـبرني د. تانـاكا بـكل شيء بعـد انتهـاء الجلسـة والتحليـلات كـما وعدتنـي. مؤكـد سـأفعل، ولكـن هنـاك طلـب جديـد سـوف ننفـذه لـو وافقـت، وإن لم توافـق فلـن يؤثـر في مجريـات التجربـة.

ومـا هـو هـذا الأمـر الجديـد؟ بعـد تفكـير اقترحنـا أن يوجـد مـع الطبيـب النفـسي في غرفـة الملاحظـة فنـان ذو درجـة عاليـة مـن الإحسـاس لرسـم تعبـيرات الوجـه أثنـاء إجـراء التجربـة وذلـك لتسـجيل كل شيء لمسـاعدتنا في تحسـين الخدمـة والمنتـج وإفـادة المتطـوع.

مؤكـد أنـا موافـق تمامًـا، فأنـا أحـب الرسـم، إنهـا لفكـرة ممتـازة فلكـم وددت

أن أرسـم لنفـسي لوحـة وأعلقهـا في حجـرتي، ولتكـن تلـك اللوحـة هديـة منكـم يـا عزيـزي.

رائع يا صديقي فلنبدأ بالاستبيان كالعادة، ثم باقي الخطوات.

تمـت التجربـة بنجـاح كالمـرة السـابقة بحضـور الطبيـب النفـسي وهمسـة ولكـن في غيـاب د. توفيـق. تـم الانتهـاء مـن التحليـلات في غضـون السـاعة وعـلي إنهـاء وقـت الغـذاء.

اجتمـع الفريـق البحثـي برئاسـة د. تانـاكا والـذي طلـب مـن د. أوكادا أن يعطـي ملخصًـا للنتائـج لـكي يـوفي بوعـده مـع المريـض عـلى أن يدعـى الجميـع لاجتـماع آخـر قريـب لعـرض تقريـر وافٍ عـن كل التحليـلات بعـد ثلاثـة أيـام.

بـكل ثقـة أكـد د. أوكادا عـلى جـمال النتائـج فمـع أنـه لم يتوقـع أن تظهـر الأشـعة التـي أجراهـا عـلى المـخ تأثـيرًا كبـيرًا لتوليفـة حزمـة الأشـعة المنطلقـة مـن الجهـاز حيـث إن التأثـير الأكـبر للأشـعة السـينية أو أشـعة جامـا يحـدث بصـورة كبـيرة بعـد التعـرض للجرعـة الأولى، فقـد لاحـظ تأثـيرات أيضًـا هـذه المـرة. وأكـد د. أوكادا عـلى ملحوظتـين في غايـة الأهميـة؛ أولهـما: أن حجـم الـورم قبـل إجـراء تجربـة اليـوم هـو نفسـه حجـم الـورم الـذي تـم قياسـه بعـد إجـراء التجربـة في المـرة الأولى مـما يـدل عـلى أن الـورم لم يـزدد في الحجـم، وبقـي حجمـه ثابتًـا كـما هـو بعـد أن قـل حجمـه بتأثـير الجهـاز عليـه مـن المـرة الماضيـة.

الملحوظـة الثانيـة والأكـثر أهميـة: هـي أن حجـم الـورم بعـد تجربـة اليـوم أصبـح أصغـر بكثـير مقارنـة بحجمـه قبـل إجـراء التجربـة مـما يـدل عـلى أن الجهـاز قـضى عـلى جـزء آخـر مـن الـورم.

ردد الجميـع في نفـس الوقـت كلمـة مـبروك بصـورة عفويـة وكأنهـا كـورال في أوبـرا تعـزف ألحـان حفظتهـا المجموعـة. رائـع رائـع د. أوكادا، مـا نـراه الآن هـو الإعجـاز العلمـي ذاتـه، فنحـن لم نقصـد أبـدًا أن نـداوي المـرضى، ولكنـه العلـم الـذي يفعـل مـا يريـد ونحـن العلـماء مـا علينـا إلا أن نمسـك بلجامـه ليرسـو بنـا أينـما يشـاء. إنـه اكتشـاف العـصر لمـرض العـصر، إنـه اكتشـاف سـوف يهـز العـالم بمـا فيهـم المـرضى. المـرة الماضيـة اتصلـت بنـا وكالـة المخابـرات الأمريكيـة والأمـن القومـي لاكتشـافنا توليفـة مـن الأشـعة الجديـدة لتمكننـا مـن اسـتخدامها

في التحكـم والإبحـار في الوقـت.

لســت أدري مــن ســوف يتصــل بنــا هــذه المــرة بعــد التوصــل إلى هــذه الاكتشــافات.

فعـلًا العلـم كلعبـة الدومينـو الإيطاليـة إذا مالـت قطعـة تـوالى وقـوع باقـي القطـع، وهكـذا نحـن تتـوالى أمامنـا الاكتشـافات العلميـة واحـدة تلـو الأخـرى، فيـا لـه مـن حـظ كبـير لفريقنـا البحثـي وعـلى رأسـه خالـد الـذي لـولاه لمـا بعثـت كل هـذه الأفـكار مـن مرقدهـا.

فوجـئ الجميـع بدقـات عـلى بـاب قاعـة الاجتـماع وصـوت المريـض يسـتأذن بالدخـول. جـاء صـوت الرجـل متلهفًـا لمعرفـة مـا يحـدث خاصـة أن الاجتـماع زاد عـن وقتـه المقـرر بأكـثر مـن سـاعة.

أهــلًا يــا صديقــي، تفضــل فنحــن قــد انتهينــا مــن قــراءة ودراســة أهــم التقاريـر، وسـوف ندعـو لاجتـماع آخـر بعـد ثلاثـة أيـام لقـراءة باقـي التقاريـر.

أهكـذا الأمـر معقـد وخطـير؟ إنـه ليـس معقـد ولكنـه خطـير، ولذلـك أردنـا أن نتأكـد سريعًـا هـذه المـرة ويقينـا المـرة القادمـة. تتأكـدون مـن مـاذا؟ أنـا أريـد أن أعـرف كل شيء الآن كـما وعدتنـي قبـل إجـراء التجربـة.

لديـك كل الحـق، ولكـن لـكي تسـتوعب أكـثر فلنطلـق عـلى مـا حـدث العـلاج وليــس التجربة.

ماذا تقصد؟ هل جربتم عليّ دون إذني نوعًا من العلاج لا أعلم به.

لا، إن مـا قمنـا بـه هـو التجربـة بعينهـا مثـل المـرة الأولى تمامًـا كـما هـو مسـجل بالفيديـو، ولكـن النتائـج غـير المتوقعـة هـي التـي تدفعنـا إلى ان نطلـق عليـه علاجًـا. أريـد أن أسـتوضح أكـثر عـن النتائـج؛ لأنهـا تخصنـي أنـا، فيـا تـرى مـاذا حـدث؟ هـل أصابنـي أي مكـروه عـلى مـا عنـدي؟ أنـا لا يهمنـي، أريـد فقـط أن أعـرف ولا تقلقـوا عـليَّ، فحالتـي المرضيـة ميئـوس منهـا.

اجلـس يـا صديقـي، فحالتـك قلبـت أهـداف المـشروع ووضعتنـا في المنتصـف

بـين طريقـين إمـا نسـير في إحداهـما ونؤجـل الآخـر أو نسـير في كلا الطريقـين في نفـس الوقـت.

ولكـن مـا هـي هـذه الطـرق يـا دكتـور تانـاكا؟ وأيـن طريقـي أنـا؟ كفـى ألغـازًا يـا بروفيسـير وأخـبرني.

دعني أقول لك أولًا: ألف مبروك.

مبروك على ماذا؟ رجاء أن تخبرني مباشرة.

الموضـوع يـا عزيـزي وباختصـار شـديد أننـا لاحظنـا أن الأشـعة التـي تعرضـت لهـا مـن الجهـاز مـن المـرة الماضيـة دمـرت جـزءًا كبـيرًا مـن الـورم الـذي يسـكن مخـك، وسـجلنا نفـس الملحوظـة هـذه المـرة أيضًـا، فـما تعليقـك؟ أحقًّـا هـذا؟ أحقًّـا أن مـا أشـعر بـه بتحسـن ليـس فقـط إحسـاس نفـسي بـل هـو انعـكاس حقيقـي لتأثـير الأشـعة عـلى الـورم ومـوت جـزء منـه؟ نعـم، يـا عزيـزي هـي الأشـعة التـي أماتـت جـزءًا مـن الـورم، ولم نتوقـع أبـدًا حـدوث ذلـك، بـل عـلى العكـس تمامًـا كنـا نـكاد نرفـض إجـراء التجربـة عليـك بسـبب الـورم الـذي لديـك.

ألـف مـبروك لكـم ولنفـسي ولجميـع مـرضى الأورام، أنـا أردت أن أبحـر فقـط في المسـتقبل كحـب للاسـتطلاع والتعلـق بالحيـاة ورؤيـة المسـتقبل قبـل المـوت المحقـق نتيجـة للـورم، ولكنـي هـا هنـا أتـذوق أخبـار الشـفاء غـير المتوقـع. نعـم، نحـن سـعداء لـك، وسـوف نتصـل بطبيبـك المعالـج ونناقـش معـه هـذه النتائـج خاصـة أنـك لم تسـتجب للعـلاج بالأشـعة العاديـة، ومعنـى ذلـك أن أشـعتنا أقـوى، وفي نفـس الوقـت غـير ضـارة لعـدم ظهـور أي أعـراض جانبيـة عليـك منـذ شـهر وحتـى الآن.

أنـا سـوف أتـبرع للمـشروع بمبلـغ كبـير مـن المـال مقابـل شـفائي الـذي تـم مجانًـا، ولكنـي أرجـو أن أسـتمر في التعـرض لهـذه الأشـعة حتـى أشـفى تمامًـا.

بالفعـل سـوف نرتـب مـع طبيبـك لذلـك، ونشـكرك عـلى التـبرع لصالـح مرضى الأورام، ولكـن نطلـب منـك ألا تخـبر أحـدًا بمـا حـدث لـك حتـى نجتمـع بعـد ثلاثـة أيـام في وجـود طبيبـك المعالـج. حسـنًا وأنـا أسـعد مريـض في العـالم اليـوم،

وأسعد رجل، وأسعد زوج، وأسعد أب. إنها الحياة التي ترتمي في أحضاني الآن بعد أن ظننت أنها تركتني وولت***

تطلب نشر حالة المريض المزيد من الأبحاث لإثبات هذا التأثير الكبير لتوليفة الأشعة المنطلقة من الجهاز لما سببه البحث من ردود فعل واسعة بين الباحثين في مجال الأورام وخاصة العلاج بالإشعاع. ووصل تأثير هذا البحث إلى مصر بين مؤيد ومعارض بعد أن قدم د. توفيق نبذة عن هذه النتائج في الإعلام حتى أصبح هذا الموضوع حديث الإعلام في مصر نظرًا لشغف المتخصصين والمرضى إلى أي علاج جديد يقضي على المرض دون أن يحدث آثارًا جانبية كبيرة.

ونظرًا لغياب الإعلام العلمي في مصر فإن المجتمع المصري من أكثر المجتمعات خصوبة لانتشار الأخبار العلمية والطبية منها خاصة والمتعلقة بالأورام أو الفيروس الكبدي الوبائي نظرًا لانتشار هذه الأمراض بصورة كبيرة.
تابع خالد أخبار اكتشافه لمعالجة الأورام وكم يخالجه شعور السعادة بأن هناك من قد يستفيدون من هذا العلاج في مصر ولكم هو يتطلع إلى كل نتيجة جديدة يجريها على حالات مرضية يستطيع بها تأكيد النتائج المنشورة.
وصل عدد الحالات التي تم إجراء التجارب عليها أكثر من خمس عشرة حالة كلها من مرضى الأورام كنهج أولي أراد د. تاناكا وخالد أن يثبتا أولًا تأثير أشعة الجهاز على الأورام. ومع أن النتائج كانت متفاوتة من مريض إلى آخر إلا أن الاتجاه العام في أكثر من ٩٠ في المائة من المرضى هو الشفاء بعد أكثر من خمس جلسات على مدار ثلاثة شهور. كانت توصية د. توفيق وخالد في آخر اجتماع هي نشر هذه النتائج في بحث كبير لكي يطلع المجتمع العلمي على حالات أكثر ونتائج متشابهة لتأكيد تأثير الأشعة.

انشغل خالد طوال الوقت بكتابة الأبحاث ونشرها وخاصة الجزء الخاص بنوعية وترددات الأشعة وكيفية عملها على الخلايا الورمية في المزارع الخلوية. وقد وافق الفريق البحثي أيضًا برئاسة د. تاناكا على إهداء ثلاثة أجهزة أخرى إلى د. توفيق ليستطيع من خلالهم دراسة تأثير الأشعة على الأورام المزروعة في حيوانات التجارب، وذلك لدراسة آلية التأثير على الورم

على المستوى الخلوي والجزيئي، الأمر الذي لا يمكن دراسته على الإنسان، ولكن له أهمية قصوى في تحسين العلاج أو تجنب أي أعراض غير مرئية. ملأت قلب خالد السعادة بهذه التوصية فالآن فقط يستطيع أن يقدم أول مساعدة حقيقية منه إلى بلده مصر وإن كانت رمزية في بادئ الأمر.

وكالة المخابرات الأمريكية والعزف على أوتار العلم

«عندما تضيق الأوردة والشرايين متفرقين بالجسد بعيدًا بعيدًا عن القلب, يتجمعا في عناق حميم في مكان هناك ليهديا خلايا الجسد بخلاصة كل طيب من غذاء وهواء... إنه الضيق الذي به الفرج وحلو الحياة».

استعد يا محمود أنت والسيد للسفر إلى مصر بعد ثلاثة أسابيع من الآن، فلم يعد هناك الكثير من الوقت يا عزيزي. أجاد أنت يا خالد فعلًا في السفر إلى مصر وأنت في هذا الانشغال بنتائجك الجديدة ونشرها؟ مؤكد يا محمود، فلقد اتفقنا على ذلك منذ آخر اجتماع مع د. توفيق عندما كنا على العشاء في مسكني.

كما تحب يا عزيزي وأنا معك إلى مصر على نفس الطائرة، فقط أخبرني بالميعاد، فأنا مشتاق إلى مصر كاشتياقي إلى لبنان.

وأنا يا خالد أيضًا سوف أكون معكم على اتفاقنا فأنا لم أزُر مصر منذ سنتين، ولقد اشتقت كثيرًا إلى والدي وأهلي وأصحابي وجيراني، إنها فرصة رائعة لحضور فرحك وللزيارة. سوف أخبرك يا سيد أنت ومحمود بميعاد الحجز غدًا لكي نكون على نفس الطائرة نحن وهمسة على أن يأتي لاحقًا د. تاناكا قبل الفرح بيوم.

والله يا خالد أنا أخشى يوم فرحك أن تنشغل بالأشعة المضاءة من لمبات الكهرباء وتنسى عروسك والمعازيم؛ ولذلك فسوف أطلب من عم صابر ألا يستخدم لمبات كهرباء على الإطلاق لأضمن أن تكون بجانب همسة على الأقل وقت الفرح.

ها ها ها، اطمئن يا محمود ففرح خالد مؤكد سوف يكون في فندق من الفنادق الكبيرة والتي لا تستخدم لمبات الكهرباء.

لا يـا عزيـزي السـيد، أنـا وبـدون جـدال سـوف يكـون فرحـي في الحـارة ليكـون هنـاك كل أحبـابي وأقـراني، فالفـرح سـوف يكـون أفراحًـا في الحـارة، فـكل قلـب هنـاك سـوف يكـون فرحًـا كبـيرًا. ولكـن أنـا أتوقـع أن يـأتي لفرحـك شـخصيات قياديـة مـن الجامعـة والإعـلام، وأكيـد مـن الصحـة وأنـت تعلـم د. توفيـق سـوف يجعلهـا مناسـبة علميـة للاحتفـال بإنجازاتـك. لا يـا سـيد فقـد اتفقنـا أنـا ودكتـور توفيـق عـلى كل شيء، وأوضحـت لـه رغبتـي أنـا وهمسـة أن يكـون كل شيء بسـيطًا، فهـو يـوم تجميـع الذكريـات التـي ليـس مـكان لهـا سـوى الحـارة. رائـع يـا خالـد، ومـن يريـدك يـأتي لـك ويسـعد بـك في أي مـكان.

الآن أنـا مـا زلـت مـصرًّا عـلى عـدم اسـتخدام لمبـات الكهربـاء رضيـت أم أبيـت، فسـوف اكـون هنـاك.

عمومًـا كـما تشـاء يـا عزيـزي محمـود إن اسـتطعت أن تتغلـب عـلى تقاليـد أهـل الحـارة فسـوف تكـون بطـل الحـارة***

إزيـك مامـا، وحشـتيني كتـير، كأني تركتـك منـذ خمـس سـنوات وليـس فقـط خمسـة أشـهر.

وأنـتِ يـا همسـة لم أعـد أطيـق الحيـاة بدونـك، الاتصـال تليفونيًّـا والتواصـل مـن الفيسـبووك والسـكايبي لا يكفينـي.

أنـا وخالـد قررنـا نـزول مـصر الشـهر القـادم كـما خططنـا وقلنـا لـكِ مـن قبـل للـزواج، وسـوف أكـون معـكِ لمـدة شـهر كامـل، وإن أردتِ فيـا ليتـك تـأتي معـي لتقيمـي معنـا باليابـان، فلقـد اسـتقرت أمـوري أنـا وخالـد وتـم تسـجيلي للماجسـتير وخالـد أنهـى معظـم التجـارب الرئيسـية في المـشروع والتـي يريـد أن يعرضهـا في مـصر فـور عودتـه.

رائـع يـا همسـة وأنـا أنتظركـم عـلى أحـر مـن الجمـر، وسـوف أقـوم مـع عـم صابـر بتجهيـز مسـكنكم الجديـد كـما وصفتـي لي قبـل سـفرك لخالـد.

أنـا أتتـوق يـا مامـا لنـزول مـصر فقـد أوحشـني كل شيء، وأريـد أن أرى كل شيء في مـصر مـرة أخـرى وخالـد معـي وأنـتِ بيننـا، سـوف يكـون شـعور الحيـاة بأجمـل صورهـا، ادعـي لي يـا مامـا فأنـا أحتـاج دائمًـا لدعائـك.

لك كل أنواع الدعوات يا أجمل البنات وأحنها***

تراكمـت النتائـج بسرعـة فائقـة مـن كل الاتجاهـات، فعـلى جانـب كانـت التجـارب الخاصـة بالإبحـار والتحكـم في الزمـن تـسري كـما خطـط لهـا عـلى قـدم وسـاق بـل زاد عليـه إدخـال مجموعـات جديـدة لم يكـن مقـررًا لهـا الدخـول في التطـوع لتجريـب الجهـاز لـولا مـا حـدث مـع العائلـة والتـي كانـت سـببًا في قبـول تجربـة الجهـاز عـلى ثـلاث شرائـح جديـدة هـي الأطفـال والنسـاء والمـرضى.

وعـلى جانـب آخـر تجمعـت النتائـج الطبيـة المتعلقـة بتأثـير الأشـعة عـلى أورام المـخ فقـط، ونظـرًا لتجمـع كـم هائـل مـن التقاريـر عـلى كل اتجـاه، ونظـرًا لأن خالـدًا ينـوي زيـارة مـصر بعـد أسـبوعين، فقـد قـرر د. تانـاكا الدعـوة لاجتـماع طارئ مـع الفريـق البحثـي كامـلًا قبـل أن يجتمـع هـو وخالـد مـع وفـد الوكالـة الأمريكيـة والأمـن القومـي اليابـاني، الاجتـماع الـذي كان مقـررًا لـه بعـد ثلاثـة شـهور.

تـم عـرض المحـاور الأربعـة للمـشروع في الاجتـماع الـذي ضـم جميـع الفريـق البحثـي بمـا فيهـم د. توفيـق، ولكـن مـن خـلال الفيديـو كونفـرس. اسـتهل خالـد الاجتـماع بعـرض عـن أنـواع الأشـعة، وتردداتهـا، وتوليفاتهـا، وزمـن التعـرض للأشـعة، وعـدد مـرات التعـرض، وكيفيـة التعـرض، والفـترات التـي كانـت تفصـل بـين مـرات التعـرض، والفئـات العمريـة والصحيـة للمتطوعـين، وبعـض التحليـلات الفيزيوحيويـة التـي تـم قياسـها عـلى المـرض ذاتـه أو عـلى الوسـط المحيـط بـه. ثـم أنهـى العـرض بالمقترحـات التـي ظهـرت أثنـاء التجـارب، ومنهـا مقترحـات د. توفيـق بزيـادة زمـن التعـرض للأشـعة في حالـة الإبحـار في المسـتقبل، وكذلـك إدخـال الرسـم الفنـي للتغـيرات النفسـية وغيرهـا.

عـرض د. أوكادا التأثـيرات الطبيـة عـلى المريـض الأول في مرتـه الأولى والثانيـة، ثـم عـلى باقـي مـرضى الأورام، وكيـف أن الأشـعة الصـادرة مـن الجهـاز كان لهـا تأثـير مضـاد للـورم غـير متوقـع عـلى الإطـلاق والـذي تأكـد الفريـق منـه مـن إعـادة التجربـة عـلى أكـثر مـن خمسـة عـشر مريضًـا يعانـون مـن وجـود أورام المـخ بدرجاتهـا المتفاوتـة. قـدم د. أوكادا توصياتـه بإمكانيـة تجربـة الأشـعة عـلى المـرضى جنبًـا إلى جنـب مـع العـلاج الإشـعاعي العـادي خاصـة أنهـا لم تظهـر أي آثـار جانبيـة وخاصـة أن المـرضى الذيـن تـم تجربـة الجهـاز عليهـم كانـوا قـد جربـوا جميعًـا جميـع أنـواع الأشـعة الأخـرى. وأوصى د. أوكادا أيضًـا بإمكانيـة زيـادة الجرعـة وزمـن التعـرض ومـرات التعـرض للحصـول عـلى تأثـيرات أسرع وأكـبر.

أخـيرًا: أوصى بـأن يتـم دراسـة هـذه الأشـعة تحـت ظـروف مختلفـة عـلى الجهـاز المناعـي لاحتماليـة أن يكـون لهـا تأثـير منشـط للخلايـا المناعيـة والمعـروف أنهـا مـن الخلايـا الأكـثر تأثـرًا بالأشـعة وبمـا لهـا مـن علاقـة وطيـدة مـع الحالـة النفسـية للمريـض، وعـلى أن تجـري بعـض هـذه التجـارب عـلى حيوانـات التجـارب في معامـل المعهـد ومعمـل د. توفيـق بمـصر.

أعقـب عـرض د. أوكادا عـرض الطبيـب النفـسي الـذي قـام بعـرض نتائـج الإبحـار في الأزمنـة في كل حالـة، ومـدى مصداقيـة المتطـوع فيـما رآه بالفعـل، وذلـك مـن خـلال قياسـات محـددة أجريـت عـلى المتطوعـين قبـل وبعـد التعرض. قـدم نتائـج التحليـلات النفسـية عـلى المتطوعـين الأصحـاء والمـرضى عـلى حـدة، وكان رائعًـا وهـو يربـط بـين التحليـلات النفسـية والنتائـج الطبيـة للمـرض خاصـة عندمـا عـرض لقطـات مـن الأفـلام التـي تـم تسـجيلها لبعـض الحـالات.

ثـم أفسـح لهمسـة جـزءًا مـن وقتـه للتعـرف عـلى النتائـج الأوليـة للتقنيـة الجديـدة لتسـجيل التعبـيرات النفسـية في لوحـات همسـة وكيـف أنهـا أفـادت جـدًّا تفسـير بعـض نتائـج التحليـلات النفسـية مـن الاسـتبيانات وكيـف أن المتطوعـين أحبـوا جـدًّا هـذه الطريقـة واللوحـات المرسـومة لدرجـة أن أول مـا يسـأل عليـه المتطـوع بعـد إجـراء التجربـة هـو أيـن لوحتـي؟

انبهـر ممثلـو الوكالـة والأمـن القومـي بالنتائـج التـي توصـل إليهـا الفريـق البحثـي بقيـادة د. تانـاكا وخالـد وتفاجئـوا بكـم النتائـج وخاصـة في المجـال الطبـي وتأثـير الأشـعة في الأورام وكذلـك الجـزء الفنـي الـذي أضيـف إلى طـرق التحليـل النفـسي خاصـة أن هـذه الطريقـة متبعـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة حيـث يقـوم فنـان برسـم وجـه أو جسـد المتهـم عنـد التحقيـق معـه، ولكـن ليـس بغـرض التحليـل النفـسي بقـدر مـا هـو تسـجيل للملامـح وتصويـر المتهـم بطريقـة طبيعيـة.

اقـترح ممثلـو الوكالـة والأمـن القومـي اليابـاني أن يتـم دعـوة د. خالـد إلى أحـد المعامـل التخصصيـة في أبحـاث الأشـعة عمومًـا وعـلاج الأورام بالإشـعاع في الولايـات الأمريكيـة لتبـادل الخـبرات وعمـل أبحـاث مشـتركه لتجربـة الجهـاز على متطوعـين أصحـاء أو مـرضى بـأورام المـخ. لم يفاجـأ د. تانـاكا بهـذا الاقـتراح لأنـه يعلـم أنـه سـوف يسـمعه مـن ممثـلي الوكالـة في أي وقـت، وقـد جـاء وقتـه الآن.

فوجئ خالد بهذا الطلب لأنه لم يفكر فيه من قبل قط حيث كان آخر فكره أن يذهب مؤتمرًا لأمريكا كما فعل محمود. خالد يدرك جيدًا كيف يفكر الأمريكان تجاه العلماء المتميزين من البلاد الأخرى، ويعلم كيف يتم استقطابهم ليستفيدوا من خبراتهم ولكنه لم يتوقع أبدًا أن يكون من ضمن هؤلاء العلماء في يوم من الأيام خاصة وهو في مثل هذا السن الصغير وقبل حصوله على درجة الدكتوراه.

يجب أن أنوه في الاجتماع أن خالدًا يرغب في زيارة مصر بعد أسبوع من الآن ليتزوج من همسة خطيبته التي انضمت للمشروع منذ ستة أشهر تقريبًا وفي نفس الوقت ليتقابل مع د. توفيق مستشار المشروع لمناقشته في إجراء بعض البحوث على حيوانات التجارب، ولتجربة الجهاز على بعض المتبرعين من مصر كما تم في اليابان، وسوف يتم لاحقًا في أمريكا.

حسنًا د. تاناكا، ألف مبروك لك يا خالد، ولعل الزواج يكون بابًا لمزيد الأفكار الرائعة.

إذا كان الأمر كذلك نحن نرى أن نوصي بأن يمنح د. خالد لقب سفير النوايا الحسنة بالأمم المتحدة تحقيقًا لما وعدنا به في أول اجتماع بيننا.

أشكركم جدًّا على ثقتكم الكبيرة ولكن أنا أقترح أن يؤجل هذا اللقب حتى أحصل على الدكتوراه حتى أكون مستعدًّا نفسيًّا وعلميًّا واجتماعيًّا لهذا الشرف الكبير.

يا خالد، أنا أرى أن هذا لقب يتمناه الكثير، وقد حصل عليه الكثير من بلاد الشرق الأوسط الذين لا يستحقونه، وأنت أحق به لما بذلته للبشرية من اكتشافات سوف يكون لها تطبيقات هائلة، وما كان ذلك إلا بسبب نواياك الحسنة التي من الممكن أن توظفها لصالح الناس خاصة في بلدك مصر التي تحتاج الكثير من جهود أبنائها. أشكرك د. تاناكا ولكني مازلت أرى أني أحتاج إلى أن أتهيأ نفسيًّا واجتماعيًّا لهذا الأمر حتى أنجح فيه، وسوف تكون زيارتي لمصر هذه المرة تكملة لما قمت به هناك المرة الماضية من لقاءات إعلامية وأكاديمية قد تجعل المصريين يتقبلون الفكرة.

كـما تشـاء يـا خالـد، ولكنـي تعلمـت مـن دروس الحيـاة أن الفـرص الكبـيرة لا تـأتي إلا مـرة واحـدة، ونـادرًا مـا تتكـرر. حسـنًا يـا خالـد نحـترم رأيـك وسـنبلغه إلى المسـئولين في أمريـكا واليابـان، وسـوف نؤجـل اتصالنـا بالمسـئولين في مـصر مـن أجـل هـذا الاقـتراح، ونتمنـى لـك حيـاة زوجيـة رائعـة بعيـدًا عـن الأشـعة، ولكـن لا تنسـاها فهـي سـبب السـعادة كلهـا. ضحـك الجميـع وانتهـى الاجتـماع بعـد أن قاربـت السـاعة عـلى الثانيـة عـشرة.

الطريق إلى القاهرة وإشراقة شعاع الحلم

«النجاح مثل الثوب الحرير, يجب على صاحبه أن يزود عنه شرر النيران المحيطة برش الماء والطيب أولًا بأول حتى لا يحترق الثوب ويبقى صاحبه عاريًا. ولكن في معظم الأحيان يبقى صاحب الثوب مشغولًا بالطريق وينسى الثوب وينسى النيران المجاورة».

لا أصدق أننا في الطائرة سويًّا ومتجهين إلى القاهرة بعد أول غربة لي ولمدة ستة أشهر كاملة لي خارج مصر، لقد اشتقت لماما جدًّا يا خالد وللأصدقاء وللجيران وكل شيء، لم أكن أعلم أن مصر لها كل هذا الحنين. نحن نحب ونعشق مصر يا همسة وهي بلد يعشق لسحر جوه وطيبة فأصبح الجوار على مستوى القلوب والعيون حتى جعلت الناس يعيشون كحبل متين فتأتي الغربة وتشد هذا الحبل من أطرافه فيتعذب ساكنوه ولكنه لا ينقطع.

فعلًا يا خالد الغربة تؤجج الحنين إلى مصر بكل مشاكلها وسلبياتها والتي نتناساها عندما نكون بعيدًا، ولكن منذ مجيئك طوكيو وأنا لا أشعر بالغربة يا همس فقد ملأتِ على حياتي. ساعات يا خالد وسوف نكون في مصر وساعات أخرى زوجين لا نفترق أبدًا إن شاء الله.

يا دكاترة كفاية كلام عن الغربة، لاحظا أني هنا وراءكم تركت اليابان وتركت لبنان وذاهب إلى مصر ولا أشعر بالغربة، بالعكس فأنا أشعر براحة غريبة وانا معكم إلى مصر.

طبعًا يا محمود، وسوف تشعر بالراحة أكثر وأنت تشاركني بيتي في القاهرة، وسوف أجعلك تعيش وكأنك في لبنان فلدينا في القاهرة كثير من اللمسات اللبنانية. ولكنني حجزت غرفة لي في فندق في وسط البلد يا سيد، ولا داعي لإزعاجك أبدًا.

يا حبيبي، أنا سأكون سعيدًا وأنت معي، فأنا أعيش هناك بمفردي،

وأهـلي رتبـوا كل شيء ولا اعـتراض عـلى مـا قـد قـرره أهـلي. شـكرًا يـا سـيد، إنـه لكـرم كبـير منـك، فعـلًا أني كنـت أفهمـك خطـأ طـوال الفـترة الماضيـة.

جـاء وقـت الغـداء يـا شـباب، اسـتعدوا لنـأكل ثـم ننـام لنرتـاح ونسـتعد لاسـتقبال هـواء القاهـرة العظيمـة.

ذاب قلـب همسـة بدقاتـه لحظـة مـا لمسـت قدماهـا أرض المطـار وجـرت كالطفلـة عـلى حضـن أمهـا وكأنهـا امتلكـت العـالم كلـه بحنانـه وكأنهـا لم ترهـا منـذ عـشرات السـنين. حمـدًا للـه عـلى السـلامة يـا همسـة، نـورتِ قلبـي وأنـرتِ مـصر كلهـا، وأنـت يـا خالـد، نـوّرت العـالم كلـه حبيـب قلبـي وعـم صابـر ينتظـرك عـلى أحـر مـن الجمـر، وأصر أن يسـتقبلك في البيـت فهـو يشـعر بسـعادة بالغـة وأنـت تدخـل عليـه كـما كنـت تعـود قبـل سـفرك، فقـد اشـتاق إلى هـذا الشـعور جـدًّا. أعطـاه اللـه الصحـة والهنـاء وحجـة عـن قريـب إن شـاء اللـه. وأنـتِ يـا مامـا إزيـك، وحشـتيني.

كان وقـع كلمـة مامـا رائعًـا عـلى أم همسـة التـي أمطـرت همسـة بالقبـل وبالأحضـان وامتصتهـا في حضنهـا وغابـت همسـة عـن أعـين خالـد ولم يعـد يـرى سـوى خصـلات شـعرها تتـدلى مـن أحضـان أمهـا. ألا تـتركي لي بعـض السـلامات يـا همسـة، أنـا أيضًـا مشـتاق واللـه. ابتسـمت أم همسـة بحنـان بالـغ وأخـذت خالـدًا تحـت إبطهـا وربتـت عـلى كتفـه وقبلـت جبينـه. توجـه خالـد والسـيد ومحمـود إلى الأنيـق دائمًـا سـواء في مـصر أو اليابـان، أسـتاذ الـكل د. توفيـق فاتحًـا ذراعيـه للجميـع ووجهـه مملـوء بالسـعادة والانـشراح وكأنـه يـرى أولاد عمـره مـن بعـد فـراق السـنين.

لاحظ خالد نفس الموقف الذي رآه في المطار في زيارته الأولى للقاهرة.

لم أتوقـع أن يكـون هنـا أي إعـلام يـا أسـتاذي، أهـم فعـلًا إعـلام هنا لاسـتقبالي أم أنـا مخطئ؟

في الواقـع يـا خالـد هنـاك العديـد مـن الباحثـين الذيـن قـرءوا الأبحـاث المنشـورة لفريقـك والبعـض الآخـر سـمع عـن محاضراتـك في المؤتمـرات الأخـيرة بالصـين واليابـان وعـن الاكتشـافات الطبيـة الجديـدة للأشـعة. لقـد انتـشرت

هـذه الأخبـار في الإعـلام، وتـم الاتصـال بي، ولكنـي أخـبرت الجميـع أن ينتظـر قدومـك مـن اليابـان لزيـارة قريبـة. وكـما تـرى، جـاءوا ليقابلـوك وأنـا لا أجـد في ذلـك غضاضـة فأنـا أفضـل أن يسـمعوا منـك الحقيقـة بـدلًا مـن أن يسـمعوها مـن آخريـن قـد يكونـون معـك أو ضـدك.

معـك كل الحـق د. توفيـق، ولكـن ليـت اللقـاءات تكـون للتنويـه فقـط إلى أن يتـم الترتيـب للقـاءات مطولـة فيـما بعـد وخاصـة بعـد مراسـم الـزواج. يـا عزيـزي، لا تقلـق عـلى الـزواج، فلنقسـم اللقـاءات قبـل وبعـد الـزواج لأني بصراحـة لا أضمنـك بعـد الـزواج.

ابتسـم خالـد: ليـس لهـذه الدرجـة فزواجـي هـو محـاضرتي الكبـيرة. أعطـى خالـد بعـض التصريحـات وبجانبـه الدكتـور توفيـق عـن الاكتشـاف عمومًـا والطبيـة منهـا خاصـة وفاجـأه سـؤال أحـد الإعلاميـين عـن مـا إذا كان سـبب نزولـه مـصر هـذه المـرة بسـبب الـزواج أم الترويـج للاكتشـاف.

كان جـواب خالـد ذكيًّـا فقـال: لا، مـا جـاء بي إلى مـصر هـو نفـس السـبب الـذي أتى بـك اليـوم لمقابلتـي ولذلـك فسـأترك الإجابـة لـك.

مـا أن وصـل خالـد الحـارة ودنـا مـن البيـت إلا ورأى عـن بعـد والـده ينتظـره في بلكونـة البيـت وكأنـه يبحـث عـن خالـد وسـط الزحـام مـع أن أحمـد كان بجـواره.

أهـلًا يـا عـم صابـر، أهـلًا يـا حـاج صابـر، وحشـتني يـا والـدي العزيـز. قبَّـل خالـد يـدي والـده ودمعـات تسـقط مـن مقلتيـه عـلى الحنـين الـذي يشـعر بـه كلـما نظـر لأبيـه وهـو يعلـم أنـه مفارقـه إلى اليابـان في القريـب فكـم تمنـى أن يبقـى بجانـب والـده طـوال العمـر ليعوضـه عـن شـقاء السـنين. ارتمـى خالـد في حضـن والـده وكلـه اشـتياق إلى ذلـك الحنـان الـذي يلفـه كثـوب ليـس لـه نهايـة، ثـوب نسـجه مـن حنـان وملمسـه حنـان وطيبـه حنـان، حنـان الأبـوة الـذي لـو تفـرق عـلى أهـل الأرض جميعًـا لغمرتهـم حنـان.

سـلمت همسـة عـلى عـم صابـر الـذي لم يسـتطع أن يمنـع أو يـداري حبـات بكائـه التـي بللـت وجهـه لتغسـله مـن همـوم الاشـتياق إلى خالـد، إنهـا مزيـج مـن دمـوع الفـرح واللوعـة عندمـا يرحـل خالـد وعروسـه مـرة أخـرى، ولكـن

يهـون كل شيء مـن أجـل خالـد.

أهــلًا أحمــد صديقــي الحبيــب، اشــتقت إليــك جــدًّا، لي كلام كثــير معــك اختزنتـه طيلـة الفـترة الماضيـة يـا عزيـزي. ابـقَ هنـا يـا محمـود أنـت والسـيد مـع والـدي ودكتـور توفيـق وأحمـد لاصطحـاب همسـة ليسـلما عـلى والدتهـا ودعوتهـا للعشـاء سـويًّا في بيـت عـم صابـر. بعـد أن ارتـوى مـن حنـان والـده ذهـب خالـد ليحـضر والـدة همسـة للدعـوة عـلى العشـاء والتـي قـام بطهيهـا عـم صابـر لخالـد عـلى نـار هادئـة وأنفـاس تبتسـم وتحنـو الذكريـات زمـن المـاضي القريـب.

رائحـة الهـواء منعشـة جـدًّا يـا خالـد، أنـا أشـعر أن الهـواء في الحـارة يبـارك فرحتنـا مـن أعـماق ذراتـه، ليتنـي أسـتطيع أن أعبئـه داخـلي لأضـع فيـه أنفـاسي، ثـم ألقيـه بـين شـفاك تتنفسـه مـن فمـي. آه يـا همسـة، لقـد اشـتقت إلى كل شيء في الحـارة، وخاصـة المـكان الـذي تقابلنـا فيـه أول مـرة. انظـري مامـا تنتظـر هنـاك وعيناهـا عـلى الشـارع تتلفـت في كل مـكان، تعـالي نختبـئ لنـدور حـول البيـت ونفاجئهـا بهـدوء مـن الخلـف.

ضحكـت همسـة مـن فكـرة خالـد وكانـت فرصـة جميلـة للهـو الأطفـال الذي تسـتمتع بـه أيمـا اسـتمتاع، ومـا أجمـل مـن أن تـرى الأم ابنتهـا وخطيبهـا وهـم يتقافـزان في فـرح ينـثرون ضحكاتهـم كالأطفـال . طلـب خالـد مـن والـدة همسـة أن تـأتي معــه إلى بيــت والــده لــترى أصدقــاءه وليقضــوا بعــض الوقــت ســويًّا فلحظـات اللقـاء سـتكون أجمـل اللحظـات.

كـم أنـا سـعيد يـا عـم صابـر بوجـودي في مـصر بينكـم، أعيـش كالطـاووس، الـكل يهتـم بي هنـا وهنـاك عنـد همسـة وعنـد السـيد وعنـد أحمـد وعنـد د. توفيـق، ولا أحمـل هـم الطهـي أو الذهـاب إلى الكافيتيريـا التـي تعاقـب معـدتي كل يـوم بالأصنـاف اليابانيـة الرخيصـة، فأنـا أكفـر عـن كل ذنـب اقترفتـه في حـق معـدتي بتـذوق الأصنـاف المصريـة اللذيـذة، فكـم أنـا سـعيد بكـم إخـواني.

وغـدًا العشـاء عندنـا يـا محمـود وسـوف أجعلـك تكفـر عـن عقابـك لمعدتـك للعـام القـادم بأكملـه، فكـن جاهـزًا لمفاجـآت همسـة وأم همسـة في طهـي ألـذ الأصناف.

انطلقـت الضحـكات، وكانـت أحـلى الأمسـيات، وقـضى الجميـع وقتًـا جميـلًا عـلى النـكات التـي كان يطلقهـا محمـود مـن وقـت لآخـر، وكانـت فرصـة للاتفـاق

عـلى مراسـم الفـرح بعـد أسـبوع خاصـة أن عـم صابـر وأم همسـة طمأنـوا خالـدًا أن المسـكن لا ينقصـه أي شيء، فقـد تـم تجهيـزه كـما أرادت همسـة ليكـون مفاجـأة لخالـد عـلى ذوق همسـة***

كانـت أسـئلة المذيـع في البرنامـج التليفزيـوني الشـهير مرتبـة وهادفـة وذكيـه جعلـت خالـدًا يـرد عليهـا بثقـة كبـيرة وارتيـاح شـديد خاصـة أن معظـم الأسـئلة كانـت متعلقـة بكيفيـة الاكتشـاف وأهميتـه وكيـف تسـتفيد منـه البشريـة عمومًـا والمصريـون خصوصًـا والباحثـون في هـذا المجـال.

تلقـى خالـد العديـد مـن مداخـلات المشـاهدين الذيـن كان أغلبهـم مـن المـرضى المتطلعـين إلى علاجـات جديـدة لـلأورام. أوضـح خالـد أهميـة الاكتشـاف للمـرضى وإن كان غـير متخصـص في التطبيقـات الطبيـة لكونـه ليـس طبيبًـا، ولكـن كل النتائـج الطبيـة تشـير إلى ذلـك. انهالـت المداخـلات عـلى البرنامـج لمعرفـة المزيد عـن تطبيـق هـذا الاكتشـاف في مـصر مـما اضطـر مقـدم البرنامـج إلى فاصـل.

كان خالـد سـعيدًا جـدًّا وهـو يتحـدث إلى د. توفيـق ومقـدم البرنامـج أثنـاء الفاصـل لأنـه شـعر ولأول مـرة وقـع اكتشـافه عـلى إسـعاد النـاس، وتمنـى أن يـأتي الجهـاز اليـوم قبـل الغـد لتجريبـه عـلى أكـبر عـدد مـن المـرضى في مـصر.

لا تقلـق يـا خالـد، الجهـاز عـلى وصـول خـلال أسـبوع، وسـوف يصـل ثلاثـة أجهـزة كـما طلبـت، وقـد أخـبرني بذلـك د. تانـاكا والـذي سـوف يحـضر في غضـون ثلاثـة أيـام لحضـور زفافـك، ثـم يعـود عـلى الفـور، ولذلـك فقـد رتبـت محاضرتـك في جامعـة القاهـرة بعـد أربعـة أيـام عـلى أن يعطـي د. تانـاكا محـاضرة هـو الآخـر.

رائـع د. توفيـق، أنـا سـعيد جـدًّا بسـماع هـذه الأخبـار، فكـم كان هـذا الرجـل كريمًـا معـي، إنـه فعـلًا نعـم الأسـتاذ والمعلـم.

ومـا أن انتهـى الفاصـل حتـى انهالـت المداخـلات مـرة أخـرى واسترسـل خالـد في التوضيـح بالتركيـز عـلى تجربـة الجهـاز عـلى بعـض المـرضى المصريـين بمجـرد أن يصـل الجهـاز في خـلال أسـبوعين. فوجـئ خالـد بالعديـد مـن المداخـلات الهجوميـة عـلى كلمـة تجربـة، واتهمـه البعـض عـلى الهـواء أنـه يجعـل مـن المصريـين حيوانـات تجـارب، وأن هـذا الاكتشـاف قـد يكـون مجـرد كلـمات

جوفـاء للشـهرة العلميـة.

شـعر خالـد ومقـدم البرنامـج ودكتـور توفيـق خلـف السـتار باسـتياء شـديد جـدًّا والـذي زادت حدتـه عندمـا اتصـل بعـض الشـيوخ مهاجمـين فكـرة التحكـم في الوقـت، وأنهـا ضـد مشـيئة اللـه وضـد الإيمـان بالغيبيـات التـي لا يعلمهـا إلا اللـه حتـى إن أحـد الشـيوخ اتهـم خالـد بالزندقـة والبعـد عـن الإسـلام وتأثـره بالبوذيـة اليابانيـة، وعليـه أن يتـوب ويعـود إلى اللـه ومـصر.

صدمـت هـذه المداخـلات عقـل وقلـب خالـد وذهـل مـن هـول مفاجـأة المداخـلات، ومـع أنـه قـام بالـرد عـلى معظمهـا إلا أنـه انتابـته حالـة غثيـان شـديدة مـما اضطـر مقـدم البرنامـج إلى إنهـاء الفقـرة وطلـب طبيـب في الحـال ليطمـئن عـلى خالـد. لم يشـأ د. توفيـق أن يبقـي عـلى خالـد في هـذا المـكان أكـثر مـن ذلـك، وأصر أن يأخـذ خالـدًا إلى طبيبـه الخـاص بالمستشـفى المجـاورة لبيتـه حتـى لا يعلـم والـده ولا همسـة عـما حـدث حتـى يفيـق.

أفـاق خالـد مـن حالـة الغثيـان الشـديدة بعـد أن طمأنـه الطبيـب بأنهـا قـد تكـون مجـرد رد فعـل لضغـط نفـسي مفاجـئ، ولذلـك فعليـه أن يبتعـد عـن الضغـوط حتـى لا تتكـرر هـذه النوبـة السيئة والتـي قـد تـؤدي إلى قرحـة بالمعـدة. اصطحـب د. توفيـق خالـد إلى الحـارة حتـى لا يقلـق عليـه عـم صابـر وهمسـة، ولكنـه فوجـئ بأكـثر مـن مكالمـة تليفونيـة تتصـل بـه ليطمـئن عـلى ضيفـه وتلميـذه خالـد، فكانـت ردود د. توفيـق مقتضبـة بـأن د. خالـد عـلى مـا يـرام وليـس هنـاك مـا يدعـو للقلـق. لم يشـأ د. توفيـق أن يخـبر خالـدًا بهـذه المكالمـات حتـى يبقـى عـلى هدوئـه وحتـى لا تثـيره الشـكوك وراء انتقـال الأخبـار بهـذه السرعـة خاصـة أن لا أحـد يعلـم عـن ذلـك سـوى مقـدم البرنامـج والمعـد والمخـرج والمصـور.

أهـلًا يـا د. توفيـق، أهـلًا يـا خالـد، كنـت سـوف أتصـل حـالًا لقلقـي عليكـم وتأخيركـم عـن الميعـاد، فالـكل ينتظـر في الصالـون، السـيد وأحمـد ومحمـود وطبعًـا عـم صابـر لم يشـأ أن يـأتي إلى هنـا قبـل أن تمـر عليـه بالبيـت هنـاك. آه يـا همسـة إن تخيلـت أنـه هنـا، ادخـل أنـت د. توفيـق وسـأذهب أنـا إليـه لنـأتي سـويًّا مـن بيتنـا وأعتقـد أنـه يريـد ذلـك.

فينـك يـا حـاج؟ لمـاذا لم تذهـب هنـاك لبيـت أم همسـة مـع الجميـع؟ كنـت أود أن أراك هنـاك مـع الصحـاب، هـل حـدث شيء لا قـدر اللـه؟

لا يـا خالـد لم يحـدث شيء، ولكنـي سـوف أشـعر بسـعادة أكـثر ونحـن سـويًّا إلى هنـاك، فلكـم يسـعدني ذلـك وأفتخـر بـه. ولكنـك لا تبـدو عـلى مـا يـرام يـا والـدي، أرجـوك أن تخـبرني بالأمـر فأنـا أقـرأ قلبـك وعقلـك مـن عينيـك وملامـح وجهـك.
أبـدًا يـا خالـد كل مـا في الأمـر أن قلبـي انقبـض عليـك وأنـا أشـاهدك في التلفـاز وشـعرت أنـك لسـت عـلى مـا يـرام. لا يـا والـدي أنـا بخـير واطمـئن، ولا تقلـق مـن شرر النـيران الـذي حـاول أن يهاجمنـي اليـوم فسـوف تطفأهـا ميـاه عقـلي عـما قريـب.

أتمنـى ذلـك يـا خالـد فقـد بـدأت أقلـك عليـك، وعـلى دخولـك في هـذه المهاتـرات مـع أنـاس يتكلمـون بمـا لا يفقهـون.

صدقـت يـا أبي فهـم كذلـك عـلى مـا أظـن، ولكـن لا تقلـق فالحـق أحـق أن يتبـع وسـوف يظهـره اللـه فـوق الجميـع. هيـا بنـا فالجميـع في انتظـار شرفـك يـا حـاج.

دخـل عـم صـبر يتأبـط العريـس ليفاجـأ بمحمـود يغنـي للعروسـين أغنيـة الهـوارة بنفسـه والجميـع يـردد خلفـه بسـعادة ونشـوة غامـرة مـن القلـب للعروسـين .قـضى الجميـع سـهرة رائعـة في بيـت همسـة واتفـق الحـاج صابـر ودكتـور توفيـق مـع أم همسـة عـلى إجـراءات الـزواج وبرنامـج الحفـل.
بعـد أن عـادا إلى البيـت وخـلا عـم صابـر بخالـد سـأله يـا تـرى كيـف كان يومـك يـا خالـد، ومـا كان رد فعـل النـاس عـلى اكتشـافاتك؟

أتمنـى يـا بنـي أن يوفقـك اللـه وتحقـق أمـاني كثـير مـن المصريـين في إمكانيـة شـفاء هـذا المـرض اللعـين.

أنـا لـديّ أمـل كبـير يـا والـدي في الاكتشـافات التـي حققتهـا مـع الفريـق البحثـي والتـي أثمـرت عـن نتائـج حقيقيـة قـد تنتقـل إلى التعميـم عـلى مـرضى أورام المـخ قريبًـا ولكـن ليـس في مـصر، سـنبدأ في اليابـان وأمريـكا.

اندهـش عـم صابـر وهـو يجهـز العشـاء مـع خالـد، ولمـاذا ليـس مـصر أولًا يـا خالـد، أنـت أولى ببلـدك وبلـدك أولى بـك.

هنـاك أسـباب كثـيرة يـا والـدي العزيـز؛ أولهـا: أن هـذا المـشروع ممـول مـن اليابـان وأمريـكا. ثانيهـا: أن التجـارب كلهـا تـم تنفيذهـا في اليابـان. ثالثهـا: أن التجارب تـم إجراؤها عـلى مـرضى يابانيـين؛ ولذلـك فهـم أحـق بـأن يتـم التعميـم عندهـم فقـط. رابعهـا وهـو الأهـم والـذي أهمنـي أن النـاس في مـصر سـواء كانـوا المتخصصـين أو الإعـلام أو الساسـة ينظـرون إلى البحـث العلمـي عـلى أنـه وسـيلة للعـرض والاسـتفادة والشـهرة حتـى ولـو عـلى حسـاب الباحـث نفسـه.

كيف ذلك يا خالد؟ أحدث مكروه معك اليوم؟

أعتقد ذلك ولكني لست أدري لماذا ومن وراء ذلك وماذا يريدون.

أخبرني ما حدث؟ فأنا لم أتوقع ذلك.

مـن الممكـن أن أكـون مخطئًـا، ولكـن هـذا مـا شـعرت بـه اليـوم أنـا وزمـلائي محمـود والسـيد وكذلـك د. توفيـق الـذي اضطـر أن يوقـف المؤتمـر الصحفـي وتأجيلـه عـلى هامـش محـاضرة سـوف ألقيهـا في جامعـة القاهـرة لـشرح الجديـد في تطبيقـات الاكتشـافات وتكملـة وإيضاحًـا لمحـاضرتي التـي ألقيتهـا العـام المـاضي.

يجـب أن تعلـم يـا خالـد أن النجـاح مثـل الثـوب الحريـر الـذي يجـب عـلى صاحبـه أن يـزود عنـه شرر النـيران المحيطـة بـرش المـاء أولًا بـأول حتـى لا يحـترق الثـوب ويبقـى صاحبـه عاريًـا. فعـلًا يـا والـدي الحبيـب، ولكـن للأسـف في معظـم الأحيـان يبقـى صاحـب الثـوب مشـغولًا بالطريـق وينـسى الثـوب، وينـسى النـيران المجـاورة.

هـذا طبيعـي يـا خالـد، ولذلـك يجـب عـلى مـن اسـتطاع أن يصنـع ثـوب النجـاح أن يصنـع مـن يحميـه مـن النـيران، ومـا ذلـك بعسـير. ومـا عليـك في كل الأحـوال إلا أن تصدق النيـة وتتـوكل عـلى اللـه، وأن تتحمـل لسـعة أو حريـق مـن شرر النـيران. وخـذ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أسـوة في ذلـك والـذي أوذي مـن أهلـه واضطـر إلى هجـرة مكـة حبيبتـه للبعـد عـن النـيران حتـى يصنـع مـن يسـانده في إطفـاء أو عـلى الأقـل الـذود عنـه مـن شرر تلـك النـيران.

ونعـم باللـه يـا والـدي الحبيـب، لكـم أراحنـي حديثـك العـذب الـذي لا يعلـو عليـه حديـث.

د. تاناكا يزف فرحة همسة في القاهرة

«أنت أجمل من أنطونيو وأقوى من أمنحتب وهي أجمل من كليوباترا وأعذب من نفرتاري. غدًا سوف يسجل التاريخ زواجكما في قلوب الناس كما حفر في قلوبكما للأبد فالجدران قد لا تعيش طويلًا، ولكن جدران قلوب الحب تحيا للأبد».

أهلًا دكتور تاناكا، أنرت مصر بابتساماتك وعلمك، لكم كنت أشتاق إلى هذه الزيارة وكأنها حلم كبير. أهلًا بك د. توفيق وأهلًا بكم يا أولاد، واضح أن معظم أفراد الفريق البحثي هنا في مصر، فرصة لكي نعقد اجتماعًا هنا في المطار. تعالت الضحكات من الجميع على لفتة د. تاناكا والذي فوجئ بجمال المطار ونظامه عكس ما كان يتوقعه.

أين عم صابر يا خالد؟

في البيت وهو مشتاق إلى أن يلقاك غدًا هو وأم همسة.

أيعني هذا أنهم تزوجوا على غرار زواجك أنت وهمسة؟ إذا كان كذلك فالأمر مغري للجميع. لا لا د. تاناكا كل في بيته، ولكن كل يريد أن يلقاك، وأنا أيضًا فلم يسبق لي أن تقابلت مع أي أب أو أم مصرية، فهذه خبرتي الأولى في مصر.

الآباء في الأفراح في مصر يا د. تاناكا يهبون أنفسهم وحياتهم للأولاد حتى بعد أن يتزوج الأولاد، تستطيع أن تقول إن حياة الآباء الشخصية تنتهي عند خلفة الأولاد، وسوف تلاحظ هذا معكوسًا في السلوكيات وطبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء .

تعالوا نجلس سويًّا في غرفة كبار الزوار، فكرة رائعة د. توفيق على الأقل لكي يرتاح د. تاناكا قليلًا وفرصة نتحدث فيما تم حتى الآن في الإعلام، وكذلك المحاضرة التي سوف يلقيها بعد غد في جامعة القاهرة وجدول

اللقـاءات الإعلاميـة في صحبـة خالـد ودكتـور توفيـق.

لمعـت عيـون همسـة، واغرورقـت بالدمـوع عندمـا رأت اسـمها بجـوار اسـم خالـد عـلى كارت الدعـوة لزفافهـا والـذي سـوف تشـهد الحـارة لـه بعـد يومـين لتسـتطيع بعدهـا أن تنعـم بـدفء أحضـان خالـد بجانـب أحضـان عينيـه، وليكون هنـاك خوالـد منهـا وتهنـأ بحديثـه كل صبـاح وترتشـف حنانـه كل مسـاء. فعـلًا الـزواج عـن حـب ليـس مجـرد زيجـة بـل زيجـات.

ألـف مـبروك يـا همسـة، غـدًا نكـون زوجـين أمـام اللـه وأمـام النـاس وإلى الأبـد.

وكأن خالـدًا يعيـش نفـس الإحسـاس، وتتفاعـل داخلـه كل تلـك المشـاعر التـي تتأجـج بقلـب همسـة والتـي تسـكن قلبـه مـن سـنوات، وشـهدت عليهـا الحـارة والجامعـة وطوكيـو كلـما أصبـح أو أمـسى، وعـانى مـن الفـراق واشـتاق إلى اللقـاء، ولكـن زف إليـه حـب همسـة منـذ مـا يقـرب مـن ثمانيـة أشـهر فأصبـح زوجًـا للحـب المتلألـئ بعيـون همسـة وينبـض في قلبهـا دقـات.

تـلألأت الحـارة بأنـوار لمبـات الكهربـاء مـن كل لـون عناقيـد تزيـن أعنـاق بيـوت الحـارة، تعلـو وتهبـط وتباعـد، ثـم تتلاقـى متراقصـة عـلى الجـدران وكأنهـا تسـتعرض نـور أشـعتها احتفـالًا بحـب خالـد وهمسـة وتزاوجهـما. إنـه لاسـتعراض للأشـعة رائـع يـا خالـد يلـون الليـل بأنـوار يرتديهـا ثوبًـا وكأنـه يتزيـن لـك وهمسـة.

مـبروك خالـد، كـم أنـا سـعيد لكـما، تذكـراني بفـرح كليوباتـرا وقيـصر، وبتزاوج أمنحتـب مـن نفرتـاري التـي رأيـت أحداثـه أمـس مسـجلة عـلى جـدران المعابـد التـي زرتهـا أمـس وقبـل أمـس. أنـت أجمـل مـن أنطونيـو وأقـوى مـن أمنحتـب وهـي أجمـل مـن كليوباتـرا وأطيـب مـن نفرتـاري.

غـدًا سـوف يسـجل التاريـخ زواجكـما في قلـوب النـاس كـما حفـر في قلوبكـما للأبـد فالجـدران قـد لا تعيـش طويـلًا، ولكـن جـدران قلـوب الحـب تحيـا للأبـد.

سـعيد بشـعورك أسـتاذي العزيـز وبتعبيراتـك الرائعـة الشـفافة وسـعيد جـدًّا بـأن تـأتي مـصر خصيصًـا لحضـور فرحـي، أشـعر وكأن اليابـان كلهـا تحتفـل بفرحـي. بالفعـل يـا خالـد، لقـد أحـضرت معـي التهـاني مـن آلاف القلـوب المحبـة

لـك والممتنـة باكتشـافاتك التـي أسـعدت قلـوب الكثـير. الشـعب اليابـاني يـا خالـد يقـدر العلـماء ويـدرك قيمـة العلـم ولكـن بهـدوء يضفـي عـلى العلـم والعلـماء الرونـق الـذي يليـق بـه.

حقًّـا أسـتاذي، هـذا مـا رأيتـه وأراه بعينـيّ كل يـوم في مدينتـي الثانيـة طوكيو، ولأنـك ودكتـور توفيـق والسـيد وهمسـة مـن مـصر يـا خالـد فأنـا متأكـد أن المصريـين كذلـك لمـا رأيتـه في عيونكـم وقلوبكـم وعقولكـم مـن حـب للعلـم والتنافـس الرائـع الـذي أثـرى معامـلي في طوكيـو.

مؤكـد أسـتاذي سـوف تـرى ذلـك بنفسـك أثنـاء المحـاضرات التـي سـوف نلقيهـا بعـد ثلاثـة أيـام في جامعـة القاهـرة. أتمنـى أن تكـون مفيـدة للجميـع يـا خالـد.

أرى السـعادة تتبخـتر ضاحكـة عـلى خطـوط وجهـك يـا عـم صابـر، أكاد أرى كل أعـوام عمـرك وسـنينها، وقـد تجمعـت متشـابكة الأيـدي بعضهـا منتشـية وهـي تقفـز فرحـة لفـرح قلبـك يـا عـم صابـر. فعـلًا يـا دكتـور توفيـق، كل خليـة في جسـدي يملؤهـا الفـرح فأصبـح كلي فـرح بـزواج خالـد وهمسـة، إنـه ولـدي الوحيـد وصديقـي الأقـرب، وأخـي الأصغـر، إنـه العنـوان والأسـطر والكلـمات لعمـر عشـته لـه وتمنيـت كل لحظـة فيـه أن تكـون سـببًا في سـعادته. أحمـد اللـه أن أحلامـي أراهـا واقعًـا بـين يـديّ.

مـا هـذا الـكلام الكبـير جـدًّا يـا عـم صابـر؟ الآن عرفـت مـن أيـن أتى خالـد بموهبـة الشـعر، إنـك أنـت الشـاعر الأكـبر، ذكرتنـي بوالـدي الحبيـب في الضيعـة بلبنـان ففيـه شـبه كبـير منـك في الملامـح والكلـمات.

الآباء العرب يا محمود يحملون كلهم قلوبًا متشابهة في حب الأولاد.

عقبالـك يـا دكتـور سـيد إن شـاء اللـه يـا عـم صابـر، سـوف أحقـق هـذه الأمنيـة لوالـدي ولنفـسي في القريـب، ولكـن بعـد أن أحقـق طموحـاتي التـي بـدأت أراهـا مـع خالـد، ومـاذا عنـي يـا عـم صابـر؟ ألسـت أنـا في خطـة دعواتـك للـزواج؟ أنـت تعلـم يـا أحمـد محبتـي لـك، فأنـت خالـد الآخـر، ولكـن أريـدك ألا تنشـغل عنـي غصبًـا عنـك وتتركنـي أنـت الآخـر كـما تركنـي خالـد وسـافر.

لا يـا سـيدي، ادعُ لي أن أتـزوج واهنًـا بقلـب جميـل أحبـه ويحبنـي وأنـا سـوف أعيـش معـك هنـا أنـا وهـذا القلـب، فقـط أريـد القلـب يـا عـم صابـر.

ضرب محمـود بيديـه عـلى صـدره وصـاح: هـذا القلـب هنـا يـا أحمـد، لا تبحـث بعيـدًا، إنـه في صـدري وأنـا موافـق مقدمًـا يـا باشـا أن أتزوجـك وأعيـش مـع عـم صابـر.

ضحـك الجميـع ضحـكات كلهـا مـرح وحـب وانـشراح، فقـام محمـود وغنـى الهـوارة وأخـذ خالـد وعـم صابـر بـين يديـه وانطلـق رقصًـا وانضـم إليهـم د. توفيـق والسـيد وأحمـد وكانـت السـهرة مـن أجمـل الليـالي والسـهرات.

اليـوم يـوم الخميـس، يـوم العـرس في مـصر، ويـوم الفـرح لخالـد وهمسـة الـذي سـوف يسـجله التاريـخ رمـزًا للقـاء الحـب مـن بعـد فـراق.

اليـوم ليـس ككل يـوم، ترمـي الشـمس بأشـعتها في كل مـكان منـذ الصبـاح الباكـر وكأنهـا لـن تنـم منـذ البارحـة سـهرانة في غـزل خيـوط أشـعتها تنتظـر الصبـاح لتبـارك بأشـعتها الكونيـة العـالم وتعقمـه مـن أحقـاد الحاقديـن وكـره الكارهـين ونفقـة الناقمـين. تلقـي الشـمس بأشـعتها ليسـطع حـب خالـد وهمسـة في قلوبهـما وقلـوب كل المحبـين وتحميـه وتقـوي ذراتـه وتصهـر فيهـا مشـاعر العشـق وتكسـبها طيبـة وحنانًـا.

أم همسـة تـروح وتجـيء حـول همسـة كفراشـة تنـشر جناحيهـا فرحـة ولا تـدري أيـن تحـط وأيـن ترقـص وأيـن تطـير فهمسـة بفسـتان الفـرح كالمـلاك الطائـر والفرحـة تمـلأ شـفاها والبسـمة تمـلأ وجههـا والحـب ينـادي مـن صدرهـا عـلى أمهـا لتكـون بجانبهـا وأصدقائهـا. الفرحـة تتناثـر في كل مـكان بالبيـت، كل شيء يغنـي مـع الأغنيـات التـي يغنيهـا الأصدقـاء، الجـدران تغنـي، الأثـاث يغنـي واللمبـات تغنـي، والقلـوب ترقـص عـلى لحـن الأغنيـات.

مـبروك يـا همسـة، يـا همـس العيـون، يـا قـرة العـين، مـا أروعـك وأنـت عـروس! مـا أروع ابتسـامتك! خالـد سـوف يـأتي حـالًا ليطـير بـك ويحـط عـلى الكوشـة أمـام النـاس. كـوني لـه فراشـة، كـوني لـه أمًّـا، وأختًـا، وزوجـة وعاشـقة، كـوني لـه البسـمات والهمسـات كلهـا. سـوف أفعـل وأزيـد يـا أمـي، فهـو فرحـي وسـعادتي.

دق البـاب ودخـل خالـد لـيرى الملائكـة في مـلاك واحـد هـو همسـة، مـا أروعـك يـا همسـة! مـا أروع ابتسـامتك وضحكتـك! مـا أروعـك يـا عـروس العمـر! سـوف تبقـين عروسًـا طـوال العمـر. اقـتربي منـي مليكتـي لـكي أتأكـد أني أمـام مـلاكي وليـس مـن صنـع الخيـال.

ومـا أن اقتربـت همسـة حتـى أحاطهـا خالـد بحضنـه الـذي اتسـع للوجـود وقبّلتـه التـي طبعهـا عـلى جبينهـا فأشـعت عيناهـا نـورًا يمـلأ سـماء ليـل القاهـرة. مـا أحـلى الحـب حـين يمـشي عـلى الأقـدام وحـين يتأبـط بعضـه بعضًـا ويطـير ليحـط أمـام النـاس. هيـا بنـا يـا حبيبـة العمـر لنحـط أمـام الأحبـاب.

الحـارة كلهـا ترقـص وتغنـي فرحًـا بخالـد، امتـلأت بالأحبـاب وكأنهـا قاعـة أفـراح مفتوحـة الأبـواب. صـدح المغنـي بالأغنيـات وانتـشى عـم صابـر وأم همسـة وكأنهـما ملـوك طيبـة في سـالف العـصر والأوان يتملكهـم الزهـو والفـرح وكأن الأحبـاء رعايـا الحـب. وقـف د. توفيـق ودكتـور تانـاكا والسـيد ومحمـود وقبلهـما أحمـد عـلى جانبـي عـم صابـر وأم همسـة وكأنهـم كهنـة جـاءوا ليتوجـوا همسـة وخالـد تـاج الحـب والعشـق والإخـلاص والخلـود للمشـاعر والنقـاء.

غنـى محمـود الهـوارة ورقصـت عـلى ألحانـه وصوتـه العـذب القلـوب، وغنـى د. تانـاكا أغنيـة الحـب باليابانيـة، وغنـى د. توفيـق أغنيـة المشـاعر بالإنجليزيـة، وغنـى السـيد وأحمـد سـويًّا أغنيـة (بـدي نجـوز عـلى العيـد) بالمصريـة.

كان الفـرح أسـطوريًّا ورمـزًا للحـب الحقيقـي الـذي سـكن القلـوب وتعكسـه العيـون، وتعـبر عنـه الكلـمات الصادقـة.

تعـالَ خالـد حبيبـي مـع همسـة نرقـص سـويًّا وانـسَ هيبـة العلـم وانـزل إلى سـاحة الحـب الـذي أراه يملـكك كلـك.

ضحـك خالـد وابتسـمت همسـة واسـتجابًا لمحمـود فرقصـا عـلى دقـات قلوبهـما وأنغـام الهـوارة فـسرى الفـرح ضاحـكا بـين النـاس كالنسـمات.

مـبروك خالـد حبيبـي ومبـروك لـكِ يـا همسـة، الآن جـاء وقـت زواجكـما مـن دون النـاس، هيـا بنـا إلى عـش الزوجيـة، ولكـن اليـوم وغـدًا أنتـم في جنـاح في الفنـدق الـذي أحبـه خالـد، وهـذا هـو المفتـاح، مفتـاح السـعادة لكـما طـوال

العمـر. السـيارة جاهـزة للأمـيرة والأمـير وأنـا السـائق المحظـوظ. ألـف مـبروك يـا أحبـائي. شـكرًا عـلى المفاجـأة الكبـيرة دي يـا دكتـور توفيـق، أنـت الرقـي في كل شيء وخاصـة التعبـير عـن مشـاعرك، ولا تقلقـوا عـلى الباقـي، فعـم صابـر وأم همسـة ودكتـور تانـاكا وأحمـد ومحمـود ركبـوا عربـة السـيد ليسـبقونا هنـاك .

قلبـي وقلوبنـا مملـوءة بالفـرح لكـم، كونـوا زوجـين وحبيبـين إلى الأبـد. لمعـت الدمعـات في عيـون همسـة وخالـد وكأن الدمـوع أيضـا تتعانـق، فهـي دمـع الحـب والفـرح.

خالد وخيال الأشعة يضيء حرم جامعة القاهرة

«فيـكِ كل العجائـب، سـكنت شـوارعك وبناياتـك حتـى شـقوق جدرانـك، فيـكِ كل العجائـب التـي تتولـد العجـب ومـن زمـن، فكيـف تسـتقيم فيـكِ الحيـاة وتزدهـر والـكل مبهـور بالعجـب وهـو يـضرب الـودع ويدعـي الـورع، فيـكِ كل العجائب وأنـا إحـدى عجائبك».

امتـلأ المـدرج عـن آخـره بالأسـاتذة والطـلاب والضيـوف مـن العامـة والمـرضى، وخصصـت الصفـوف الأولى للسـادة عمـداء الكليـات ووكلاء ورؤسـاء الأقسـام. توسـط عـم صابـر الصـف الأول كـما أراد خالـد، وخصصـت المنصـة لرئيـس الجامعـة ونوابـه الثلاثـة ودكتـور تانـاكا وبينهـم خالـد بينـما وقـف د. توفيـق عـلى جانـب المنصـة ليقـدم المتحدثـين تمامًـا كـما فعـل المـرة الماضيـة. امتـلأت القاعـة بـالعديد مـن رجـال الإعـلام، وكان خالـد عـلى أهبـة الاسـتعداد أن يفجـر الأخبـار عـن اكتشـافه وبجـواره د. توفيـق وعينـة عـلى والـده وهمسـة والسـيد ومحمـود.

قـدم د. توفيـق إدارة الجامعـة عـلى المنصـة وألقـى كل منهـم كلـمات قصـيرة للترحيـب بالضيـف الكبـير د. تانـاكا وتلميـذه النابـه وابـن الجامعـة د. خالـد. ثـم قـدم د. تانـاكا والـذي ألقـى محـاضرة قصـيرة عـن أنـواع ودور الأشـعة عمومًـا في الحيـاة والصناعـة والطـب بطريقـة مبسـطة، وكيـف أن مـصر مـن أكـثر البـلاد تمتعًـا بوفـرة الأشـعة الطبيعيـة. ثـم قـدم د. تانـاكا للاكتشـاف العلمـي الـذي هـز العـالم وكيـف أنـه تـم اكتشـافه بالصدفـة البحتـة عـن طريـق ملاحظـة بسـيطة مـن خالـد قـام بربطهـا عمليًّـا بفكـرة مـشروع علمـي، فـكان التـزاوج الرائـع بـين قـدرة الملاحظـة للظواهـر الحياتيـة والتحليـل العلمـي المنطقـي للأمـور الـذي قـد يـؤدي إلى طـرح نظريـات علميـة غـير مسـبوقة كـما حـدث مـع خالـد.

صفـق معظـم الحاضريـن لكلـمات د. تانـاكا القصـيرة إلا مـن بعـض الهمهمات القادمـة مـن جانبـي المـدرج بالتعليـق السـلبي عـلى مـا قـدم د. تانـاكا، ولكـن لم يهتـم أحـد بهـا والتـي ذابـت وسـط التصفيـق الحـاد.

قــدم د. توفيــق خالــد وأعطــى نبــذة قصــيرة عنــه قبــل أن يلقــي خالــد

محاضرته والتي ركز فيها على الأشعة الكونية وأنواعها ومصادرها الطبيعية، ثم كيف تم تعبئتها بطريقة فريدة في الجهاز الذي تم تصميمه ليطلقها بطريقة محكمة وبتوليفات محددة لتحدث تأثيرات مركزة ومؤثرة وبدون آثار جانبية على الخلايا عمومًا وخلايا المخ خاصة.

ثم عرض خالد صور الجهاز وتطور تطبيقاته على متبرعين أصحاء للإبحار في الأزمنة، ثم كيف شاءت الصدفة أن يتم اكتشاف إمكانية علاج الأورام بهذه الأشعة بدرجة أقوى من الأشعة السينية وأشعة جاما، وأتبع ذلك ببعض النتائج والإحصائيات التي أجريت على المرضى في أكثر من ستة أشهر.

شكر د. توفيق د. خالد ثم أعقب عن خطة خالد بالتعاون مع د. تاناكا على إهداء ثلاث أجهزة في المرحلة الأولى لتجريبهم على بعد المتبرعين المصريين، ثم فتح باب الأسئلة للحضور.

انهالت الأسئلة على مسمع خالد، وكان معظمها يتعلق بالنتائج الطبية المنشورة حديثًا. فمع أن معظم الحاضرين كانوا شغوفين لمعرفة معلومات أكثر عن النتائج ومدى تطبيقها على مرضى سرطان المخ، وكذلك باقي الأورام، إلا أن د. توفيق لاحظ أن الأسئلة من بعض الناس كانت هجومية وانتقادية لمجرد النقد، فنبه خالد إلى ذلك، وطلب منه أن يتريث في الرد، وأن يحافظ على تماسك أعصابه حتى لا ينجر إلى ما يريدون.

اندهش خالد لذلك كثيرًا، فكيف يكون هناك من ضد هذه التطبيقات التي بهرت اليابانيين والأمريكيين لدرجة أنهم طلبوا أن يتم تجربة هذا الجهاز هناك وطلبوا من خالد زيارة بعض المعامل المتخصصة.

وفي اللحظة التي كان يفكر فيها خالد عن الأسباب وراء هذا الهجوم فوجئ أن نغمة النقد والهجوم تحولت إلى أصوات عالية وكأنها تبحث عن قتال في معركة ليس فيها أي جنود.

ولما أحس د. توفيق تفاقم الوضع وسيادة هذا الجانب من الحاضرين على حساب الجانب الآخر الذي لم يستطع أن يقوم بأي دفاع، طلب من خالد أن يتوقف، وأخبر الجميع أن د. خالد مجهد جدًّا، ويريد أن يرتاح اليوم على أن يحدد يومًا آخر في نفس المكان بعد ثلاثة أيام.

جاء صوت محمود قويًّا من الخلف وكأنه يريد أن يضرب هذه الأصوات الهجومية بكل قوة صوته، وخاصة أنه لم يتوقع أبدًا أن يكون هناك إنسان على الأرض ضد خالد شخصيًّا أو ضد اكتشافاته التي وبدون شك سوف تفيد البشرية. صاح محمود: أعتقد أنه يجب أن يكمل د. خالد الرد على الجميع حتى تكتمل الصورة العلمية للحضور ويعلموا كيفية الاستفادة من هذا الاكتشاف الكبير الذي أتشرف أنا كلبناني وكذلك د. توفيق ود. السيد وهمسة كمصريين بالاشتراك في هذا المشروع الذي يضم أكثر من خمسين عضوًا من اليابان وأمريكا، وما جاء خالد إلى هنا إلا لإفادة المصريين وما جاء المصريون هنا اليوم إلا للاستفادة.

تعالت الأصوات وبحت الحناجر وتداخلت الهمهمات بين مؤيد ومعارض، ولكن لا أحد يعلم من أين تأتي الأصوات المؤيدة والأخرى المناهضة.

حاول د. توفيق أن يهدأ الجميع ليسمعوا الحقيقة من د. خالد ودكتور تاناكا إلا أن صوته ذاب وسط الهرج والمرج الذي ازداد بين الحاضرين. علا الذهول ملامح د. تاناكا والذي لم يستطع التدخل والذي نظر إلى خالد نظرة إشفاق، ونظر إلى الناس نظرة عتاب وحسرة على الفرص الضائعة التي تتهاوى بين أيديهم، ولكنها ربما قد لا تأتي مرة أخرى هكذا.

احتفظ د. تاناكا بهدوئه، وظل جالسًا في كرسيه راجيًا أن يحدث شيء ما وصورة طوكيو لا تفارق عينيه وكأنها أصبحت عالما بعيد المنال.

وقف خالد وصاح بأعلى صوته: أرجو من الجميع أن يهدأ ويستمع، ثم يقرر، ولكم القرار فلا يمكن أن تناقش الأمور هكذا، ولكن لا حياة لمن تنادي، بالعكس بدا بعض الحاضرين يزيدون بالاتهامات إليه وفي صورة مجموعات كأنها مافيا منظمة تدري تمامًا ماذا تفعل وبينهما أفراد ينساقون وراءهم بالهتافات دون علم حقيقي بما يدري.

وهنا بدأ رئيس الجامعة في التدخل وحث الناس على التمسك بأصول الحوار حتى ينتهي الضيوف من كلامهم، وما أن بدأ توجيه هذه الكلمات إلى الحضور بما فيها الغاضب على ما يحدث من هرج ومرج والحانق على الاكتشاف والحاقد على خالد والمعارض لرئيس الجامعة ونظامه إلا وقد

أصبحـت الأصـوات أكـثر حـدة وبـدأت الأيـادي تتشـابك في همجيـة لم يتخيلهـا خالــد أو د. تانــاكا أو أي مــن الفريــق البحثــي وبعــض الحاضريــن المســالمين والمـرضى الذيـن كان عددهـم يتجـاوز المائـة.

هنـا جـرى أمـن الجامعـة الـذي بـدأ يتوافـد وكـون حلقـة حـول رئيـس الجامعـة ونوابـه حتـى لا يطالهـم أذى الأيـادي المتشـابكة، وخرجـوا بهـم سريعًـا خـارج القاعـة في عرباتهـم ووراءهـم العمـداء والـوكلاء إلى القليـل الـذي ظـل في القاعـة يبحـث عـن مخـرج ولكـن بـلا جـدوى.

وجـد خالـد نفسـه وحيـدًا بجانـب د. تانـاكا الـذي مـا زال شـاردًا في خيالاتـه فيـما يحـدث وكأنـه يشـاهد فيلـمًا مـن صنـع أشـهر مخرجـي هوليـود، ولكـن عـلى أرض مصريـة.

جـرى محمـود ود. توفيـق وبعـض طلابـه وزمـلاؤه والسـيد ومحمـود وأحمـد وأصدقاؤهـم ومعهـم همسـة وأمهـا وقبلهـم عـم صابـر تجـاه خالـد الـذي كان يـدور حـول د. تانـاكا محـاولًا حمايتـه مـن جميـع الجهـات ومـن أي ضرر قـد يـأتي مـن أي اتجـاه.

أحاط الفريق بخالد ودكتور تاناكا ليحموهم إذا تعرضوا لفتك الأيادي.

حـرك هـذا الموقـف الشـجاع لهـذا العـدد القليل بعـض الحاضرين المتحمسـين للاكتشـاف وتطبيقاتـه مـن الأسـاتذة والعامـة والطـلاب، وتبعهـم بعـض المـرضى القـادرون عـلى الحركـة والأورام تسـكن وتثقـل أجسـادهم فكونـوا دوائـر أخـرى حـول خالـد ودكتـور تانـاكا والفريـق البحثـي.

ومـا أن رأى ذلـك باقـي الحضـور حتـى هاجـوا وماجـوا، واتجهـوا إلى هـذه الدوائـر وفضهـا بالقـوة. وهنـا بـدأت الأيـادي الكثـيرة القادمـة مـن اتجاهـات مختلفـة مـن القاعـة بالتشـابك بـكل قوتهـا مـع الدوائـر القليلـة والضعيفـة، فتعـالى الصيـاح وأصـوات الغـوث وكأن الجميـع في معركـة حربيـة للمشـاة.

حـاول أمـن الجامعـة الـذي عـاد لتـوه أن يفـض الاشـتباك ولكنـه ذاب وسـط أيـدي المتشـابكين. انتهـى أمـل خالـد في الخـلاص مـن هـذا الموقـف المخجـل أمـام

د. تاناكا وأمام نفسه، ولكن ماذا عساه أن يفعل.

أين دعواتك يا والدي التي دعوت لي بها طوال السنين الماضية؟ إلا يمكن أن يستجيب الله لإحدى هذه الدعوات الآن ليخرجنا من هذا الكرب. يا ربي النية خالصة لك في مساعدة هؤلاء الناس وما جئنا هنا إلا لهذا الغرض وما جاء د. تاناكا الذي أطلقوا عليه البوذي الكافر إلا لهذا الغرض، وما جئنا بخزعبلات كما يقولون بل بحقائق علمية لم نتوصل إليها إلا بفضلك والتي اعترف بها العالم كله، أينكرها على أهلي. يا رب فوضت أمري إليك.

بدأت الدماء تسيل على الأرض وتأوهات المصابين تزداد وأجساد تقع على الأرض خاصة من المرضى الذين وقع من على أكتافهم الوشاح الذي كانوا يرتدونه من الجامعة رمزًا وتقديرًا لمجيئهم، وتلطخت الأوشحة ببقع الدم وتحولت القاعة بالفعل إلى ساحة حرب المنتصر فيها يصول ويجول بلا ضمير.

تفتق ذهن عم صابر الذي ملأت وجهه الحسرة على ابنه وعلى المرضى وعلى مصر كلها إلى فكرة لعلها تنهي هذا الصراع دون أن يتدخل أحد. تسلل عم صابر بجسده النحيل والواهن من بين الأجساد المتصارعة وهو يتلقى الضربات يمينًا وشمالًا ظنًّا من المهاجمين أنه في طريقه للهروب. لما رآه خالد حاول أن يلحق به ويمسك به ليحميه ولكن نجح عم صابر أن يخرج من بين الأجساد وهو يكتم تأوهاته ويداري على جراحه حتى وصل إلى مكان المذياع والميكروفون.

أدار عم صابر المذياع بأصابعه المرتعشة حتى سمع صوت القرآن يأتي من إذاعة القرآن الكريم بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد فانشرح صدره وكأنه أمسك بسر الأرض ووضع فم الميكروفون على الراديو وظل ممسكًا به بإحدى يديه واليد الأخرى تزيد من الصوت حتى علا صوت القرآن بحلاوته في القاعة والشيخ يتلو الآية الكريمة: {واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا}.

فوجئ الجميع بكلمات الله تعلو وتهبط في خشوع، وبجانب المذياع عم صابر يقف بجسده الواهن وهو يشير إلى السماء بأصبعه فقد فَقَدَ القدرة على الكلام.

فجأة ساد الصمت بالقاعة وكأنها أصبحت مسجدًا كبيرًا يملؤه الخشوع، سكن الناس وهدءوا وعم صابر يتمنى ألا ينتهي الشيخ من تلاوته حتى

يهـدأ النـاس تمامًـا.

تعـالى صـوت بعـض الحضـور وصـاح: اللـه اكبر، والتـي رددهـا وراءه بعـض الحضـور حتـى تحولـت الأصـوات دون أن تـدري إلى نـداءات وتكبـيرات وكأنهـم في عـزاء وهـي التـي كانـت منـذ دقائـق تتقاتـل بـلا رحمـة مهـما كان النـداء.

تعجـب د. تانـاكا مـما يحـدث، كيـف يثـور النـاس وينتقمـون مـن بعضهـم البعـض لمجـرد اختـلاف عـلى شيء لا يدركونـه ولا يملكـون أدواتـه حتـى تصـل درجـات الاختـلاف إلى التشـابك بالأيـدي، ثـم القتـال الدامـي وفجـأة يقـف الجميـع ويكـف عـن القتـال وكأن مـا يحـدث هـو مـن أوامـر مخـرج والممثلـون يطيعونـه كيفـما يشـاء؟

إنـه فعـلًا شـعب غريـب الأطـوار، يـترك أصـل الأمـور ويتمسـك بالفـروع. أتعجـب كيـف يكـون هـذا الشـعب صاحـب حضـارات كبـيرة وعتيقـة؟! مؤكـد أن هنـاك سرًّا في ذلـك أو قـد حـدث تطويـر في الشـخصية المصريـة.

الله معك يا خالد إذا أردت أن تعود إلى مصر في يوم من الأيام.

مـا أن بـدأ المتنازعـان في الهـدوء ليتركـوا الفريـق البحثـي ومـن حولهـم في الخـروج بعـد أن فعلـوا فعلتهـم، وأنهـوا أهدافهـم حتـى ظهـرت قـوات أمـن خاصـة مـن كل بـاب مـن أبـواب المـدرج، قـوات مدججـة بالسـلاح والأكمـة وانتـشروا في المـكان في دقائـق فيسـيطروا عـلى القاعـة وأخرجـوا د. تانـاكا وخالـد وباقـي المجموعـة التـي معهـم بسـلام إلى خـارج القاعـة. فوجـئ خالـد أن مجموعـة القـوات الخاصـة هـذه يوجـد بينهـا أفـراد يتحدثـون الأمريكيـة واليابانيـة، وينـادون عـلى خالـد ودكتـور تانـاكا ودكتـور توفيـق وكأنهـم في مهمـة رسـمية جـاءت لتنفيذهـا.

ومـا أن بـدءوا في شـق الصفـوف بالقـوة غـير عابئـين بهـذه الأجسـاد التـي أنهكها القتـال حتـى هجـم عليهـم المعارضـون مـع أن القـرآن مـا زال يرتـل آيـات الله.

دار صراع شـديد ولكـن هـذه المـرة كانـت الغلبـة مـن نصيـب القـوات التـي لم تجـد صعوبـة في التحكـم في الجميـع وضربهـم ضربًـا مبرحًـا، وانسـحبت خـارج القاعـة بثقـة وبقـوة دون أن تعبـأ بالقبـض عـلى أي مـن المعارضـين الذيـن أنهكهـم القتـال فأصبحـوا فريسـة سـهلة لقـوات الأمـن المركـزي وأمـن الجامعـة

الذيـن أتـوا لتوهـم ليقبضـوا عـلى مـن لم يسـتطع الهـروب منهـم.

اطـمأن خالـد عـلى والـده وعـلى همسـة وعـلى السـيد ومحمـود وأحمـد، فهـدأ بالـه، وحمـد اللـه وهـو ينظـر إلى مـا حـدث وكأنـه كابـوس كبـير أفسـد عليـه الواقع.

نـادى د. تانـاكا عـلى خالـد بمـا بقـي فيـه مـن عزيمـة: ألم يكـن مـن الأجـدى يـا خالـد أن تبحـر بجهـازك في المسـتقبل لتتنبـأ بهـذا الخـراب حتـى نتجنبـه؟ لكـم كنـت أتمنـى أن تكـون فعلـت يـا خالـد. أعتقـد يـا أسـتاذي أنـه لا جـدوى مـن اسـتخدام الجهـاز لصعوبـة التنبـؤ هنـا، فكـما رأيـت العقـول متقلبـة، وتحركهـا المصالـح والعواطـف، والتـي لا ترضـخ لقانـون ولا نامـوس إلا إذا كانـت تحـت تأثـير العاطفـة التـي قـد تـأتي مـن أي رمـز مثـل القـرآن، ولكـن القـرآن قلـما أن يسـمع وإن سـمع لا يـدرك؛ إنهـا مـصر التـي كانـت ومـا زالـت تـئن منـذ انتهـاء حضـارة فراعنتهـا في الصراعـات.

هيا بنا يا أستاذي لنؤكد حجز الطيران ....

لا ترحل صديقي

«أتمنى أن يكون العلم كالماء والهواء للمصريين، وأن يسكن أمام ديار المصريين, يدق على الأبواب المغلقة حتى تنير أشعته كل دار، وسوف تكون أشعتي أول من يطرق الأبواب حبًّا في مصر والمصريين».

بعد أن هدأ الجميع وانفض العراك وأمّنت القوات خالد ودكتور تاناكا تمامًا، طلب د. تاناكا منهم أن ينتظروا خارج القاعة حتى يلملم الجميع أشلاءه، ثم يتحدثوا عما هم فاعلوه بعد الآن، وهل فعلًا خالد مصمم على العودة فورًا أم سوف يغير رأيه ويمكث قليلًا على الأقل حتى يهدأ والده ويطمئن عليه وكذلك أم همسة.

وبالفعل خرجت القوات وانتظرت خارج القاعة ونظر د. تاناكا حوله ليجد الكل مبعثرًا، فهذا خالد يلقي جسده بجواره، وهذا د. توفيق بعيدًا هناك يتكئ على جدار القاعة، وهذا عم صابر ما زال هناك ملقيًا بجسده بجوار الراديو وممسكًا بالميكروفون، وهناك على الكراسي في حالة منهكة أم همسة وبجوارها همسة وعلى اليمين والشمال على أرض القاعة السيد وأحمد ومحمود في حالة إجهاد شديد نتيجة لدفاعهم المستميت عن د. تاناكا.

نهض د. تاناكا متحاملًا على نفسه ممسكًا بنظارته بإحدى يديه وجاكيت البدلة باليد الأخرى، ونادى على خالد والجميع أن ينهضوا فليس ما حدث هو نهاية الحياة، بل يجب أن يكون بداية مرحلة جديدة يجب أن نناقشها ونحددها الآن.

نهض الجميع واقترب خالد من د. تاناكا الذي وضع يده بيد د. تاناكا قاصدًا خارج القاعة، وحوله والده وآثار العراك على ملابسه الممزقة وكذلك د. توفيق الذي أحاط د. تاناكا في صمت بذراعه في حالة تأسف لما حدث وكأنه هو سبب كل هذا العراك اللا منطقي والتشنج العصبي.

تحيـط همسـة خالـد بذراعهـا ورأسـها تحـت إبطـه أيضًـا بصمـت وبجانبهـا أمهـا التـي تسـير بجوارهـم والدمـوع تنسـاب عـلى خديهـا حـسرة عـلى مـا رأتـه اليـوم مـن مأتـم العـراك عـلى عكـس مـا كانـت تنتظـره فرحًـا شـعبيًّا ورسـميًّا احتفـالًا بخالـد ونجاحاتـه. وفي الخلـف يسـير محمـود وأحمـد والسـيد منكسـين رءوسـهم في الأرض في صمـت مهيـب.

بـدا المشـهد جنائزيًّـا والجميـع يمـشي الهوينـا في صمـت وسـكون حـول د. تانـاكا، فمنهـم مـن ينظـر في الأرض مثـل خالـد وأحمـد, ومنهـم مـن ينظـر إلى سـقف القاعـة مثـل د. تانـاكا ومحمـود, ومنهـم مـن ينظـر عـلى د. تانـاكا بـألم وخالـد مثـل عـم صابـر وهمسـة وأمهـا.

ومـع أن د. تانـاكا هـو الغريـب مـن بـين الجميـع بخـلاف محمـود الـذي لا يعتـبر نفسـه غريبًـا إلا أن الـكل انسـاق وراءه ومـشى بجانبـه حتـى جلـس عـلى أحـد المقاعـد بالصـف الأول مـن القاعـة. وهنـا جلـس الجميـع حولـه يمينًـا وشـمالًا في صمـت شـاخصين أبصارهـم إلى الأمـام ناحيـة المنصـة تحـسرًا عـلى مـا حـدث اليـوم وبقسـوة غـير متوقعـة.

سـادت لحظـات مـن الصمـت قبـل أن يفاجـئ د. تانـاكا الجميـع عندمـا قـام بالنـداء عـلى أحـد رجـال القـوات طالبًـا منـه أن يأخـذ صـورة للمجموعـة وهـم في هيئتهـم هـذه لتكـون ذكـرى لهـذا الواقـع. حـاول الجميـع أن يسـتنكر التقـاط هـذه الصـورة إلا أن د. تانـاكا أصرّ قائـلًا: هنـاك لحظـات تاريخيـة يجـب أن نراهـا لاحقًـا في وقـت مـا لم نـدرك أهميتهـا عندمـا تصبـح ماضيًـا في مسـتقبل قـادم لا محالـة.

وبالفعـل تـم التقـاط الصـورة ثـم سـأل د. تانـاكا: هـل مـا زلـت يـا خالـد مصممًـا عـلى رحيلـك فـورًا معـي إلى طوكيـو أم مـا زلـت تفكـر في الأمـر؟

نعـم يـا أسـتاذي سـوف أعـود في أقـرب وقـت إلى طوكيـو، فأنـا لم يعـد لي هنـا أحـد سـوى والـدي وأحمـد وأم همسـة ودكتـور توفيـق. ولم يعـد لي أحـد آخـر بمـصر، فاليـوم والآن انتهـت علاقتـي بطموحـاتي وأمنيـاتي التـي كنـت أنشـدهما مـن أعـماق قلبـي وعقـلي لمـصر في الطـب والصناعـة والسياسـة، فقـد انقلـب عـلى أهـل مـصر شر انقـلاب ولم يعـد أمامـي سـوى الرحيـل المبكـر.

ولكـن مـاذا عـن والـدك وأم همسـة وأحمـد ودكتـور توفيـق؟ أليسـوا هـم أيضًـا مـن أهـل مـصر يـا صديقـي؟ أليـس المـرضى الذيـن أتـوا هنـا ودافعـوا عنـا أثنـاء المعركـة مـن أهـل مـصر؟ يـا خالـد، لا تعاقـب مـصر بمـا فعـل بعـض أهـل مـصر. كـن كريمًـا وتحمـل الصعـاب والعـراك كعادتـك. يـا خالـد شـعاع الشـمس لا يـضيء إلا إذا تـرك الشـمس وسـافر وتخطـى كل مـا يعترضـه حتـى يصـل إلينـا ليدفـئ أجسـادنا. ثـم مـاذا أنـت بفاعـل بوالـدك وباقـي أهلـك؟ أتتركهـم إلى الأبد؟

وقبـل أن يـرد خالـد عـلى د. تانـاكا وعـلى همهـمات الموجوديـن الذيـن شـجعتهم كلـمات د. تانـاكا عـلى الضغـط عـلى خالـد بـأن يغـير رأيه ولا يسـتعجل قـرار عودتـه، إذ فوجـئ الجميـع بلفيـف مـن البـدل السـوداء وبهـا بعـض آثـار الـدم ورءوس عـلى قمـة هـذه البـدل السـوداء مربطـة بشـاش أبيـض تدخـل القاعـة بعـد أن أفسـحت لهـم القـوات الواقفـة هنالـك للحمايـة. نهـض د. توفيـق مسرعًـا ناحيـة هـذا الوفـد ليرحـب بـه ولـيرى لمـاذا رجعـوا مـرة أخـرى بعـد أن تركـوا القاعـة في صحبـة أمـن الجامعـة وحراسـته.

أهـلًا بـك سـيادة رئيـس الجامعـة والسـادة النـواب والعمـداء، خـير إن شـاء اللـه. خـير د. توفيـق. في هـذه الأثنـاء بـدأ د. تانـاكا في النهـوض لتحيتهـم وفي يـده خالـد الـذي قـاوم النهـوض معـه عمـدًا، إلا أن رئيـس الجامعـة الـذي يتوسـط المجموعـة ضغـط عـلى يـد د. تانـاكا وترجـاه أن يبقـى جالسـا في مكانـه فيكفـي مـا تعـرض لـه اليـوم. نحـن كلنـا أسـف د. تانـاكا عـما حـدث اليـوم والـذي لم يكـن متوقعًـا أبـدًا، فهـذه جماعـات تناثـرت هنـا وهنـاك في القاعـة وفي رأسـها أجنـدة معينـة لتفرقـة الجمـع حتـى يفشـل، وتـم القبـض عـلى الكثـير منهـم لمعرفـة مـن هـم ولمـن ينتمـون ولمـاذا فعلـوا ذلـك ولمصلحـة مـن.

ولكـن أنـت يـا سـيادة رئيـس الجامعـة ومـن معـك مـن النـواب والعمـداء تركتـم القاعـة وتركتمونـا نديـر هـذه المعركـة القـذرة مـع هـؤلاء الأوغـاد ولم ينقذنـا سـوى فرقـة الحمايـة التـي فضـت العـراك لصالحنـا وإلا كنـا الآن في يديهـم كنتـف ريـش!

أبـدًا يـا خالـد أبـدًا، نحـن كـما تـرى تعرضنـا لهجـوم شـديد ونلنـا مـا تـرى مـن جـروح عـلى أجسـادنا، ولكننـا امتثلنـا لقوانـين الأمـن حتـى نسـتبين الأمـر،

ولكـن أمـن الجامعـة نفسـه تركنـا وحدنـا هنـا وذهـب معكـم بـلا عـودة وكأنـه أتى فقـط لينقذكـم أنتـم ويتركنـا لقمـة سـائغة لهـؤلاء الطغـاة الجهلـة حتـى كادوا أن يفتكـوا بنـا ومـن قبلنـا ضيفنـا الكبـير د. تانـاكا.

يـا خالـد، نحـن امتثلنـا لأوامـر الأمـن لأنهـم أكـثر درايـة بهـذه الأمـور عـلاوة عـلى أنـه تـم إخبـاري مـن الأمـن بـأن هنـاك قـوة قـد وصلـت للحمايـة بالتنسـيق مـع أمـن الجامعـة، وهكـذا أطمأننـا عليكـم وهـا نحـن جئنـا إليكـم حتـى نعتـذر لـك ولضيفـك الكبـير وزملائـك ووالـدك عـما حـدث مـن غـير قصـد، ونحـن نحمـل رسـالة مـن الحكومـة المصريـة عـلى أعـلى مسـتوى، رسـالة أسـف ورسـالة اعتـزاز وتقديـر وتمسـك بكـم وعمـل كل مـا هـو مطلـوب لإزالـة هـذا العـدوان الغاشـم عـلى تعاونكـم مـع مـصر وخدمتهـا. وهنـاك طلـب مـن رئاسـة الحكومـة بمقابلتـك شـخصيًّا أنـت وضيفـك الكبـير للاعتـذار ووضـع خطـط تعـاون.

مـش عـارف أقـول إيـه، فقـد تملكنـي الغيـظ والغضـب والرثـاء مـن جـراء مـا حـدث اليـوم، ولسـت أدري إذا كان هنـاك فعـل مـا عـلى أي مسـتوى يمحـو آثـار مـا حـدث. نحـن نتمنـى أن تقبـل طلـب اللقـاء والتحـدث في مسـتقبل مـصر ومكتبـي مفتـوح الآن إليكـم في وجـود هـذا الجمـع لعمـل الـلازم بنـاءً عـلى أوامـر عليـا، فمـصر لا تـرضى المهانـة لعلمائهـا، وأنـت أكـبر مـن الإهانـة فمـن يريـد أن يعطـي لا توقفـه العقبـات.

هنـا تدخـل د. تانـاكا واضعًـا يـده عـلى كتـف خالـد: أنـا موافـق يـا دكتـور خالـد عـلى المقابلـة، وأرجـو أن توافـق أنـت أيضًـا، وأنـا شـخصيًّا سـعيد جـدًّا بمـا حـدث، فقـد أعطـاني إحسـاس المقاومـة الـذي افتقدتـه منـذ زمـن مـن أيـام الحـرب العالميـة الثانيـة.

وبسرعـة عقـب د. توفيـق: أهـلًا بالمعـارك د. خالـد، إذا كانـت لصالـح بلدنـا الحبيـب.

نعـم يـا خالـد، أهـلًا بالمعـارك يـا زملـة إذا كانـت لصالـح شـعاع. ابتسـم خالـد ابتسـامة يملؤهـا الألم مـن كلام محمـود، ثـم نظـر لوالـده: ومـا قولـك يـا والـدي الحبيب؟

الـرأي رأيـك يـا خالـد، ولكـن أنـا مـع د. تانـاكا، فهـو نعـم الأسـتاذ، وإذا كان بيـدي لأعطيتـه الجنسـية المصريـة.

نظـر إلى همسـة وأمهـا وأحمـد فوجـد كلا منهـم يومـئ برأسـه بالموافقـة الصريحـة.

أمسـك خالـد بيـد د. تانـاكا وباليـد الأخـرلا د. توفيـق: أنـا قبلـت الاعتـذار واللقـاء ليقينـي بحبكـم لمـصر وتقديـرًا للحكومـة وامتنانًـا لمـصر، ولكنـي أريـد أن يكـون هـذا اللقـاء عـلى الهـواء أمـام كل النـاس. وقبـل أن يسترسـل في طلباتـه سـمع الجميـع همهـمات عاليـة وصخـب وأصـوات عاليـة تتعـارك بالصـوت مـع الفرقـة الموجـودة بالخـارج. اضطـرب قلـب خالـد ثانيـة مخافـة أن تكـون موجـة أخـرى مـن العـراك وهـو لم يوافـق نهائيًّـا بعـد إلا أنـه فوجـئ أن هـذه الجلبـة بـصوت المـرضى وبعـض الأهـالي لمـن جـاءوا مـن كل مـكان ليعضـدوا خالـد وضيوفـه واختراعاتـه.

دخلـت القاعـة أعـداد هائلـة تهتـف باسـم خالـد ودكتـور تانـاكا، ثـم حملوهـم عـلى الأعنـاق ليطوفـوا بهـم القاعـة ووراءهـم كامـيرات التلفـاز تنقـل عـلى الهـواء الأحـداث التـي لم يخطـط لهـا ولم يرتـب لهـا عـلى الإطـلاق. هنـا لـوَّح خالـد لرئيـس الجامعـة بكلتـا يديـه قبـل يأخـذ لخـارج القاعـة وهـو مـا زال محمـولا عـلى أعنـاق النـاس هـو ودكتـور تانـاكا: تحيـاتي سـيادة رئيـس الجامعـة عـلى عرضكـم، وبلـغ تحيـاتي لمعـالي رئيـس الحكومـة الـذي سـوف آتي إليـه سـيرًا عـلى الأقـدام امتنانًـا لمـصر، فيكفينـي مـا رأيـت الآن، فهـؤلاء هـم المصريـون الذيـن يجـب أن نعمـل ونكافـح مـن أجلهـم.

أهلًا بالمعارك ولتحيا الأوطان، وليحيا العلم صانع المعجزات.

ابتسـم جميـع الدكاتـرة ولوَّحُـوا لخالـد ودكتـور تانـاكا وهـم عـلى أعنـاق النـاس في طريقهـم لخـارج القاعـة وعـم صابـر ومحمـود وأحمـد وهمسـة وأم همسـة ودكتـور توفيـق وراءهـم مردديـن: يحيـا العلـم، ولتحيـا الأوطـان.

المذيـع لخالـد: وفي نهايـة اللقـاء مـاذا تحـب أن تقـول للشـعب المـصري يـا دكتـور خالـد؟

أتمنـى أن يكـون العلـم كالمـاء والهـواء للمصريـين، وأن يسـكن العلـم أمـام بيـوت المصريـين ليـدق عـلى الأبـواب حتـى تنـير أشـعته كل دار، وسـوف تكـون

أشعتي أول مـن يطـرق الأبـواب حُبًّـا في مـصر والمصريـين.

كلـمات رائعـة دكتـور خالـد نتمنـى لهـا أن تتحقـق وتكـون نبراسًـا ونموذجًـا عـلى أرض الواقـع للآخريـن، وجـمال كلماتـك يذكرنـا بأنـك شـاعر ذو حـس مرهـف، فهـلا أهديتنـا بعضًـا مـن نظـم كلماتـك في حـب مـصر.

وهـو يسـبح في مشـاعر الوطنيـة, إلى كل نفـس مصريـة حائـرة عـلى ثـرى الوطـن أو هنـاك بعيـدة عـن أرض الوطـن وتصبـو إلى حضنـه، ولكنهـا مـا زالـت تبحـث عـن يـد تربـت عـلى يدهـا. أهـدي هـذه الكلـمات.. بعنـوان «لا ترحـل صديقـي»:

لا ترحل صديقي

تعالَ سيدي

قبل أن يرحل النهار

وتغيب الشمس في الأفق

وترتخي الأيدي الساهرة

وتنام فئوس الأمل الضاربة

وتتساقط الدمعات الساخنة

وتتحشرج الأنفاس المتعبة

وتهوى الأجساد الساخطة

تعالَ سيدي

نتحدث ونتحاور بسلام

نتحاور بعقول بشرية

نتحرى الحقيقة الغائبة

وأصول العلاقات التائهة

وسط ألغام العقل الشارد

وبقايا القلب الغاني المتمرد

وحطام الأمنيات الشاردة

تعالَ سيدي

نرسم الحدود ببسمات عيوننا

على جسد ردائه من حقائق

ونخط كلمات الأمل الصامتة

على ألسنة الأطفال الشواهد

لعلها تكبر في صوتها مع الزمن

وتصير يومًا جملًا من الحدائق

نمشي بين سطورها بأحلامنا

ونتغذى على الحرية من ثمارها

فتنطق بالفكر والحِكَم والحقائق

تعالَ سيدي

وكن في الأمنيات صديقي

تعالَ وضع راحتيك بقوة

لتعشق معصمي المتعطش

لنصير قوة لجدار الأمنيات

تعالَ تطفأ الحرائق المشتعلة

في صدور تصدعت وتشققت

وعقول نضح الماء من فكرها

وقلوب تناثرت منها الدماء

تعالَ سيدي

فأنا ما زلت أتذكر وعودك

وما زلت أذكر سر نجواك

لليل أن يقبر أنين شكواك

وللنهار أن يذيب ثلج أحزانك

كنت هنا وهناك أسعد بجوارك

فكم غزلنا من لهيب الكرامة

صفحات قرطاسًا للأمنيات

وكم أشعلنا من الحزن نورًا

تهاوت على ضيائه الظلمات

سيدي لا تيأس من الزمن

ولا تهرب من شقائق الناس

أنت الذي صنعت التاريخ

وسكنت جغرافيا الأماكن

أنت الذي تزوجت البطولة

ورزقت ذرية من الكفاح

أنت الذي لا تنام دماء قلبه

ويعشق عقله قهر الآهات

تعالَ سيدي

فوطنك مشتاق إلى أنفاسك

تعالَ فمجدك تاج للورى

وعشقك للوطن مجد وكبرياء

تعالَ وانثر بذور أمانيك

على حبات الثرى المتعطش

لوطن ينادي بصوت قد بح

تعالَ فأنت الحكيم للنهي

وأنت لطبيب لصهد النفوس

لعلها تهدأ وتقبر الأوهام

وترفع أعلام وهنت رفرفتها

لعلها ترفرف من غير ريح

فأنت الرياح التي إن هبت

نما الزرع وربت البساتين

تعالَ سيدي

مكانك ما زال بيننا دافئًا

وزمانك ما زال هنا قائمًا

وعنوانك بالوجدان محفور

تعالَ كيفما وأينما شئت

روحًا تسعد بها الأجساد

فتصير نفوسًا من الأماني

تعمر أرضًا تطلب الأمجاد

انهالــت المكالمــات المشــجعة والمتلهفــة ليــس فقــط لاكتشــافات خالــد في التحكــم في الوقــت وبيعــه وعــلاج الأورام. بــل أيضًــا عــلى جــمال كلماتــه التــي تبــدوا بســيطة، ولكنهــا معــبرة عــن مشــاعر الكثــير مــن المصريــين خاصــة المغتربــين .

والآن وبعــد كل هــذه المكالمــات يــا دكتــور خالــد: أمــا زلــت تفكــر أن تــترك مــصر فــورًا وبــلا عــودة؟

بالطبــع لا، لــن أتــرك مــصر هــذه المــرة إلا بعــد أن نعالــج بعــض المــرضى، وعندمــا أتــرك بــلادي ســوف يكــون بوعــد العــودة بحــب وعلــم وللأبــد.

سـيداتي آنسـاتي سـادتي، كنـا عـلى الهـواء مبـاشرة مـع العـالم المـصري وسـفير النوايـا الحسـنة د. خالـد صابـر الـذي أمتعنـا الليلـة أدبيًّـا وعلميًّـا في برنامـج (علشـانك يـا مـصر) عـلى أمـل اللقـاء بـه في حلقـة قادمـة مـن اليابـان كـما وعدنـا سـيادته لنقـترب أكـثر مـن بحـور اكتشـافات .

في اسـتراحة الملحقـة بأسـتوديو البرنامـج كانـت هنـاك همسـة تترقـب خالـد بعيـون تطـير منهـا أشـعة الحـب حـول خالـد تحميـه مـن حسـد الحاسـدين وحقـد الحاقديـن، وتبـارك كلماتـه التـي تتنفـس حروفهـا أكسـجين السـعادة.

رائـع خالـد حبيبـي، دائمًـا رائـع يالّـه بينـا للحـارة، الـكل هنـاك في انتظـارك للاحتفـال الكبـير بـك وبدكتـور تانـاكا وبدكتـور توفيـق عـلى أنغـام الهـوارة وصـوت محمـود الـذي لم ينقطـع منـذ المسـاء. ضـم خالـد همسـة بكلتـا ذراعيـة وبـكل أنفاسـه: يالّـه بينـا يـا همـس العيـون.



رواية "وقت للبيع" تمثل حالة إنسانية شفافة لنفس بسيطة ولكنها طموحة لا تيأس طوال مشوار حياتها ولو تراكمت أمامها الصعاب. سوف تجد في أغوار هذه الرواية رومانسية حالمة وخيال علمي خصب تكاد تشعر أنه حقيقة بين يديك. سوف تجد أحداثا درامية وعلمية وإجتماعية تأخذ عقلك وقلبك صعودا وهبوطا، فمرة تشعر وأنك تمشي الهوينة كملاك تخطوا فوق السحاب ومرة أخري كأنك ملتصق بأديم الأرض لا تستطيع الحراك. رواية هي حراك عقلي وقلبي لأحداث سوف تشعر وكأنك جزءا من كل شخصية فيها. تتفاعل مع البطل تحب معه وتبكي معه وتفرح معه وتسافر معه وتتمني معه وتدعوا له. رواية تمثل واقعنا الإجتماعي والمالي والرومانسي والأدبي بكل معانيه. إنها سيمفونية أدبية تحكي هل الوقت للبيع خيال علمي أم واقع نعيشه. رواية تتمني أن تكون أنت فيها البطل.

cover design Tareq Fawzi

IBSN: 978 977 399 327 6

أطلس